

أَهْلَامُ الْبَيْتِ

سيرة وعطاء

الجزء الأول

بقلم

سماحة الشيخ

حسين بن العباس النجاشي



اهل البيت سيرة و عطاء

المؤلف : حسين العايش الهراكي الاحسائي

الناشر : دارالتفسير

الطبعة : الاولى ١٤٤٤

المطبعة : نكين

عدد المطبوع : ٥٠٠

ردمك ج ١ : ٥-٧٧٥-٥٣٥-٩٦٤-٩٧٨

ردمك النوره : ٢-٧٧٦-٥٣٥-٩٦٤-٩٧٨



انتشارات دارالتفسير

فهرخيابان معلم

ميدان روح الله

تلفن

٠٢٥-٣٧٧٤٤٤٢٢

أَهْلُ بَيْتِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ

سيرة وعطاء

الجزء الأول

بقلم

سماحة الشيخ

حسين بن علي بن إبراهيم بن الحسين



المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

أكد القرآن الكريم على أهمية التأسي بالرسول ﷺ، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (الأحزاب: ٢١) فهو القدوة بخلقه الكريم الذي وصفه الحق تعالى بالعظيم، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: ٤) وهو القدوة بسيره على الصراط المستقيم، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (المؤمنون: ٧٣) وهو العفو الرحيم رغم ما فعل به أعداء الإسلام وبعض جهلة المسلمين غير أنه لم يتأثر بذلك بل عفى وصفح، قال تعالى: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ لَبُوءٌ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ (آل عمران: ١٥٩)، وكلما تأمل الباحث في سيرته توصل إلى حقائق التجسيد الكامل للقرآن الكريم حيث ورد خلقه القرآن بل لا يزداد الباحثون إلا إطلاعا على حيثيات مستجدة تتجلى لهم بالتأمل، وكما أن القرآن لا يبلى بتكراره فسيرته العطرة لا تنضب عطاءً بقراءتها والدراسة لها والتأمل فيها،

وكذا الحال في سيرة أهل بيته الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وأبان أنهم هم من يصل إلى حقائق القرآن واستجلاء معانيه بما يريده الله تعالى للعباد، ولهذا قرن المصطفى صلى الله عليه وآله هداية الأمة بالتمسك بهم مع القرآن الكريم، قال صلى الله عليه وآله: «إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي وأمنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض»^(١).

إن سيرة أهل البيت عليهم السلام هي التجسيد الحي لمبادئ ومفاهيم الإسلام والقرآن الكريم، ولهذا لا يمكن اختزالها في كتاب مهمل كبير حجمه، لذا ركزنا على بعض الحثيات التي لها مساس بواقع أمتنا في أخلاقها وعقيدتها وتعاملها الفذ مع مفردات الكون وفق ما يريده الله تعالى بالمؤمنين فاخترنا شذرات من سيرتهم العطرة نوضح فيها ما ينبغي للمسلم أن يلتفت إليه في مساره إلى الله بأخذه ممن أمر الله بالأخذ عنهم ومنهم، ثم أضفنا بحثاً تتعلق بشورة إمامنا الحسين عليه السلام لما لهذه الثورة من تأثير كبير في تغيير الكون كما أوضحت ذلك الروايات إذ تتعلق حركة إمامنا المهدي عليه السلام بحركة الإمام الحسين عليه السلام.

إن من ينظر في آي القرآن الكريم وأحاديث المصطفى صلى الله عليه وآله يجد أن قسماً كبيراً يولي عناية بأهل البيت عليهم السلام كآية التطهير والمباهلة وآية الولاية، أما الأحاديث التي بينت فضلهم وأشادت بمكانتهم وربطت قبول الصلاة بالصلاة على النبي وعليهم، فلا حد لها ولا حصر، رغم خوف الرواة من نشر فضائلهم والإبانة

(١) وسائل الشيعة للحر العاملي ج ٢٧ ص ٣٤.

لمقاماتهم إلا أن ذلك لم يمنع من وصول ما ملأ الخافقين من أجل إسعاد الناس بإتباعهم ويكفينا في ذلك حديث الثقلين^(١) وحديث المنزلة^(٢) وحديث السفينة^(٣) وحديث الطائر المشوي^(٤) وحديث الغدير^(٥) والأحاديث الأخرى الناهية عن التقدم عليهم الأمرة باقتفاء آثارهم وإتباعهم.

من هنا كانت سيرتهم كسيرة جدهم لا تزداد بال تكرار إلا جدة وعطاء وبالتأمل إلا اكتناه لمعان القرآن الكريم والوصول إلى حقائق الإسلام الحنيف لها فيها من حكم وسلوك قويم ووسطية في التعامل مع الطيف الاجتماعي المتعدد وانفتاح متزن على الخلق لإيصاله إلى الحق، وقد كانت هذه السيرة مقدمة كزاد ثقافي للمصلين ثم جمعنا شتاتها ونسقناها ليعم نفعها وتكون ذخيرة لنا ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (الشعراء: ٨٨-٨٩)، وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب، والحمد لله رب العالمين.

الشيخ حسين العايش البراك

١٧ / ٥ / ١٤٣٦ هـ

(١) وسائل الشيعة للحر العاملي ج ٢٧ ص ٣٤.

(٢) الكافي للشيخ الكليني ج ٨ ص ١٠٧.

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام للشيخ الصدوق ج ١ ص ٣٠.

(٤) الأمالي للشيخ الصدوق ص ٧٥٣.

(٥) الخصال للشيخ الصدوق ص ٦٦.

القسم الأول

سيرة أهل البيت عليهم السلام



الفصل الأول

النبي محمد ﷺ

الأسوة بالنبي تحقق هدف وجود الإنسان

قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الأحزاب: ٢١). صدق الله العلي العظيم.

أهمية مبدأ الأسوة.

النبي محمد ﷺ أعظم شخصية في عالم الوجود، إذ أن الله تعالى اصطفاه واجتباها، ومنحه جميع كمالات عوالم الإمكان، وجعله حجة على الخلق أجمعين ورحمة للعالمين، وأسوة لمن أراد السلوك الحسن والوصول إلى أعلى المراتب في أي مجالٍ من المجالات وننبه هنا على أهمية مبدأ الأسوة والقُدوة في الوصول إلى الكمال المنشود، فمبدأ الأسوة والافتداء بالغير للوصول إلى المطلوب من المبادئ الهامة.

شمولية مبدأ الأسوة.

مبدأ الأسوة لا يختص بعالم الإنسان بل يشمل عالم الحيوان أيضاً، فالله تعالى أودع غريزة في عالمي الإنسان والحيوان، وجعل بعض الحيوانات يقلد بعضها الآخر ويحاكيه ليستفيد من تلك المحاكاة، وكذا الحال في عالم الإنسان.

أثر مبدأ الأسوة في تقدم الإنسان.

إنَّ التقدم في مجالات الحياة المختلفة مرهون بمبدأ القدوة والأسوة ولولاهما لما استطاع الكثير من الناس أن يصل إلى ما يتغيه وأن يحقق ما يقصده، ففي المجال العلمي هناك أهمية كبيرة للمحاكاة والمشاكلة والاقتراء، وكثير من العلماء كان السبب الرئيس فيما وصل إليه من درجات عالية هو الاقتداء بسلوك عالمٍ فذ جلب له الانتباه وتشبه به فوصل إلى تلك الدرجة العالية، وكذا الحال في عالم الفن والحرف والصناعات، فمبدأ الأسوة والقدوة مجال رحب وواسع في إيصال المقتدي إلى درجة عالية.

الأسوة في القرآن الكريم.

لقد أكد الله تعالى في كتابه الكريم على أهمية مبدأ القدوة والأسوة في إيصال المسلم إلى ما يريده، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الأحزاب: ٢١)، بيد أن الحق تعالى خص ناحيتين هامتين لهما أبلغ الأثر في حياة الإنسان هما:

الأولى: توثيق العلاقة مع الله تعالى.

وهو ما يعبر عنه برجاء الحق تعالى ليصل المرء من خلاله إلى المعرفة القوية ويتعلق قلبه به تعالى، فيصل إلى مشاهدته تعالى في كل حركة وسكون، ويرى الله تعالى في جميع مناح حياته حاضراً وناظراً، وذلك هو الغاية التي خلقنا من أجلها، ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: ٥٦)، والعبادة لا تكون إلا بالمعرفة وكلما توطدت المعرفة وترسخت العلاقة بين الإنسان وبين مبدئه المتعال ارتقى معنوياً.

علاقة النبي ﷺ بالله تعالى.

كان المصطفى ﷺ أوثق الخلق في علاقته بالحق تعالى، ويرى الله تعالى القوي المتين الشديد المحال، وقد جاء عن الإمام الصادق عليه السلام: نزل رسول الله ﷺ في غزوة ذات الرقاع تحت شجرة على شفير واد، فأقبل سيل فحال بينه وبين أصحابه فرآه رجل من المشركين والمسلمون قيام على شفير الوادي ينتظرون متى ينقطع السيل، فقال رجل من المشركين لقومه: أنا أقتل محمداً، فجاء وشد على رسول الله ﷺ بالسيف، ثم قال: من ينجيك مني يا محمد؟ فقال: ربي وربك، فنسفه جبرئيل عليه السلام عن فرسه فسقط على ظهره، فقام رسول الله ﷺ وأخذ السيف وجلس على صدره وقال: من ينجيك مني يا غورث؟ فقال: جودك وكرمك يا محمد، فتركه فقام وهو يقول: والله لأنت خير مني

وأكرم^(١)، بعد أن توسل الكافر بالنبي صلى الله عليه وآله أطلقه لكرمه ورحمته للعالمين، وهذا معنى عمق الارتباط بين العبد وربّه، والمخلوق وخالقه، فالنبي صلى الله عليه وآله مجرد أن نطق اسم الله، وقال: الله تعالى يميني منك سقط السيف من يد الكافر،

﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾ (الزمر: ٣٦) .

التأسي بالنبي صلى الله عليه وآله في علاقته بالله.

لا بد للمسلم أن يقتدي بالنبي صلى الله عليه وآله في عمق الارتباط بالله تعالى وفي رجائه تعالى في المهمات والملمات والتوكل عليه تعالى، ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾

﴿ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾ (الطلاق: ٣) .

الثانية: تبوء مكانة مرموقة في عالم الآخرة.

إنّ الذي ينبغي أن يلتفت إليه في شخصية النبي صلى الله عليه وآله هو عالم الآخرة وارتباطه صلى الله عليه وآله الوثيق بهذا العالم، ومن يريد أن يقتدي به صلى الله عليه وآله عليه أن يولي أهمية في الوصول إلى المقام الكبير والعظيم في عالم الآخرة بجعل الدنيا طريقاً إلى الآخرة وتحويل الإمكانيات والنعم التي منحها الله تعالى إلى وسائل لإيصاله إلى المكانة السامية والكبيرة، وقد تحدثت الروايات بأنّ النبي صلى الله عليه وآله وصل إلى المقام المحمود والمكانة السامقة التي لا يتاح لأحد أن يصل إليها، ومن أراد أن يقتدي به صلى الله عليه وآله عليه أن يتشبهه بخصاله الحميدة وأن يسير بسيرته ليوفق إلى

(١) ميزان الحكمة للريشهري ج ٤ ص ٣٢٢٧.

القرب منه ﷺ، ولا يكون ذلك إلا بالجد والاجتهاد، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ (العنكبوت: ٦٩).

الوصول إلى مقعد الصدق

إن من سار بسيرة العطاء واقتدى بهم وفق للكون معهم، والعطاء هم الذين تبوءوا المكانة الكبيرة في عالم الآخرة عند الله تعالى، وقد عبر القرآن الكريم عنهم بقوله تعالى: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْنَدٍ﴾ (القمر: ٥٥)، ومقعد الصدق لا يصل إليه إلا من حدثت بينه وبين النبي ﷺ أسوة واقتداء ليكون مصداقاً من مصاديق قوله: ﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ (النساء: ٦٩)، مدحهم الله تعالى بما وصلوا إليه من مكانة.

ميزة الارتباط بالله وتبوء المكانة في الآخرة.

إن توثيق العلاقة مع الله تعالى والوصول إلى درجة عالية في عالم الآخرة في جنات النعيم لهما ميزتان:

الأولى: الوصول إلى السعادة الحقيقية.

عندما يكون الإنسان على علاقة وثيقة مع الله تعالى ولديه مكانة كبيرة ودرجة عالية في جنات النعيم، فقد وصل إلى السعادة الحقيقية التي يطمح إليها الإنسان، إذ ليس هناك أعظم من ذلك، والارتباط الوثيق مع الله تعالى،

وعدم الارتباط بغيره إلا على وفق ما أراده تعالى والاهتمام بعالم الآخرة يوصلان الإنسان إلى المكانة الكبيرة عند الحق تعالى.

الثانية: تحقيق الكمال باكتساب الفضائل.

إن الله تعالى خص الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وآله بهذين الأمرين لإيصال المقتدي السائر على هديه، الكائن على الصراط المستقيم إلى كل خير وفضيلة وذلك لاندرج كل مزية فيهما، فلا مزية من المزايا إلا وترتبط بالعلاقة الوثيقة معه تعالى، فالجانب الأخلاقي للإنسان، والجهادي والعبادي والقدرات التي يتوصل إليها الإنسان في الحياة الدنيا إذا لم تكن لله تعالى لن تعود عليه بالنفع، إذ تحقق العلاقة مع الله تعالى انصهاراً يندك فيه جميع ما يتوق الإنسان للحصول عليه، ومن ثم الوصول إلى المكانة الكبيرة في عوالم الغيب والدار الآخرة وتحقيق الهدف الذي يبتغيه الإنسان، وقد حضت آيات القرآن الكريم على الاهتمام بعالم الآخرة والتوجه إليه تعالى لتحقيق ما يُبتغى، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (العنكبوت: ٦٤)، أي أن الحياة الحقيقية ترتبط بعالم الآخرة.

كيفية الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وآله.

من أراد في ذكرى مولده صلى الله عليه وآله أن يكون المصطفى صلى الله عليه وآله أسوة وقدوة له ليصل إلى الارتباط الوثيق بالله تعالى والتبوء للمكانة السامقة في عالم الآخرة عليه أن ينظر إلى أفعاله وأقواله صلى الله عليه وآله فيقتدي بها كي يوفق للأمرين.

المنهج العملي للمصطفى ﷺ

قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (الجمعة: ٢).

المنهاج العملي الذي قام به النبي ﷺ

توضح الآية المباركة المنهاج العملي الذي قام به النبي ﷺ وتختصره في أمور ثلاثة:

الأول: إيضاح منهج الدعوة

أوضح النبي ﷺ للبشرية جمعاء ما يريد أن يوصلهم إليه، وهو العمل بالقرآن الكريم، ودعوته ﷺ واضحة والآية عبرت عن ذلك بـ ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾ تلاوة الآيات بيان لما كان يتبغي النبي ﷺ أن يوصل الخلق إليه، إذ أن كل من يعمل عملاً لا بد أن يعرف ما يريد أن يعمل؛ أي يكون لديه المنهاج العملي الواضح، وهذا ما قام به النبي ﷺ.

الثاني: إيجاد التهيؤ والاستعداد

والآية الكريمة بينت ذلك بـ ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ التزكية لها معنيان:

الأول: التطهير، أي أنه ﷺ يخلص أتباعه ومن يسير على منهاجه العملي من الأدران والنقائص، وكل من يتبعه ﷺ يتخلص من نقصه، ويصل إلى الكمال.

الثاني: هو النماء والزيادة، ويُلازم هذا المعنى المعنى الأول فكل من يسير على المنهاج العملي سيزداد لا محالة في كماله، أي أن التخلص من النقص يلازمه الوصول إلى الكمال، والنبى صلى الله عليه وآله يخلص الناس من نقصهم من المعائب والردائل، ويرفع مستواهم بأخذهم إلى العلو والرفعة.

الثالث: خلق القابليات.

قوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ تعليم الكتاب يختلف عن تلاوته، التعليم شرح وإيضاح لحقائق كل آية آية من آي القرآن الكريم، وليس تلاوة وبيان فحسب، وإنما إيضاح للمعنى الحقيقي لأي القرآن الكريم، ومن يريد أن يصل إلى معاني القرآن الكريم، يُوضح صلى الله عليه وآله له هذه المعاني، وهناك أمران الأول بيان الكيفية العملية، والثاني شرح وإيضاح الخطة بنحو تفصيلي دقيق.

دوره صلى الله عليه وآله في إيصال الإنسان إلى الدرجة العالية

قوله تعالى: ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ الحكمة؛ هي وضع الشيء في موضعه، وإذا أردنا الإيغال في المعنى ظهر لنا ذلك بعمله صلى الله عليه وآله، فهو تارة يشرح حقائق الكتاب من الناحية النظرية، وأخرى يوضح الحقائق من الناحية التطبيقية والسلوكية، وتلك هي الحكمة، بمعنى أن الإنسان يعي النظرية ويطبقها في مقام العمل، وهو صلى الله عليه وآله يتولى جنبتين:

الأولى: شرح وتبيان حقائق القرآن الكريم.

والثانية: إيصال من له القابلية والإستعداد إلى تلك الحقائق، فيفيض عليهم، ويأخذ بأيديهم إلى الصواب، كي يستطيع المطبق للمنهاج العملي الذي يفسره النبي ﷺ أن يصل إلى الدرجة العالية في التحلي بمكارم الأخلاق والفهم الدقيق للقرآن الكريم.

والآية المباركة تشرح المنهاج العملي بأسلوب مختصر، وتوضح أن كل من يريد أن يصل إلى شيء عليه أن يعي ذلك الشيء، ثم يعمل للوصول إليه.

مفهوم التزكية

إذن على من أراد الوصول أن يتزكى، وللتزكية معنى آخر دقيق؛ هو الاستعداد والتهيؤ للفهم العملي، وقوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ أي أنه ﷺ يهيئهم لتقبل المراحل اللاحقة، لأن الإنسان قد تكون لديه القابلية، غير أنه لا يهيئ نفسه لذلك، والنبي ﷺ من وظائفه تعليم الناس؛ كيف يهيئون أنفسهم لتقبل الحقائق واستقبال المعارف، والوصول إلى الرّفعة والعلو في الدرجات؟ ونلاحظ أنه ﷺ يزيكهم أولاً، ثم يعلمهم الكتاب والحكمة ثانياً.

أهمية التزكية

بدأ النبي ﷺ بالتزكية لأنها الأهم.

ذلك أن العلم سلاح له حدان؛ يستخدم في الخير والشر، وهو جمالٌ وكمالٌ للإنسان، وقدرة كالقدرة الاقتصادية، بل أعظم منها؛ لأن الاقتصاد

دون علم لا يُفَعَّل، وبالعلم يصل المرء إلى الكثير مما يريد، غير أن العلم له خطورة فائقة ولذلك نرى استخدام العلوم في عصرنا في السوء ضد الإنسانية، فهناك بعض من يعي المعرفة ويُسخرها في طريق السوء، والسياس الآمن لجعل المعرفة تعود بالخير على العالم ومن يعيش معه، ويستفيد منها المتعلم والمجتمع هو التزكية، إذ دون تزكية قد يستخدم العلم في السوء على العالم والمجتمع، ونحن نرى الآثار السيئة للعلم في إفقار بعض البلدان وتصحرها، وانتشار الأوبئة واستخدام الأسلحة الفتاكة المكيروبية والبيولوجية والذرية، كل ذلك يعود بالسوء والضرر على الإنسانية جمعاء، إذاً العلم بحد ذاته يُستخدم فيما يعود بالخير والرّفاه على الإنسان، ويُستخدم فيما يعود بالسوء والضرر والوبال عليه أيضاً.

صعوبة الوصول إلى درجة الإنسانية من غير تزكية

يعلم النبي صلى الله عليه وآله أن صنع الإنسان يتأتى عبر أمور، من أهمها؛ التزكية والعلم، وأنّ الإنسان كي يكون إنساناً يحتاج إلى علم وإلى تزكية، غير أن الأهم في الجانب الإنساني، وفي صنع الإنسان هو التزكية، وبعدها في الأهمية العلم.

قد يتعجب بعض من ذلك ويرى أن الوصول إلى درجة عالية في العلم يتطلب جهوداً مضنية غير أن الوصول إلى درجة عالية في الإنسانية يتطلب أكثر من ذلك، قال السيد الإمام عليه السلام: (من السهل أن نصنع عالماً، ومن الصعب

أن نصنع إنساناً) السهولة والصعوبة من المفاهيم المتفاوتة - التشكيكية - مثل السواد والبياض؛ فالأسود يماثله الأشد سواداً، والأبيض يماثله الأشد بياضاً، والعلم كذلك؛ فهو صعب غير أن صعوبته أقل من صعوبة إيصال الإنسان إلى درجة الإنسانية، والتمكن من السير على الصراط المستقيم، لينفع الإنسان نفسه، وينفع الإنسانية جمعاء، ولا يهيمه مصلحة نفسه أو فئته فقط، بقدر ما يهيمه مصلحة الإنسانية جمعاء، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٧) أي أنه ﷺ رحمة لجميع عوالم الوجود.

دور التزكية في تكوين الجانب الإنساني

إذا أصبح الإنسان إنساناً، أصبح رحمة، لكل مفردات الكون، ويتوقف ذلك على أمرين:

الأول: التزكية.

والثاني: العلم.

وبقدر ما يتقن المرء من العلم ويستطيع أن يُفعّله في جوانب الحياة المختلفة يرتقي، غير أن الرُّقي لن يخدمه إذا لم يكن الجانب الإنساني كبيراً في شخصيته وله ثقل بل على العكس قد يعود عليه بالضرر بسبب الطغيان، قال تعالى حاكٍ عن قارون ﴿إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ، عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ (القصص: ٧٨)، وهذا ما يقال في عصرنا الراهن، فمن يمتلك العلم والمعرفة يسخرهما في إفقار بعض الشعوب، والإساءة إلى بعضها الآخر، ولو اقترن العلم بالتزكية؛ لأصبح

خيراً وبركة ورحمة لعالم الوجود كافة قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٧).

التعرّف على المنهاج العملي لشخصية النبي صلى الله عليه وآله

إن أهم ما يستفيد منه المسلم في الذكريات التي تمر عليه للمصطفى صلى الله عليه وآله كيوم ميلاده ويوم وفاته، التعرّف على المنهاج العملي لشخصيته العظيمة، فهو صلى الله عليه وآله أعظم شخصية، أدها الحق تعالى قال صلى الله عليه وآله: «أدبني ربي فأحسن تأديبي»^(١) أي أنّ الله تعالى أوصله إلى الكمال، وجعله سفيراً إلى الخلق كافة، ولن يصل أحدٌ إلى رتبته صلى الله عليه وآله، قال الأزري:

قلّب الخافقين ظهراً لبطن فرأى ذات أحمد فاجتباها^(٢)

اختبر الله تعالى الخلق مرةً بعد أخرى، ولم يجد كالنبي صلى الله عليه وآله في كل عوالم الوجود، فهو صلى الله عليه وآله بهذه الرتبة، ومنهاجه العملي أوضحه في ثلاث خطوات:
الأولى: معرفة القرآن الكريم نظرياً.

الثانية: التزكية.

الثالثة: معرفة حقائق القرآن عملياً ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾ (الجمعة: ٢)، ويتوقف الوصول إلى الكمال على ذلك.

(١) ميزان الحكمة للريشهري ج ١ ص ٥٨.

(٢) الأرزبية للأزري ص ٣٢.

الاستقامة العقديّة والسلوكية في دعوة النبي ﷺ

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران: ٦٤). صدق الله العلي العظيم.

أهداف دعوة النبي ﷺ

بُعث المصطفى ﷺ رحمةً مهداةً للبشرية جمعاء، فكان يرفع من مستوى الإنسانية على كل الأصعدة، وفي جميع المجالات، وكان يريد لها الخير والسلام، وشخص ﷺ أنها لن تستقيم إلا من خلال الإيمان بالحق تعالى وبالتوحيد الذي أمر الله به جميع الأنبياء والرسل، والإذعان بأنّ الإنسان لا بد أن يعيش الوثام والسلامة مع أخيه الإنسان ولا يتسلط عليه، فلا يكون رباً له كما عبرت الآية، بل يكون مع أخيه الإنسان سواءً كعبيد خاضعين للحق تعالى، وكان ﷺ يؤسس للمحور الثاني من خلال الاستقامة في المحور الأول بمعنى أنّ الاستقامة العقديّة تؤثر تأثيراً بالغاً في الاستقامة السلوكية وفي احترام المبادئ والاحترام للإنسان بشكل عام، وسوف نستعرض هذين المحورين على التوالي:

المحور الأول: تكوين الأسس العقديّة الصحيحة.

شرع المصطفى ﷺ في معالجة الأسس العقديّة لدى أصحاب الديانات السماوية فكان ينقذ الإنسان العابد للأصنام والمشارك من براثن تلك الأصنام

والأوثان، وكان ينقذ الإنسان المؤمن بالشرائع السماوية التي طرأ عليها التبديل، وغير في شرائع الحق تعالى، وكان الشرك بالله تعالى وعدم الفهم السليم لمبادئ التوحيد قد فشا بين أهل الديانتين، اليهود والنصارى، وهما على طوائف، بعضها ترى أن عزيراً وعيسى عليهما السلام هما ابنان لله تعالى، وهناك طائفة ثانية ترى أن المسيح هو الله، وبعض الطوائف الأخرى تؤمن بالتثليث للأب والابن وروح القدس، وعالج النبي صلى الله عليه وآله هذه الأمراض العقدية، بالتوحيد الخالص الذي صدع به القرآن، ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُؤَلَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ (الإخلاص: ١-٤)، ورد صلى الله عليه وآله على تلك الطوائف المؤمنة بتلك الانحرافات العقدية من اليهود الذين رأوا أن عزيراً ابن الله، ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزْرُ بْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ (التوبة: ٣٠)، والله تعالى لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، بل هو الصمد كما نطقت بذلك سورة التوحيد. وأبان القرآن الكريم الانحراف العقدي في اتخاذ المسيح إلهاً من دون الله، ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ (المائدة: ٧٢)، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثَةٌ﴾ (المائدة: ٧٣)، كل هذه الانحرافات العقدية عالجها النبي صلى الله عليه وآله من جذورها وبيّن أن من أراد الاستقامة في المعتقد عليه أن يأخذ بما جاء به القرآن الكريم، وقد شرح صلى الله عليه وآله موضعاً أي القرآن التي جاءت نابذة للشرك موضحة للتوحيد.

صبر النبي ﷺ في الدعوة إلى الله.

وتحمّل ﷺ الأذى من لدن أصحاب الديانات السماوية السابقة، كالطعن والاستهزاء به، وهذا ما أبانه الذكر الحكيم، ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا لِيَّأُتِيَ بِالسِّنِّهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ﴾ (النساء: ٤٦)، بعض اليهود من أتباع موسى عليه السلام كانوا لا يسمعون كلام النبي ﷺ، بل، ويستهزئون به، قال تعالى: ﴿وَرَاعِنَا﴾، ظاهر الكلمة طلب من النبي ﷺ بالترث، إذ أن بعض المسلمين كان يقول له ﷺ (رَاعِنَا)، عندما يُحدثهم في تبيان مفاهيم العقيدة وشرح آي القرآن الكريم وإيضاح الأحكام الشرعية، أي تمهل في بيانك لأحكام الشريعة وفي إيضاحك لأي القرآن، إلا أن اليهود كانوا يستخدمون كلمة (رَاعِنَا) بمعنى الأرعن والأحمق، الراعن هو الأحمق، وكانوا يريدون الانتقاص من مكانته ﷺ، إلا أنه ﷺ تحمل الإهانات من قومه ومن الذين يمعنون في إيذاء شخصه الكريم أو في الطعن على مبادئ شرع الله.

مجازاة النبي ﷺ بالأحسن.

لم يكتفِ النبي ﷺ بالصبر والتحمل تجاه إيذاء الآخرين له، بل، كان يقابلهم بالدعاء لهم بالهداية «اللهم اهدِ قومي فإنهم لا يعلمون»^(١)، وهو

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ٢٠ ص ٢١.

القائل: «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»^(١)، وقد أشاد الحق تعالى بخلقه الرفيع، ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القم: ٤)، وكان هذا دينه حتى مع اليهود الذين أمعنوا في إيذائه، فإذا مرض من كان يؤذيه يبادر إلى زيارته وعيادته، ويدعو له بالشفاء، ويحاول جاداً شرح حقائق الشرع الإسلامي له، وإيضاح مفاد آي القرآن الكريم، واستطاع صلى الله عليه وآله أن يجعل الكثير من اليهود والنصارى يذعنون بالشرع الإسلامي، بالخصوص المنصف منهم، الذي تأثر تأثراً كبيراً بما جاء به النبي صلى الله عليه وآله فاعتنق الإسلام، أما المشركون من العرب فقد انجذبوا لأخلاقه صلى الله عليه وآله، وانضوا تحت راية التوحيد التي حملها صلى الله عليه وآله خفاقةً في الجزيرة العربية ورأوا بأن ما جاء به هو المنقذ لهم مما كانوا عليه من تخلف في كل مجالات الحياة.

دعوة النبي صلى الله عليه وآله تستقطب الناس.

وسرعان ما أفاق العقل العربي أبان تلك العتمة القائمة في تلك العصور على مبادئ الخير التي جاء بها النبي صلى الله عليه وآله وتأثر بها ففسار مسرعاً لتلبية ما جاء به المصطفى، ووجد الإخاء والانسجام والتلاحم في برهة زمنية محدودة لمكارم أخلاق النبي صلى الله عليه وآله من ناحية ولحسانية المبادئ التي جاء بها صلى الله عليه وآله من ناحية أخرى، ومن أهم هذه المبادئ - بعد معالجة الانحرافات - إيضاح العبودية لله تعالى عملياً، لذا نجد الطرح الجميل منه صلى الله عليه وآله كما جاء به القرآن، ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ١٦ ص ٢١.

تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِءَ شَيْئًا ﴿آل عمران: ٦٤﴾، والآيات أوضحت المعالجة العقدية تفصيلاً.

المحور الثاني: الاستقامة السلوكية تجاه الآخرين.

يؤكد هذا المحور على عدم الاستعلاء والاستكبار من بعض الناس على بعضهم الآخر، ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ٦٤)، بمعنى لا تكون الهيمنة لبعض الناس على بعضهم الآخر، سياسياً أو اقتصادياً أو في مجالات أخرى إلا بما يرجع إلى الكفاءة، التي يحملها الإنسان ويتفاضل الناس على أساسها بالتقوى والعلم، وليس بالعلو والاستكبار المندد به من قبل الشرائع السماوية جمعاء ومن القرآن الكريم خاصة.

الارتباط بين أصحاب الديانات.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ (آل عمران: ٦٤) تبيان بأن التلاحم والارتباط بين المسلمين وبين أصحاب الديانات الأخرى ضرورة ماسة بين أصحاب الديانات في احترام بعضهم لبعضهم الآخر، والتعايش في القواسم المشتركة، التي جاء بها الأنبياء والرسل، هذا من ناحية، وللإخاء في الجانب الإنساني من ناحية أخرى، وهو ما أبانه الذكر الحكيم في تكريم الإنسان، ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَجْرِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (الإسراء: ٧٠)، هذا التكريم

وتلك المشتركات تدعو أهل الأديان السماوية جمعاء إلى أن يحترم بعضهم بعضهم الآخر سواء كانوا من دين واحد أو من أديان متعددة.

حقيقة الاختلاف بين الأديان.

الاختلاف الكبير بين الأديان حقيقة لا ريب فيها، أبانها القرآن الكريم، ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (آل عمران: ١٩)، الاختلاف العقدي بين الأديان أمر طبيعي، نحن كمسلمين نعتقد بأن ما جاء به القرآن هو الحق الذي لا يشوبه باطل ولا يمتريه ريب، أمّا تلك الديانات فقد وقع فيها التحريف والتبديل.

الانسجام بين الأديان مع الاختلاف.

إنّ المؤثر سلباً هو الاختلاف العملي الذي يعود بآثار وخيمة ونتائج سيئة على الجميع، غير أنّ ديننا الإسلامي الحنيف أمرنا باحترام الأديان السماوية الأخرى، قال تعالى: ﴿ءَا مَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفِرُّ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ (البقرة: ٢٨٥)، والآية تؤكد على ألا يفرق بين رسول وآخر، مما يشير إلى أهمية الاحترام لتلك الرسل وتلك الديانات السماوية، وما أحوجنا في ذكرى وفاة نبينا صلّى الله عليه وآله وسائر الذكريات المرتبطة به أن

نتلمس هذه المعالم ونأخذ بهذا الهدى النبوي الذي جاء به ﷺ ليتحقق الوئام والانسجام بين أصحاب الديانات السماوية الثلاث وغيرها من الديانات الأخرى، التي تحوي الكثير من الإيجابيات والآداب العامة المشتركة بين الجميع.

مواقف إنسانية للرسول الأعظم ﷺ

قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (التوبة: ١٢٨) صدق الله العلي العظيم.

النبي ﷺ رحمة العالمين.

النبي محمد ﷺ الرحمة المهداة للإنسانية جمعاء، بل هو الرحمة لعوالم الوجود كلها، وليس للإنسانية فحسب وكل شيء في الوجود استفاد منه ﷺ، تعليماته وحكمه وشريعته الغراء خير ورحمة لعوالم الوجود بأجمعها، غير أننا نركز على موضوع جدهام هو تعامله ﷺ مع الطيف المتعدد من مختلف الاتجاهات.

تعامله ﷺ مع الآخر.

تعامل النبي ﷺ مع اتجاهات مختلفة كأصحاب الديانات - اليهود والنصارى - وبعض الملحدين ممن ينكر وجود الحق تعالى أو يشرك به،

وتعامل مع المؤمنين المخلصين الذين يتوقون لكل كلمة يتفوه بها ليسترشدوا بها في حياتهم، وكان تعامله مع الطيف المتعدد بخلق عظيم، سعة في الصدر واحترام لإنسانية الإنسان بغض النظر عن توجهه وانتمائه العقدي وما يحمله من فكر، الإنسان لديه صلى الله عليه وآله محترم كريم.

مواقف من إحسانه صلى الله عليه وآله

إنّ الكثير من الناس يُحسن لمن أحسن إليه، وهذا ديدن الفطرة، فالإنسان يتعامل بإحسان لمن أحسن إليه، غير أنّ النبي صلى الله عليه وآله لم يكتفِ بالإحسان لمن أحسن إليه فحسب، بل هناك زيادة بجعل الإحسان مستمراً دائماً فيذكر غيره بخير، أكان من الذين آمنوا به أو من الذين لم يؤمنوا فكان يرد الجميل بأضعاف مضاعفة، وقد نقل المحدثون تعامله الفذ مع من أحسن إليه وزيادة إحسانه، فكان يشيد بالمحسنين، ومنهم زوجه الطاهرة خديجة عليها السلام، فهي عليها السلام قدمت لرسول الله صلى الله عليه وآله أمواها، ووقفت معه في العسر والشدائد ولم يكتفِ النبي صلى الله عليه وآله بالإحسان إليها أبان حياتها، بل أشاد بمواقفها بعد موتها ولم يقتصر على ذلك بل أحسن لصديقاتها برّاً بها، ولا يوجد هذا التعامل الكريم عند كثير من الناس، فهم يحسنون لمن أحسن إليهم أبان حياته، وإذا فرّق الموت بينهما قد يذكر بكلمة طيبة، ولا يُذكر بأكثر من ذلك، وقد ينسى إلا أنّ النبي صلى الله عليه وآله (كان يذبح الشاة فيفرقها على صديقات خديجة) ^(١) برّاً بها، ويدلل

(١) أعيان الشيعة للأمين ج ٦ ص ٣٢١.

هذا على إنسانية الرسول الفذة ﷺ، فهو يضع أدباً على أن الإحسان لا ينبغي أن ينقطع بعد الموت لأن استمراره صلة.

معاملته ﷺ مع المسيء إليه.

قد يقال إن من الطبيعي أن يحسن الإنسان لمن أحسن إليه بعد موته كما جاء عنه ﷺ تعليماً بذلك قال ﷺ: «المرء يحفظ في ولده»^(١) أي أن الإحسان يستمر إلى أولاد المحسن غير أن مواقفه ﷺ الجميلة كانت تمطر بإنسانيته، كله إنسانية مع من أساء إليه، وليس مع من أحسن إليه فحسب، ولعل من أبرز المواقف ما تحدث عنه القرآن عندما كان بعض المنافقين يُسيء إليه ﷺ بالكلمة البذيئة، فبعض المنافقين حدّث بعضهم بكلام سيء عن رسول الله ﷺ ثم خشي أن يُنقل إليه ﷺ ويؤثر ذلك سلباً، ثم رد بأن محمداً ﷺ أذن، فإذا نقل إليه أحد كلاماً ثم جاء المتكلم وأنكر ذلك وأقسم بالله صدقه، رغم أن جبرائيل عليه السلام يأتيه ويقول إنَّ المنافقين تحدثوا عنك بسوء ويذهب المسيء إليه ويقسم بالله فيصدق، فهو أذن؛ أي أنه إنسانٌ بسيطٌ يُصدق بكل ما يسمع به^(٢)، وقد حسم القرآن الكريم الموقف وبين الجانب الإنساني من

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ٢٩ ص ٢٢٧.

(٢) بحار الأنوار للمجلسي ج ٢٢ ص ٩٥: أن عبد الله بن نفيل منافقاً وكان يقعد إلى رسول الله ﷺ فيسمع كلامه وينقله إلى المنافقين، وينم عليه، فنزل جبرئيل على رسول الله فقال: يا محمد إن رجلاً من المنافقين ينم عليك وينقل حديثك إلى المنافقين، فقال رسول الله ﷺ: من هو؟ فقال: الرجل الأسود كثير الشعر الرأس ينظر بعينين كأنهما قدران، وينطق بلسان شيطان، فدعاه رسول

شخصيته صلى الله عليه وآله، قال تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ ﴾ (التوبة: ٦١). فهو صلى الله عليه وآله لا يرتب أثراً عندما يُنقل الكلام السيء إليه ولا يُصدق كلام المنافقين، بل يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين فقط، أي يُصدق الله تعالى ويصدق المؤمنين؛ أما المنافقون فيسمع كلامهم، دون أن يرتب أثراً، فهو أُذُنٌ خَيْرٌ؛ أي أن العلاقات الإنسانية تسير على طبيعتها، ببركته وحسن تعامله فإذا جاءه شخصٌ وقال لم أقل ما نُقل إليك صدقه، لتبقى العلاقات على سمتها الجميلة؛ لكونه صلى الله عليه وآله يحفظ الود، ولا يقطع الصلة بينه وبين أخيه الإنسان بمجرد أن أساء إليه، بل يقبل عذره إذا اعتذر وإن كان كاذباً.

تعامله صلى الله عليه وآله مع من أراد قتله.

هناك جانبٌ إنسانيٌّ جد هام، لعله أهم مما تقدم وهو أن النبي صلى الله عليه وآله كان حاكماً وقائداً سياسياً، والقائد السياسي والاجتماعي قد يُساء إليه، وقد أساء بعض المنافقين إليه صلى الله عليه وآله أبان رجوعه من غزوة تبوك فأرادوا قتله، وخططوا مخططاً محكماً، وعندما كانت تمر ناقته التي يركبها، دحرج المنافقون الدباب

الله فأخبره، فحلف أنه لم يفعل فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: قد قبلت منك فلا تتعد فرجع إلى أصحابه فقال: إن محمداً أذن، أخبره الله أني أنم عليه وأنقل أخباره فقبل، وأخبرته أني لم أفعل فقبل فأنزل الله على نبيه: " ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو اذن قل اذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين " أي يصدق الله فيما يقول له، ويصدقك فيما تعتذر إليه في الظاهر، ولا يصدقك في الباطن قوله: " ويؤمن للمؤمنين " يعني المقرين بالايان من غير اعتقاد

لكي يسقط صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويتاح لهم أن يقتلوه، وعرفهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واحداً واحداً وأمر الناقة أن تبقى متماسكة، غير أنهم ظنوا أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يعلم بهم، ولذلك غفر لهم، لكونهم جزء من المجتمع ولن يؤخذ المجتمع كله بجرم بعضه، لكنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعلم حذيفة بن اليمان بهم. قال حذيفة: (وسار رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ باقي يومه وليلته حتى إذا دنوا من عقبة هر شئ تقدمه القوم، فتواروا في ثنية العقبة، وقد حملوا معهم دباباً، وطرحوا فيها الحصا، فقال حذيفة: فدعاني رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ودعا عمار بن ياسر وأمره أن يسوقها وأنا أقودها، حتى إذا صرنا رأس العقبة، ثار القوم من ورائنا، ودحرجوا الدباب بين قوائم الناقة، فذعرت وكادت أن تنفر برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فصاح بها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن اسكني، وليس عليك بأس، فأنطقها الله تعالى بقول عربي مبین فصيح، فقالت: والله، يا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا أزلت يداً عن مستقر يد، ولا رجلاً عن موضع رجل، وأنت على ظهري، فتقدم القوم إلى الناقة ليدفعوها فأقبلت أنا وعمار نضرب وجوههم بأسيافنا، وكانت ليلة مظلمة فزالوا عنا وأيسوا مما ظنوا، وقدروا ودبروا، فقلت: يا رسول الله من هؤلاء القوم الذين يريدون ما ترى؟ فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يا حذيفة هؤلاء المنافقون في الدنيا والآخرة، فقلت: ألا تبعث إليهم يا رسول الله رهطاً فيأتوا برؤوسهم؟ فقال إن الله أمرني أن أعرض عنهم، فأكره أن تقول الناس إنه دعا أناساً من قومه وأصحابه إلى دينه فاستجابوا، فقاتل بهم حتى إذا ظهر على عدوه، أقبل عليهم فقتلهم، ولكن دعهم يا حذيفة، فإن الله لهم بالمرصاد،

وسيمهلهم قليلاً ثم يضطرهم إلى عذاب غليظ، فقلت: ومن هؤلاء القوم المنافقون يا رسول الله صلى الله عليه وآله أمن المهاجرين أم من الأنصار؟ فسماهم لي رجلاً رجلاً حتى فرغ منهم، وقد كان فيهم أناس أنا كاره أن يكونوا فيهم، فأمسكت عند ذلك، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله يا حذيفة كأنك شاك في بعض من سميت لك، ارفع رأسك إليهم فرفعت طرفي إلى القوم، وهم وقوف على الشية، فبرقت برقة فأضاءت جميع ما حولنا، وثبتت البرقة حتى خلتها شمساً طالعة فنظرت والله إلى القوم فعرفتهم رجلاً رجلاً، فإذا هم كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وعدد القوم أربعة عشر رجلاً، تسعة من قريش، وخمسة من ساير الناس^(١).

مواقفه صلى الله عليه وآله مع خصومه.

لا يفعل النبي صلى الله عليه وآله كما يفعل بعض السياسيين، إذا أساء أحدٌ إليه بمثل ما تقدم بل بأقل منه قتله، وقد أُشير إليه ص بذلك، لكنه أجاب بإجابة غاية في الود، قال أتريدون أن يقول الناس إنَّ محمداً ص يقتل أصحابه، ومعنى كلامه صلى الله عليه وآله أنه يختلف عن السياسيين، فالسياسي عندما يختلف مع أقرب الناس إليه فإن مصيره الإبعاد أو التصفية، إلا أنه صلى الله عليه وآله ديدنه الصّحاح والود وإغضاء الطرف لإتاحة الفرصة حتى كأنه لا يرى عدوه الذي أساء إليه.

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ٢٨ ص ١٠٠.

وقد تجلى الموقف البارز من صفحه ﷺ عند دخوله مكة، ويتضح ذلك في

حيثيتين:

الأولى: يوم المرحمة.

كان سعد بن عبادة ينادي أثناء دخول المسلمين مكة - يوم فتح مكة - (اليوم يوم الملحمة اليوم تسبى الحرمة) من أجل أن كثيراً من القرشيين من المتغطرسين كأبي سفيان وزعماء قريش الذين أساءوا إليه، وقد انتصر عليهم الرسول، ودخل فاتحاً والفتاح يشمخ بأنفه في العادة، ويرفع من شخصيته ويشير الرعب في أعدائه وعندما نادى سعد بن عبادة - زعيم الأنصار - وقال اليوم يوم الملحمة، اليوم تسبى الحرمة، تخويفاً لقريش؛ لأن الأمر ليس بيد سعد، بل الأمر كله بيد الرسول ﷺ، فخاف المجتمع المكي حينئذ، لكن النبي ﷺ أرسل إلى سعد، وبدل الشعار بسرعة فائقة إلى: «اليوم يوم المرحمة اليوم تحفظ فيه الحرمة»^(١)، وهذا الموقف الإنساني الفذ مع الذين اعتدوا عليه، وقتل بعضهم عمه الحمزة ومثل به، ينبثق من إنسانيته العظيمة ﷺ.

الثانية: العفو عن المجتمع المكي.

النبي ﷺ أذكى شخصية عرفها التاريخ القديم والحديث، حتى أن (michel hert) في كتابه أعظم مائة شخصية في التاريخ البشري جعله ﷺ

(١) المبسوط للسخسي ج ١٠ ص ٣٩.

الشخصية الأولى باعتباره يتمتع بأعظم ذكاء في كل المجالات - الذكاء الاجتماعي والسياسي والرياضي وجميع أنواع الذكاء - ويعتقد بذلك من لم يؤمن بنبوته صلى الله عليه وآله، ونحن نعتقد بأنه ص يستمد مواهبه من عند الله تعالى، ونخاطب الذين ينظرون إليه كسائر الناس على نسق تفكيرهم في شخصيته، النبي صلى الله عليه وآله عندما دخل مكة جعل الجيش الإسلامي على شكل كتائب، يسير بمشية عسكرية مهيبة، وكان أبو سفيان إلى جانب العباس بن عبد المطلب واقفاً فلما نظر إلى كتائب الجيش الإسلامي ربت على كتف العباس؛ أي ضرب على كتفه وقال انظر إلى ملك ابن أخيك، لقد أصبح عظيماً ككسرى وقيصر، وذلك منطلق من لم يؤمن بنبوته، ويرى أن المسألة تدور حول الملك، وقد جاؤوا إليه أذلاء خاشعين لمقامه السامي صلى الله عليه وآله فقال لهم: يا معشر قريش ويا أهل مكة ما ترون أي فاعل بكم؟ قالوا أخ كريم وابن أخ كريم، ثم قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء، قد يتحدث بعضهم من موقف سياسي لا يعتقده يتضح ذلك من مواقفه وتاريخه، أما النبي صلى الله عليه وآله فهو يعلم بذلك كعلمه بمن نفروا ناقته أبان رجوعه من غزوة تبوك، لكن رده مثل الصفح والعفو وتعامل معهم كأنهم لم يفعلوا شيئاً.

وهو موقف الصديق يوسف عليه السلام مع أخوته قال تعالى: ﴿ قَالَ لَا تَأْتِيَنَّكُمْ أَلْيَوْمَ ﴾ (يوسف: ٩٢). بدأهم بصفحة جديدة تنم عن الجانب الإنساني في شخصيته صلى الله عليه وآله، وله صلى الله عليه وآله مواقف كثر عفى وأحسن عن أساء إليه.

سيرته ﷺ في التواضع.

الأهم من ذلك كله تواضعه لمن توهم أنه ﷺ أخطأ عليه، وكان يتعامل معه في رتبته ولا يجعله أخفض منه رتبة، وهذه الإنسانية الفذة كسب الجميع؛ وفي قصة سوادة إظهار لذلك، عن ابن عباس... ثم قال: إن ربي عز وجل حكم وأقسم أن لا يجوز ظلم ظالم، فناشدتكم بالله أي رجل منكم كانت له قبل محمد مظلمة إلا قام فليقتص منه، فالقصاص في دار الدنيا أحب إلي من القصاص في دار الآخرة على رؤوس الملائكة والأنبياء. فقام إليه رجل من أقصى القوم يقال له سوادة بن قيس، فقال له: فداك أبي وأمي يا رسول الله، إنك لما أقبلت من الطائف استقبلتك وأنت على ناقتك العضباء وييدك القضيب المشوق، فرفعت القضيب وأنت تريد الراحلة فأصاب بطني، فلا أدري عمداً أو خطأ. فقال معاذ الله أن أكون تعمدت. ثم قال: يا بلال، قم إلى منزل فاطمة فأتني بالقضيب المشوق. فخرج بلال وهو ينادي في سكك المدينة: معاشر الناس، من ذا الذي يعطي القصاص من نفسه قبل يوم القيامة؟ فهذا محمد ﷺ يعطي القصاص من نفسه قبل يوم القيامة! وطرق بلال الباب على فاطمة ﷺ وهو يقول: يا فاطمة، قومي فوالدك يريد القضيب المشوق. فأقبلت فاطمة ﷺ وهي تقول: يا بلال، وما يصنع والدي بالقضيب، وليس هذا يوم القضيب؟ فقال بلال: يا فاطمة، أما علمت أن والدك قد صعد المنبر وهو يودع أهل الدين والدنيا! فصاحت فاطمة ﷺ وهي تقول: وا غماه لعمرك

يا أبتاه، من للفقراء والمساكين وابن السبيل يا حبيب الله وحبيب القلوب؟ ثم ناولت بلالا القضيب، فخرج حتى ناوله رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أين الشيخ؟ فقال الشيخ: ها أنا ذا يا رسول الله، بأبي أنت وأمي؟ فقال: تعال فاقصص مني حتى ترضى. فقال الشيخ: فاكشف لي عن بطنك يا رسول الله، فكشف صلى الله عليه وآله عن بطنه، فقال الشيخ: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، أتأذن لي أن أضع فمي على بطنك؟ فأذن له، فقال: أعود بموضع القصاص من بطن رسول الله من النار يوم النار. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا سودة بن قيس، أتغفو أم تقتص؟ فقال: بل أعفو يا رسول الله. فقال صلى الله عليه وآله: اللهم اعف عن سودة بن قيس كما عفا عن نبيك محمد ^(١).

إن النبي صلى الله عليه وآله يعرف نفسه بأنه لم يعتد على أحد وهو مؤيد بالله تعالى، ولكن كما ادعى سودة، فقال فلا أدري أعمداً كان أم خطأ؛ أي أنه كان يريد أن يضرب الناقة بالقضيب المشقوق فأصاب بطني؛ فالذي أصابه طرف القضيب، ومع ذلك أراد سودة أن يضع فمه على بطن رسول كي يحصل على دعائه عليه السلام وقد حصل، والنبي صلى الله عليه وآله وقف هذا الموقف العظيم المشرف ليكون قدوة للإنسانية وينم ذلك عن عظمته وإنسانيته وأن الأمر لا يرجع إلى كونه القائد والنبي صلى الله عليه وآله والمسؤول عن جميع الأمور وأن على الآخرين أن لا يتحدثوا إليه ولا يناقشوه.

(١) أمالي الشيخ للصدوق ص ٧٣٢.

إن كثيراً منهم أساء إلى النبي ﷺ كما حدث من بعض جهلة الأنصار عندما قسم ﷺ الفيء من الطائف على قريش ولم يبق لهم شيئاً، فقال بعضهم هذه قسمة لم يرد بها وجه الله تعالى، وقال بعضهم اتق الله يا محمد، وتعامل ﷺ برفق وإنسانية ولم يعقب بأكثر من قوله ﷺ: وهل هناك أعدل مني؟ ثم بين لزعماء الأنصار، لما جاءوه يعتذرون إليه ﷺ، وقال ألا ترضون أن يرجع الناس بالشاه والبعير وترجعون بمحمد بل أكثر من ذلك تعامل معهم، فقال كما جاء عن أبي سعيد الخدري قال: لما أصاب رسول الله ﷺ الغنائم يوم حنين وقسم للمتألفين من قريش، وسائر العرب ما قسم ولم يكن في الأنصار منها شيء قليل ولا كثير، وجد هذا الحي من الأنصار في أنفسهم، حتى قال قائلهم: لقي والله رسول الله قومه، فمشى سعد بن عبادة إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إن هذا الحي من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم؟ فقال " فيم؟ " قال: فيما كان من قسمك هذه الغنائم في قومك وفي سائر العرب، ولم يكن فيهم من ذلك شيء، فقال رسول الله ﷺ " فأين أنت من ذلك يا سعد؟ " قال: ما أنا إلا امرؤ من قومي، قال: فقال رسول الله ﷺ " فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة، فإذا اجتمعوا فاعلمني " فخرج سعد فصرخ فيهم فجمعهم في تلك الحظيرة فجاء رجل من المهاجرين فاذن له فدخلوا وجاء آخرون فردهم، حتى إذا لم يبق من الأنصار أحد إلا اجتمع له أتاه فقال: يا رسول الله قد اجتمع لك هذا الحي من الأنصار حيث أمرتني أن أجمعهم،

فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله فقام فيهم خطيباً فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال: " يا معشر الأنصار ألم آتكم ضللاً فهداكم الله، وعالة فأغناكم الله، وأعداء فألف الله بين قلوبكم؟ " قالوا: بلى ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله " ألا تحبون يا معشر الأنصار؟ " قالوا: وما نقول يا رسول الله؟ وبماذا نجيبك؟ المن لله ولرسوله قال: " والله لو شئتم لقلتم فصدقتم وصدقتم جئنا طريداً فأويناك، وعائلاً فأسيناك، وخائفاً فأمناك، ومخذولاً فنصرناك " فقالوا: المن لله ولرسوله فقال رسول الله صلى الله عليه وآله " أوجدتم في نفوسكم يا معشر الأنصار في لعاعة من الدنيا تألفت بها قوماً أسلموا، ووكلتكم إلى ما قسم الله لكم من الإسلام، أفلا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس إلى رحالهم بالشاء والبعير وتذهبون برسول الله إلى رحالكم فوالذي نفسي بيده لو أن الناس سلكوا شعباً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار، ولولا الهجرة لكنت امرأة من الأنصار، اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار " قال: فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم وقالوا: رضينا بالله رباً ورسوله قسماً ثم انصرفوا وتفرقوا^(١).

إن أي شخصٍ إذا أراد أن يتحدث أبرز محاسنه ولم يذكر محاسن غيره، إلا أنّ النبي صلى الله عليه وآله بين لهم المحاسن والنعم التي أجزاها الله تعالى على أيديهم لهم، وبين لهم النعم التي أجزاها الله تعالى على أيديهم لرسوله صلى الله عليه وآله، وبذلك حفظ

(١) البداية والنهاية لابن كثير ج ٣ ص ٦٧٩.

إنسانيتهم وماء وجوههم، وأوضح ﷺ أن من يتعامل بإنسانية لا يشمخ بأنفه، ويُظهر نفسه الأعلى ويُنزل شخصية الطرف المقابل، فكان ﷺ يتعامل بندى الإنسانية الفذة في المواقف كلها.

وصلى الله وسلم على محمد وآله أجمعين الطيبين الطاهرين.

الفصل الثاني

دلالات سيرة أهل البيت عليهم السلام

أهل البيت عليهم السلام تجسيد قيم الدين

قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (المائدة: ٣) صدق الله العلي العظيم.

نزلت هذه الآية المباركة بعد تنصيب الإمام علي عليه السلام ولياً للمسلمين وكفي يتضح معنى إكمال الدين وإتمام النعمة ورضا الرب، نحتاج أن نفهم أمرين هامين، لهما مساس وثيق بمعاني الآية المباركة، من يفهم هذين الأمرين يدرك معاني الآية الكريمة.

الأول: القرآن تبيان للكليات.

أنزل الله تعالى القرآن الكريم على قلب المصطفى صلى الله عليه وآله ليبين القواعد والأصول بنحو كلي ولا يتكفل ببيان التفصيل للأحكام الشرعية، فلا يشرح كيفية صلاة الصبح ولا يبين حكم الشك في الصلاة الثنائية أو الرباعية ولا

يوضح مقدار الزكاة المطلوبة من لدن المكلف، لأنّ تفصيل الأحكام أوكل إلى النبي صلى الله عليه وآله قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ﴾ (النحل: ٤٤) وأوكله النبي صلى الله عليه وآله إلى أهل البيت عليهم السلام من بعده صلى الله عليه وآله.

الثاني: فهم القرآن عند أهل البيت عليهم السلام.

أجمع الصحابة على أنّ فهم القرآن من مختصات أهل البيت عليهم السلام، وفهم المعاني الدقيقة للقرآن الكريم من المهام المناطة بهم عليهم السلام ^(١) حتى أنّ بعض الصحابة كان يسألهم عليهم السلام فيقول وهل اختصكم النبي صلى الله عليه وآله بشيء غير القرآن الكريم؟ ومعنى السؤال هل عندكم علم آخر غير العلم الذي أودعتم إياه من قبل النبي صلى الله عليه وآله ومن قبل الله تعالى غير القرآن الكريم؟ من هنا نفهم المعنى الدقيق لحديث الثقلين «إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي وأنها لن يفترقا حتى يردا علي الحوض» ^(٢).

خصائص أهل البيت عليهم السلام في آية الإكمال.

هناك خصوصيتان بارزتان لأهل البيت عليهم السلام يتجليان بوضوح في قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضَيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (البقرة: ٣).

(١) مستدرک الوسائل للنوري ج ١٧ ص ٣٣٥: عن أبي جعفر عليه السلام، أنه قال في حديث: "ما يعرف القرآن إلا من خوطب به".

(٢) وسائل الشيعة للحر العاملي ج ٢٧ ص ٣٤.

الأولى: مرجعية فهم القرآن عندهم عليه السلام.

إذ معنى قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (البقرة: ١٥٠) أن النبي صلى الله عليه وآله أوضح للأمة جمعاء أن المرجع الوحيد لفهم الأحكام الشرعية من القرآن الكريم هو الإمام أمير المؤمنين عليه السلام والذرية الطيبة الطاهرة من ولده عليه السلام، وكان أهل البيت عليهم السلام يؤكدون هذا المعنى في حواراتهم مع بعض من يفتي على خلاف ما يريد الله تعالى، فيقدمون عليهم السلام السؤال التالي لهم: هل تحيط بالقرآن علماً؟ فإذا قال المفتي لا، قيل له كيف تفتي وأنت لا تفهم القرآن، وإن قال نعم، سئل من قبل المعصوم عليه السلام، أتفهم تأريخ نزول الآيات القرآنية؟ ثم يسهب الإمام عليه السلام في التساؤل، فيقول أتعلم بناسخه ومنسوخه وعامه وخاصه ومطلقه ومقيدته، أي هل تحيط بهذه العلوم لتفتي بحكم شرعي تعمل به الأمة أم أنت بمنأى عن الإحاطة فلا يسوغ لك أن تقدم رأياً فقهياً لا يستنبط من القرآن الكريم، ومعنى ذلك أن الإمام عليه السلام يوضح أن من يتاح له أن يقدم الحكم الشرعي هو من أسند إليه ذلك من قبل النبي صلى الله عليه وآله وقرن بالقرآن الكريم «كتاب الله وعترتي أهل بيتي»^(١).

الثانية: أهل البيت تجسيد لمعاني القرآن.

يرتبط المعنى الثاني بالأول، فالقرآن الكريم فيه مفاهيم ورؤى وأحكام شرعية، والأحكام الشرعية يفسرها المعصوم ع بمعنى أن القرآن الكريم يبين

(١) وسائل الشيعة للحر العاملي ج ٢٧ ص ٣٤.

القواعد والأصول والمعصوم عليه السلام يبلور تفاصيل تلكم القواعد ويوضح حقائق تلك الأصول، وهناك تجسيد ثانٍ لمفاهيم القرآن الكريم هو التطبيق الحي لمفاهيمه.

تطبيق العدل في حياة الأمة.

يرتبط مفهوم العدل بحياة الناس عامة بل بكل مفاهيم الحياة، وقد أمر الله تعالى الناس به، قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَيَّ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ (البائدة: ٨) إلا أنه عندما نصل إلى مرحلة التطبيق وافتراق المصالح فلا يبقى العدل مجسداً في عالم الواقع بل يتلاشى بذهاب المصلحة.

سبب عدم تطبيق العدل.

يرى أكثر الناس أن العدل مفهوم مثالي يطبق عندما يتحد مع المصلحة ويُترك إذا اختلف معها، ومعنى ذلك أن المسألة تعود إلى مبدأ المنفعة الشخصية أو الفتوية ومتى ما عاد تطبيق هذا المفهوم بمصلحة طُبِقَ ومتى ما افترق عنها أُهْمِلَ، والأمة أو الدولة إذا اختلفت مصالحتها عن العدل ألغيت العدل جانباً وقد كتب ذلك بعض السياسيين في مذكراتهم إلا أن العدل مبدأ قرآني سماوي، لا بد أن يتجذر في أذهان الناس بغض النظر عن تقاطعه مع المصلحة، ورغم أن ثقافة بعض الأدباء جعلت الظلم هو الحالة الطبيعية للناس والعدل ناتج عن ضعف، قال المتنبي:

والظلم من شيم النفوس فإن تجد ذا عفة فلعللة لا يظلم^(١)
 إلا أن ذلك غير صحيح لمنافاته للفترة وآي القرآن الكريم.

مفهوم العدل في القرآن.

وقد شجب القرآن الكريم هذه الثقافة وندد بهذا الفكر، وبين أن العدل مسألة قيمية لها ارتباط بعالم النفس الأمري - أي بعالم الواقع - فإذا لم يطبق العدل أصبحت الحياة غابة يحكمها القوي ويسود فيها الظلم دون رعاية للقانون وما نراه في عصرنا الحاضر مثال حي على ذلك بل اعتبر ذلك رُقي وتقدم في ثقافة الناس.

العدل مفهوم شمولي التطبيق.

إن قوله تعالى: ﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾^(المائدة: ٨) تبيان بأن العدل مفهوم قابل للتجسيد في كل حالات الإنسان ومراحلته المختلفة دون اختلاف بين موقع تبوءه للسلطة وغيره، والجميع سواسية في سيادة القانون، وما نراه من تطبيق لمفاهيم القرآن عند أهل البيت عليهم السلام يعود إلى هذا الجذر القوي المتين.

العدل في حياة أهل البيت.

عندما نرجع إلى حياة أهل البيت عليهم السلام وهم القدوة لكونهم عدل القرآن نجد العدل في كل مناحي حياتهم قيمة مقدسة وحياة علي عليه السلام تجلي ذلك، وقد

(١) أعيان الشيعة للأمين ج ٢ ص ٥٥٨.

كتب جورج جرداق عن الإمام علي عليه السلام بأنه صوت العدالة الإنسانية، وقارن بين علي وسقراط في تقديسهما للقانون وبين علي والمفكرين والفلاسفة من الإغريق والحضارات الأخرى وقال إنَّ علياً هو النموذج الأتم والأكمل في تجسيده الحي لعدالة السماء، وكفيينا ما صدر عنه عليه السلام بقسمه «والله لو أعطيت الأقاليم السبعة - حاكم على القارات السبع - بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله في نملة أسلبها جلب شعيرة، ما فعلته»^(١)، الإمام عليه السلام لا يتحدث عن ظلم الإنسان فحسب، بل يوضح أنه لا يمكن أن يظلم الحيوان حتى إذا كان هو الإمبراطور الأول على هذه الدنيا بما فيها ذلك أن العدل مبدأ قيمي، وعلي عليه السلام هو الحافظ لقانون الله تعالى فلا يمكن أن ينتهكه.

الإمام علي عليه السلام النموذج الأتم للعدالة.

صدرت نماذج متعددة عن علي عليه السلام تبين أنه القيم والحافظ للعدل الإلهي في تعامل الإنسان مع أخيه الإنسان ومع مفردات الكون.

الأول: الالتزام بالقانون الإلهي.

أراد بعض الصحابة أن يبايع علياً على كتاب الله وسنة رسوله وسيرة الشيخين، وكان بإمكانه عليه السلام أن يقبل ذلك وبعد تولي السلطة ينكث عهده إلاَّ أنَّ الإمام وهو الراعي والعالم بقوله تعالى: ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ (البائنة: ١) ﴿وَأَوْفُوا

(١) مستدرک الوسائل للنوري ج ١٢ ص ٩٨.

بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴿٣٤﴾ (الإسراء: ٣٤) لا يمكنه أن يعطي عهداً ثم ينتقضه، أما غيره كمعاوية فلا يضيره ذلك، لذا قال: إني أعطيت عهداً وموathيق للإمام الحسن عليه السلام كلها تحت قدمي^(١)، هذا هو الفارق الأساس والجوهري بين علي عليه السلام ومعاوية، وبين الحسن ومعاوية، وبين الأئمة من أهل البيت عليهم السلام وغيرهم، إنهم يجسدون مبادئ السماء وليس لديهم استعداد أن يتخلوا عن المبدأ السماوي قيد أنملة لأنهم القيمون على تجسيده.

الثاني: العدل في الحرب.

عندما منع معاوية الماء في صفين عن علي وجنده ثم سيطر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فقال بعض أصحابه عليهم السلام نمنعهم الماء، رفض الإمام عليه السلام ذلك، وقال إن الماء مباح لكل حيوان على وجه الأرض، فضلاً عن الإنسان، وتعدى معاوية لا يسوغ انتهاك القانون الإلهي، فقداسة القانون في فكر علي عليه السلام مبدأ إلهي والإمام عليه السلام هو الذي يقدس القانون وهو الراعي له، أما غيره فيريد مصالحه الشخصية بغض النظر عن القانون.

الثالث: العدالة مع الخارجين عن النظام.

انتهك الخوارج كل الحرمات وتعدوا كل القوانين، وكان خراجهم - أي

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ٤٤ ص ٤٩، قال معاوية: ألا وإني كنت منيت الحسن وأعطيته أشياء، وجميعها تحت قدمي لا أفي بشيء منها له.

الرواتب - يستلمونه من بيت مال الكوفة فطلب بعض أصحاب علي عليه السلام منعهم الخراج، فرفض الإمام عليه السلام ذلك وقال: «أتأمروني أن أطلب النصر بالجرور»^(١) لا يريد الإمام عليه السلام أن يتصر على الخوارج بالظلم.

الفوضى العالمية في عدم تطبيق العدالة.

ما نراه من فوضى وظلم في العالم ناتجان من عدم الرعاية للعدل والتطبيق الدقيق للقانون فالتمييز العنصري والطائفي والقبلي كل ذلك من الظلم وعدم رعاية القانون قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا ۗ أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ (المائدة: ٨).

الإمام علي عليه السلام على ضفاف الغدير.

الغدير ذكرى العدل وقداسة القانون وتجسيد حي لكل رؤى الإسلام ومفاهيمه، ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (المائدة: ٣)، فالله تعالى راض بهذا المنهج أما غيره من المناهج، فيؤدي إلى الخطأ وإن أصاب في بعض الأحيان.

(١) مستدرك الوسائل للنوري ج ١١ ص ٩٢، عن ربيعة وعمارة وغيرهما: أن طائفة من أصحاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، مشوا إليه عند تفرق الناس عنه، وفرار كثير منهم إلى معاوية، طلبا لها في يديه من الدنيا، فقالوا له: يا أمير المؤمنين اعط هذه الأموال، وفضل هؤلاء الاشراف من العرب وقريش على الموالي والعجم، ومن يخاف خلافه عليك من الناس وفراره إلى معاوية، فقال لهم أمير المؤمنين عليه السلام: (أتأمروني أن أطلب النصر بالجرور!؟ لا والله لا أفعل ما طلعت شمس، ولا ح في السماء نجم، لو كان ما لهم لي لواسيت بينهم، فكيف وإنما هي أموالهم!)

دلالات ذكرى الأئمة عليهم السلام

قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْمَ شَعْبِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ (الحج: ٣٢) صدق الله العلي العظيم.

نبارك لكم ذكرى ميلاد الإمام الحسين عليه السلام وأبي الفضل العباس عليه السلام والإمام زين العابدين عليه السلام، إن ذكرى ميلاد كل إمام من الأئمة عليهم السلام لها دلالات ومعاني كبيرة وانعكاسات ثرة على حياة الإنسان في المجالات المختلفة، لذا ينبغي أن نلتفت إلى أهمية ذلك، وقد أوضح القرآن الكريم المعاني والدلالات في هذا الشأن بأمر موسى عليه السلام أن يذكر بني إسرائيل بأيام مخصوصة نسبها الحق إلى نفسه، قال تعالى: ﴿وَذَكَرَهُمْ بِآيَاتِنَا اللَّهُ﴾ (إبراهيم: ٥)، قال المفسرون: إنها الأيام التي تجلت فيها القدرة الإلهية وظهرت آثار العظمة، وتبين فيها هيمنة الحق على الخلق، كيوم ضرب موسى البحر فانفلق وأصبح يابساً، وتحول العصا إلى ثعبان تلقف ما يأفكون، واليد البيضاء، تلك الأيام ظهر فيها موسى عليه السلام كهزمة وصل بين الأرض والسماء بقدرة الباري تعالى، ويتضح ذلك في نقاط:

الأولى: الاقتداء والإتباع.

إن الله تعالى يأمر موسى عليه السلام أن يذكر بني إسرائيل بتلك الأيام لانعكاسها الإيجابي عليهم وإتباعهم لها إذ عندما يأمرهم قائلاً اتبعوني أهدكم سبيل الرشاد، لا يرى بنو إسرائيل امتيازاً وفضلاً لموسى عليه السلام عليهم غير أنه بعد أن

يذكرهم بما ظهر على يديه وما تحقق لشخصيته الكريمة من آيات، عندئذ ينصاع بنو إسرائيل لأوامره ويقتدون به وينتهون عما نهى عنه، فالتذكير بأيام الله تعالى له دلالات في إتباع القدوة الحسنة، لذا وسم الله تعالى ذلك بأنه ﴿وَمِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ لكونه مصداقاً من مصاديق تعظيم الشعائر.

الثانية: خضوع القلب.

القلب يخضع خاشعاً لله تعالى عندما يتعرف على شعائره الدالة عليه، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمَ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ (الحج: ٣٢)، ذلك أنّ تعظيم الشعائر بما فيها من دلالات له التأثير الإيجابي على الشخصية، فعندما نذهب إلى الحج، نرى الشعائر المقدسة التي كانت لإبراهيم عليه السلام وهاجر أم إسماعيل عليهما السلام وبقية أنبياء الله ورسله وفيها دلالات ومعاني رمزية كبيرة تفصح عن عظمة الحق تعالى، لذا كان تعظيمها موجباً لتقوى قلب الإنسان، إذ يرتبط بهذه الشعائر ويدرك دلالاتها ويستشعر المعاني التي تفصح عنها فيخضع قلبه.

الثالثة: التعرف على الشخصيات العظيمة.

ذكرى أئمة أهل البيت عليهم السلام ومن يلوذ بهم، لها نفس المعنى إذا أدرك ما تنطوي عليه تلك الذكرى من معاني، فعندما نأمر شخصاً بالاعتداء بالحسين عليه السلام وهو لا يعرف شيئاً عنه لا يمكن أن يدعن بعظمته ليتبعه غير أنه عندما نغتنم المناسبات المتعلقة بالحسين عليه السلام من ميلاده إلى استشهاده كنزول آية المودة، ثم نبين شارحين عظمة شخصيته والإنجازات الكبيرة التي حققها

الإمام عليه السلام في عالم المعنى لكونه أعظم شخصية عرفها التاريخ في المطالبة بالحقوق والذود عن المبادئ بنحو سلمي، قال عليه السلام: «لا ترمه فإني أكره أن أبدأهم بقتال»^(١).

ذلك أن الإمام الحسين عليه السلام ما كان داعية حرب بل داعية سلام، هدفه الإصلاح كالأنبياء والرسل، قال تعالى: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ (هود: ٨٨) وقال الإمام الحسين عليه السلام: «وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي صلى الله عليه وآله»^(٢) إذن ينبغي أن نوضح الأهداف الكبرى التي كانت لحركة الإمام الحسين عليه السلام ونذكر بها ﴿وَذَكَرَهُمْ بِآيَاتِنَا اللَّهُ﴾ (إبراهيم: ٥)، حينئذ يتضح معنى الاقتداء به عليه السلام.

الرابعة: فهم حياة الأئمة في مناسباتهم.

ميلاد الإمام عليه السلام هو درس وعبرة وعظمة وحكمة، يعلمنا كل ما يتعلق به عليه السلام، وإذا لم نتحدث عن شخصيته ولم نوضح المعاني التي تحققت على يديه لن يكون لكلامنا بوجوب الاقتداء بشخصيته معنى، ولن يتأثر الناس بذلك ولن يتعلموا الدروس والعبر من شخصيته لكن عندما نفصح عن شخصيته عليه السلام ونذكر بما تحققت على يديه من منجزات ضخمة وكبيرة، يصبح كلامنا مؤثراً لأن جميع ما يتعلق بالحسين عليه السلام من أيام الله تعالى.

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ٤٥ ص ٤.

(٢) بحار الأنوار للمجلسي ج ٤٤ ص ٣٢٩.

الخامسة: التضحية اللامحدودة.

وقد ظهرت في كل حركة للإمام الحسين عليه السلام بتحملة المصائب وقوله عليه السلام: «هون عليّ ما نزل بي أنه بعين الله»^(١)، وقول السيدة زينب عليها السلام بعد أن وضعت يديها تحت جسد الحسين عليه السلام: «اللهم تقبل منا هذا القليل من القربان»^(٢) إنّ الأمور لها وحدة وسياق يؤثر في الناس عندما يؤمرون بتقديم ما لديهم من أموال وأرواح في سبيل الله تعالى، وقد لا يعي الإنسان الواقع إذا لم ير القدوة العملية التي تمتلك المقومات فيتبعها ليضحى بجميع ما يملك في سبيل الله تعالى، ويتعرف على الحق تعالى ليقرضه قرضاً حسناً، قائلاً: إلهي إن كان هذا يرضيك فخذ حتى ترضى عندئذ يتضح معنى قولنا قدّم ما لديك لله تعالى.

السادسة: الصمود رغم المؤثرات.

وكذلك الحال في ذكرى أبي الفضل العباس عليه السلام، فإنها تعلم الناس دروساً في الصمود ومواجهة الإغراءات وعدم التأثر بالإعلام المضلل، والثبات في نصرة الحق والذوبان في الإمامة الحقّة لأهل البيت عليهم السلام، خصوصاً عند فهم ما قاله عليه السلام:
 والله إن قطعتم يميني إني أحامي أبداً عن ديني
 وعن إمام صادق اليقين نجل النبي الطاهر الأمين^(٣)

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ٤٥ ص ٤٦.

(٢) العقيلة والفواطم للشاكري ص ٦١.

(٣) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ج ٣ ص ٢٥٦.

إنّ القضية ليست تقديم يد لكنها حماية الدين والذود عن المبادئ، وعمّن يجسدها، إنّ خلود أبي الفضل العباس عليه السلام لهذه القيم والمعاني، ورغم أنه عليه السلام ليس بمعصوم لكنه تربى بين المعصومين عليهم السلام ووصل إلى مقامات عالية في السمو والرفعة والعظمة فانصهرت روحه وأصبح عاشقاً للأئمة عليهم السلام مستعداً أن يقدم ما لديه في سبيل الله تعالى لا تهمه الإغراءات التي يقدمها الأعداء كإعطائه الأمان، فما قيمة الأمان والمبادئ في خطر؟ من هنا يتبين المعنى الكبير للتضحية في سبيل الله تعالى والاستعداد التام لها، والمثال الواضح في العطاء والثبات على المبادئ والذود عن القيم، إنه عليه السلام يذكر بأيام الله وهو شعيرة من شعائره تعالى.

إظهار مظلومية الإمام الحسين عليه السلام.

وكذا الحال في زين العباد، فالظروف كانت قاسية أبان تلك الفترة وما كان عليه السلام يستطيع أن يتحدث لكون الأمويين كمنوا أفواه الناس، فاختار عليه السلام أن يصدع بما جرى على أبيه الحسين عليه السلام بالبكاء والتحدث بأحاديث محدودة للمقربين إليه في إظهار مظلومية أبيه عليه السلام.

أدعية الإمام السجاد عليه السلام.

واتخذ عليه السلام أسلوباً رائعاً ومؤثراً يشرح به قيم الرسالة ويوضح معاني الذكر الحكيم بالأدعية.

شكر النعمة.

إننا عندما نقرأ قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ (إبراهيم: ٣٤)، يتضح معنى الآية في مقطع من أدعية الإمام زين العابدين عليه السلام، بقوله: «فَكَيْفَ لِي بِتَحْصِيلِ الشُّكْرِ، وَشُكْرِي إِيَّاكَ يَفْتَقِرُ إِلَى شُكْرٍ، فَكُلَّمَا قُلْتُ: لَكَ الْحَمْدُ، وَجَبَ عَلَيَّ لِذَلِكَ أَنْ أَقُولَ: لَكَ الْحَمْدُ»^(١) فأوضح الآية الكريمة بأسلوب غاية في الروعة.

استحالة إدراك الذات.

وكذلك عندما نقرأ سورة التوحيد أو قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (الأنعام: ١٠٣)، ثم نقرأ قول الإمام عليه السلام: «وَعَجَزَتِ الْعُقُولُ عَنْ إِدْرَاكِ كُنْهِ جَمَالِكَ، وَأَنْحَسَرَتِ الْأَبْصَارُ دُونَ النَّظَرِ إِلَى سُبْحَاتِ وَجْهِكَ، وَلَمْ تَجْعَلْ لِلْخَلْقِ طَرِيقاً إِلَى مَعْرِفَتِكَ إِلَّا بِالْعَجْزِ عَنْ مَعْرِفَتِكَ»^(٢) يتضح لنا استحالة إدراك الذات المقدسة للحق تعالى، وأنه تعالى لا يمكن أن تكتنه ذاته أو يدرك بإحاطة أو يكون له أين أو كيف، فمعاني سورة التوحيد يشرحها ويجليها الإمام عليه السلام بمناجاته وأدعيته.

مكارم الأخلاق.

وعندما نقرأ أحاديث المصطفى صلى الله عليه وآله كقوله: «إنها بعثت لأتمم مكارم

(١) الصحيفة السجادية (ابطحي) الإمام زين العابدين عليه السلام ص ٤١٠.

(٢) المصدر السابق: ص ٤١٧.

الأخلاق»^(١) نتعرف عليها من خلال دعاء مكارم الأخلاق للإمام عليه السلام، قال: «اللهم صلِّ على مُحَمَّدٍ وآلِهِ وسَدِّدْني لَأَنْ أَعَارِضَ مَنْ غَشَّني بِالنُّصْحِ وَأَجْزِي مَنْ هَجَرَنِي بِالْبِرِّ وَأُثِيبَ مَنْ حَرَمَنِي بِالْبَدْلِ وَأُكافِي مَنْ قَطَعَنِي بِالصَّلَةِ وَأُخالفَ مَنْ اغْتَابَنِي إِلَى حُسْنِ الذِّكْرِ»^(٢) إنها أساليب عملية اتخذها الإمام عليه السلام تشرح أحاديث جده المصطفى صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

اللجوء إلى الله تعالى.

كذلك توضح أدعيته عليه السلام معاني آي القرآن الكريم كالفرار إلى الله تعالى دائماً وأبداً، واللجوء إليه في الشدة والرخاء، عندما تكون الظروف قاسية والشدائد يصعب على المرء أن يرى مخرجاً منها إلا بالله تعالى، إن الإمام عليه السلام بين بأدعيته كيفية اللجوء إليه تعالى، قال عليه السلام: «يا مَنْ نُحِلُّ بِهِ عُقْدَ المَكارِهِ، وَيَا مَنْ يُفْشأُ بِهِ حَدُّ الشَّدائِدِ، وَيَا مَنْ يُلْتَمَسُ مِنْهُ المَخْرَجُ إِلَى رَوْحِ الفَرَجِ؛ ذَلَّتْ لِقُدْرَتِكَ الصَّعابُ؛ وَتَسَبَّبتْ بِطُفْكَ الأَسبابُ؛ وَجَرى بِقُدْرَتِكَ القِضاءُ»^(٣) فأوضح أن الهيمنة الكاملة على شراشر عالم الوجود على حد التعبير الفلسفي أي على كل ذراته بيد الحق تعالى يتصرف بها كيف شاء بما شاء، ولا يمكن للمرء إذا أدرك ذلك أن يئأس من روح الله تعالى، إن إمعان النظر في أدعية الإمام السجاد عليه السلام يتبين به أنه

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ١٦ ص ٢١.

(٢) الصحيفة السجادية (ابطحي) الإمام زين العابدين عليه السلام ص ١١١.

(٣) المصدر السابق: ص ٦٧.

لا حاجة إلا وتقضى ولا عقدة إلا وتحل، ولا مطلب إلا ويمكن الوصول إليه باللجوء إلى الله تعالى، قال عليه السلام: «اللهم يا مُتَهَيَّ مَطْلَبِ الْحَاجَاتِ، وَيَا مَنْ عِنْدَهُ نَيْلُ الطَّلِبَاتِ، وَيَا مَنْ لَا يَبِيعُ نِعَمَهُ بِالْأَثْمَانِ، وَيَا مَنْ لَا يُكَدِّرُ عَطَايَاهُ بِالْأَمْتَانِ، وَيَا مَنْ يُسْتَعْنَى بِهِ وَلَا يُسْتَعْنَى عَنْهُ»^(١).

أدعية الإمام السجاد عليه السلام والقرآن.

معانٍ في غاية الروعة والعظمة ليس لأسلوبها البلاغي فحسب، وإن كان له أهميته، غير أن المعاني والمدليل ذات اتصال وثيق بمعاني القرآن الكريم تشرح قوله تعالى: ﴿فَفَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ (ق: ١٦٦)، ويتجلى لنا من خلال أدعيته عليه السلام المعاني النظرية التي تمر علينا بنحو عملي كالشمس في رابعة النهار له إشراق يتجذر في قلب الإنسان ليستعذب أي القرآن الكريم ويعرف معناها من معدن الرسالة ومختلف الملائكة فتتضح دلالاتها والمعاني التي ترمز لها أو تشير إليها من قريب أو بعيد.

إبراز المنجزات في المناسبات الدينية.

من هنا يعرف الناس الإمام زين العابدين عليه السلام، إنه من العظمة بمكان فهو إمام مفترض الطاعة علينا أن نقتدي به، وأن نعرف الناس في المناسبات التي تمر علينا بإنجازاته عليه السلام وما أبدعه خصوصاً ما جاء في الصحيفة السجادية

(١) الصحيفة السجادية (باطحي) الإمام زين العابدين عليه السلام ص ٨٤.

وغيرها من أديته، إنَّ الناس لن يدركوا إلاَّ شيئاً بسيطاً منها، غير أنه عندما نوضح المعاني انطلاقاً من ﴿وَذَكَرَهُمْ بِآيَاتِنَا﴾ (إبراهيم: ٥)، وانطلاقاً من ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ شَعْبَهُ اللَّهُ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ (الحج: ٣٢)، يدرك الناس أهمية الارتباط الوثيق بأئمة أهل البيت عليهم السلام وانعكاس ذلك على الصعد المختلفة والميادين المتعددة في حياتهم، ويصبح المعنى واضحاً.

أهمية الاحتفال بذكرى العظماء.

الأمم المتحضرة تشيد بعظماؤها وتذكر منجزاتهم وتقيم لهم المؤتمرات، وليس هذا بدعة كما تصور بعض قاصري النظر بحجة أنه لم يكن ذلك في حياة النبي صلى الله عليه وآله، فالمسألة وجدانية إذ لا يتأتى السمو والرفعة إلاَّ بمبدأ القدوة، والنبي صلى الله عليه وآله هو القدوة العظمى، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الأحزاب: ٢١)، وقد أمرنا طبقاً لحديث الثقلين^(١) أن نسير على هدي أهل بيته وهم التجسيد العملي للإسلام وعدل القرآن الكريم، وفي مناسباتهم علينا أن نذكر الناس بالمعاني القيمة التي اشتملت عليها حياتهم ليتاح للبشرية جمعاء وليس للمسلمين فحسب أن يتعرفوا عليها، فالبشرية ظمأى إلى استيعاب المعاني القيمة والارتواء من المنهل العذب لمحمد وآله صلى الله عليهم أجمعين.

(١) في وسائل الشيعة للحر العاملي ج ٢٧ ص ٣٤: «إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي وأنها لن يفترقا حتى يردا علي الحوض».

الفصل الثالث

الإمام علي ؑ

علي ؑ رجل الحضارة وإنسان التاريخ

قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ (الإسراء: ٧٠) صدق الله العلي العظيم.

احترام المبادئ وتطبيقها في حياة علي ؑ.

تمر علينا ذكرى ميلاد أمير المؤمنين ؑ، فتوقفنا على بحرٍ لا ساحل له من الفكر والثقافة والعلم والوعي والأخلاق، المتجسدة في شخصية الإمام أمير المؤمنين ؑ، ولعل من أهم الجوانب البارزة في هذه الشخصية الفذة الجانب الإنساني، والاحترام الدقيق والتطبيق السليم للحقوق. والمتبع في سيرته ؑ يجد العبر والدروس الكثيرة في كل جانب منها، والتطبيقات العملية في حياة الإمام ؑ تدل على معانٍ متعددة وأهداف سامية، وبالرغم من أن الإمام ؑ كان يستطيع في أحيانٍ متعددة أن يحسم الموقف العملي لصالحه، ولكنه لم يقبل ذلك نتيجة أن حسم الموقف له يتطلب منه أن يكون ذلك على حساب مبدأ

من المبادئ، أو على حساب انتهاك حق من الحقوق، والإمام عليه السلام لا يقبل هذا النوع من التنازل، لأنه يرى نفسه القيّم على هذه المبادئ والمسؤول عن تطبيق تلك الحقوق، التي أكدت عليها الشرائع السماوية جمعاء، واستشهد من أجلها جمع من الرسل والأنبياء والصالحين.

لم يقبل الإمام عليه السلام النصر بالجور كما قالوا، بل حاول أن يصل إلى أهدافه من خلال مبادئه التي ينطلق منها، وإن كانت الأمور تبدو في الظاهر للكثير من المغفلين والسذج الذين لا يعرفون الأهداف الإلهية بأن الإمام عليه السلام لا يستطيع أن يصل إلى الأهداف التي يؤمن بها طبقاً لإلتقان قواعد اللعبة السياسية، مع أن الإمام عليه السلام تحدث عن أنه يتقن أوراق اللعبة السياسية، ولكنه لم ينجر إلى تطبيق تلك الأوراق على حساب المبادئ الإلهية، وهناك مواقف متعددة دلت بها الإمام عليه السلام على أنه رجل المواقف، بل هو رجل الحضارة وإنسان التاريخ، لذا، لسنا نحن الذين نؤمن بعلي عليه السلام ونذوب في حبه من أدرك هاذين الجانبين في شخصية الإمام عليه السلام، بل أن بعض المسيحيين (جورج جرداق) وغيره يقولون إن الإنسانية عليها أن تعيش سنوات طويلة لتدرك اللمسات الأساسية، التي وضع علي عليه السلام بصماته بقوة عليها فأصبحت واضحة وجليّة.

مواقف لعلي عليه السلام جسدت حقوق الإنسان:

في هذا المجال توجد مواقف متعددة تُبرز شخصية الإمام عليه السلام في أبعادها الإنسانية، وسوف نُركز على ثلاثة منها:

الأول: علي عليه السلام مع أعدائه:

إنَّ الإمام علياً عليه السلام تميَّز بمواقفه الإنسانية كما تميَّز بمواقفه البطولية في سوح القتال والحرب. ففي حرب صفين، التي وقعت نتيجة لممارسات لا إنسانية قام بها معاوية، وهو ما نسميه في العصر الحديث بسياسة الإرهاب، التي من أبرز مظاهرها، حرق الكثير من المزارع، وقتل الكثير من الناس الأمنيين في قراهم، وعندما جاء إلى صفين أيضاً واصل نهجه السابق، فأول عمل قام به هو الاستيلاء على الماء، من أجل أن يحسم المعركة بسرعة خاطفة، لأن جيش الإمام علي عليه السلام إذا فقد الماء سوف تضعف عزيمته. ولذا، كانت معالجة الإمام عليه السلام لهذا الموقف حاسمة عندما قال كلمته المشهورة لجنوده: «رووا السيوف من الدماء ترووا من الماء»^(١) وبالفعل تجاوب مع هذا النداء مالك الأشتر وجمع من فدائي الإمام عليه السلام - الذين هم فدائيي الإسلام الأصيل والصحيح - فانطلقوا، فما كانت إلا سويعات محدودة، أبدى فيها هؤلاء الشجعان بسالة فائقة على أرض المعركة، استولوا من خلالها على الماء. وعند ذلك طلب بعض أصحاب علي عليه السلام أن يُعامل معاوية وأصحابه بالمثل فيمنعه الماء كما منعهم منه، أسوةً بصنيعه، فكان جواب علي عليه السلام: كلا إنَّ هذا هو حق عام حتى للبهائم، ولا يمكن أن نصل إلى النصر من خلال منع الجيش للماء، أي، لا يمكن أن نحسم المعركة من خلال منع هؤلاء عن حقهم الطبيعي. وهذه إضاءة تُشرق علينا بها شخصية الإمام عليه السلام في

(١) نهج البلاغة - خطب الإمام علي عليه السلام - ج ١ ص ١٠٠.

الجانب الإنساني، التي تحتاج البشرية أن تعيش أحقاباً من الأزمنة كي تصل إلى هذا السمو الإنساني المتميز في شخصيته.

الثاني: علي عليه السلام مع المخالفين في المنهج:

وهناك موقف آخر للإمام عليه السلام يدهش العقول، يرتبط بالخوارج، تلك الجماعة الساذجة والسطحية، والتي لازال امتدادها إلى يوم الناس هذا، فهؤلاء لا يعرفون عمق الشريعة الإسلامية ويأخذون بالجانب القشري والسطحي من التشريع، ويحاولون أن يتوصلوا إلى ما يريدون من خلال البطش والإرهاب، ولهذا، كانت تمثل خطراً كبيراً على الفكر الإسلامي، وقام الإمام عليه السلام بمواجهتها ومحاربتها حتى أحرز النصر عليها. وبعد أن ألحق الإمام عليه السلام بهم الهزيمة حاول بعض أصحابه أن يستغل هذا النصر في إخضاع هؤلاء من ناحية الايدولوجيا، أي، من ناحية الجانب العقدي، فينضوون بالقوة إلى ما يتبناه الإمام عليه السلام، فطلب هؤلاء الأصحاب منه عليه السلام أن يضغط على الخوارج من خلال منعهم من روايتهم باعتبارهم كانوا جنوداً في جيش الإمام عليه السلام ثم انقلبوا عليه، واعتنقوا فكراً منحرفاً يمتاز بالسطحية وعدم العمق في فهم الإسلام. لكن الإمام عليه السلام رفض هذا الاقتراح وأبى أن يمنع الخوارج من روايتهم وحقوقهم، وقال: «لو كان المال لي لسويت بينهم فكيف وإنما المال مال الله»^(١) ما أروع هذه الكلمة وما أجملها!! وما أحوج الناس في

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ٧٢ ص ٣٥٨.

تفكيرهم الحديث إلى اقتفاء أثر مثل هذه الروائع من كلماته عليه السلام، لأننا نجد أنّ الأسلوب السائد في هذه الأيام هو أنّ من يخالفك في المعتقد والأيديولوجيا، تحاول التغلب عليه بكل ما أوتيت من قوة، وتحاصره بمنعه من أبسط حقوقه الطبيعية، ولكن علياً عليه السلام لم يكن يسير بهذا المسار مع أنّ الأمر بيده، فهو يمتلك القوة السياسية والاقتصادية والتنفيذية، ومع ذلك أبى الإمام عليه السلام أن يمنع الخوارج من العطاء، وأصرّ أن يساويهم في العطاء مع سائر الجند، بالرغم من أنهم لا يؤمنون بإمامته، ومع ذلك لم يجد في ذلك من ضير، بحيث يمنعهم من روايتهم، وهذا هو الجانب الفذ في شخصية الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، الذي ينظر إلى الإنسان بما له من كرامة وحقوق، ومن المؤسف أنّ الإنسانية لم تُدرك هذا الجانب إلا مؤخراً، بعد أن أصدرت الأمم المتحدة قانون حقوق الإنسان، لكن الإسلام والقرآن أعطيا للإنسان حقوقه قبل مئات السنين من إعلان الأمم المتحدة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ (الإسراء: ٧٠)، ونجد التطبيق الدقيق لهذا التكريم في مواقف الإمام علي عليه السلام المتعددة، فهو رباني هذه الأمة ويسعى جاداً في أن تكون مبادئ القرآن هي المطبقة بشكلها الدقيق والسليم، لأنه عليه السلام لا يقبل أن يطلب النصر بالجور.

الثالث: علي عليه السلام في التطبيق العملي:

هذه جنة عظيمة جداً، إذ أنّ الكثير من الناس يصعب عليه التطبيق في الجانب الحقوقي، بمعنى أن يطبق الحكم الإلهي على نفسه أو على أقربائه إذا

كان في موقع المسؤولية، أو على الشخصيات التي تمتلك نفوذاً اجتماعياً، بينما الإمام عليه السلام يرى أن الحكم الإلهي يطبق على الجميع من دون تفاوت، وهذا ما نجده في كلمته الخالدة، التي لازال دويها يقرع الأسماع على مرّ العصور، قال عليه السلام: «الذليل عندي عزيز حتى آخذ الحق له، والقوي عندي ضعيف حتى آخذ الحق منه»^(١) وهذا لا يمكن أن تصل إليه الإنسانية إلا بعد أن تمر عليها أحقاب من السنين، لأنها بحاجة إلى فهم معنى العدالة والتطبيق للحقوق بشكله الدقيق عند علي عليه السلام.

وهناك روائع متعددة في شخصية الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، ولكننا نكتفي بهذا القدر في ذكرى مولده متمنين على العالم أجمع أن يأخذ بهديه لأن هدي علي عليه السلام هدي محمد صلى الله عليه وآله، وهدي محمد صلى الله عليه وآله هدي علي عليه السلام، لأنها توأمان للحق، يجسدانه ويمثلاه في كل خطوة وضمن كل تطبيق، ومن يدرس حياة علي عليه السلام يجد عشرات من الأمثلة في تطبيقاته حتى مع ألد أعدائه.

الإمام علي عليه السلام تجسيد عدالة السماء

قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مِنْ بَصُرِهِ، وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحديد: ٢٥)

صدق الله العلي العظيم.

(١) نهج البلاغة - خطب الإمام علي عليه السلام - ج ١ ص ٩٠.

أرست ذكرى الغدير الخالدة مبادئ العدل، وركّز فيها الرسول ﷺ قيم الاحترام للقانون بين الإنسان وأخيه الإنسان، بل بين الإنسان والحيوان والطبيعة.

الغدير مظهر العدالة.

إنّ ذكرى الغدير ليست ذكرى عابرة، وإنما هي فارق جوهري بين مبدأين:

أحدهما: يدعو إلى العدل والاحترام بين الإنسان وأخيه الإنسان، ويرتكز على التطبيق الدقيق للقانون.

والآخر: يراعي المصلحة ويركز على المصالح للفئة أو للشخص، من هنا نجد أنّ النبي ﷺ أبان الاختلاف بين عليّ عليه السلام وغيره عندما قال: «عليّ مع الحق، والحقّ مع علي يدور حيثما دار»^(١) فهو عليه السلام نبراس للحق وميزان للعدالة.

سيرته عليه السلام تحقيق العدالة

أينما تنظر في سيرة عليّ عليه السلام تجده لم يدخر وسعاً في تحقيق العدل، حتى على حساب شخصه، وكان كثير من الناس حتى من حواربيه عليه السلام يعتقدون أنّ أهم ما ينبغي للوالي والحاكم هو تركيز وتثبيت دعائم حكمه، بينما كانت نظرة الإمام عليه السلام هي أنّ أهم ما ينبغي للوالي أن يقوم به هو تركيز وتثبيت دعائم العدالة والحرية واحترام الإنسان لأخيه الإنسان وتطبيق القانون على كل

(١) ميزان الحكمة للريشهري ج ١ ص ١٣٨.

الناس، باعتبارهم سواسية كأسنان المشط عنده، ولا يهيمه المنصب أو الجاه والقبيلة التي ينتمي إليها الشخص، وقد كان رائد علي عليه السلام هو التطبيق الدقيق لما يريد الله تعالى.

عدله عليه السلام وواقع البشرية.

أبان القرآن الكريم أن الهدف من بعث الأنبياء وإرسال الرسل هو تحقيق العدالة والقوامة بالقسط بين الناس وتطبيق القانون على الجميع دون اختلاف بين الناس في مشاربهم واتجاهاتهم وانتماءاتهم، وأوضح الله تعالى هذه الحقيقة بجلاء في قوله: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾، أي، بالعلامم الواضحة التي لا يشوبها غموض، وقال أيضاً: ﴿وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ﴾، والهدف من كل ذلك، ﴿لِيُقِيمَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾، ومع أن القرآن الكريم أبان بشكل واضح ذلك الهدف إلا أن المجتمع الذي عاشه عليه السلام لم يع هذه الحقيقة، ولا زالت البشرية تحتاج إلى قطع أشواط طويلة لتفهم أن العدل هو الميزان السليم، والطريق القويم الذي ينبغي للإنسانية أن تسير عليه، لأن البشرية تُقدس الظلم وتتعامل مع المحسوية، وتنبذ الحق، وتعبد الباطل بحجج وذرائع شتى خصوصاً إذا كان الباطل ينتمي إلى بعض أنماط وأنواع الهوى الذي يتفق مع ميول الإنسان وشهوته، كما إذا كان الحق يخالف القبيلة التي ينتمي إليها والمبدأ الذي يعتقده، فتجد الشخص يُقدّم صنوف الذرائع التي لا تنتهي كي يُبرر عدوله عن الحق إلى الباطل.

ونجد هنا لإمامنا أمير المؤمنين عليه السلام نظرتة الخاصة تجاه مبدأ العدل، والتي شرحها في كلماته المملوءة بتقديس العدالة ونبذ الباطل وشجب الظلم، وضرورة الانصياع للقانون، والاحترام المتبادل بين الإنسان وأخيه الإنسان، قال عليه السلام: «وإنه سيأتي عليكم من بعدي زمان ليس فيه شيء أخفى من الحق»^(١) أي يصبح الحق خفياً عندما تتعدد الوسائل التي تبرز الباطل وتظهره.

المائز بين منهجه عليه السلام ومنهج غيره.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «وأشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللفظ بهم. ولا تكونن عليهم سبعا ضاريا تغتتم أكلهم، فإنهم صنفان إما أخ لك في الدين وإما نظير لك في الخلق»^(٢)، أي أنه ليس من حق الحاكم عندما يصل إلى السلطة أن يستأثر بها ويهمش دور الرعية، بل عليه أن يكون جاداً في تطبيق موازين السماء، وتحكيم شرع الله تعالى، وهذا خلاف ما صدر من بعض خلفاء الدولة الأموية حينما قال: (الأرض لله وأنا خليفة الله فما أخذ من الله فهو لي، وما تركته منه كان جائزاً لي)، أي لا قانون ولا حساب في الأخذ والعطاء؛ بل جميع الأشياء تخضع لسلطانته وإرادته وجبروته وقوته، وكنموذج لذلك وقوف زياد ابن أبيه على المنبر وقوله: (لَا حِذْنَ الْبَرِيءِ بِالسَّقِيمِ وَالصَّحِيحِ بِالسَّلِيمِ). إن زياد بن أبيه يريد أن يزرع في الناس الخوف بمنطقه،

(١) نهج البلاغة - خطب الإمام علي عليه السلام - ج ٢ ص ٣١.

(٢) نهج البلاغة - خطب الإمام علي عليه السلام - ج ٣ ص ٨٢ - ٨٤.

ليمنعهم عن محاسبة الأمير الذي يحكم بالظلم، وقوله: (لَا خِذْنَ الْبَرِيءَ بِالسَّقِيمِ)، أي، أن البريء كالذي ارتكب جانحة أو اقترف جرماً سواسية عندي، كلاهما يخضع للتعذيب والسجن، (والصحيح بالسليم) فالذي لا ارتياب في شخصيته ويمثل الطُّهر يمكن أن يجعله قرباناً، لأنَّ غير مستقيمي السليقة إذا رآه يأخذ الصحيح بالسليم ارتدع وخاف، وهذا ما يجعل الناس يعيشون الخوف والإرهاب تحت نفوذه. ومقالة زياد لها شبيه في كلام مروان عندما قال: (لا يأمرني أحد بتقوى الله إلاَّ ضربت عنقه)، وذلك ديدن الولاية عبر العصور المختلفة، بينما كان علي عليه السلام يقدر الحق، من غير أن يُؤثر فيه عِظم مكانة وكِبَر شأن أي شخصية أمام القانون، قال عليه السلام: «الذليل عندي عزيز حتى أخذ الحق له، والقوي عندي ضعيف حتى أخذ الحق منه»^(١) الميزان عنده عليه السلام هو التطبيق الجاد لعدالة السماء والاحترام الجَم للقانُون الإلهي، وهذا خلاف ما سار عليه الأمويون وتشربته الثقافة المعاصرة لأمتنا العربية والإسلامية، والفرق واضح وجوهري بين منهج علي عليه السلام والمنهاج الآخر الذي يعبد الطواغيت ويقدر الباطل.

منهجه عليه السلام في محاربة الفقر.

يصعب على الإنسان أن يبين للآخرين الفارق الجوهرى بين نهج العدل والتقدير لحقوق الإنسان - بغض النظر عن انتمائه حتى إذا لم يكن متممياً إلى

(١) نهج البلاغة - خطب الإمام علي عليه السلام - ج ١ ص ٩٠.

إسلامنا الحنيف - وبين تقديس الطغاة والاحترام الجَمِّ لِعُبَادِ الهوى الذين تمكنوا من رقاب الناس، أما منهاج علي عليه السلام في محاربة الفقر والتأكيد على إنشاء مبدأ العدالة في الجانب الاقتصادي فهو عليه السلام تذكير الناس ليلاً نهاراً، صباح مساء بأهمية أن يعيش الإنسان حالة من الاحترام بتوافر الفرص لديه والقوت والملبس والمسكن عنده، قال علي عليه السلام في نبذه للفقر، «المقل غريب في بلده»، أي أنّ الفقير غريب وإن كان في بلده ما دام لا يجد ما يلبس، وما يأكل، ولا يجد المسكن اللائق بحاله، وقال عليه السلام في كلمة أخرى، «لو تمثل لي الفقير رجلاً لقتلته»^(١) منهاجه عليه السلام بين واضح، وهو نفس ما أراده محمد صلى الله عليه وآله، وجاء به الأنبياء والرسل وضحى من أجله المخلصون طوال التاريخ البشري.

قانون العدالة يمنح الحريات.

العيش في هذه الدنيا على ضوء القانون والاحترام للعدل، يملأ الإنسان بالصدق ويجعله حراً كما قال عليه السلام، فالدنيا عنده دار صدق لمن صدقها، أي للذي يسير على وفق العدالة ويحترم القانون ويقدم المبادئ وينبذ العنف فهو صادق مع نفسه وصادق مع مجتمعه، ولا يريد للمجتمع إلا الخير والرفاه، وقال عليه السلام في أناس اجتمعوا عند الطغاة وعبدوا المال لا يعنون حقيقة وأهمية العدالة: «ولا تكن عبدَ غيرك وقد جعلك الله حراً»^(٢)، إنّ الله خلق الناس

(١) روائع نهج البلاغة لجورج جرداق ص ٢٣٣.

(٢) نهج البلاغة - خطب الإمام علي عليه السلام - ج ٣ ص ٥١.

أحراراً، وهم سواسية عند القانون، إلا أن بعض الناس يُقدس الجبابة والطغاة، وينسى حرّيته، بل ينسى قيم الإنسانية، وبدلاً من تنزيه الحق تعالى يُقدس الجبارين ويُنزّه الطغاة.

مبدأ المساءلة والشفافية.

قال عليه السلام في عهده لهالك الأشتر إيضاحاً لمبدأ المساءلة والشفافية بين كل الناس لإيصالهم إلى المستوى المطلوب الذي يريده الله، «ثم تَفَقَدَ أمورهم ما يتفقده الوالدان من ولدهما»^(١) لا بد للحاكم أن يسأل عن رعيته ويتفقدتهم ليعي كل تصرف وليطلع على كل مفردة من المفردات.

هذه بعض المبادئ التي جسدها إمامنا أمير المؤمنين عليه السلام وشكلت معلماً هاماً من معالم شخصيته التي مازال الناس إلى يومنا هذا بحاجة إلى دراسات معمقة ليعوا بأن الحق أحق بالاتباع، وأنّ الباطل أولى بالاجتناب، وأنّ العدل مبدأ سماوي لا بد أن يُؤخذ به، وأنّ علياً عليه السلام هو التجسيد الكامل لعدالة السماء.

الحكمة العملية في فكر الإمام علي عليه السلام

الإمام علي عليه السلام مدرسة المعارف.

الإمام أمير المؤمنين عليه السلام مدرسة متعددة الأبعاد والمعارف، وكل حقل من المعرفة يتعرف عليه الإنسان ويسبر غوره يجد أنّ الإمام عليه السلام له قصب السبق

(١) نهج البلاغة - خطب الإمام علي عليه السلام - ج ٣ ص ٩٢.

فيه، فهو الفارس الأول والمجلي لحقائق التوحيد، وهو الفارس الأول لعلمي البلاغة والنحو، وهو السابق في علم الفقه والفرائض، فهناك مسائل فقهية ذات عمق في علم الفرائض شرح الإمام عليه السلام غوامضها.

الحكمة العملية عنده عليه السلام.

الحكمة العملية هي ما ينبغي على الإنسان الراشد أن يكون عليه في حياته الدنيا مع ربه والناس والكون، أبان الإمام عليه السلام الحكمة العملية بتقسيمه الناس إلى راشدين في تصرفاتهم وفق الحكمة، وغير راشدين وهم السفهاء الذين لا يعون الحقائق، وأسهب عليه السلام في إيضاح حقائق الحكمة العملية من نواحي متعددة، نشير إلى بعضها.

الرشد في التعامل مع الدنيا

تحدث الإمام عليه السلام عن الدنيا ولفت انتباه الإنسان الراشد إلى أنها ليست بدار قرار، ولا يمكن أن تدوم لأحد، وهذه حقيقة لا شبهة فيها، إذ لا يمكن لأحد أن يدعي أنها دائمة له، لا تتغير عن حال، وأشار الإمام عليه السلام إلى هذه الحكمة بقوله عليه السلام: «الدنيا دار ممر لا دار مقر»^(١) أي لا يستقر فيها إنسان ولا تثبت له.

أصناف الناس في الدنيا

أبان عليه السلام أن الناس فيها على قسمين:

(١) ميزان الحكمة للريشهري ج ٢، ص ٩١٩، قال الإمام علي عليه السلام: (الدنيا دار ممر، والناس فيها رجلان: رجل باع نفسه فأوبقها، ورجل ابتاع نفسه فأعتقها).

الأول: «رجل باع نفسه فأوبقها»، جعل نفسه عبداً للدنيا، بربط النفس بها، البيع هو العقد في اللغة، ومن ارتبط بالهوى أو بالجاه أو بشهوة من الشهوات، فقد جعل نفسه عبداً لها ارتبط به، فأوبق نفسه لها باعها له.

الثاني: «ورجل ابتاع نفسه فأعتقها»، ومن باع نفسه على الله تعالى فقد أعتقها، يبين الإمام عليه السلام في هذا التصنيف الراشد وغيره، فالراشد باع نفسه على الله وجعل أعماله له تعالى، وأعتقها من الأهواء والشهوات بجعل رضا الله غاية، أما من باع نفسه على الهوى فهو عبد لهواه وأسير لشهواته ولما يطمح إلى تحقيقه قد نسي عالم المثل والقيم، لا يفكر إلا فيما يريد أن يحققه وإن خالف رضا ربه تعالى.

خصائص الراشد

أبان عليه السلام طريق الهداية لمن أراد إكمال نفسه، فقال: «ليس بعاقل من انزعج من قول الزور فيه، ولا بحكيم من رضي بثناء الجاهل عليه»^(١) العاقل لا يتأثر بالإعلام المضاد، فيغير اتجاهه بسبب ذلك، بل باقٍ على عقيدته و يقينه، «ولا بحكيم من رضي بثناء الجاهل عليه»، إذا أثنى الجهال على الحكيم لا يفرح بذلك الثناء، لأنه لا ينم عن الواقع لصدوره ممن لا يعي الحق، وقد شخّص الإمام عليه السلام الميزان وهو الله والدار الآخرة، فمن كان هدفه الله وعالم الآخرة فما

(١) ميزان الحكمة للريشهري ج ١ ص ٦٧١.

قيل فيه مما يرضي الله ويحقق له الفوز عنده في عالم الآخرة فهو حق، وقد انطلق الإمام عليه السلام في تجلية هذه الحكمة من قوله تعالى: ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ * وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ﴾ (القيامة: ١٤-١٥).

أسس ومبادئ الرشد

شرح عليه السلام ما ينبغي - لمن سار في طريق الرشد أن يُقَوِّي نفسه عليه للوصول إلى الهداية - بأمر ثلاث:

الأول: الموعظة.

قال عليه السلام لبعض ولده: «أحي قلبك بالموعظة»^(١) يحتاج الإنسان أن يذكر نفسه بالمواعظ دائماً؛ وهو معنى الذكرى التي أشار إليها القرآن، ﴿وَذَكَرْ فَإِنَّ الدِّكْرَىٰ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الذاريات: ٥٥).

الثاني: الزهد.

«وأمته بالزهادة»، ويحتاج أيضاً أن يقاوم الإغراءات وتسويلات النفس بالزهد في زخارف الدنيا كي لا يغتر بها ولا يلبس عليه الشيطان.

الثالث: اليقين.

«وقوه باليقين»، لا طمأنينة إلا مع الثبات والاستقرار، ولا يتحقق ذلك

(١) نهج البلاغة - خطب الإمام علي عليه السلام - ج ٣ ص ٣٨، قال أمير المؤمنين عليه السلام: (أحي قلبك بالموعظة، وأمته بالزهادة، وقوه باليقين، ونوره بالحكمة، وذلك بذكر الموت، وقرره بالفناء).

إلاً بالعلم الجازم وهو اليقين.

طرق تحصيل اليقين.

أوضح الإمام عليه السلام الطريق إلى تحصيل اليقين، فقال: «العلم يهتف بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل»^(١) من رام الوصول إلى اليقين لا بد أن يقرن المعرفة بالعمل، فإذا أدرك شيئاً ولم يعمل به ضُعب الإدراك إلى أن يزول، ومن حصل على بعض المعارف العقديّة أو الأخلاقية، ولم تستقر لديه فمصيورها الزوال، فالصائم قد يحصل على معارف معنوية في أيام شهر رمضان، خصوصاً في العشر الأواخر، ويجد نفسه قد تغير بنحو طبعي، غير أنه سرعان ما يعود سيرته الأولى بعد انتهاء الشهر.

تثبيت اليقين في النفس.

أبان عليه السلام أن ما يجعل اليقين ثابتاً لا يزول هو الحكمة، «ونوره بالحكمة»، فإنارة اليقين تكون بها، وهو ما يتحقق بما يسمى بالتلميحيات في العصر الحديث، التلميح حكّم تكون بمرأى الإنسان - في بيته أو مقر عمله - تذكره ما يريد أن يكون عليه، فإن كان مهتماً بتقوية شخصيته عليه أن يضع لافتات بخطوط جميلة تُذكره بما يهتم به، وتمثل برامج عمل يستطيع من خلالها أن يعي الأهمية لما يريد أن تكون عليه شخصيته، وقوله عليه السلام: «ونوره بالحكمة»، أي

(١) ميزان الحكمة للريشهري ج ٣ ص ٢٠٩٣.

اجعل تلك التلميحات تُذكرك، وتجعل يقينك مستقراً، وقد استفاد العلماء من ذلك فكان بعضهم يضع لافتات في منزله أو محل عبادته، تبين المنهج العملي لشخصيته، وتذكره بالأولويات التي ينبغي أن يحققها لرضا الله وتكامل نفسه.

الإمام علي عليه السلام حكيم البشرية

الإمام علي عليه السلام الفارس المجلي في كل كلمة نطق بها، أو حكمة أدلى بها للعامة أو لخاصة أصحابه، عندما أجاب على بعض أسئلتهم كإجابته لهام في صفة المتقين، أو شرحه لحقائق توحيد الباري تعالى.

فسلام على إمامنا أمير المؤمنين عليه السلام يوم وُلد ويوم استشهد مرتحلاً إلى الله ويوم يُبعث أمة كإبراهيم عليه السلام.

الإمام علي عليه السلام تجسيد الكمال الإنساني

قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ (المائدة: ٥٥) صدق الله العلي العظيم.

الإمام علي عليه السلام قدوة البشرية.

من أراد معرفة الحق فليدرس علياً عليه السلام، ومن أراد التمسك بالفضيلة فليسر على منهاجه، ومن أراد الوصول إلى الله تعالى عليه أن يقتدي به، فهو عليه السلام له قصب السبق في كل ميدان، غير أن شائئيه أخفوا كثيراً من فضائله،

ولم يُتَح للبشرية أن تتعرف على تلك الجوانب المشرقة في حياته عليه السلام نتيجة للإعلام المضلل من جهة والبغض الذي مارسه الأمويون ومن سار على نهجهم من جهة أخرى، غير أنه مهما بذل أعداؤه في تغطية الفضائل وإسدال الستار على تلك المناقب فلن يؤثر ذلك على الإمام عليه السلام، بل ازداد علواً وارتفاعاً وإضاءة لهذا الكون المدلم في غياهب الظلمات.

الإمام علي عليه السلام في القرآن.

شاء الله تعالى أن يخلد علياً في الذكر الحكيم بآيات متعددة، منها الآية التي استهللنا بها الحديث، ﴿إِنهَا وَلِيُّكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ (المائدة: ٥٥)، فأبرزت ولايته في القرآن لتدلل على شخصيته عليه السلام في أبعاد متعددة، منها البعد التشريعي والقيمي اللذين أشار إليها إمامنا الباقر عليه السلام في قوله: «بني الإسلام على خمس دعائم على الصلاة والزكاة والحج والصوم والولاية ولم يناد بشيء كما نودي بالولاية»^(١)، فولايته عليه السلام أبرزت في القرآن الكريم مقترنة بالصلاة تارة وبالزكاة تارة أخرى، وهما بعدان في مجال الحياة، أحدهما يرتبط بالله تعالى ويصنع الإنسان ليؤدي الزكاة، وكل من البعدين يشير إلى مجموعة من العوامل الهامة والمؤثرة في شخصية الولي القائد للبشرية، أهمها الارتباط بالله تعالى.

(١) الصلاة في الكتاب والسنة للريشهري ص ٣٣.

علاقة الإمام علي عليه السلام بالصلاة.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ (البائدة: ٥٥)، ولم يقل: (الذي يصلي) للإشارة إلى أن إقامة الصلاة الوارد في القرآن الكريم يراد به معنى إِتِّكَ الصَّلَاةَ تَتَّهِى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ (العنكبوت: ٤٥)، فالصلاة لا معنى لها إذا لم تنه صاحبها عن الفحشاء والمنكر، والعبادات شرعت لاتصال المخلوق بخالقه، من أجل الاستقامة والديمومة على صراط محمد وعلي عليهما السلام، وذلك هو الهدف من إقامة الفرائض، ولا يراد للإنسان أن يصلي ويقترب الرذيلة، بل الهدف من الصلاة عصمة الإنسان من اقتراف الرذيلة وسيره على الصراط السوي المستقيم، من هنا فإن الولاية في الآية الكريمة تحدد المعالم العامة للولي، فهو الذي يقيم الصلاة، وقد أوضح الإمام أمير المؤمنين عليه السلام هذا البعد في قتاله للبغاة من أصحاب معاوية، عندما تعدوا على حرمة الدين بقتالهم له عليه السلام، فكان يقاتلهم ويراقب الشمس، فقال ابن عباس له عليه السلام: ما هذا؟ فأجاب: «انظر إلى الزوال حتى نصلي»، فقال له: هل هذا وقت صلاة؟ إنَّ عندنا لشغلاً بالقتال عن الصلاة، فقال عليه السلام: «على ما نقاتلهم؟ إنما نقاتلهم على الصلاة»^(١)، فأقامة الصلاة بعد هام في حياة الإنسان باعتباره يربط المخلوق بالخالق والخلق بالحق، وهو ما يريد الله تعالى.

(١) وسائل الشيعة للحر العاملي ج ٤ ص ٢٤٦.

ارتباط الإمام علي عليه السلام بالله

قال تعالى: ﴿ فَفَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾ (الذاريات: ٥٠)، فالفرار هو الوصول إلى الله تعالى، والبعد الهام في الولاية لأولياء الله تعالى أن يكون الولي على اتصال وثيق بالله، فلا يجيد عنه في توجهه وأفكاره وآرائه، ولا يصدر منه إلا ما يريده الله تعالى من فعل وقول، وقد أشار القرآن إلى ذلك في حق المصطفى صلى الله عليه وآله بقوله: ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾ (الأنفال: ١٧)، فرمية النبي صلى الله عليه وآله هي فعل لله ورمية له تعالى وأشار إليها الذكر الحكيم من ناحية القول في حق المصطفى صلى الله عليه وآله بقوله تعالى: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾ (النجم: ٣٠)، وأشار إليها في حق علي عليه السلام وأبنائه البررة بقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ (الأحزاب: ٣٣)، فلا يقولون إلا الحق ولا ينطقون إلا الصدق، ومن هنا دلل على هذا المعنى الكثير من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله والتابعين، فالبعد الأول في شخصية الولي القائد إمامنا أمير المؤمنين عليه السلام وكذلك في أبنائه البررة هو الاتصال الوثيق بالمبدأ المتعال، فلا يرون إلا الله تعالى.

السخاء عند الإمام علي عليه السلام.

ويكون عطاء من يتصل بالله تعالى خاصاً ومتميزاً، إذ أن لأدائه الزكاة معنىً يختلف عمن يعطي لأجل مآرب أخرى، فيجعلها لنفسه ومن أجل الوصول إلى أهدافه الشخصية، فإمامنا أمير المؤمنين عليه السلام كان له عطاء، تحدث عنه القرآن، ﴿ إِنَّمَا نَطَعُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ﴾ (الإنسان: ٩) فهو لاء

يريدون الله تعالى والآخرة، وهذا هو المنهج السوي الذي يقترن مع احترام الإنسان، ويُقدس إنسانيته، وكان نهجاً عملياً وتطبيقياً من لدن أبنائه، فبعضهم عندما يعطي السائل يخفي وجهه عنه حين يسأل، وعندما يُسأل عن ذلك، يقول: «مخافة أن أرى ذل السؤال في وجهه لقضاء حاجته»^(١) وهذا احترام للإنسان، بينما نرى من يعطي لمآرب وأهداف شخصية أو سياسية يحقق الإهانة والذل للآخرين خصوصاً في عصرنا الراهن، فهناك دول تُباع وتُشترى في سبيل لقمة العيش.

الاجتباء الإلهي للمخلصين.

ودلل القرآن الكريم أنّ الوصول لأعلى مراتب الإيعطاء لا يتأتى لكل فرد من دون أن يخضع لقانون الاجتباء والاصطفاء من الله تعالى، فليس لأحد أن يصل إلى ذلك المقام السامي وأن يطأ تلك المرتبة دون التأييد الإلهي المشار إليه

(١) في: وسائل الشيعة للحر العاملي ج ٩ ص ٤٥٦، عن اليسع بن حمزة قال: كنت في مجلس أبي الحسن الرضائي عليه السلام وقد اجتمع إليه خلق كثير يسألونه عن الحلال والحرام، إذ دخل عليه رجل طوال آدم فقال: السلام عليك يا بن رسول الله، رجل من محبيك ومحبي آبائك وأجدادك، مصدري من الحج وقد افتقدت نفقتي وما معي ما أبلغ به مرحلة، فإن رأيت أن تنهضني إلى بلدي، والله علي نعمة فإذا بلغت بلدي تصدقت بالذي توليني عنك فلست بموضع صدقة، فقال له: اجلس رحمك الله، وأقبل على الناس يحدثهم حتى تفرقوا وبقي هو وسليمان الجعفري وخيشمة وأنا، فقال: أتأذنون لي في الدخول؟ فقال له سليمان: قدم الله أمرك، فقام ودخل الحجره وبقي ساعة ثم خرج ورد الباب وأخرج يده من أعلى الباب، وقال: أين الخراساني؟ فقال: ها أنا ذا، فقال: خذ هذه المائتي دينار فاستعن بها في مؤنتك ونفقتك وتبرك بها، ولا تصدق بها عني واخرج فلا أراك ولا تراني، ثم خرج، فقال سليمان: جعلت فداك، لقد أجزلت ورحمت فلماذا سترت وجهك عنه؟ فقال: مخافة أن أرى ذل السؤال في وجهه لقضائي حاجته..

بالاصطفاء والاجتباء والاستخلاص في القرآن الكريم، فهو الحاكم في هذا المقام، ولا يتاح لأحد أن يصل إلى هذه الرتبة إلا المنصوص عليه في القرآن والسنة عبر الآيات المتعددة والأحاديث المتواترة.

تطبيق القانون عند الإمام علي عليه السلام.

من هنا يكون معنى للصلاة وللصوم، فهناك الكثير ممن يصلي لكنه يقترف الجريمة ويقتل النفس المحترمة ولا يرعى القانون الإلهي، ويقترف أشنع الجرائم، أما علي وآل علي عليهم السلام، فنهجهم كما قال الإمام عليه السلام: «والله لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله في نملة أسلبها جلب شعيرة ما فعلت»^(١) فالإمام عليه السلام يبين بجلاء أن المنهاج الذي يسير عليه هو العدل الذي يأمر به القرآن، حتى مع ألد أعدائه، فلا ينتهك القانون الإلهي مهما كان ذلك القانون بسيطاً ومحدوداً في نظر الغير، فهو عليه السلام يخلد ذلك القانون كدرس للإنسانية جمعاء إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فلا يريد أن يساوي نفسه بغيره للوصول إلى أهداف محدودة فيمتلك حقبة محددة من الزمن.

الإمام علي عليه السلام والعدل.

إنّ علياً عليه السلام يريد ما أراده الله تعالى فيريد أن يمتلك الزمن كله ليكون عبرة للإنسانية جمعاء في تعليم دروس الحق والفضيلة، فلا فائدة أن يملك الإنسان ويظلم، ولا فائدة أن يملك الإنسان ويتعدى على الحقوق، ولا فائدة أن يصلي

(١) نهج البلاغة - خطب الإمام علي عليه السلام - ج ٢ ص ٢١٨.

ويقترب الجريمة أو يزكي ويعطي للوصول إلى مآربه الدنيئة، من هنا جاء التوكيد المكرر في الروايات على أنّ المعنى لإقامة الصلاة هو العدل، والمعنى لإعطاء الزكاة هو العدل، والمعنى للصوم أيضاً هو العدل، والمعنى الحقيقي للحج هو الذكر والارتباط بالله تعالى، فالصلاة والزكاة وبقية الفرائض التي افترضها الله تعالى إذا فهمت عبر هذا المنهاج الواضح الذي أخطه علي عليه السلام اقتداءً بالمصطفى صلى الله عليه وآله، وتمثلاً لأي الذكر الحكيم، بدا الإسلام واضحاً ومقبولاً من لدن البشرية جمعاء، فالإسلام جاء لاستنقاذ الإنسان من عبودية غير الله إلى عبودية الحق تعالى.

الغدیر تجسید لمنهج الإمام علي عليه السلام.

وفي الغدير نؤكد على أنّ بيعة علي عليه السلام ليست ذكرى وإنما هي تجسيد لهذه المعاني التي أوضحناها، فمن يقيم الصلاة عليه أن يأخذ بمنهاج علي عليه السلام وإلاّ فلا معنى لصلاته لذا نرى الكثير من الذين يدعون إقامة الصلاة لا يبالون بقتل الأبرياء من الناس، ولا يبالون بانتهاك الأعراس، فتجد أحدهم يُفجر نفسه ويقتل الآخرين ولا يعي المعنى الحقيقي للصلاة، الذي أوضحناه في شخصية الإمام عليه السلام، وأكدته الآية، ﴿إِنَّهَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ (الائدة: ٥٥).

شخصية الإمام علي عليه السلام.

وهذا المعنى فهم من لدن صحابة أجلاء حتى قال بعض الصحابة (إن كنا

لنعرف الرجل إلى غير أبيه ببغضه علي بن أبي طالب^(١)، إذن يتحدد من يختلف قوله مع فعله بالبغض له عليه السلام، وهذه إيحاءات وإشارات تبين المحتوى والمضمون السليم لولاية علي عليه السلام، فالغدير ليس ذكرى يؤكد عليها النبي صلى الله عليه وآله ليبين من خلالها القرابة وأواصر الارتباط الوثيق بينه وبين علي عليه السلام وإنما ليؤكد القيادة للأمة عبر منهج العدل ويؤكد القيادة عبر القانون، فقيادة الأمة عبر مفاهيم الإسلام الواضحة والمجسدة في شخصية الإمام عليه السلام، ولا يسعنا في عيد الغدير إلا أن نبارك لإمام زماننا ولمرجعنا العظام وللإنسانية جمعاء بهذا العيد الأكبر الذي هو عيد الإنسانية جمعاء، فالنبي صلى الله عليه وآله وضع النقاط على الحروف فلم يدع لأحد أن يشكك في ولاية علي عليه السلام المنصوص عليها بالقرآن الكريم والمؤكدة عبر أحاديثه صلى الله عليه وآله.

العدل الإلهي والرفي الإنساني في آية الولاية

قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ (المائدة: ٥٥). صدق الله العلي العظيم.

دعائم الولاية.

في ميلاد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام كثير من الدروس والعبر الدالة على ولايته عليه السلام، ذلك أن الولاية قائمة على دعائم، ذكر الله تعالى دعائمين في الآية

(١) تاريخ مدينة دمشق لابن عساکر ج ٤٢ ص ٢٨٧: عن محبوب بن أبي الزناد قال قالت الأنصار إن كنا لنعرف الرجل إلى غير أبيه ببغضه علي بن أبي طالب.

المباركة هما: إقام الصلاة وإيتاء الزكاة حال الركوع، وستتحدث عنهما بشيء من البيان:

الأولى: إقام الصلاة.

إقام الصلاة دال على الصلة بين العبد وربّه، وقد جاء في الروايات أنّ الصلاة «صلة الله للعبد بالرحمة وطلب الوصال إلى الله من العبد»^(١)، وورد أيضاً «الصلاة معراج المؤمن»^(٢) و«الصلاة عمود الدين»^(٣) و«أول ما يحاسب به العبد الصلاة فإن قبلت قبل ما سواها»^(٤).

معاني إقامة الصلاة.

الأول: الاتصال الوثيق بالله تعالى.

تشير الآية المباركة إلى معنى أعمق لإقام الصلاة، وهو أنّ من يقيمها ويؤتي الزكاة حال ركوعه، له اتصال وثيق بالله تعالى، فإقام الصلاة يدل على الاتصال الوثيق والارتباط بوجود الحق تعالى.

الإمام علي عليه السلام والصلة بالله تعالى.

للولاية شروط:

- (١) ميزان الحكمة للريشهري ج ٢ ص ١٦٤١.
- (٢) مستدرک سفينة البحار للشاهرودي ج ٦ ص ٣٤٣.
- (٣) ميزان الحكمة للريشهري ج ٢ ص ١٦٢٧.
- (٤) ميزان الحكمة للريشهري ج ٢ ص ١٦٣٠.

الأول: أن يكون الولي على اتصال بالله تعالى بأعمق وأقوى درجات الاتصال، وليس هناك كعلي عليه السلام في اتصاله بالله تعالى، وقد عبّر عليه السلام عن ذلك بقوله «ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله فيه أو قبله أو معه»^(١)، أي أنه عليه السلام في جميع آناته ولحظاته مع الله تعالى لا يرى شيئاً إلا ويرى الله تعالى فيه وقبله ومعه، قد يرى شخص الله تعالى ثم يرى الأشياء فتنسيه الحق تعالى، غير أن الإمام عليه السلام يرى الله قبل الأشياء، ويراه تعالى بمعيتها، ورؤيته لها لا تنسيه وجود الحق تعالى، بل يرى الله فيها وقبلها ومعها فهو عليه السلام باستمرار مع الله تعالى، والولي لا بد أن يصل إلى أعلى درجات القرب والاتصال به تعالى.

دلائل الوصول إلى القرب الإلهي.

الإمام عليه السلام هو الولي البالغ هذه الدرجة، ولذلك دلائل، منها أنه يؤثر الموت على الحياة، قال تعالى: ﴿فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (البقرة: ٩٤)، والإمام عليه السلام لم يهتم بالموت ولم يخفّه، بل أثره على الحياة، مع أن كل شخص أودعت فيه غريزة حب الحياة وهي أقوى الغرائز، لذا لا يُقدم بطوعه على اختيار الموت غير أن من بلغ درجة الاتصال الكامل استعذب الموت، قد يقال إن بعض الناس يفجر نفسه كما يفعل الإرهابيون غير أن ذلك ناتج من غسيل دماغ، بل أن بعضهم يُعطى مخدرات تجرده من تفكيره العقلي فيصبح كالحيوان.

(١) موسوعة العقائد الإسلامية للري شهري ج ٣ ص ٧٥.

من هنا فإنّ من يختار الموت بطوعه واختياره وهو في تمام الأهبة والاستعداد والجرأة والشجاعة فذلك من أثر الآخرة على الدنيا، والإمام أمير المؤمنين عليه السلام بمببته على فراش النبي صلى الله عليه وآله، وبأقواله: - «والله لابن أبي طالب أنس بالموت من الطفل بثدي أمه»^(١) - برهن على المعنى العميق لإقام الصلاة.

الثاني: إقام الصلاة كمال للإنسانية.

إنّ إقام الصلاة تعبير ثانٍ يعادل كمال الإنسانية، والكمال يمثل مبادئ السماء، ومعنى ذلك أنه لا يظلم، ولا يتعدى على حقوق غيره، بل يُجسد العدالة التامة والكاملة، وقد تحقق ذلك في شخصيته عليه السلام مع ألد أعدائه، وليس مع المحبين له فحسب، إنّ الناس لا يهتمهم الظلم، والمرء قد يظلم أقرب الناس إليه، حتى قال الشاعر:

والظلم من شيم النفوس فإن تجد ذا عفة فلعله لا يظلم^(٢)

أي أنّ الظلم سجية للإنسان غير أنّ من يجسد إقام الصلاة والعدالة التامة لا يظلم نفسه ولا غيره.

الإمام علي والعدالة.

الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عندما أشير عليه بالظلم لتنقاد له الأمور، ردّ عليه السلام: «ولكن لا أشري صلاحكم بفساد نفسي»^(٣) أي إنّ استقامتكم على حساب

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ٢٨ ص ٢٣٤.

(٢) أعيان الشيعة للأمين ج ٢ ص ٥٥٨.

(٣) بحار الأنوار للمجلسي ج ٣٤ ص ١٣٨.

قيم ومبادئ السماء، ولا يمكن أن أميل قيد أنملة عن مبادئ السماء، إنه عليه السلام ميزان الأعمال، والصواب والخطأ والحق والباطل يتميز أحدهما عن الآخر به عليه السلام، وهذا أحد المعاني لقول النبي صلى الله عليه وآله: «علي مع الحق والحق مع علي يدور معه حيثما دار»^(١) وهو المعنى لزيارته عليه السلام (السلام على ميزان الأعمال)، فهو عليه السلام مقياس لصحة العمل من خطأه وانطباقه على مبادئ السماء، إذن إقام الصلاة يساوي الإنسانية الكاملة، والاتصال الوثيق مع السماء وتجسيد العدالة التامة.

الثانية: إيتاء الزكاة.

إيتاء الزكاة في الآية لا يراد به الزكاة المفروضة التي لها نصاب خاص، بل يراد به المعنى الأعم، أي إنفاق المال في سبيل الله تعالى، لأنَّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام تصدق بخاتمه وهو يصلي، وليس ذلك من الزكاة المفروضة.

أثر الاقتصاد في حياة الإنسان.

إنَّ مشكلة الإنسانية منذ القدم تكمن في الجانب الاقتصادي، وقيل إنَّ من يمتلك المال يملك القرار ويوجه القانون حسب أهوائه، لأنه الأقوى اقتصادياً، من هنا يأتي الظلم، وتاريخ الإنسانية الطويل يرتبط بالقوة الاقتصادية، الأقوى اقتصادياً يؤثر سياسياً وإدارياً، والتأثير الإداري والسياسي يقلب موازين القوى لتصب في صالح القوي، وليس في صالح

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ١٠ ص ٤٣٢.

العدالة، إن مبادئ السماء تؤكد على العدل، قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوْا أَعْدِلُوْا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ (المائدة: ٨)، تجسيد العدالة صعب، ويسميه بعض السياسيين بالمثّل، لذا نرى التأكيد في مذكراتهم على المصالح وليس على المبادئ، إذ المبادئ خاضعة لقضايا أخلاقية ومثّل، إنّ منطق الأنبياء ينسجم مع الحق، ولا يتلاءم مع مصلحة على حساب مبدأ، وذلك معنى الحديث «علي مع الحق والحق مع علي»^(١).

المشاكل الاقتصادية والإنسانية.

يرتبط المعنى العميق الذي تشير إليه الآية المباركة بولاية الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ويفهم من خلال ما نعيشه في عالم اليوم، فالدول الكبرى تتصرف في الشعوب الفقيرة والمسحوقه على وفق مصالحها، وقد يكون الشعب واحداً لدولتين ككوريا الشمالية والجنوبية، غير أنّ الجنوبيين يهتمون بمصالح دولتهم فقط، ولا يهتمهم الشطر الشمالي، لأنّ القضية تعود إلى معادلات، ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَن أَسْتَعْلَىٰ﴾ (طه: ٦٤)، ولا ترجع إلى قانون، المهم أنّ الأقوى يستطيع أن يُخضع الأضعف ولو كان بتجويعه والتعدي عليه اقتصادياً، وكذلك الحال في أفريقيا، فشعوبها تنُ تحت وطأة الجوع والفقر والأمراض التي لا حد لها، ومشكلة الإنسانية المعذبة تكمن في انعدام العدالة الاقتصادية، هيمنة الأقوى على الأضعف.

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ١٠ ص ٤٣٢.

الإسلام ومنطق الهيمنة.

شعار الإسلام هو إخراج العباد من عبودية العباد إلى عبودية الله تعالى، والنبى صلى الله عليه وآله دعا الناس إلى الإسلام ليس من أجل سلب ثرواتهم والسيطرة عليهم، كما تفعل الإمبراطوريات والدول المسيطرة على الموارد والإمكانات، إذ الدول المهيمنة تسيطر على الأمم والشعوب لسلب خيراتها، وذلك منطق اللاعدالة والظلم، وآية ذلك أن الدول المهيمنة لا تسمح بتطور الدول الفقيرة، وإذا قدّمت مساعدات لها فذلك من أجل تحقيق مآرب أخرى، هي الهيمنة سياسياً واقتصادياً عليها، ومن يقرأ مذكرات السياسيين كتشرشل يفهم ذلك.

أهداف عطاء الإمام عليه السلام.

الميزة الثانية هي أن الولي يعطي الزكاة وينفق في سبيل الله من أجل رفع مستوى الإنسان بغض النظر عن عرقه ولونه وما يميزه، الهم الوحيد لدى الأنبياء والغاية الكبرى عندهم إسعاد الإنسان وتقديم الإنسانية، وليس المصلحة لأنفسهم، وهذا المبدأ لا يوجد إلا لدى الأنبياء والرسل والأئمة من أهل البيت عليهم السلام، ويصعب قبوله من غيرهم، بل يرى أنه مثل لا تنطبق على الواقع، غير أن تطبيق تلكم المثل هو العدل.

أنموذج عدالة الإمام.

كان الإمام عليه السلام أعدل حاكم عرفه التاريخ ليس لكونه جسد تلكم المثل في عالم الواقع، بل لكونه تعامل مع الأصدقاء والأعداء على حد سواء، من له

حقوق أخذها كاملة وإن كان محارباً للإمام عليه السلام، أي أنه يعطي الحق لمستحقه بغض النظر عن فكره وطريقة تعامله مع أن الإمام علي عليه السلام هرم السلطة، لكنه لم يمنع الخوارج من العطاء لأنهم حاربوه، وقد أشار عليه ابن عباس بقطع العطاء لتركيعهم، فرفض الإمام عليه السلام وقال: لا نقاتلهم لاستضعافهم، بل لإيصالهم إلى الحق، إن خلاف الإمام أمير المؤمنين عليه السلام مع الخوارج سياسي، فهم لم يفهموا نظرية الإمام في الحكم والإدارة، وعادوا علياً عليه السلام لأنهم لم يفهموا منطق الإسلام وعدالته، وحرهم له عليه السلام لذلك، وعندما قالوا: لا حكم إلا لله، قال الإمام عليه السلام: «كلمة حق يراد بها باطل»^(١) أي أن محتواها صحيح الحكم لله تعالى، غير أن من يجسد العدل الإلهي هو الإمام عليه السلام وليس غيره.

الإمام والتجرد عن الذات.

عندما حكم الإمام عليه السلام لم يكن حكمه في سبيل مصالحه الشخصية، أو جر النفع إليه، بل أراد للأمة أن تتقدم، وهذا ما يشير إليه إيتاء الزكاة، فأعطاه الخاتم وهو يصلي دلالة على عمق اتصاله بالله تعالى، وإرادته لرفع الواقع الاجتماعي والاقتصادي للفقراء، وذلك هو المعنى الحقيقي للاتصال بالله تعالى، أما الزهد المبعد للمرء عن الواقع الاجتماعي فليس هو ما يريد الله تعالى، لأن الزاهد همه نفسه، وليس تجسيد خلافة الحق تعالى في الخلق، الإمام عليه السلام بإنفاقه حال ركوعه شجب النظرية التي ترى أن الاتصال بالله يمنع من الاتصال

(١) نهج البلاغة - خطب الإمام علي عليه السلام - ج ١ ص ٩١.

بالخلق، وجعل الاتصال بالحق قمة الاتصال بالخلق مبيناً أنّ الاتصال بالله يعود بالخير والنفع العميمين على الخلق في التكامل والوصول إلى الحق.

خلاصة محاور الآية.

إذن الآية تفصح عن أنّ الولاية لعلي عليه السلام قائمة على دعامتين:

الأولى: هي الإنسانية الكاملة التي عبر عنها القرآن بإقام الصلاة، وعبرنا عنها بالاتصال الوثيق بالحق تعالى.

الثانية: إيتاء الزكاة حال الاتصال بالله، ليكون العبد في حال نفع وعطاء دائم للخلق، لا يفكر بمصلحة تعود عليه أو على فئته، بل يرى أنّ المصلحة للجميع حتى لمن اختلف وإياه، وذلك معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعَدُّوْا أَعْدَٰلَهُمْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ (البائدة: ٨)، إنّ العدل هو السبب الرئيس الذي أرسل الله به الرسل وبعث من أجله الأنبياء، غير أنّ منطق السياسيين لا يفهم ذلك، وهمهم ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ أَسْتَعَلَىٰ﴾ (طه: ٦٤)، أي أفلح من غلب، ومن غلب قد مجرد المغلوب من حقه، ويعيده إلى الفقر، لأنه لا يهتم بإنسانية إنسان، همه نفسه والفكر الذي آمن به، أما من يختلف إيديولوجياً وفكرياً معه فلن يحكم بمنطق العدل الاقتصادي، لعلمه أنّ الاقتصاد عصب الحياة، ويمكن تطويع الغير وإذلاله به، إنّ العدل الاقتصادي يجعل حياة الناس تسير بانسيابية وتضمحل المشاكل بينهم، فجل المشاكل ترجع إلى الفقر المهيمن على أمم الأرض، وأمتنا العربية تقدر بثلاثمائة مليون، ثلثها

فقراء، والعالم ستة مليارد، ثلثه فقراء، ويمكن أن يكون نصفه فقراء، البشرية غير قادرة على تحقيق التوازن الاقتصادي، لأن المعادلات السياسية لا تسمح لها، فكل دولة تريد أن تكون الأقوى والأقدر والمتحكم في الغير، وهو ما يتنافى مع العدل في منطق السماء الذي تجسده ولاية إمامنا أمير المؤمنين عليه السلام المحققة لتوازن البشرية ووصولها إلى الرقي والتقدم على جميع الأصعدة.

سيادة القانون في حياة الإمام علي عليه السلام

تطبيق القانون في حياة الإمام.

نبارك لكم ميلاد الإمام أمير المؤمنين، الإمام عليه السلام منتهى العظمة والتجسيد التام للكمال الإلهي، وحياته نبراس يضيء دروب السالكين على كل صعيد من الأصعدة، ومن أهمها القانون، ذلك أن سيادة القانون جدهامة، ويعرف التطبيق الدقيق له عندما يكون للإنسان السيطرة والقدرة، حينئذ هل يتمرد على القانون أو ينصاع لأحكامه؟ وهل يطبقه على الجميع سواسية كأسنان المشط أم يطبقه على من ييغضهم فقط، ولا يطبقه على من يميل إليهم ويحبهم؟

الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في مواقف متعددة في حياته جسّد القانون على أقرب الناس إليه وأبعدهم عنه، وعلى نفسه دون فارق، ولم يكن يتفلت منه، بل جعل التطبيق الدقيق له، الميزان الذي يميز به بين المحق والمبطل، وبين السائر على الهدى ومتبع الغي المتمرد على أحكامه.

العدالة في تطبيق القانون.

لقد بين الإمام عليه السلام أهمية العدالة وتقدمها على جميع سجايا الكمال، بما فيها الكرم والجود اللذان يجبهما الله تعالى، سئل أيهما أفضل العدل - الانصياع للقانون - أم الجود؟ فقال عليه السلام: «العدل يضع الأمور في مواضعها والجود يخرجها عن جهتها، والعدل سائس عام والجود عارض خاص، فالعدل أشرفهما وأفضلهما»^(١).

الإمام عليه السلام مع ولاته في تطبيق العدالة.

بين عليه السلام لجميع ولاته أهمية التطبيق للعدل، أكانوا ولايةً مباشرين، أي وضعهم هو بنفسه أم كانوا ولايةً بالواسطة وضعهم ولائته، فقد أرسل رسائل تفصح لهم عن أهمية العدل، قال عليه السلام لزياد بن أبيه: «واستعمل العدل واحذر العسف والحيف فإنّ العسف يدعو إلى السيف»^(٢) يعود بالجللاء - التفرق - والحيف - الظلم - ذلك أنّ المظلوم سيطالب بحقه وقد لا يراعي القانون في الوصول إليه، وكتب عليه السلام إلى الأسود بن قتيبة: «أما بعد فإنّ الوالي إذا اختلف هواه منعه ذلك كثيراً من العدل فليكن أمر الناس عندك في الحق سواء، فإنه ليس في الجور عوض من العدل»^(٣) وقال عليه السلام: «بئس الزاد إلى المعاد العدوان

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ٧٢ ص ٣٥٠.

(٢) بحار الأنوار للمجلسي ج ٣٣ ص ٤٨٨.

(٣) بحار الأنوار للمجلسي ج ٣٣ ص ٥١١.

على العباد»^(١) ولم يكن الإمام عليه السلام يقول ذلك فقط وإنما طبقه عملياً.

شواهد من عدالة الإمام علي.

هناك تطبيقات دقيقة للإمام عليه السلام:

الأول: مع قبيلتي باهلة وغنية.

كانت بعض القبائل تبغض علياً، وكان الإمام يبغضها لسوء أعمالها التي تصدر منها، فهي حطب الظالمين، ومن تلکم القبائل قبيلتنا باهلة وغنية، غير أنّ الإمام عليه السلام إذا أراد أن يوزع العطايا - الرواتب في العصر الحديث - كان يدعوهما مع الناس سواسية، ويقول: «يا باهلة اغدوا، خذوا حقكم مع الناس والله يشهد أنكم تبغضوني وإني أبغضكم»^(٢)، ومع كونهم يبغضونه إلا أنه لم يبغضهم حقهم، وذلك منتهى العدالة.

الثاني: الإمام مع قاداته.

إنّ الإمام عليه السلام أرسل مجموعة ليقبضوا على لبيد بن عطار التميمي، فجاءت السرية وقبضت عليه، وفي الطريق إلى الإمام مرت على أحياء بني أسد، وكان فيها شخصية كبيرة اسمه نعيم بن دُجاجة، من الشخصيات الهامة ومن شرطة الخميس عند علي عليه السلام، فهو زعيم من زعماء بني أسد، ولما مروا

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ٧٢ ص ٣٠٩.

(٢) بحار الأنوار للمجلسي ج ٣٣ ص ٣٥٦.

بليد استنجد بنعيم، فقال للسرية: أطلقوا سراحه، واتركوه! فرجعت السرية إلى الإمام عليه السلام، فقال: لهم أين لبيد؟ فأجابوه بأن نعيم أمر بإطلاق سراحه، فائتمرنا بأمره، فأمر الإمام عليه السلام بجلب نعيم، مع أنه شخصية غير عادية ومن شرطة الخميس، أي من جهاز الأمن المركزي للدولة التي يقودها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، فهو من الفدائيين الذين أقسموا لدى الإمام عليه السلام بأن يقاتلوا حتى الموت في سبيل الذود عن الدولة والمبادئ التي يؤمن بها الإمام عليه السلام، لكنه ارتكب خطأ.

إنّ شرطة الخميس انتخبهم النبي صلى الله عليه وآله وهم ستة آلاف رجل، وكان بعضهم يسأل الإمام عليه السلام فيقول: أحدثك رسول الله صلى الله عليه وآله أني من شرطة الخميس؟ أي من هذا الجهاز الذي يحمي الدولة، إذن نعيم هو شخصية من ستة آلاف رجل انتخبهم النبي صلى الله عليه وآله، وأخبر الإمام عليه السلام بأنهم جنود مجنّدة يذودون عن مبادئ العدل وقيم الفضيلة، وعندما جاؤوا بنعيم، قال لهم الإمام عليه السلام: «اضربوه ضرباً مبرحاً» أي شديداً ومؤلماً، بسبب حمايته أحد المطلوبين للعدالة، ولا يليق بشخصيته أن تفعل ذلك، إذ أنه خروج عن القانون، والقانون يسري على الجميع بما فيهم هرم الدولة، وعندما ضرب نعيم، قال: لعلي عليه السلام "إنّ المقام معك لذل، وإنّ فراقك كفر" أي أن نعيم سيضحى بامتيازاته القبلية في سبيل مبادئه وسبيل القيم التي آمن بها ليقى مع الإمام عليه السلام، فقال له الإمام عليه السلام: «إنه لكذلك؟» فقال نعم، أي إنه موقن بما

يقول، فقال الإمام عليه السلام: «خلوا سبيله»^(١).

الثالث: الإمام مع مبغضيه.

كذلك فعل الإمام عليه السلام مع المبغضين، لقد أشار بعض المقربين إليه عليه السلام بإنهاء مشكلة الخوارج بالتضييق عليهم اقتصادياً، فأبى عليه السلام وقال: «أتأمروني أن أطلب النصر بالجور فيمن وليت عليه، والله لا أطور به ما سمر سمر وما أم نجم في السماء نجماً لو كان المال لي لسويت بينهم فكيف وإنما المال مال الله»^(٢) يبين عليه السلام أنه مسؤول، وكونه الحاكم لا يتيح له التلاعب بالأموال على خلاف القانون، والمبغض والمحب عنده سواء في وصول الحق إليه، وذلك يشبه حق المواطنة في الدولة الحديثة، فجميع الحقوق الاقتصادية محفوظة للمواطن، ثم قال عليه السلام: «ألا وإن إعطاء المال في غير حقه تبذير وإسراف وهو يرفع صاحبه في الدنيا ويضعه في الآخرة»^(٣) لأن الله تعالى لا يقبل ذلك، والقانون لا بد أن ينطبق على الجميع سواسية، وقال عليه السلام: «ويكرمه في الناس»، أي أن إعطاء المال بغير حق، يجعل المعطي كريماً عند الناس إلا أنه يهينه عند الله، وقال عليه السلام: «ولم يضع امرئ ماله في غير حقه ولا عند غير أهله إلا حرمه الله شكرهم» أي أن أول الناس الذين يعطيهم هم أول من يتمرد عليه إذا رأوا مصالحهم عند غيره، ذلك أنه لا مبادئ ولا سيادة لقانون، وقال عليه السلام: «وكان لغيره ودُّهم، فإن زلت به قدم يوماً واحتاج

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ٣٤ ص ٣١٦.

(٢) بحار الأنوار للمجلسي ج ٧٢ ص ٣٥٨.

(٣) الأمالي للمفيد ج ١ ص ١١١.

إلى معונتهم فشر خدين وأأم خليل»^(١) أي إذا صارت الدنيا عليه، فإنّ من يعطيهم الأموال هم أبعد الناس عنه.

الرابع: الإمام عليه السلام مع من أساء إليه.

كان بين مجموعة من الناس وفيهم خوارج يبغضونه، فبيّن مسألة فقهية غاية في الأهمية، فقال أحد الخوارج: قاتله الله كافراً ما أفقهه، أي أنّ الإمام كافر وفقهه من الدرجة الأولى، وقد تأثر بعض أصحاب الإمام عليه السلام بذلك، واستلوا سيوفهم من أعمادها، وخاطبهم الإمام عليه السلام: «رويداً - على هونكم - إنما هو سب بسب»^(٢) والقانون لا يسمح بقتل من يختلف معي سياسياً، ولا أرى مبرراً لذلك، إنّ الإمام عليه السلام منع الأذى عمّن اختلف معه سياسياً، وكفّره مشتبهاً، نعم! إذا بدأ الحرب ضد الإمام عليه السلام فإنّ الإمام يحاربه، لذا قال عليه السلام: «رويداً إنما هو سب بسب أو عفو عن ذنب» أي أنّ العفو أفضل من الرد، إلّا إنّ منطلق الناس إذا كانوا في موقع المسؤولية واختلفوا مع أحدٍ كاختلاف الإمام عليه السلام مع الخارجي قطعوه إرباً إرباً، ولم يسمحوا له بأن يتحدث ضدّهم ولو همساً.

الخامس: الإمام عليه السلام مع اليهودي.

هناك قضية رائعة وجميلة حدثت بين الإمام عليه السلام وأحد اليهود، إذ أنّ

(١) نفس المصدر السابق.

(٢) بحار الأنوار للمجلسي ج ٤١ ص ٤٩.

الإمام عليه السلام افتقد درعه، فوجده عند أحد اليهود، فقال له: يا أخ اليهود هذا درعي، ولم أبع ولم أهب، غير أن اليهودي أصّر على أن الدرع له، وأراد أن يتحاكم مع الإمام عليه السلام عند القاضي، وكان القاضي هو شريح، وهو عالم غير أنه غير متقٍ وليس من أصحاب المبادئ، بل همه مصالحه، والإمام تحاكم عنده مع اليهودي، فقال الإمام عليه السلام لشريح هذا الدرع لي، وقال اليهودي: إن الدرع لي، وباعتبار أن اليد إمارة الملكية، فإنّ على الإمام عليه السلام أن يقيم البينة، فقال شريح للإمام ألك بينة؟ فقال الإمام عليه السلام: ليس لي بينة، فحكم شريح بأنّ الدرع لليهودي، وانفض النزاع، غير أنّ اليهودي أراد أن يعرف هل أنّ علياً عليه السلام هو من تتحدث عنه التوراة أم لا؟ فإذا كان هو من تتحدث عنه التوراة، فإنه سيحكم بحكم الأنبياء، ويسير على القانون، أما إذا كان سياسياً من أصحاب الدنيا فهو أول من يخرق القانون، وبعد أن أخذ الدرع واطمأن رجع قافلاً واستدعى علياً عليه السلام، وقال له مديك، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنّ محمداً رسول الله وأشهد أنك ولي الله، وهذا القانون لا يحكم به إلاّ الأنبياء والأوصياء ومن سار على حذوهم.

أما من يرى أنّه السيد المطلق فلن يرى حقاً لخصمه، وذلك منطلق أهل الدنيا، أما منطلق علي عليه السلام فإنّ القانون يطبق على أقرب الناس إليه كنعيم، وعلى أبعد الناس عنه دون فرق أبداً.

السادس: الإمام عليه السلام مع زوج ابنته.

لقد جاء عبد الله بن جعفر زوج ابنته زينب عليها السلام، وقال له يا عم: ليس لدي مال، الظاهر أنّ الدولة كانت تمر بأزمة اقتصادية، فهناك أزمتا تمر بها الدول الكبرى، لذا عبّر عبد الله لعمه أنه ليس لديه شيء إلا أن يبيع معلوفته أي ناقته، فقال الإمام عليه السلام: «لا والله ليس عندي لك شيء إلا أن تأمرني أن أسرق»^(١) أي أنا خازن لبيت مال المسلمين ولا أستطيع أن أفعل ما أشاء، لأنّ القانون يحكمني، إنه التطبيق الدقيق على أقرب الناس إليه، زوج ابنته وابن أخيه.

السابع: الإمام عليه السلام في حوارٍ.

الخريت بن راشد من زعماء الخوارج وشخصية كبيرة من شخصياتهم، وهم عمي الأبصار والقلوب، ينظرون إلى الظاهر نظرة سطحية، ولا يعرفون الحدود والمواثيق، وبعد التحكيم التزم الإمام عليه السلام ولم ينقض بنوده، مع أنّ الخوارج هم الذين ألحوا عليه بقبوله، وهددوه بالانشقاق عن جيشه ومقاتلته، فقبل الإمام عليه السلام بالتحكيم مكرهاً، والنتيجة لم تكن في صالحه ولا في صالح الخوارج، والخريت بعد رجوعه إلى الكوفة بعد التحكيم قال للإمام: والله لا أطيع أمرك ولا أصلي خلفك وإني غداً لمفارق لك، يهدد الإمام أمير المؤمنين، فهو معترض سياسي باصطلاحنا الحديث، فردّ عليه الإمام عليه السلام: «ثكلتك أمك

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ٣٣ ص ٤٠٦.

إذن تنقض عهدك، أي أنك بايعت وكنت تراني أي أحق بإمرة المسلمين، والآن تنقض عهدك وتعصي ربك ولا تضر إلا نفسك، أخبرني لم تفعل ذلك؟»، فرد الخريت قائلاً: لأنك حكمت في الكتاب وضعفت عن الحق، إذ جد الجد وركنت إلى القوم الذين ظلموا أنفسهم، أي وقفت ولم تحارب معاوية وأصحابه بعد التحكيم، وقال الخريت أيضاً: أنا عليك راد، وعلى معاوية وأصحابه ناقد، ولكلٍ جميعاً مباين، أي لا معك يا علي ولا مع معاوية، فقال الإمام عليه السلام: «ويحك هلم إلي أدارسك» أي دعنا نتدارس الأمر وما أروع ذلك من علي، وهو رأس الدولة يطلب الحوار من خصمه الضعيف، ولم يقل إن الحق له، بل لجأ إلى الحوار وأتاح لخصمه تقديم الحجة في الوقت الذي لا يُسمح فيه بالمعارضة السياسية آنذاك.

نعم؛ بعد أن طورت أوروبا الديمقراطية آخذين بعض مبادئها من علي عليه السلام، أعطوا الناس بعض الحقوق، إن الإمام عليه السلام قال: «هلم إلي أدارسك وأناظرك في السنن» أي لننظر هل أن الحق معي فيما فعلت أو معك، وبعد الحوار ستبصر ما أنت به الآن عنه عم، أي أعمى، وبه جاهل، فقال الخريت: إني عائد غداً، فقال الإمام عليه السلام: «اغد ولا يستهوينك الشيطان ولا يتقحمن بك رأي السوء ولا يستخفنك الجهلاء الذين لا يعلمون فوالله لئن استرشدتني واستنصحتني وقبلت مني لأهديك سبيل الرشاد» وخرج الخريت من عنده منصرفاً وأشار عبد الله بن قعين أحد حاشية الإمام وهو سياسي ينصح الإمام بما تقتضيه المصلحة السياسية، أي أن المهم الانتصار على العدو حتى مع مخالفة

القانون، فقال لعلي بعد أن قال علي للخريت «اغد»، فلما غدا على أمير المؤمنين بعد حديث بينه وبين ابن عمه، قال عبد الله بن قعين لعلي عليه السلام: لم لا تأخذه الآن فتستوثق منه، أي تجعله مربوطاً بمواثيق وعهود، لا يقدر على الخروج منها، فقال الإمام عليه السلام: «إنا لو فعلنا هذا لكل من نتهمه من الناس ملأنا السجون منهم ولا أراني يسعني الوثوب على الناس والحبس لهم وعقوبتهم حتى يظهروا لنا الخلاف» أي أن الإمام عليه السلام لا يأخذ على الظنة والتهمة ويملاً السجون، لكونه لا يرى أن الوثوب على الناس وحبسهم وعقوبتهم من حقوقه كحاكم، بل يرى أن لغيره الحق في مخالفة الرأي، نعم؛ إذا شهر السيف دفع الإمام أذاه كي لا يعيث فساداً، أما مجرد المعارضة السياسية فلا تتيح له قتل الناس والتنكيل بهم.

لذا تعلمت أوروبا منه ذلك، وجعلته الأمم المتحدة أفضل شخصية جسدت العدل، نعم؛ لا يعرفون شخصية النبي إذ أن علياً أخذ منه ذلك، نعم؛ إن النبي ما أدار دولة مترامية الأطراف كما فعل الإمام أمير المؤمنين، لذا أخذ الأوروبيون من علي عليه السلام لذلك.

الغدير في مبناه ومعناه

قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿يَأْتِيهَا الرِّسُولُ بِبَلَّغٍ مَّا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ^ط وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ^ع وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ^ط إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ^ك﴾ (المائدة: ٦٧) صدق الله العلي العظيم.

التمهيد للإمامة:

النبي ﷺ أحكم إنسان عرفه التاريخ، وعندما يبرم أمراً يصبح غاية في الأحكام، لا يستطيع أحد مها كان من القوة أن ينقضه، وإمامة علي عليه السلام من المحكمات التي بين علي عليه السلام ومعناها منذ بدء بعثته، فقد ذكر المؤرخون والمحدثون أنه عندما أمر الله نبيه ﷺ أن ينذر عشيرته الأقربين خطب فيهم وقال: «أيكم يكون أخي ووارثي ووزيري ووصيي وخليفتي فيكم بعدي؟ فعرض عليهم ذلك رجلاً رجلاً كلهم يأبى ذلك حتى أتى علي، فقلت: أنا يا رسول الله، فقال: يا بني عبد المطلب هذا أخي ووارثي ووصيي ووزيري وخليفتي فيكم بعدي، فقام القوم يضحك بعضهم إلى بعض ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع وتطيع لهذا الغلام»^(١).

النبي ﷺ يوضح شخصية الإمام علي عليه السلام

لم يكتف ﷺ بذلك بل كان ﷺ يغتنم المناسبات الواحدة تلو الأخرى ليفصح في كل منها عن جانب من شخصية الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وتالت المناسبات إلى أن اقتضت الحكمة أن يخلف علياً عليه السلام نائباً عنه في المدينة، وقد أرجف المرجفون للحط من شخصيته عليه السلام، فما كان من النبي ﷺ إلا أن يفصح عن جنبه جد هامة في شخصيته عليه السلام عندما لحق الإمام علياً به ص فأخبره بما قاله المرجفون، فقال ﷺ: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ١٨ ص ١٧٨.

بعدي»^(١) يبين عليه السلام معنى كبيراً في شخصية الإمام عليه السلام.

الإسلام يتقوم بدعامتين

تقومت رسالة موسى عليه السلام بشخصيته وشخصية أخيه هارون عليه السلام، وقد أفصح القرآن الكريم عن ذلك، والنبي صلى الله عليه وآله يريد أن يبين أن الرسالة الإسلامية تتقوم بأمرين بشخصيته صلى الله عليه وآله وبإمامة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، ولم يكتف بذلك أيضاً بل بين عليه السلام بأن علياً يفترق عن غيره عندما يقضي بأمر أو يحكم بحكم، فقال عليه السلام: «علي مع الحق والحق مع علي يدور حيثما دار»^(٢).

علي عليه السلام ميزان معرفة الحق

كشف عليه السلام عن جانب جد هام هو أن علياً عليه السلام إذا قال أمراً أو فعله فما قاله وما فعله الحق، إذ أن الحق مع علي عليه السلام، والميزان في معرفة الحق مع علي عليه السلام، ذلك أن الناس يطلبون الحق ليذهبوا إليه، والنبي صلى الله عليه وآله يفصح عن أمر يختلف عما تعود الناس عليه فلم يقل صلى الله عليه وآله إن علياً يبحث عن الحق، بل إن الحق مع علي يدور حيثما دار، أينما وقف علي عليه السلام فموقفه الحق الصراح الذي لا مرية فيه.

بركات الإمام عليه السلام

استمر النبي ص يفصح في كل مناسبة عن جانب ويميط اللثام عن حثية

(١) الكافي للكليني ج ٨ ص ١٠٧.

(٢) بحار الأنوار للمجلسي ج ١٠ ص ٤٣٢.

هامية في شخصية الإمام عليه السلام، وأراد عليه السلام أن يبرز أمراً يؤكد بركته عليه السلام وتأثر الأشياء بها، فقال عليه السلام: «لولا أن تقول فيك طوائف من أمتي ما قالت النصرارى للمسيح عيسى بن مريم، لقلت فيك اليوم قولاً لا تمر بملاً إلا أخذوا التراب من تحت رجليك ومن فضل طهورك يستشفون به...»^(١) ونقف هنا مع بعض مداليل الحديث، إن النبي عليه السلام يقول إن الأرض تتأثر بخطواته عليه السلام، فكل فعل من أفعاله مبارك، وما يصدر منه بركة، غير أن بعض الناس قد يلتبس عليه الأمر ويظن أن هذه الآثار العظيمة التي تصدر من شخصيته عليه السلام دليل على ألوهيته فيغالي فيه كما غالى النصرارى في عيسى عليه السلام عندما كان يحيى الموتى ويبرأ الأكمه والأبرص بإذن الله، حيث قالوا إن عيسى هو الله تعالى، إن الله تعالى لا يتجسد فهو الصمد الذي لا كفؤ له، وعيسى عليه السلام والإمام أمير المؤمنين والأنبياء والرسل والملائكة عليهم السلام مهما بلغوا من العظمة فهم ﴿عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ (٣٦) لَا يَسْجُدُونَ، بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿(الأنبياء: ٢٦ - ٢٧)، غير أن بعض الناس لضيق أفقه أو انحراف فطرته يظن أن بعضهم هو الله تعالى.

إن عظمة الشخصية لا تستدعي أن يغالى فيها بل ينبغى على السوي أن يضعها في موضعها من كونها عبد من عبيد الله تعالى، اجتنابه فأسبغ عليه من نعمه الظاهرة والباطنة وجعله نبراساً لإضاءة الحق، ويكشف حديث النبي عليه السلام عن أمر، هو أن عيسى عليه السلام تصدر عنه المعاجز بإذن الله تعالى، وهو

(١) أمالي الصدوق ص ١٥٦.

دليل وكلمة لله تعالى يفصح عن الحق، وعلي عليه السلام كذلك دليل الحق المفصح عنه، لكونه عبد من عباده تعالى.

اغتنام النبي صلى الله عليه وآله المناسبات لإثبات حقانيته عليه السلام

لم تمر مناسبة لم يدل النبي صلى الله عليه وآله فيها بشيء في حق علي عليه السلام.

قصة الطائر المشوي

من المناسبات الهامة أنّ النبي صلى الله عليه وآله جيء له بطائر مشوي، -حديث الطائر المشوي صحيح عند الفريقين - وأراد صلى الله عليه وآله أن لا تمر المناسبة دون أن يبين معنى في حق علي عليه السلام، فدعا بدعاء، قائلاً صلى الله عليه وآله: «اللهم ائتني بأحب الخلق إليك وإلي، وأشهدهم لي ولك حباً، يأكل معي من هذا الطائر»^(١) أي أنّ النبي صلى الله عليه وآله يطلب أعظم شخصية محبوبة لله تعالى بعد رسوله صلى الله عليه وآله ليأكل معه الطائر المشوي، ف جاء علي عليه السلام، وأكل مع النبي صلى الله عليه وآله، كي لا يقول أحد أنّ هناك من هو أقرب إلى الله تعالى منه عليه السلام، إنّ النبي صلى الله عليه وآله يقطع الألسنة بحديث الطائر المشوي، فلا يستطيع أحد أن يقول إنّ هناك من هو أقرب أو أحب إلى الله تعالى بعد رسوله صلى الله عليه وآله من علي عليه السلام.

وقد تحدثت السيدة الزهراء عليها السلام مع أبيها في علي عليه السلام، فأفصح صلى الله عليه وآله بكلام دلل فيه على اجتناب الحق له واصطفائه إياه ليتنقل ذلك إلى الأجيال عبر الزمن،

(١) أمالي الطوسي ص ٥٤٦.

فقال ﷺ: «يا فاطمة أما علمت أنا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا وإنه حتم الفناء على جميع خلقه، وأن الله تبارك وتعالى اطلع إلى الأرض الطلعة فاخترني منهم وجعلني نبياً واطلع إلى الأرض اطلعة ثانية، فاختر منها زوجك، فأوحى الله إلى أن أزوجك إياه، وأن أتخذه ولياً ووزيراً، وأن أجعله خليفتي في أمتي، فأبوك خير أنبياء الله ورسله، وبعلك خير الأوصياء...»^(١) والحديث دليل على أن الوصية أمر رباني يخضع لاختيار إلهي، يرجع إلى الاصطفاء.

قصة النبي ﷺ مع الإمام عليؑ في خيبر

تأتي بعض المناسبات في حروب، والحرب يتبين فيها المعدن الأصيل، وواقع الناس لما يمر من ابتلاءات كبيرة تظهر فيها حقائق الناس وكما لاتهم أو معائبهم ونقصهم، قال ﷺ: «لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، كرار غير فرار يفتح على يده بالنصر»^(٢) فشرأت الأعناق لتلك المعاني، كل يحاول أن يعطى الراية، لما قاله النبي ﷺ من ميزات لحاملها، فهو كرار مقدم لا يفر، وليس بجبان، شجاعته في منتهى العظمة، مع ارتباط بالقيم، هو مع الله تعالى ومع رسوله ﷺ.

إفصاح النبي ﷺ عن علمه عليؑ

أفصح النبي ﷺ في كل حادثة عن معنى من المعاني، وكأنه ﷺ يرسم

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ٢٨ ص ٥٢.

(٢) بحار الأنوار للمجلسي ج ٣١ ص ٣٦٣.

لوحة مكتملة للبشرية لتقرأها بعد حين، ذلك أنّ الناس لهم سلائق وأذواق مختلفة، وعقول متفاوتة، وكل صنف منهم يميل إلى شيء، بعضهم يميل إلى العقل وبعضهم يميل إلى العلم ومنهم من يميل إلى الشجاعة والإقدام والصفات النفسية، والنبى يفصح تارة عن العلم في شخصية الإمام عليه السلام فيبرزه، قال صلى الله عليه وآله: «أنا مدينة العلم وعلي بابها»^(١) أي أنّ من أراد العلم والوصول إلى الحق عليه أن يلج من هذا الباب، باب مدينة علم رسول الله صلى الله عليه وآله، وقال صلى الله عليه وآله: «أقضاكم علي»^(٢) وقال: «أعلمكم علي»^(٣) ليرز ص أنّ الحق معه، وقال صلى الله عليه وآله: «علي مع الحق والحق مع علي يدور حيثما دار»^(٤) وصرح أخرى بخلافته، فقال: «وخليفتي فيكم بعدي»^(٥)، وهذه الأحاديث تبين الجانب النظري للإمامة، إلا أنه أردفه صلى الله عليه وآله بأنّ ذلك لا يختص بعلي عليه السلام وحده، بل يستمر في أبنائه عليهم السلام لأمر:

منها: التأكيد على عصمة أهل البيت عليهم السلام.

اغتنم صلى الله عليه وآله موسم الحج، فجسد صلى الله عليه وآله فيه أمرين هامين:

الأول: النص على عصمة أهل البيت عليهم السلام كعصمة القرآن.

(١) أمالي الصدوق ص ٤٢٥.

(٢) بحار الأنوار للمجلسي ج ٤٠ ص ١٥٠.

(٣) بحار الأنوار للمجلسي ج ٤٠ ص ٣٠٦.

(٤) بحار الأنوار للمجلسي ج ١٠ ص ٤٣٢.

(٥) بحار الأنوار للمجلسي ج ١٨ ص ١٧٨.

الثاني: الاقتران بين أهل البيت عليهم السلام والقرآن فليس هناك انفكاك بينهما، قال صلى الله عليه وآله: «إني أوشك أن ادعى فأجيب، وإني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وإن اللطيف الخبير أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض، فانظروا ماذا تخلفوني فيهما»^(١) أي لا يمكن لأحد أن يقول أتمسك بولاية أهل البيت عليهم السلام فحسب، بل لا بد أن يأخذ بالقرآن مع الولاية، ولا يمكن أن يقال حسبنا كتاب الله، لأنه لا بد أن تجسد معاني القرآن في إمام مرتضى مجتبي من قبل الله تعالى، والنبى صلى الله عليه وآله أفصح عن أن الإمامة التي تحدث عنها في شخص علي عليه السلام تستمر في أهل بيته عليهم السلام وهي اجتباء واصطفاء من الله تعالى لعصمة لا انحراف فيها، كما أن القرآن الكريم لا لغو فيه ولا تأثيم، فهو معصوم، والنبى صلى الله عليه وآله معصوم أيضاً في أفعاله وأقواله، قال تعالى: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۗ ﴾ (النجم: ٤-٣) فإن الإمامة كذلك.

ومنها: التأكيد على الإمامة.

كان النبي صلى الله عليه وآله يكشف في كل مورد ويميط اللثام بحكمته كي تصبح الولاية مناراً فتذهب التأويلات سدى، ويقطع الألسنة فلا يتاح لأحد من المسلمين أو غيرهم أن يؤول، لأنه صلى الله عليه وآله وضع النقاط على الحروف، كي لا يتعلل أحد بأنه لا يدري ما الإمامة، فهو صلى الله عليه وآله أحرص الألسنة بل قطعها.

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ٢٣ ص ١٠٨.

دلائل الغدير:**الأولى: هجير الغدير.**

هذه السنة ١٤٣٢ هـ كان الحج في الشهر ١١، وكانت الشمس جد حارة، فما بالك عندما يكون الموسم في شهر ٧ أو ٨ فإن الحرارة تتضاعف، والنبي صلى الله عليه وآله لحكمته البالغة التي أشرنا إليها باقتضاب، أراد أن يضع مجموعة من التنبهات والاقترانات إذا التفت إليها المسلم أو غيره رأى أنه لا يمكن أن يرتاب فيها أو يمترى في معناها أو مبناها، فهي واضحة المعالم، فاختر ص مفترق طرق هو غدير خم.

الثانية: انتظار آلاف الحجيج لحدث عظيم.

كان الحجيج مائة ألف أو يزيدون حجوا بحجه صلى الله عليه وآله، كل منهم سيذهب إلى أهله، فقال: قفوا، أي في هذه الحرارة الشديدة كي لا ينسى الموقف، هناك نظرية لعالم النفس الروسي المشهور بافلوف هي نظرية الاقتران الشرطي، خلاصتها إننا عندما نقرن قولاً بفعل لن ينمحي أبداً، لذا كانت واقعة الغدير لا يستطيع أن يشكك فيها أحد لاقرانها بمجموعة من الاقترانات الشرطية، كل منها كافٍ لقطع الألسنة لمن يحترم نفسه، أما من أراد أن يؤول فإن تأويله لا قيمة له لسقوطه عن الاعتبار.

الثالثة: دلالات الخطاب.

إن أول شاهد على المعنى المراد هو أن النبي صلى الله عليه وآله قبل أن يفصح عن الولاية

تحدث عن بعض انجازاته، فقال: «إنه قد نبأني اللطيف الخبير أني ميت وأنكم ميتون، وكأني قد دعيت فأجبت وأنى مسؤول عما أرسلت به إليكم، وعما خلفت فيكم من كتاب الله وحجته وأنكم مسؤولون، فما أنتم قائلون لربكم؟ قالوا: نقول: قد بلغت ونصحت وجاهدت - فجزاك الله عنا أفضل الجزاء - ثم قال لهم: أستم تشهدون أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله إليكم وأن الجنة حق؟ وأن النار حق؟ وأن البعث بعد الموت حق؟ فقالوا: نشهد بذلك»^(١) أي ما قصرت، بل أنجزت الأفضل والأحسن، ولما أخذ إقراهم جميعاً، قال لهم: «اللهم اشهد على ما يقولون، ألا وإني أشهدكم أنى أشهد أن الله مولاي، وأنا مولى كل مسلم، وأنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فهل تقررون لي بذلك وتشهدون لي به؟»^(٢) أي أن الولاية لي عليكم، فإذا أمر النبي ﷺ أحداً أن يطلق زوجته، وجب عليه ذلك، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ (الأحزاب: ٣٦) أي أن على الجميع أن ينصاع لأوامره ﷺ.

الرابعة: رفع يد الإمام علي عليه السلام.

وبعد أن أفصح ﷺ عن ولايته على جميع المسلمين، بحيث لا يتاح لأحد أن يقول ليس له عليه السلام ولاية عليه، قال ﷺ: «ألا من كنت مولاه فإنّ علياً مولاه»

(١) الخصال للصدوق ص ٤٧٩.

(٢) المصدر السابق.

أي أن ولايتي ثابتة لعلي عليه السلام، ثم أراد منهم أن يدعوا الله تعالى معه بعد أن رفع بيد علي حتى بان بياض أبطيها، فقال صلى الله عليه وآله: «اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، وانصر من نصره واخذل من خذله».

الخامسة: مبايعة القيادات البارزة.

ثم أمرهم صلى الله عليه وآله خصوصاً عليّة القوم منهم أي الذين لهم شخصية اعتبارية وهم طلائع المجتمع، وهم مكانة أن يبايعوا علياً عليه السلام بالإمامة والولاية على المسلمين، فبايع ذووا الحل والعقد إذ لا يستطيع أحد أن يتخلف في هذا الموقف بعد أمره ص بالمبايعة حتى قال بعضهم: "يا علي أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة"^(١) أي أن الولاية بعد رسول الله صلى الله عليه وآله الثابتة له صلى الله عليه وآله بالقرآن هي لك يا بن أبي طالب.

لماذا كل هذه الدلالات؟

إن النبي صلى الله عليه وآله يستشرف المستقبل ويعلم أن في الأمة بعض ممن يؤول حديث الغدير لكن تأويله سيكون ساقطاً لا اعتبار له، وبالفعل جاء من قال إن معنى المولى في اللغة هو ابن العم، والنبي صلى الله عليه وآله قال للمسلمين في الغدير علي هو ابن عمي، وهذا الكلام لا قيمة له أمام جمع يربو على مائة ألف أو يزيدون في رمضاء هجير وشدة حرارة تصل إلى أكثر من خمسين درجة، لأن أي حكيم لن يصدر منه ذلك الفعل، فكيف به صلى الله عليه وآله، ولو فعله أحدنا لاستهجن منه

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ٢١ ص ٣٨٨.

ذلك، لذا لا يليق أن نسندَه للرسول ﷺ، وقالوا أيضاً: إنّ معنى المولى الناصر، ويريد ﷺ أن يقول إنّ علياً عليه السلام ينصري، لا أحد يشك في نصرته الإمام عليه السلام منذ أن كان في مكة، فقد بات على فراشه ﷺ، وكفى بذلك نصرة، لذا فإنّ حمل المولى على الناصر لا يليق بكلامه ص بعد تلك القرائن في حديث الغدير، والحديث مبني للإمامة، يضع النقاط على الحروف، ويبين أنها اجتباء واصطفاء إلهي يقترن بنفس نبوة النبي ﷺ، لذا قال العلماء: "إنّها لطف إلهي كالنبوة" وعلي عليه السلام بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعد المصطفى ﷺ، وحديث الغدير مبناه الإمامة ومعناه قطع الألسنة.

حكمة النبي ﷺ من حكمة الله تعالى.

إنّ الأمر الذي أبرمه النبي ﷺ بحكمته لا يمكن أن يرده أحد، وإذا أشكل أحد عليه تبين بطلان إشكاله، وإن كان من العلماء، فمن نقض ما أبرمه ﷺ سيتضح جلياً فساد ما فعل، نعم هناك علماء لا يريد أن نصرح بأسمائهم حاولوا جاهدين أن يؤولوا حديث الغدير لكنهم لم يستطيعوا إلى ذلك سبيلاً فكان كلامهم سراباً لا قيمة له أمام حكمته ﷺ، فهي من حكمة الحق البالغة.

ولاية الإمام علي عليه السلام لا يمكن إنكارها

لقد أصبحت ولاية الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وولاية أبنائه البررة المعصومين بحديث الغدير وحديث الثقلين كالنار على المنار بل كالشمس في

رابعة النهار، لا يستطيع أحد أن يؤولها ولا يستطع أن ينكر سندها، ومن ناقش في سندها فهو حاطب ليل لأن النبي صلى الله عليه وآله تحدث أمام المسلمين من شتى أقطار الأرض، وعدد من روى حديث الغدير أكثر من مائة وعشرة من الصحابة، نعم شكك في ذلك من انحرفت سليقته، فأصبح مصداقاً لقوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتَمَّ نُورُهُ، وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (التوبة: ٣٢) لقد جاءت دول تمتلك الكثير من الإمكانيات وسخرت إعلاماً هادراً وصحافة وشعراء وأدباء لإخفاء الوهج الساطع للغدير غير أنها لم تؤثر على ألقه.

عظمة يوم الغدير

إن عيد الغدير هو أعظم عيد للمسلمين، وقد عبر عنه الإمام الصادق عليه السلام «بعيد الله الأكبر وبيوم العهد المعهود والميثاق المشهود»^(١) فهو يوم عظيم عند الله تعالى، لأن النقاط وضعت فيه على الحروف فأصبحت الإمامة كالرياضيات $١ + ١ = ٢$ في الجزم بمعطياتها.

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ٩٤ ص ١١٦.

الفصل الرابع

السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام

مكانة السيدة الزهراء عليها السلام

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ (الأحزاب: ٣٣) صدق الله العليُّ العظيم.

الزهراء في القرآن والسنة:

تدعونا ذكرى استشهاد الصديقة الزهراء عليها السلام إلى وقفة تأمل في الأحداث التي واكبت حياة هذه السيدة الجليلة، وما نتج عن ذلك، وهذا ما يوصلنا إلى المنهج الحق عند الصديقة الزهراء عليها السلام وبالتالي يكشف لنا مكانتها السامية، ورتبتها العالية، وقد تظافرت الأحاديث بعد آي الذكر الحكيم لتبيان هذه المكانة الرفيعة، وآية التطهير في مقدمة الآيات القرآنية التي أبرزت طهارتها وعصمتها، ولقد تجلى علو شأنها للعيان عندما دعاها النبي صلى الله عليه وآله الطاهرين،

وخصّصها من بين النساء جميعاً، لتكون معه في مباهلة نصارى نجران ، وقد أبان الذكر الحكيم ذلك في قوله تعالى: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكٰذِبِينَ﴾ (آل عمران: ٦١)، وفي القرآن الكريم آيات أخر تحدثت عن عِظَم مكانتها عليها السلام.

تألق الزهراء في حديث النبي صلى الله عليه وآله:

عندما نتتبع الأحاديث المروية عن النبي صلى الله عليه وآله في حقها، نجدده صلى الله عليه وآله، يُكنّيها بأُم أبيها، ويُقدِّمها بنفسه ، وبالإضافة إلى ذلك وردت أحاديث مشهورة، تبرز فضلها، كالحديث الوارد عن النبي صلى الله عليه وآله ، الذي قال فيه: «فاطمة بضعة مني يسخطني ما يسخطها ويرضيني ما يرضيها»^(١) والحديث الشريف متواتر نقله، عن النبي صلى الله عليه وآله ، ونُقل في أصح مصادر الفريقين ، فهو موجود في صحيح البخاري^(٢) وفي غيره من الصحاح لدى الطائفتين (السنة والشيعية) ، وحتى نسبر غور هذا الحديث، نحتاج أن نغوص في أعماق مضامينه، إنَّ كون الزهراء عليها السلام بضعة من النبي صلى الله عليه وآله ، مما لا شك فيه ولا ريب لأنَّها ابنته.

غاية الأمر يختلف المؤرخون والباحثون، هل أن النبي صلى الله عليه وآله، له بنات، غير الزهراء ، أو أن بقية البنات هم من هالة، أخت السيدة خديجة ، ثم ضمت بقية البنات إليها، لكون الخالة أمّاً، كما أن العم أبٌ؟

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ٢٩ ص ٢١٢.

(٢) في صحيح البخاري للبخاري ج ٤ ص ٢١٠، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني).

اختلف الباحثون في هذا المجال، فبعضهم قال: إن بقية بنات النبي ﷺ هم من هالة، وقال بعضهم: إنهم بنات النبي ﷺ، والذي يهمننا هو ما جاء في هذا الحديث العظيم من تبيان، لمكانة الصديقة الزهراء ﷺ، لأنه لو كان للنبي ﷺ بناتٌ غير الصديقة الزهراء ﷺ، فلم ترد أحاديث في فضلهم، مثل ما جاء من الأحاديث في فضائل الصديقة الزهراء ﷺ، مما يكشف لنا مكانتها السامية، التي تختلف عن بقية بنات النبي ﷺ الطاهرين، أما معنى «ان الله يغضب لغضب فاطمة، ويرضى لرضاها»^(١): فهو بيان لعصمتها صلوات الله وسلامه عليها، ونحن لا نقول بعصمة الصديقة الزهراء ﷺ فقط، بل كل الأنبياء والرسل عصمهم الله تعالى، كما أن أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين معصومون من الرجس الظاهر والباطن بموجب آية التطهير، ولكن الحديث عندما قال: «ان الله يغضب لغضب فاطمة، ويرضى لرضاها»^(٢) فهو يحدثنا عن المستقبل، ويبين لنا ما يحدث على الصديقة الزهراء ﷺ، وأنها رضىت وغضبت عن كثير من الأمور، ورضت عن بعض الأشخاص وغضبت على بعضهم، وأن غضبها هو غضب الله تعالى، كما أن رضاها هو رضا الله تعالى، وإذا كان غضبها غضب الله، فينبغي أن لا نقتدي بمن غضبت عليه، بل نقتدي بمن رضىت عنه. وهذا بالدقة ما يفصح عنه

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ٢١ ص ٢٧٩.

(٢) نفس المصدر السابق.

النبي صلى الله عليه وآله الطاهرين في قوله «ان الله يغضب لغضب فاطمة، ويرضى لرضاها» وهو تبيان فارق أساسي وجوهري بين نهجين مختلفين:

١- منهج يمثل رضا الزهراء عليها السلام ونهج علي وآل علي عليهم السلام.

٢- منهج يمثل غضب الزهراء عليها السلام، فهي كانت غاضبة على المنهج الآخر، الذي لا تمثله مدرسة علي وآل علي عليهم السلام.

ولذا فإن الحديث كما يبين مكانة الصديقة الزهراء عليها السلام يفصح عن مسألة الإمامة والقُدوة، ومسألة المنهج المتبع الذي ترضى عنه الزهراء عليها السلام، فيرضى عنه الباري تعالى، والمنهج الذي تغضب عليه الصديقة الزهراء عليها السلام هو مورد لعدم رضا الباري، بل مورد لسخطه وغضبه جلّ وعلا.

الفرق بين المحبة والمودة:

إن النبي صلى الله عليه وآله لا يريد أن يبين أن الزهراء عليها السلام هي ابنته فقط، ولكنه يريد أن يفصح عن مجموعة من الحقائق، من أهمها وأعظمها أهمية، الإتياع الصادق والحقيقي لمنهج أهل البيت، وهو ما ركّز عليه القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ (الشورى: ٢٣)، تختلف المودة عن الحب، فبعض الناس قد يقول: إنه مُحِبٌّ لأهل البيت عليهم السلام.

الحُب: هو ميل نحو المحبوب. وأما المودة: فهي الإتياع والافتقار لأثر المحبوب بالإضافة إلى الميل القلبي.

وهذا ما يريده القرآن الكريم، لأن المحبة لا تكفي لأهل البيت عليهم السلام، بل

بالإضافة إلى محبتهم لا بد من الاقتداء بهم، والسير على خطاهم، وأما قول الإنسان بقلقة اللسان أنا من أتباع أهل البيت عليهم السلام، ثم لا يعلم حقيقة منهج أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في الجانب العقدي، والفقهية، والتفسيري، والأخلاقي، والسلوكي، وطريقة التعامل مع الناس، فهذا القول والادعاء للمحبة، لا يستفيد منه. وللأسف، فإن بعض الناس، قد يعرف عن غير أهل البيت أضعاف ما يعرفه عنهم عليهم السلام، ويدل هذا على بعده عنهم وعن منهجهم. والنتيجة التي توصلنا إليها، هي أن الذين يرتبطون بأهل البيت، لا يكتفون بالمحبة بل لا بد من الإتيان والافتاء لأثرهم عليهم السلام.

كيف نستفيد من الذكريات الإسلامية؟

هذه المناسبات العظيمة، وذكريات أهل البيت عليهم السلام، التي تمر علينا، تجعلنا، نقف متأملين فيما ورد عن المعصومين عليهم السلام، لنقتفي منهجهم وتبع طريقهم، ونستلهم من سيرتهم الدروس النظرية والعملية، التي توصلنا إلى السعادة الأبدية في الدنيا والآخرة. وبالتالي نحقق مفهوم الإحياء الوارد عن المعصومين عليهم السلام: «أحيوا أمرنا يا فضيل، فرحم الله من أحيوا أمرنا»^(١). والمراد منه الإحياء العملي، لفكرهم ومنهجهم، والمتمثل في اقتفاء أثرهم، والتخلق بأخلاقهم.

(١) ميزان الحكمة للريشهري ج ١ ص ٣٩٩، قال الإمام الصادق عليه السلام - لفضيل -: تجلسون وتحدثون؟ قال: نعم جعلت فداك، قال: (إن تلك المجالس أحبها، فأحيوا أمرنا يا فضيل، فرحم الله من أحيوا أمرنا، يا فضيل! من ذكرنا أو ذكرنا عنده فخرج من عينه مثل جناح الذباب غفر الله له ذنوبه ولو كان أكثر من زبد البحر).

هل نحن شيعة؟

قد أبان إمامنا الحسن عليه السلام حقيقة التشيع، لمن يميل لأهل البيت ويُضمّر لهم المحبة والمودة ولكنه لا يتبعهم الإتياع التام والكامل. فقال عليه السلام - في جواب رجل قال له: إني من شيعتكم -: (يا عبد الله إن كنت لنا في أوامرنا وزواجرنا مطيعاً فقد صدقت، وإن كنت بخلاف ذلك فلا تزدد في ذنوبك بدعواك مرتبة شريفة لست من أهلها، لا تقل: أنا من شيعتكم، ولكن قل: أنا من مواليكم ومحبيكم ومعادي أعدائكم، وأنت في خير وإلى خير)^(١).

فقد فرق الإمام عليه السلام بين من ينتحل التشيع لأهل البيت وبين المحب.

المحبة: هي مجرد عاطفة، ولكن انتحال التشيع، يعني: الاقتفاء والاقتراء لمنهج أهل البيت في الفقه والعقائد، وكلنا نعرف أن حقيقة التوحيد التي جاءت عن علي عليه السلام في (نهج البلاغة)، أو فسرّها إمامنا الرضا عليه السلام في (عيون أخبار الرضا عليه السلام)، تختلف عن المناهج الأخرى لبيان التوحيد، كذلك حقيقة العدل الإلهي، وهكذا تفسير القرآن على ضوء منهج أهل البيت عليهم السلام، الذي يمتاز عن ما جاء في المدارس الأخرى.

لذا نحن في هذه المناسبة وفي غيرها، نتعلم درس المودة الذي يعني: الإتياع الجاد والهادف والقائم، على أسس العقل والنقل الصحيح الذي ورد عنهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

(١) ميزان الحكمة للريشهري ج ٢ ص ١٥٤٠.

وأخيراً، إذا أردنا أن نكون من أتباع أهل البيت، لا بد أن نتأمل كثيراً، في قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «ان الله يغضب لغضب فاطمة، ويرضى لرضاها»^(١).

الخصائص المعنوية للصديقة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ

قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ (الأحزاب: ٣٣). وقال نبينا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿فاطمة بضعة مني﴾^(٢) «ان الله يغضب لغضب فاطمة، ويرضى لرضاها»^(٣). صدق الكريم.

تشير الأحاديث الواردة عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والتطبيقات العملية التي كان يجسدها صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الخارج إلى اهتمام خاص من لدن النبي بالصديقة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ، لما لها من مكانة سامية ومرموقة، وذلك، من خلال الخصائص التي امتازت بها عن غيرها من النساء، بل، وعلى الرجال أيضاً، ماعدا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأهم تلك الخصائص:

الأولى: فاطمة سيدة نساء العالمين.

قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث نقله الفريقان: «فاطمة سيدة نساء العالمين»^(٤)

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ٢١ ص ٢٧٩.

(٢) بحار الأنوار للمجلسي ج ٣٧ ص ٦٦.

(٣) بحار الأنوار للمجلسي ج ٢١ ص ٢٧٩.

(٤) مناقب الإمام أمير المؤمنين للكوفي ج ٢ ص ١٩٧.

قيل: يا رسول الله هي سيدة نساء عالمها؟ فقال صلى الله عليه وآله: «ذاك لمريم بنت عمران، فأما ابنتي فاطمة فهي سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين»^(١).

الثانية: فاطمة أول من يلتقيه ويودعه النبي صلى الله عليه وآله

جسد النبي صلى الله عليه وآله اهتماماً خاصاً في علاقته الارتباطية بها، ونقل التاريخ أنه صلى الله عليه وآله عندما كان يريد أن يخرج من المدينة في غزوة من الغزوات أو في سرية من السرايا أو يدخل ساحة حرب، فإنّ آخر لقاء يجعله بالصديقة الزهراء عليها السلام وكان أول شخص يلتقي به عند مجيئه ودخوله في المدينة هي الزهراء عليها السلام، وهذا التطبيق العملي للنبي صلى الله عليه وآله في خروجه من المدينة وفي دخوله إليها، لإعطاء تميز لهذه السيدة الجليلة.

الثالثة: فاطمة من أهل البيت في آية التطهير.

الأمر الآخر الذي كان يجسده صلى الله عليه وآله بالنسبة للصديقة الزهراء، هو التطبيق العملي لآية التطهير عليها، وذلك، بطريقتين:

الأولى: ما ذكره المؤرخون من أنّ النبي صلى الله عليه وآله جمع أهل بيته، وهم علي وفاطمة والحسن والحسين، وقال: «اللهم إن هؤلاء أهل بيتي وخاصتي وحماتي أهل بيتي وخاصتي لحمهم لحمي، ودمهم دمي، يؤلمني ما يؤلمهم، ويحزنني ما يحزنهم، أنا حرب لمن حاربهم، وسلم لمن سالمهم، وعدو لمن

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ٣٧ ص ٨٥.

عاداهم، ومحب لمن أحبه»^(١) وقد طبق النبي ﷺ مصداقية آية التطهير على هؤلاء في أكثر من موضع؛ منها، في بيت أم سلمة، وفي بيت زوجته زينب بنت جحش، وأيضاً بين نسائه، وكذلك، بين أصحابه. وهناك أحاديث متواترة رويت من لدن الفريقين تُدلل على تطبيق النبي ﷺ لآية التطهير على هؤلاء دون سواهم، بل، هناك حوارات دارت بين النبي ﷺ وبعض نسائه تُدلل على خروجهن من الآية؛ فقد قالت أم سلمة رضي الله عنها: «أولست من أهل بيتك يا رسول الله؟ فقال لها ﷺ: أنت على خير، ثم نهاها عن الاقتراب من الكساء والدخول تحته، وهكذا، بالنسبة لزينب بنت جحش.

الثانية: الربط بين الصلاة وأهل البيت، وذلك من خلال ما يقوم به النبي ﷺ بعد خروجه لصلاة الفجر حيث كان يقف في كل يوم لمدة ستة أشهر أو سبعة أشهر أو ثمانية أشهر أو تسعة أشهر، على باب علي وفاطمة، فيقول هكذا: «الصلاة أهل البيت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ ﴿الأحزاب: ٣٣﴾»^(٢) وفي حديث الإمام الباقر عليه السلام: «بنى الإسلام على خمس الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم شهر رمضان والولاية لنا أهل البيت، فجعل في أربع منها رخصة، ولم يجعل في الولاية رخصة، من لم يكن له مال لم تكن عليه الزكاة، ومن لم يكن له مال فليس عليه

(١) موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام - لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام - ص ٧٦.

(٢) بحار الأنوار للمجلسي ج ٢٥ ص ٢٣٧.

حج، ومن كان مريضاً صلى قاعداً، وأفطر شهر رمضان، والولاية صحيحاً كان أو مريضاً أو ذا مال أو لا مال له فهي لازمة»^(١) فالولاء لأهل البيت عليهم السلام أعظم فريضة افترضها الله تعالى، والنبي صلى الله عليه وآله ربط بين الصلاة وبين الولاء لأهل البيت عليهم السلام.

هناك نظرية رائعة وجميلة لعالم نفسي روسي تسمى نظرية القرن الأكيد؛ مضمونها أن اقتران أي معنيين يُحدث علاقة ارتباطية بينهما؛ وعندما يذكر أحدهما ينتقل الذهن بشكلٍ أو توماتيكي إلى الآخر، ولذلك، عندما نفهم حقيقة الصلاة، فلا بد أن نتعرف على الولاء لأهل البيت عليهم السلام، وعندما نفهم الزكاة، فإننا لا بد أن نتعرف على الولاء لأهل البيت عليهم السلام، وهكذا بقية فروع الدين، والنبي صلى الله عليه وآله أبان للمسلمين هذه العلاقة الارتباطية بين أحكام الإسلام وبين الولاء لأهل البيت عليهم السلام.

الرابعة: فاطمة تشارك في الحوار العقدي.

قام النبي صلى الله عليه وآله بمباهلة نصارى نجران بأهل بيته عليهم السلام، فأخرج الصديقة الزهراء عليها السلام ويختلف هذا التطبيق عن سائر التطبيقات؛ لأنه يؤكد على أن إثبات الإسلام كشرية لأهل الأديان الأخرى يتوقف على أهل البيت عليهم السلام، فإذا أردت أن تحاور أهل الأديان الأخرى، فلا يمكن أن توصلهم إلى حقانية الإسلام إلا إذا ربطته بأهل البيت عليهم السلام، ويدل على ذلك ما روي في التاريخ

(١) وسائل الشيعة للحر العاملي ج ١ ص ٢٣.

من أن المأمون جمع رؤساء أهل الأديان، مثل رأس الجالوت ورأس الجاثليق وكبير الصابئة وبقية أهل الملل والنحل، الذين يمثلون أعلى سلطة دينية في تلك الأديان وأكبر الشخصيات العلمية في المجتمع؛ فرأس الجالوت في التعبير اليهودي يعني رأس الكهنة اليهودي، وهو كبير الحاخامات، وأما رأس الجاثليق فهو رئيس الكاثوليكية المسيحية، وأما الصابئة فهم طائفة من أهل الأديان الموجودين في العراق وإيران وبعض المناطق الأخرى، ويقولون إنهم أتباع لنبي الله يحيى عليه السلام وعندهم كتاب مقدس، وهم طائفة قليلة جداً، لكن مازال لهم وجود في مناطق من إيران كالأهواز، وفيهم شخصيات كبيرة وعلماء. وكان هدف المأمون من اجتماعهم عنده أن يبين عجز الإمام الرضا عليه السلام، ليحرجه علمياً أمام هؤلاء، وكان الإمام عليه السلام ملتفتاً إلى النية المبطنة للمأمون وهدفه، لذا، صرح لبعض أصحابه قائلاً لهم: أتعرفون متى يندم المأمون؟ عندما تنتهي المناظرة، ثم قال: ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فلما اجتمع الإمام بهم جلس في المناظرة مستمعاً للحديث الذي يدور في المجلس، حيث سُئل كبير الكهنة ورأس الجاثليق: بماذا تريد أن تناظر الإمام الرضا؟ فقال: لا أريد أن أناظره؛ لأني لا أعترف بنبوة محمد صلى الله عليه وآله، فبماذا أناظره؟ فهو يعترف بنبوة موسى عليه السلام وأنا لا أعترف بنبوة محمد صلى الله عليه وآله، وكلانا نتفق على نبوة موسى عليه السلام، وأنا وإياه نرجع إلى الصواب الذي نتفق عليه، ونترك المشكوك الذي لم نتفق عليه، وهو نبوة النبي محمد صلى الله عليه وآله. فأجابه الإمام

بجواب يحمل لطائف ودقائق، أنقل لكم أول لطيفة منه، قال عليه السلام: نحن لا نعترف بنبوّة موسى إلا التي قال بها القرآن، وذلك أنّ موسى عليه السلام غير موجود الآن، وليس هناك دليل على وجود موسى أو عيسى إلا القرآن، ولولا أنّه تحدث عن هؤلاء الأنبياء لاعتبروا أساطير صاغها بعض الناس، وبالتالي لولا حجية القرآن وعظمته لم يثبت لنا شيء، (ويشير الإمام عليه السلام إلى معنى دقيق عندما قال: إنني أوّمن بموسى الذي تحدث عنه القرآن، يعني به أن إثبات نبوة موسى تتوقف على ثبوت نبوة النبي صلى الله عليه وآله، وهذا إعجاز من الإمام الرضا عليه السلام)، ثم أراد الإمام أن يتحدث معهم بلغاتهم، فتحدث بالعبرية (السرّانية) وبلغّة الصابئة الخاصّة، وتحدث كذلك مع أصحاب الملل والنحل الأخرى بلغاتهم، ويبين هذا سعة علم الإمام الرضا عليه السلام ومعرفة باللغات المختلفة والكتب السماوية، وهذا ما يؤكده قول الإمام: إنني أحتج عليكم من كتبكم كما أنزلت على أنبيائكم فهو عليه السلام يعلم بالتوراة كما أنزلت على موسى عليه السلام، وبالإنجيل كما أنزل على عيسى عليه السلام وبصحف إبراهيم التي أنزلت على إبراهيم عليه السلام^(١)، ثم أتى الإمام عليه السلام بالنصوص الدينية حتى دُهِش الجميع مما ذكره، فقال كبار العلماء

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ١٠ ص ٣٠٧، ورد في المناظرة: التفت الرضا عليه السلام إلى رأس الجالوت فقال له: تسألني أو أسألك؟ فقال: بل أسألك، ولست أقبل منك حجة إلا من التوراة، أو من الإنجيل، أو من زبور داود، أو بما في صحف إبراهيم وموسى، قال الرضا عليه السلام: (لا تقبل مني حجة إلا بما تنطق به التوراة على لسان موسى بن عمران، والإنجيل على لسان عيسى بن مريم، والزبور على لسان داود).

من اليهود والنصارى: كُنَّا نظن أنه لا يوجد في المسلمين من يحيط بالكتب المقدسة علماً، ولم نكن نتصور أن هؤلاء يحيطون ويتقنون كل اللغات التي أنزلت بها الكتب السماوية.

لقد كان مجلس المأمون عام يضم جميع الطوائف، حيث كان في هذه الجلسة عمران الصابئ الذي كان حواراه معه يدور عن الله تعالى، وأورد الإمام الحجج على إثبات وجود الله وعلى اتصاف الباري تعالى بصفات الكمال وتنزهه عن صفات النقص، فلما سمع تلك الحجج اهتز بكل وجوده وخرَّ لله ساجداً وتشهد بالشهادتين. والنتيجة التي نصل إليها هي أن النبي ﷺ في هذا التطبيق العملي قرن بين ثبوت الإسلام وإثباته بالصديقة الزهراء، كما قال تعالى: ﴿وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ﴾ (آل عمران: ٦١).

ماذا نعني بأهل البيت ﷺ؟

لا بد أن نلتفت إلى مسألة في غاية الأهمية، وهي أن المراد من أهل البيت في آية التطهير غير ما يراد به في المعنى العام، فكل شخص ينتسب إلى هاشم - جد النبي ﷺ - نطلق عليه بأنه سيد أو من أهل البيت، وهذا معنى عام، وأما المعنى الخاص لأهل البيت فالمقصود منه الأربعة عشر معصوماً، فإذا قلنا: (أهل البيت) بالمعنى الخاص، فلا يدخل فيه غيرهم؛ لأن المصداق لأهل البيت بالمعنى الخاص هم المعصومون الأربعة عشر ﷺ. وبالطبع، يبقى لكل من ينتسب إلى النبي ﷺ وذريته التكريم والإجلال والتبجيل، ولكن لا يشملهم المعنى الخاص لأهل البيت.

مقامات أهل البيت عليهم السلام في النصوص الدينية.

إن هذه المرتبة لأهل البيت عليهم السلام هي مكانة، ومقام وجودي، وعصمة واصطفاء واجتباء إلهي تحدث عنه القرآن، ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران: ٣٣) وقال تعالى أيضاً: ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (آل عمران: ٣٤). وهذا النحو من الاصطفاء والاجتباء والاختيار لا يخضع للمعايير المادية، وليس اعتبارياً، وإنما يجتبي الله تعالى لوجود الأهلية في ذلك المجتبي، ويصطفى لوجود الأهلية في ذلك المصطفى. لذا، ركز القرآن الكريم في آياته على مقامات أهل البيت عليهم السلام الرفيعة، قال تعالى: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ سَبِيلٍ﴾ (الرعد: ٤٣). والروايات والزيارات الواردة عنهم عليهم السلام دلت على أن تلك المكانة لا يبلغها، نبي مرسل، ولا ملك مقرب، ولا صديق ولا شهيد، وهذا ما جاء على لسان الإمام المهادي عليه السلام في الزيارة الجامعة: «فبلغ الله بكم أشرف محل المكرمين، وأعلى منازل المرسلين، حيث لا يسبقه سابق، ولا يطمع في إدراكه طامع؛ حتى لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا صديق ولا شهيد ولا عالم ولا جاهل ولا فاضل صالح ولا فاجر طالح ولا خلق فيما بين ذلك شهيد، إلا عرفهم جلاله أمركم، وعظم خطركم، وكبر شأنكم، وتمام نوركم، وصدق مقاعدكم»^(١) هذه مكانة ومرتبة من المراتب العالية مختصة بهم عليهم السلام.

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ٩٩ ص ١٣٠.

لماذا تعامل النبي ﷺ مع الزهراء بهذا التعامل؟

هناك تساؤل في غاية الأهمية يستوقف الإنسان، وهو هل هذه التطبيقات العملية التي كان النبي ﷺ يطبقها على الصديقة الزهراء ؑ كانت لمحض العاطفة المجردة أو أنّ هناك ربط تكويني بين الوجود المقدس للصديقة الزهراء وبين الشريعة الإسلامية؟

لا ريب أنّ هناك ربطاً تكوينياً بين الوجود المقدس للصديقة الزهراء وبين الشريعة الإسلامية، لأنّ النبي ﷺ لا تؤثر عليه العواطف والأحاسيس؛ وهذا ما أكدّه القرآن في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ إِن هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (النجم: ٤٣). وفي هذه المناسبة العظيمة التي تمر علينا بميلادها ؑ لا بد لنا من إحياء هذه الذكرى بما يتناسب معها، لأنها من أعظم المنح الإلهية على البشرية جمعاء، وهي كيوم تنصيب أمير المؤمنين ؑ، الذي جسّد كمالاً للدين وإتماماً للنعمة ورضاً للرب تعالى.

السيدة الزهراء ؑ نبع النبوة وفيض الإمامة

قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۗ﴾ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ۗ﴾ (٢) شَانِعَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ۗ﴾ (الكوثر: ٣-١) صدق الله العلي العظيم.

أهمية الجانب العقدي.

ورد في فضل الصديقة الزهراء ؑ كثير من الآيات والأحاديث التي توضح معان لها ربط بالجانب العقدي في شخصية المسلم، إذ يحتاج المسلم أن

يعي عقيدته بعمق، وقد اهتم القرآن الكريم بالأمر العقدي اهتماماً كبيراً، فسورة التوحيد ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ (الإخلاص: ١)، تتحدث عن توحيد الله وبعض آيات القرآن تتحدث عن الرسالة وما له ربط بالنبوة بنحو عام، أو ما يرتبط بالنبوة بنحو خاص، وبعض آي القرآن الأخرى تتحدث عن مفردات عقدية خاصة كعلم الله تعالى أو قدرته، والروايات الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله والأئمة من أهل البيت عليهم السلام على نسق ما تقدم، فبعضها أوضح فيها النبي صلى الله عليه وآله معان لها ربط وثيق بالجانب العقدي بأسلوب بسيط وميسر، يفهمه جلُّ الناس، بالتأمل والربط بين الأحاديث، إذا لم يختزل الحديث بجعله على حده دون ربط مع الأحاديث الأخرى فهم المعنى صحيحاً.

مكانة الزهراء في الأحاديث.

بعض ما ورد من أحاديث في الصديقة الزهراء عليها السلام وقع مشاراً للإشكال ممن لا يعي الحقائق أو يحمل أغراضاً في نفسه دون فقهٍ للمعاني العميقة لمذهب أهل البيت عليهم السلام، ولعل من ضمنها الأحاديث التي تبين فضلها عليها السلام وتشير إلى مكانتها الكبيرة من جهة، وارتباط ذلك بالجنة العقدية لشخصية المسلم من جهة أخرى، ومن غرر تلك الأحاديث، الحديث القدسي، «لولاك لما خلقت الأفلاك، ولولا عليٌّ لما خلقتك، ولولا فاطمة لما خلقتكما»^(١).

فقد تصور بعض من لا يعي العمق في الفكر المترابط للإسلام أن الحديث

(١) مستدرک سفینه البحار للشاهرودي ج ٣ ص ١٦٩.

يشير إلى أن الزهراء عليها السلام أفضل من علي عليه السلام وأفضل من أبيها صلى الله عليه وآله، وكذلك يشير إلى أن علياً عليه السلام هو أفضل من النبي صلى الله عليه وآله غير أن الأمر ليس كذلك، والحديث لا يشير إلى هذا المعنى من بعيد أو قريب، إذ أن جميع المسلمين يؤمنون بأن النبي صلى الله عليه وآله هو أفضل الكائنات على الإطلاق، ولا يُداني في رتبته، فهو أفضل من جميع أنبياء الله ورسله، وأفضل من أوصيائه من الأئمة عليهم السلام ومن ابنته الصديقة الزهراء عليها السلام، وكذا الأمر في علي عليه السلام، فهو نفس النبي صلى الله عليه وآله فيكون أفضل من الصديقة الزهراء عليها السلام.

تأملات في الحديث القدسي.

غير أن الحديث الآنف الذكر يبين أن الله تعالى خلق الخلق لغاية، هي وصوله إلى السعادة والكمال، وكل عوالم الوجود خلقها الله تعالى من أجل الوصول إلى كمالها، وكمالها يتوقف على معرفة الله تعالى، لتحظى بالسعادة، جاء في الحديث القدسي، ﴿إِنَّمَا خَلَقْتُ الْخَلْقَ لِيَرْبِحُوا عَلَيَّ، وَلَمْ أَخْلُقْهُمْ لِأَرْبِحْ عَلَيْهِمْ﴾^(١) أي ليرفلوا في نعمه، ويستفيدون منها لا أنه تعالى يستفيد منهم، وقد أبان القرآن الكريم هذا المعنى، ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾

(الطلاق: ١٢)، أي أن الله تعالى خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن، ليعلم هذا المخلوق أن الله على كل شيء قدير، وأنه يحيط بكل شيء علماً، والهدف من

(١) جامع السعادات للنراقي ج ١ ص ٢٢٨.

الخلق هو إيصاله إلى معرفة الله تعالى بقدر استطاعته، وإذا وصل إلى المعرفة نال السعادة، وحظى بالرحمة الإلهية المستمرة، هذا هو هدف الخلق.

المعرفة طريق الوصول للكمال.

غير أن الغاية لا تحصل طفرة وإنما تحصل على وفق سلسلة من عوالم العلل والمعاليل يترتب بعضها على بعضها الآخر، ومن جملة الأمور التي يترتب عليها وصول الخلق إلى الكمال المعرفة، فالله تعالى خلق الخلق على نحو أكمل وفي أحسن تقويم، ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (التين: ٤)، فأودع لديه العقل الطاقة الهائلة، غير أن العقل وحده لا يكفي للوصول إلى الكمال، بل منحه الله تعالى الأنبياء والرسل للوصول إلى معرفة الله تعالى التامة حسب ما لديه من طاقة واستعداد.

الوصول إلى الكمال بالنبى صلى الله عليه وآله.

ويتضح بما تقدم معنى (لولا أن الله تعالى خلق الرسل لما خلق الخلق) حيث أن الله تعالى خلق الخلق للوصول إلى السعادة والوصول إلى السعادة لن يكون إلا بالمعرفة ولن تحصل المعرفة المرادة إلا بأنبياء الله تعالى ورسله، لذا، يصبح معنى الحديث القدسي: لولاك يا محمد لما خلقت الخلق - جلياً وواضحاً فلن يصل الخلق إلى كماله إلا بوجود النبي صلى الله عليه وآله باعتباره أكمل مخلوق.

حفظ رسالة الأنبياء بالأوصياء.

الأنبياء والرسل لهم أوصياء هم الحفظة لديمومة رسالاتهم، والحفاظ على

الرسالة من أهم الأمور التي تضمن سعادة الإنسان باستمرار المعرفة السليمة، وقد ورد هذا المطلب في الذكر الحكيم ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ (الرعد: ٧)، فالرسول منذر وهناك أوصياء لكل نبي يحفظون رسالاته لئلا تضيع، ومن أهم الحفظة لرسالة النبي ﷺ الأئمة من أهل البيت عليهم السلام، وبهذا يتضح معنى، «لولاك لما خلقت الأفلاك»، لأن الخلق لن يصل إلى السعادة إلا بالنبي فهو ﷺ المحقق للمعرفة، والمعرفة التامة لا تتأتى إلا عبر، «لولا علي لما خلقتك»، لأن رسالة النبي ﷺ لن تحفظ إلا بوجود الأوصياء.

الواسطة بين الإمامة بالنبوة.

والحديث الآنف يفصح عن معنى عقدي عميق هو ارتباط الإمامة لأهل البيت عليهم السلام بالنبوة للمصطفى ﷺ وارتباط النبوة بإمامة أهل البيت عليهم السلام، ثم يبين لنا معنى جد هام، وهو أن همزة الوصل في ربط النبوة بالإمامة هي الصديقة الزهراء عليها السلام، وهي عليها السلام في الحديث - «ولولا فاطمة لما خلقتكما» - همزة الوصل بين نبوة النبي وإمامة الأئمة من أهل البيت عليهم السلام فيصبح المعنى لا كما تصور بعض من لا فقه له من أن الحديث يشير إلى أفضلية فاطمة على النبي ﷺ وعلى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، بل معنى الحديث ما أوضحناه، وهو أن خلق الخلق لأجل المعرفة حتى يحظى بالسعادة، والمعرفة لا تتأتى إلا بنبوة النبي ﷺ، والنبوة لن تحفظ إلا بالأئمة من أهل البيت عليهم السلام، والربط بينهم عليهم السلام وبين جدتهم ﷺ بالصديقة الزهراء عليها السلام.

الارتباط بالزهراء عليها السلام نجات.

هناك أحاديث أخرى تشير إلى هذا المعنى، يرتبط بعضها بعالم الآخرة بتبيان أن الحفاظ على المعنى العقدي الذي أوضحناه يوجب النجاة للإنسان في عالم الآخرة، قال النبي صلى الله عليه وآله: «إني سميت ابنتي فاطمة، لأن الله عز وجل فطمها وفطم من أحبها من النار»^(١) والمراد بالحب هنا هو المودة، قال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ (الشورى: ٢٣) أي الإتياع والسير في الصراط المستقيم.

فاطمة بهجة قلب النبي.

وفي حديث آخر ورد عن النبي صلى الله عليه وآله قال فيه: «فاطمة بهجة قلبي»، أي أنه صلى الله عليه وآله يبتهج ويصل إلى سروره ولا يصل الإنسان إلى الابتهاج إلا إذا تحقق له ما يريد، ووصل إلى مآربه، والوصول إلى المآرب وتحقيق المراد بينه النبي صلى الله عليه وآله، بأن الزهراء عليها السلام «فاطمة بهجة قلبي وابناها - الحسن والحسين صلى الله عليه وآله - ثمرة فؤادي»، هذه الثمرة والغرس الذي غرسه النبي صلى الله عليه وآله للحفاظ على رسالته إنما يكون بإمامة الأئمة من أهل البيت عليهم السلام، ثم قال صلى الله عليه وآله: «وبعلها نور بصري»، والمراد بنور بصره صلى الله عليه وآله نور بصره برسالته التي يهتدي بها الخلق إلى الحق تعالى، «والأئمة من ولدها أمناء ربي وحبل ربي ممدود بينه وبين خلقه - أي أن من اعتصم بالحبل بين

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ٤٣ ص ١٢.

الله تعالى وبين الخلق - من اعتصم بهم نجا ومن تخلف عنه هوى»^(١).

أهل البيت طريق الوصول إلى الحق.

إذن الأحاديث توضح معنى عقدياً، وهذا المعنى العقدي من لم يأخذه من الطريق الذي رسمه الله تعالى وهو طريق أهل البيت عليهم السلام لن يصل إليه، والحديث لا يجعل علياً أفضل من النبي صلى الله عليه وآله وهناك إشكالات أخرى تتضح بجمع الأحاديث الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله وعن أهل البيت عليهم السلام مع آيات القرآن ليتبين معناها.

الزهراء عليها السلام منبع الخير المعنوي

قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ ۝٢ وَأَحْسِرْ ۝٣﴾ (الكوثر: ١-٣). صدق الله العلي العظيم.

الكوثر في الآية.

هذه السورة المباركة في مقام الامتنان على نبينا صلى الله عليه وآله، أي أن الله تعالى يمتن على نبيه بأن أعطاه الكوثر، وهو الخير الكثير، وفسرت الروايات الكوثر بأنه الصديقة الزهراء عليها السلام، وتبنى هذا الرأي السيد الطباطبائي في تفسير الميزان، وغيره من المفسرين، وهو أفضل الآراء لسبب نزول السورة على الرسول صلى الله عليه وآله في مقام الرد على من وسمه بالأبتر.

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ٢٣ ص ١١٠.

الزهراء عليها السلام مصداق الخير الكثير.

ولنا وقفات حول هذا الامتنان الذي امتن به الحق تعالى على نبيه صلى الله عليه وآله، إنَّ الله تعالى أعطى نبيه صلى الله عليه وآله خيرات كثيرة لا حد لها، إلاَّ أنه عبّر عن إعطائه الصديقة الزهراء عليها السلام له صلى الله عليه وآله بالخير الكثير، دون ما سواه من الأمور التي أُعطيت للنبي صلى الله عليه وآله، وإيضاح هذا المطلب يحتاج تبيان بُعدين هامين:

الأول: البعد العقدي في شخص الزهراء عليها السلام.

الزهراء عليها السلام هي همزة الوصل بين مقامي النبوة والإمامة، ولعل ذلك هو السر الذي أُشير إليه في حديث الكساء بكونها عليها السلام المحور، جاء في الحديث لإجابة السؤال عمن تحت الكساء، (هم فاطمة وأبوها) ^(١) فهي عليها السلام محور الربط بين مقامي النبوة والإمامة، وهذا مطلب غاية في الأهمية باعتبار أهمية الجانب العقدي في شخصية الإنسان، فإذا آمن بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وعلم أنَّ الإسلام عقيدة ونظام يشمل جوانب الحياة، فإنَّ إيمانه بهذه المفردات الإيمانية يُسهم في دعائم العقيدة السليمة التي يتحقق بها الثبات والاستقرار في شخصية السائر في طريق الحق تعالى، والجانب العقدي جد هام تترتب عليه جوانب مختلفة في شخصية الإنسان لأنَّ العقيدة هي الركيزة الأساس والهيكل العام، ولعل هذا هو السر في التعبير بالكوثر عن الصديقة الزهراء عليها السلام لدخالة العقيدة في شخصية من انتمى إلى الإسلام

(١) موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام - لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام - ص ٧٨.

فأمن بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وأدرج العلماء بحثي النبوة والإمامة تحت مطلب واحد لأن النبوة والإمامة لطف خاص يقرب الإنسان إلى الحق تعالى.

الثاني: البعد المعنوي في شخصية الزهراء عليها السلام.

إيضاح ما يرتبط بالبعد المعنوي في شخصية الصديقة الزهراء عليها السلام يحتاج إلى وقفات ثلاث:

الأولى: في الجانب العبادي.

والثانية: في الجانب التربوي.

والثالثة: في الصبر لارتباطه بإيصال الإنسان إلى الكمال، وسنستعرضها تباعاً:

الجانب العبادي في حياة الزهراء عليها السلام.

عبر القرآن الكريم عن بعض الأنبياء بأنهم عباد للحق تعالى ﴿وَكَاُنُوا لَنَا عٰبِدِينَ﴾ (الأنبياء: ٧٣)، أي أن الجانب التعبدية في شخصية الأنبياء والرسل بارز بمعنييه العام والخاص، فالعام أن كل حركة وسكون تستند إلى الله تعالى من الناحية التشريعية، والخاص بأن المرء لا بد أن ينقطع إلى الله تعالى في العبادة بالدعاء والتوسل والابتهاال، ونؤكد هنا على الجانب الخاص لأهميته في شخصية الإنسان، فهذه الجنبه إذا لم تترسخ في ذاته تعرض إلى انحراف وقد يضل الطريق، إذن العبادة محور أساس في شخصية المرء، والصديقة الزهراء عليها السلام لها سمة بارزة

في الجانب العبودي بمعناه الخاص، وقد أشارت الروايات إلى ذلك بأنها قامت لله تعالى حتى تورمت قدمها، هذه عبودية بالمعنى الخاص وانقطاع إلى الله تعالى، ويشكل هذا المعنى حصانة في شخصية الإنسان، فإذا انقطع إلى الله تعالى بالدعاء والابتغال، وقيام الليل في ظلمات الأسحار استطاع أن ير الأشياء برؤية سليمة خصوصاً إذا جمع بين العبادة والفكر.

الجانب التربوي في حياة الزهراء عليها السلام.

وهو بعد هام في شخصية المرأة وإن كان له أهمية في شخصية الرجل أيضاً غير أنه يرتبط بالمرأة بنحو أوثق لكونها المدرسة الأولى للأبناء، وكانت الزهراء عليها السلام في عبوديتها لله تعالى تعطي دروساً ثرة بالعبر، أوضحت ذلك عندما سأها الإمام الحسن عليه السلام عن عبادتها ودعائها للناس، في قيام الليل فأجابت: «بُنَيَّ؛ الجارُ ثم الدار»^(١)، هذا جانب تعليمي، تبين فيه الصديقة الزهراء عليها السلام بأن إيصال الخير للآخرين يبدأ بالدعاء والتعلق بالله والإلحاح عليه تعالى أن يدفع عنهم البلاء، وأن يكتب لهم الخير، وبذلك تتلاشى الإنية لدى الإنسان، ويتنفي الشح عن نفسه، فيؤثر الآخرين على نفسه، والصديقة الزهراء عليها السلام أعطت لأبنائها بل للناس كافة هذا الدرس العظيم، بقولها: «بُنَيَّ؛ الجارُ ثم الدار»^(٢) أي أنّ على الإنسان أن يعطي الآخرين قبل نفسه، وما

(١) وسائل الشيعة للحر العاملي ج ٧ ص ١١٣.

(٢) المصدر السابق.

أروعه من درس تربوي ينبغي للأمهات أن يتعلمنه منها عليها السلام، وتعبير القرآن الكريم عنها بالكوثر لأنها خير كثير في عبادتها وفي علمها ودروسها التربوية التي تعطيها الآخرين.

الصبر في مواقف الزهراء عليها السلام.

أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بالصبر، قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ (الأحقاف: ٣٥)، والصديقة الزهراء عليها السلام صبرت صبراً عظيماً، جاء في زيارتها عليها السلام تصريح بهذا الدرس، «يا ممتحنة؛ امتحنتك الله الذي خلقك قبل أن يخلقك فوجدك لها امتحنتك صابرة»^(١).

يعطي الصبر معنى لشخصية الإنسان ويحتاج إليه المرء في العبادة وفي الحوادث والمصائب، وفي التعامل مع الآخرين تجاه زلاتهم بل في كل مفردات الحياة ذلك أتمها مملوءة بالإشكاليات والأحداث والصبر هو القاعدة السليمة للتغلب على كل ذلك، والصديقة الزهراء عليها السلام جسدت أعظم معانيه فقد صبرت على الأذى في أبيها، وكانت أمّاً رؤوفاً له صلى الله عليه وآله وسلم، ولم يؤذ أحد بمثل ما أؤذي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم: «ما أؤذي أحد مثل ما أؤذيت في الله»^(٢) أي أن الأنبياء عليهم السلام لم يتحملوا من الأذى كما تحمل صلى الله عليه وآله وسلم، وأؤذيت في أمها وفي نفسها أيضاً، وتحملت المصائب في أولادها فما جرى على أولادها من المصائب لا

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ٩٧ ص ١٩٤.

(٢) ميزان الحكمة للريشهري ج ٤ ص ٣٢٢٧.

يتحمل في العادة، ويبرز هنا صبرها فليس في جنبه واحدة كما يحصل لبعض الناس عندما يصاب بمصيبة فيصبر، بل قد لا يصبر فيجزع ويضعف ويصاب بانتكاسة، فكيف بمن جُمعت عليه المصائب وتحولت حياته إلى آلام وشدائد وكان الأذى في الأب والنفس والولد، والهال، أي أن أنواعاً من البلاء صبت على الصديقة الزهراء عليها السلام، ومع ذلك كانت صابرة، «يا ممتحنة امتحنك الله الذي خلقك قبل أن يخلقك»^(١) أي كان الامتحان معد ومقدر في عالم الرقائق (عالم الأرواح) قبل خلق النشأة المادية، «قبل أن يخلقك فوجدك لما امتحنك صابرة»، أي في عالم النشأة المادية، لأنّ الصبر في ذلك العالم صورة للامتحان، والامتحان يصبح فعلياً في عالم المادة ويأتي دور الصبر والتحمل والرضا بما قسمه الله تعالى.

شمولية الخير الكثير في الزهراء عليها السلام.

عبر الحق تعالى عن الصديقة البرة أم أبيها بالكوثر أي الخير الكثير، وذلك لبيان عدم انحصار الخير في جنبه محددة فليس الخير الكثير في الجانب التربوي أو الأخلاقي كالصبر الذي ذكرناه، أو العقدي فحسب بل أنّ حياتها عليها السلام دروس وعبر أينما يضع الباحث يده على جنبه يجدها تمثل العظمة بكل ما للكلمة من معنى.

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ٩٧ ص ١٩٤.

الزهراء عليها السلام ضمان التطبيق وحصانة من التحريف

قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾
(الشورى: ٢٣). صدق الله العلي العظيم.

مكانة الزهراء عليها السلام في الإسلام.

عندما ينظر المسلم أو الباحث حتى إذا كان من غير المسلمين يجد عدة من آي القرآن والأحاديث الكثيرة نزلت في شأن الصديقة الزهراء عليها السلام - إما بنحو عام لكونها من أهل البيت عليهم السلام أو بنحو خاص - كان التركيز فيه على شخصيتها، ويتعجب المرء بادئ ذي بدء من كثرة الأحاديث الدالة على رفعة مكانتها وعظم شأنها، كيف جاءت؟ وماذا تريد أن توجه المسلمين إليه؟ قال النبي صلى الله عليه وآله: «فاطمة بضعة مني»^(١) أي هي جزء منه صلى الله عليه وآله وقال صلى الله عليه وآله مخاطباً لها عليها السلام: «يا فاطمة، إن الله تبارك وتعالى ليغضب لغضبك، ويرضى لرضاك»^(٢) فالزهراء عليها السلام لها مكانة لا تضاهى عبّر عنها النبي صلى الله عليه وآله بأمر أبيها، ويقف المرء متأملاً في معنى كونها عليها السلام أمّاً لأبيها، فماذا يريد ص أن يوضحه في كونها أمّاً له صلى الله عليه وآله؟! وماذا يقصد بأمومتها؟! وقد جاءت أحاديث كثيرة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام في شأنها تشير إلى نفس ما جاء عنه صلى الله عليه وآله في عظمة السيدة الزهراء عليها السلام.

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ٣٧ ص ٦٦.

(٢) أمالي الشيخ للصدوق ص ٤٦٧ - ٤٦٨.

أنواع التحريف.

الرسالات السماوية التي سبقت رسالة النبي صلى الله عليه وآله حرفت، والتحريف له أنحاء متعددة بالزيادة تارة وبالنقصان ثانية وتغيير المفهوم عما ينطبق عليه
ثالثة.

أخطر أنواع التحريف.

أشد وأعظم أنماط التحريف الموجب للضلالة هو النمط الأخير بتحريف الآيات والروايات عن مدلولها وعما يراد أن تنطبق عليه، فرسالة عيسى عليه السلام أكدت على نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وآله وقد ذكر القرآن ذلك، قال تعالى: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِيهِ مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾، وعندما نرجع إلى بعض الأناجيل في عصرنا نجد أن البشارة لا زالت على حالها لم تتغير، غير أن المرء يتعجب لماذا لا يؤمن المسيحيون بالإسلام؟ ثم يعلم أن السبب هو التحريف، لقد حرفوا الأناجيل، وغيروا بعضها لكن بعضها الآخر لا تزال البشارة بنبوة نبينا صلى الله عليه وآله موجودة فيه، أكد المسيح عليه السلام على الرسالة الخاتمة التي تنتشل البشرية جمعاء وتوصلها إلى الله تعالى محققة لها سعادة الدارين، وكان ينبغي أن يؤمن المسيحيون بأجمعهم لكنهم لم يؤمنوا والسبب يرجع إلى التحريف، إذ غيروا المصداق فلم يؤمن المسيحيون به صلى الله عليه وآله تبعاً لذلك التحريف، وقد جرى التحريف لبعض الأحاديث رغم حرصه صلى الله عليه وآله على إيضاح الأمور بنحو لا لبس فيه.

تحريف الحقائق الشرعية.

أكد النبي ﷺ ضمن إعطائه خصائص لبعض أصحابه من الخيرين كخزيمة ذي الشهادتين، وسلمان أنه من أهل البيت عليه السلام، قال عليه السلام: «سلمان منا أهل البيت»^(١)، وعمار، قال عليه السلام: «تقتله الفئة الباغية»^(٢) وأبو ذر، حيث قال عليه السلام: «ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء ذاهجة أصدق من أبي ذر»^(٣) فهو صادق اللهجة، إنَّ قوله عليه السلام لعمار «تقتله الفئة الباغية» أي الضالة التي تحارب الحق وتكيد الإسلام، وتهدم أسس الشريعة، وقد خرج عمار مع الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في حرب صفين وقاتل إلى جنبه عليه السلام فقتل، قتله معسكر معاوية وأهل الشام، وعندما قُتل اضطرب معسكر معاوية لأنَّ الحديث كان متواتراً مشهوراً، وقال الكثير إنَّ معسكر معاوية على ضلالة لأنَّ النبي ﷺ قال لعمار «تقتله الفئة الباغية» الضالة التي تحارب الإسلام، غير أنَّ معاوية لا تنقصه الخبرة في الدهاء، قال لمعسكره لم يقتل عماراً بل قتله علي بن أبي طالب، لأنَّ القتل له معنيان، القتل المباشر، وقتل التسبب وعلي بن أبي طالب هو الذي أخرجه وسبب قتله، وهو عليه السلام الباغي، وهذا تحريف بحرف الحديث عن انطباقه على معناه الحقيقي، وأكثر الناس لا يفقهون العمق المراد من الأحاديث، ويصعب عليهم معرفة فقه الحديث ومدلوله ولم يشكل أحد على

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ٢٠ ص ١٩٨.

(٢) بحار الأنوار للمجلسي ج ٣٣ ص ٧.

(٣) بحار الأنوار للمجلسي ج ١٠ ص ١٢٣.

معاوية قائلاً إذا كان هذا المنطق صحيحاً فمعنى ذلك أن النبي صلى الله عليه وآله قتل الحمزة، لأنَّ السبب في إخراجه إلى أحدٍ هو صلى الله عليه وآله، بل أن كل من قتل مع النبي صلى الله عليه وآله كان هو السبب في قتله، وكل من قتل مع الأنبياء والرسل هم السبب في قتلهم، إنَّ هذا المعنى من التحريف قد ينطلي على كثير من الناس ويبقى الانطلاء طويلاً تتلقاه الأجيال بالقبول، وله آثار، منها القول بأنَّ (سيدنا معاوية قتل سيدنا حجر)، فالقاتل والمقتول جيدان وهذا تحريف لحقائق الشريعة، فلا يعرف الحق من الباطل، إنَّ قول سيدنا الوحشي قتل سيدنا الحمزة لا ينبغي وهو تحريف، والنبي صلى الله عليه وآله أراد أن يقطع دابر الفتنة.

دور النبي في مواجهة التحريف.

النبي صلى الله عليه وآله حتى عند غير المسلمين دقيق النظر، وهو مؤيد من السماء، ولا يمكن للمنهج الإلهي والخطة الربانية التي تنتشل الإنسانية وتهدىها إلى الله تعالى أن تغلب بالمحرفين الضالين الذين أرادوا غلبة الحق وإرادة الأنبياء والرسل، فإرادة الحق تعالى هي الغالبة وإنَّ مرَّ الناس بافتتان يصعب الخروج منه ويحتاج إلى صبر وتأمل، وجهاد في الذود عن الحق كي لا تحرف الرسالة، لذا لا بد من الصبر والتطبيق الدقيق لها إذ أنَّ من المعلوم أنَّ الرسالات السماوية طُبقت بأشكال مختلفة وكلُّ يقول إنَّ الحق معه، وأراد النبي صلى الله عليه وآله أن يقرن رسالته بأهل البيت عليهم السلام كي يكون التطبيق دون انحراف بل في نهاية الدقة.

الجانب المعنوي للسيدة الزهراء.

تحدث صلى الله عليه وآله بأحاديث متعددة عن الصديقة الزهراء عليها السلام فقال: «بضعة مني» أي قطعة منه، فهي جزء من أبيها، ومن يعجب بالجانب الهادي ويتأثر به، يستفيد من قوله صلى الله عليه وآله: «بضعة مني»^(١) ووضع النبي صلى الله عليه وآله النقاط على الحروف بنحو أعمق، فقال: «يرضى الله لرضاها ويغضب لغضبها»^(٢) فرضا الحق مربوط برضاها عليها السلام عند الاختلاف، وهي عليها السلام فيصل بين الحق والباطل، وإذا رأى المسلم اختلافاً في موطن فليبحث عن رضا أهل البيت عليهم السلام عنه، ورضا الصديقة الزهراء عليها السلام يمثل رضا تعالى، وغضبها مصداق لغضبه تعالى، والنبي صلى الله عليه وآله أعطى البعد المعنوي الأعمق والأكبر لها ليفصح عن أنها لا تشبه عليها الأمور، فلم يقل إن رضا الله تعالى يرتبط برضاها في مورد خاص بل بنحو عام فأى اشتباه الفيصل فيه بين الحق والباطل الصديقة الزهراء عليها السلام.

أهل البيت وتطبيق للإسلام.

ربط النبي صلى الله عليه وآله التطبيق الدقيق للإسلام بشخصيات مقدسة، فذكر بعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من أهل البيت عليهم السلام إلى الاثني عشر، ورد ذلك في مصادر الفريقين، وعند الاختلاف لا بد أن يرجع إلى مصاديق غاية في الوضوح ويدرك ذلك من نظرٍ باعتدال وموضوعية أما من لا يريد معرفة

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ٣٧ ص ٦٦

(٢) أمالي الشيخ الصدوق ص ٤٦٧ - ٤٦٨.

الحق وليس بمستعد فيعتقد أنّ الكل مقدس القاتل والمقتول، ويرى أنّ الصحابة كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم، ومنهج الإسلام التفريق بين الحق والباطل والضلالة والهدى والمنهاج المستقيم وعند الاختلاف قال صلى الله عليه وآله: «علي مع الحق والحق مع علي يدور معه حيثما دار»^(١) ومن أراد أن يعرف الحق مع أنّ معرفته ليست بالأشخاص إلا أنّ النبي صلى الله عليه وآله شخص ذلك ودل على أنّ أهل البيت عليهم السلام لا يقاس بهم أحد أما غيرهم فمحل إشكال، قال صلى الله عليه وآله: «الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا»^(٢) والإمامة لها موازين تزيل آثار الاختلاف بقتل الصالحين ولا يقال إنّ الحق تبع للأقوى فمن سيطر على مقاليد الحكم فهو الإمام، إنّ الإمام الحسن عليه السلام اختلف مع معاوية، وأصبحت القضية السياسية والإمرة بيد معاوية، وسلبت عن الحسن عليه السلام فلم يكن بيده إدارة سياسية، والإمامة منصب رباني لا يتأثر بالتعدي عليه سياسياً والأنبياء عليهم السلام كموسى لم يحصلوا على سلطة سياسية وحصل عليها فرعون، فهل السلطة السياسية تجعل فرعون على حق؟ إنّ الأمر يرتبط بمعادلات ربانية دقيقة، قال صلى الله عليه وآله: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وأنها لن يفرقا حتى يردا علي الحوض ما إن تمسكتم بهما لم تضلوا»^(٣).

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ١٠ ص ٤٣٢.

(٢) بحار الأنوار للمجلسي ج ٤٣ ص ٢٩١.

(٣) بحار الأنوار للمجلسي ج ٢ ص ٢٢٦.

حصانة المؤمن في الآخرة.

أراد النبي ﷺ أن يعطي المؤمن حصانة وأمناً في عالم الآخرة وذلك أن الإنسان مُعرّض للخطأ والزلل ويؤثر عليه ذلك في الآخرة فيعذب بالنار التي لا يقبل له بها، والإنسان يتوق إلى الأمان من أهوال الآخرة ويتحقق ذلك بإتباعه لأهل البيت ﷺ لأنّ الشريعة أحكام ومفاهيم وأسس تطبيقية يسير على ضوئها المسلم وتؤدي به إلى النجاة في الآخرة، قال ﷺ: «من مات على حب آل محمد مات شهيداً، ألا ومن مات على حب آل محمد مات مغفوراً له»^(١) أي أنه رغم اقتراف المؤمن لبعض الذنوب والخطايا غير أنّ سيره على الصراط السوي المستقيم يؤمنه من غوائل الآخرة ويعطيه حصانة من عذاب جهنم.

منهج وسبيل أهل البيت.

هناك مناهج في قبال منهج أهل البيت ﷺ وسبل في قبال سبيلهم، وعلى المسلم أن يختار السبيل الأقوم والصراط الأوضح ولا يكون ذلك إلاّ بإتباع محمد وآله ﷺ وما قيل إنّ أصحابه ص كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم، ليس بصحيح، فهم مختلفون؛ حدث بينهم القتل والتكفير، وليس هناك حصانة إلاّ لأهل البيت ﷺ الذي يدلون الناس على الحق والخير والهدى، لذا أكد النبي ﷺ منذ أول يوم بُعث فيه في حديث الدار، قال: «فأيكم يؤازرنى على

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ٢٣ ص ٢٣٣.

هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم»^(١) إلى آخر يوم، قال صلى الله عليه وآله: «أوصيكم بأهل بيتي خيراً»^(٢).

الثبات على منهج أهل البيت.

إن مناسبة الصديقة الزهراء عليها السلام ليست سهلة وعادية، بل غاية في الخطورة ذلك أن الإنسان لا يستطيع ضمان مستقبله الأخرى إلا بالسير على الصراط، والصراط واحد، قال تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (الفاتحة: ٦)، أما بقية النماذج فهي غير مرتضاه من قبل الحق تعالى، ومن أراد الضمان والموت شهيداً قد غفرت ذنوبه لا بد له أن يسلك طريق محمد وآله ع، ولا يستطيع أن يخالف ويضمن النجاة.

رضا الله لرضا فاطمة.

إن رضا الله تعالى مطلوب للمسلم ورضاه يرتبط بالإمامة والولاية، وهي مرجعية الإسلام الأصيل الذي أكدته النبي صلى الله عليه وآله في قوله: «يرضى الله لرضاها»^(٣) ولا يرتبط ذلك بالعاطفة، فالنبي صلى الله عليه وآله كان يخاف ويخشى أهل زمانه ذلك أن أهل كل زمان يفكرون بنحو طبيعي أن أي زعيم يريد أن يبني لأسرته مجداً بغض النظر عن الكفاءة لأفرادها، ويريد أن يؤكد على من ينتمي إلى بيته وكان النبي صلى الله عليه وآله يخشى العقلية الموجودة عند الناس فبين لهم أن المسألة مختلفة جذرياً.

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ٣٨ ص ٢٢٢.

(٢) المصدر السابق.

(٣) أمالي الشيخ الصدوق ص ٤٦٧ - ٤٦٨.

توريث النبي لأهل البيت.

لقد واجه صلى الله عليه وآله إشكالية صعبة وهي باقية إلى يومنا هذا، فأهل البيت عليهم السلام رغم أنهم أكمل الخلق ويرتبط بهم التطبيق الدقيق للإسلام، وبموالاتهم واتباعهم والافتداء بهم يصل المسلم إلى الله تعالى، غير أن الكثير يفكر رجوع ذلك إلى القبلية أو الأسرة وتأسيس الملك، وأنه صلى الله عليه وآله كان يبني ملكاً كما يبني غيره من السياسيين، وحتى يتخلص من الخشية والخوف على الرسالة عصمه تعالى، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْصُمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ (المائدة: ٦٧)، وأوكل صلى الله عليه وآله استيعاب ذلك بنحو تدريجي للبشرية، والمسألة غير مرتبطة بالأسرة والبيت بقدر ارتباطها بالتجذير الدقيق للدين والتطبيق المرضي عنه من الله تعالى، قال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ (الشورى: ٢٣)، فالرسالة لا أجر لها إلا المودة لقرباه، والمودة ليست بمعنى الحب بل بمعنى المنهاج العملي والاتباع لأهل البيت عليهم السلام.

رضا الزهراء آية السير على الصراط المستقيم

قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَحْسِرْ ۝٢ إِن شَاءَ رَبُّكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ (الكوثر: ١-٣) صدق الله العلي العظيم.
قال صلى الله عليه وآله: «فاطمة بضعة مني، فمن أغضبها أغضبني»^(١).

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ٣٧ ص ٦٦.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا فاطمة، إن الله تبارك وتعالى ليغضب لغضبك، ويرضى لرضاك»^(١).

وردت عن النبي صلى الله عليه وآله طائفة من الروايات لا بد أن يقف المسلم وقفة تأمل عندها ليرى معطياتها ومداليلها، منها قوله صلى الله عليه وآله: «يا فاطمة، إن الله تبارك وتعالى ليغضب لغضبك، ويرضى لرضاك»^(٢) فماذا يريد النبي صلى الله عليه وآله من هذا الحديث؟ من الواضح أن رضا الله تعالى لا يتبع أحداً، وأنه تعالى هو المؤثر في الوجود، لا يتأثر بغيره أي أن الخلق لا يؤثر في الحق، والتأثير التام للحق في الخلق.

علامة رضا الله تعالى

غير أن النبي صلى الله عليه وآله يفصح في هذا الحديث عن معنى آخر، هو أن صراط الحق ورضاه تعالى له علامة وينبغي للمسلم أن يتعرف عليها كي يتبع السبيل الإلهي ويصل إلى الله تعالى، لوجود طرق متعددة وسبل مختلفة، واحد منها يوصل المرء إلى الله ويحقق له رضاه تعالى وهو هدف الخلق.

الوصول إلى الأهداف.

ولكي نتعرف على معطيات الحديث نشير أن الله تعالى له برامج في خلقه، خلقهم لغاية بل أن العقلاء من الخلق لهم برامج في حياتهم، يسعون للوصول إلى هدف وتحقيق غاية، غير أن الوصول إلى الغاية وتحقيق الهدف يتطلب إتباع طرق

(١) أمالي الشيخ الصدوق ص ٤٦٧ - ٤٦٨.

(٢) أمالي الشيخ الصدوق ص ٤٦٧ - ٤٦٨.

واستخدام آليات ولا يمكن أن يصل الإنسان إلى الغاية المرجوة دون الأخذ بآليات تسهل الوصول إلى ما يتبعى، إذن برامج الحق تعالى في خلقه هي لإيصال الخلق إليه، ليحصلوا على رضوانه، ويتبوؤوا المكانة السامية في جنانه، أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام قل لعبادي: «لم أخلقكم لأربح عليكم ولكن لتربحوا علي»^(١).

الغاية من الخلق.

يبين القرآن الكريم الهدف والغاية من خلق الخلق، وبين الآليات والسبل التي توصل إليها، قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ (المؤمنون: ١١٥) أي أن الغاية من الخلق هي الرجوع إلى الحق والوصول إليه تعالى، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿الذاريات: ٥٦-٥٨﴾ والآية تبيان أن الوصول إليه تعالى يتأتى بعبادته التي تتطلب المعرفة وتؤدي إلى رضوانه تعالى، وتبوء المكانة السامية في عوالم الآخرة.

الدعاء طريق موصل للحق.

لقد أمر تعالى الخلق يدعونه ضارعين ليهديهم الطريق الموصل، قال تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (الفاتحة: ٦) يدعو المسلم الله تعالى أن يهديه الصراط المستقيم لأن غيره لا يفضي إلى الهدف، ولا يوصل إلى الغاية، قال تعالى:

(١) شجرة طوبى للحائري ج ٢ ص ٤١١.

﴿وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ﴾ (الأَنْعَام: ١٥٣).

طاعة الله تعالى في طاعة الرسول صلى الله عليه وآله.

ثم بين تعالى كيف يطاع ويُحصل على رضاه ومحبته، فقال تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ (النساء: ٨٠) أي أن طاعة الحق تعالى تكمن في الطاعة المطلقة لرسوله صلى الله عليه وآله، ومن أراد أن يطيع الله تعالى وأن يحصل على رضاه دون طاعة رسوله صلى الله عليه وآله، فلن يتحقق له ذلك، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي﴾ (آل عمران: ٣١) أي أن من أراد اتباع سبيل الهدى عليه أن يتبع المصطفى صلى الله عليه وآله، ليحصل على رضاه تعالى.

رضا الله تعالى في رضا الزهراء عليها السلام.

وقد جعل النبي صلى الله عليه وآله علامة رضا الله تعالى برضا ابنته عليها السلام، قال صلى الله عليه وآله: «يا فاطمة، إن الله تبارك وتعالى ليغضب لغضبك، ويرضى لرضاك»^(١) ومعنى «يرضى لرضاك» أي أن رضاها آية على كون المسلم يسير في الاتجاه الصحيح.

غضب الله تعالى في غضب الزهراء عليها السلام.

أما إذا لم ترض الزهراء عليها السلام فإن الآية التي وضعها المصطفى صلى الله عليه وآله لكون المسلم يسير في المسار النبوي لم تتحقق، وعلى المسلم أن يتعرف على كيفية الحصول على رضا الصديقة الزهراء عليها السلام.

(١) أمالي الشيخ الصدوق ص ٤٦٧ - ٤٦٨.

الوصول لرضا الزهراء عليها السلام

يتحقق الوصول لرضا الزهراء عليها السلام بإتباع بعلمها وأبنائها النجباء عليهم السلام، وقد صرحت في كلامها عليها السلام بهذا بعد أن بينت مسألة جد هامة، هي أن الأمة الإسلامية وصلت لها وصلت إليه بجهود مضنية، وتحقق لها الإنجاز الكبير ببركات المصطفى صلى الله عليه وآله، قالت عليها السلام: «فأنقذكم الله تبارك وتعالى بأبي محمد بعد اللتيا واللتية، وبعد أن مني بيهم الرجال وذؤبان العرب ومردة أهل الكتاب كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفالها الله أو نجم قرن للشيطان أو فغرت فاغرة من المشركين قذف أخاه في لهواتها فلا ينكفى حتى يطأ صماخها بأخمسه ويخمد لهبها بسيفه مكدوداً في ذات الله مجتهداً في أمر الله قريباً من رسول الله سيد أولياء الله مشمراً ناصحاً مجداً كادحاً»^(١).

ارتباط أهل البيت عليهم السلام بالنبي صلى الله عليه وآله

قولها عليها السلام: «فأنقذكم الله تبارك وتعالى بأبي محمد بعد اللتيا واللتية، وبعد أن مني بيهم الرجال وذؤبان العرب ومردة أهل الكتاب» تبيان لجهود مترابطة وحلقات يتصل بعضها ببعضها الآخر، والنبي صلى الله عليه وآله بعد اللتيا واللتية أي بعد الشدائد والجهود المضنية، ومواجهة بهم الرجال - الرجال الأشداء - وذؤبان العرب أي الوحوش المفترسة من العرب، ومردة أهل الكتاب الذين يمكرون برسوله صلى الله عليه وآله «وكلما أوقدوا ناراً للحرب أطفالها الله، أو نجم - أي طلع - قرن

(١) أعيان الشيعة للأمين ج ١ ص ٣١٦.

للسيطان أو فغرت فاغرة من المشركين» أي استعد المشركون لحرف الإسلام عن مساره، فإنه عليه السلام عندما تدهم الخطوب يتكأ على علي عليه السلام فيقذفه في لهوات الحرب، ليقضي على الباطل ويزيل الأدران التي تؤثر في المسار الإلهي، وكان عليه السلام الأسد الضرغام الذي يمتلك شجاعة ومهارة فهو عليه السلام طيبب شجاع يقابل الفرسان تارة ويداوي الناس تارة أخرى، يتصف عليه السلام بشجاعة ومهارة وحنكة تؤهله أن يطأ صماخها بأخصه، ويجعل العالي أسفل قدميه، ويحمد لهبها بسيفه، تشير عليه السلام إلى مطلب دقيق، هو أن القوم رفضوا علياً لقتله صناديد العرب، وشخصياتها الكبيرة، ولم يقبلوه للأفاعيل التي قام بها، وتبين عليه السلام أن ذلك مسار إلهي بدأه المصطفى عليه السلام واستمر عليه علي وأبنائه البررة إلى الإمام المهدي عليه السلام.

خصال الإمام علي عليه السلام والإمامة.

قولها عليه السلام: «مكدوداً في ذات الله» أي يتعب في ذات الله، ويبدل قصارى جهده دون توانٍ، لكونه «مجتهداً في أمر الله» والأفعال التي قام بها علي عليه السلام لاجتهاده في أمر الله تعالى، وقربه من المصطفى عليه السلام: «قريباً من رسول الله». ثم بينت عليه السلام السمة الكبرى وهي أنه «سيد أولياء الله» لتنبه عليه السلام على عدم رضاها بإتباع غيره لأن السمات لا تتوافر إلا في شخصيته عليه السلام لكونه «قريباً من رسول الله وسيد أولياء الله، مشمراً ناصحاً مجداً كادحاً» فهو عليه السلام في جد وكدح لإيصال الخلق إلى الحق.

ولم تكتف عليه السلام بذلك بل بينت أمراً غاية في الأهمية، فقالت عليه السلام: «ويجهم أنى

زحزحوها عن رواسي الرسالة وقواعد النبوة، ومهبط الوحي الأمين، والطبين بأمر الدنيا والدين، ألا ذلك هو الخسران المبين، وما نعموا من أبي الحسن، نعموا والله منه نكير سيفه، وشدة وطئه، ونكال وقعته، وتنمره في ذات الله عز وجل»^(١).

قولها عليها السلام: «ويحهم أتى زحزحوها عن رواسي الرسالة» الرواسي الجبال الشاخمة والتعبير غاية في البلاغة، فأئمة أهل البيت عليهم السلام هم قواعد النبوة، ومن اتبع غير سبيلهم فلن ترضى عنه، ورضاها علامة سير المسلم في الصراط المستقيم.

أسباب التفرق عن الإمام علي عليه السلام

قولها عليها السلام: «ومهبط الوحي الأمين والطبين بأمر الدنيا والدين» الأئمة من أهل البيت عليهم السلام وعلى رأسهم أميرهم إمامنا أمير المؤمنين عليه السلام أطباء حاذقين في أمر الدنيا والدين، ومن سار على غير هديهم فمصيره الخسران المبين.

ثم أوضحت عليها السلام سبب عدم إبتاعهم لعلي عليه السلام فقالت عليها السلام: «وما نعموا من أبي الحسن عليه السلام، نعموا والله منه، نكير سيفه، وشدة وطئه ونكال وقعته، وتنمره في ذات الله» فهو كالنمر تلقاه غاضباً من أجل تحقيق الهدف، والوصول إلى الغاية، والإمام عليه السلام تنمره ليس لشخصه بل لله تعالى.

إذن من أراد أن يتعرف على رضا الحق الذي جاء في مصادر الفريقين فلا يكفي أن يظهر الإسلام بل عليه أن يحصل على رضا الصديقة الزهراء عليها السلام: «يا

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ٤٣ ص ١٥٨.

الفصل الخامس

الإمام الحسن عليه السلام

قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ (السجدة: ٢٤) صدق الله العلي العظيم.

الدور الريادي للإمام الحسن عليه السلام في المجتمع الإسلامي

عاش الإمام الحسن عليه السلام في كنف جده المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، وقد وردت في حقه وفي حق أخيه الإمام الحسين عليه السلام كثير من الآيات القرآنية والأحاديث، من أبرزها قول المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم: «الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا»^(١).

ومع هذا الكم الهائل من الآيات والروايات التي تبرز الأبعاد الحقيقية في شخصيته عليه السلام، إلا أن الإعلام المضاد في زمنه عليه السلام أثر سلباً على مركز قيادته عليه السلام في النواحي الثلاث: (العقدية، والاجتماعية، والسياسية).

(١) عوالي اللئالي لابن أبي جمهور الأحسائي ج ٤ ص ٩٣.

تأثر أتباع الإمام الحسن عليه السلام بذلك فحدثت انتكاسات متعددة للأمة الإسلامية أدت بمجموعها إلى استشهاد الإمام الحسين عليه السلام، وإلى ظلم فادح لحق بأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

أهمية القيادة في المجتمع:

من هنا لا بد أن نقف لتأمل الأعلام المضاد وما استطاع أن يحدثه في المناحي الثلاث التي أوأنا إليها. وماذا ينبغي للمؤمن الرسالي أن يقوم به تجاه القادة؟ وقبل أن أوضح بعض الحثيات فيما تعلق بالإمامة أشير باقتضاب إلى أهمية القيادة.

أهمية القيادة:

كل مجتمع يحتاج لقادة في كل ناحية من النواحي، والقائد: هو من تتوافر فيه مجموعة من المواصفات يستطيع بها أن يكون رباناً للسفينة، من خلال الحنكة والحصافة في رأيه ويستطيع أيضاً أن يتقدم بالمجتمع في نواحٍ متعددة، بإمكاننا أن نسمي التقدم فيها تقدماً حضارياً، لاشك أن القادة الذين نصبهم الله تتوافر في شخصياتهم أسمى وأعظم تلك المعاني التي يتطلبها البشر، أما ما عداهم من الناس فيختلفون في توافر الصفات والسمات، ولو فرضنا أن الله لم ينصب قادة، فذلك لا يلغي حاجة المجتمع الهامة إلى وجود من يتفانى من أجل رقيه وتقدمه على جميع الأصعدة، حتى في النواحي الثانوية غير الجوهرية، أي في أي عمل من الأعمال، أما إذا لم يتوافر قائد فإن العمل

سيؤول إلى الفشل وسينتهي بشكل تدريجي، إذن وجود القائد يمثل مركزية أساسية في أي عمل من الأعمال، وقد وردت إشارة إلى ذلك في كلمة هامة لإمامنا أمير المؤمنين عليه السلام بين فيها ضرورة وجود القائد قال عليه السلام: «لابد للناس من أمير»^(١)، أي لابد للناس من قائد في كل ناحية من النواحي، ويعني هذا أن أي فئة أو جماعة من الناس تريد أن تقوم بعمل ما لابد لها من قائد، وإذا لم يتوافر القائد فمآل عملها الفشل، أي لابد لاستمرار العمل في التقدم المطرد أن يتوافر له قادة على الدوام، وفي فقها الإسلاميين عشرات من الروايات تؤكد أهمية وجود عالم، ومع عدم وجوده قال العلماء: بنظرية عدول المؤمنين -كما أشار إليها الأنصاري في المكاسب وغيره في غيره- أي مع عدم وجود العالم الذي تتوافر فيه المواصفات، لابد من رجوع الناس إلى ما نسميه بعدول المؤمنين ليتولى هؤلاء العدول القيادة في المناحي الاجتماعية المتعددة، وبذلك يستطيع الركب المدني أن يصل إلى شاطئ الأمان.

إذاً هناك أهمية جوهرية للقيادة حتى أن أعداء أي مجتمع إذا أرادوا أن يؤثروا على مسار تقدمه، فإنَّ أهم ما يقومون به هو ضرب القادة بنحوين:

الأول: التصفية الجسدية والإيذاء الجسدي.

المتابع للأحداث التي تمر بها الأمة الإسلامية خصوصاً في فلسطين التي تعرض أبنائها إلى أسوأ وأعنف التعامل غير الإنساني، بيد أنه يمثل

(١) نهج البلاغة - خطب الإمام علي عليه السلام - ج ١ ص ٩١.

استراتيجية معينة لليهود، لإحراز قصب السبق، لذلك فإن استشهاد العالم الكبير الشيخ أحمد ياسين رحمه الله يأتي ضمن هذا السياق، واليهود يريدون للفلسطينيين أن يتراجعوا للوراء من خلال ضرب القيادات المؤثرة في المجتمع الفلسطيني، ذلك ما نسميه بالتصفية الجسدية.

الثاني: تفرغ القائد من تأثيره المعنوي.

ويوازي هذا الأسلوب التصفية الجسدية في الرتبة إن لم يكن أخطر منها، وهنا نجد الدور المؤثر للإعلام المضاد، ويتجلى ذلك فيما حدث لإمامنا الحسن عليه السلام، حيث أن معاوية وعمرو بن العاص ومجموعة من الذين يمتلكون فكراً سياسياً مضاداً للحركة الإلهية آنذاك، استطاعوا أن يؤثروا على قيادة الإمام الحسن عليه السلام بإشاعة أن النزاع بينه عليه السلام وبين معاوية، وكذلك بين الإمام أمير المؤمنين ومعاوية لا يعود إلى الدين بل هو صراع قبلي، وقد تأثر بذلك كثير من الناس.

التأثير على قيادة الإمام من الناحية العقدية:

من خلال العرض الأنف الذكر ركز معاوية على أن صراعه مع الإمام الحسن عليه السلام يعود إلى الصراع بين أمية وهاشم، ويتمركز على المنطق القبلي، ويعني هذا أن كلاً من الأمويين والهاشميين يريدون الزعامة لأنفسهم، ولعل هذه النظرية لازالت موجودة إلى يومنا هذا، بمعنى أن غير المدرك لحقيقة قيادة أهل البيت عليهم السلام بأنها استمرار لرسالة المصطفى صلوات الله عليه وآله الطاهرين يصعب

عليه أن يفهم حقيقة النزاع بين معاوية والإمام أمير المؤمنين من جهة، وبين معاوية والإمام الحسن عليه السلام من جهة أخرى. وهذا تفرغ للنزاع من محتواه، وإذا استطاع الطرف الآخر أن يفرغ النزاع من محتواه فقد القائد الإلهي أهم نقاط القوة لديه لذلك شكك الناس في قيادة الإمام الحسن عليه السلام، بل حاول بعضهم أن يتآمر على الإمام عليه السلام وأرسل مجموعة منهم رسائل لمعاوية قالوا فيها إن أردت أن نسلم لك الإمام الحسن عليه السلام حياً فعلنا. وبهذا فرغ النزاع من محتو عقدي إلى صراع قبلي، وأثر ذلك على الجانب العقدي في الأمة، مما دعا كثيراً من الناس حتى من المقربين للإمام عليه السلام أن ينضم إلى جبهة الباطل بدلاً من الصراع في جبهة الحق كعبيدالله بن العباس الذي أصبح من جند معاوية بعد أن كان من القياديين لمعسكر الإمام الحسن عليه السلام.

التأثير على قيادة الإمام عليه السلام في الناحيتين السياسية والاجتماعية:

هناك تأثير على قيادة الإمام الحسن عليه السلام في الجانب السياسي، ذلك أنّ القيادة السياسية تعتمد على كفاءات ونظام، لذلك نجد في الانتخابات الحديثة أن كل مرشح يطرح برنامجاً يقدم فيه مجموعة من التصورات والأطر التي من خلالها يستطيع أن يخدم المنتخبين له، وهذا ما حصل آنذاك، فقد كانت هناك مجموعة من الأطروحات تضاد حركة الإمامين عليه السلام، لأن استمرار الإمام الحسن عليه السلام في القيادة هو استمرار لقيادة أبيه لكونه الوريث الشرعي له عليه السلام، وقد أشاع أعداء الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بعد تولي الإمام الحسن ع القيادة بأن

الإمام عليه السلام جعل الأمة تنتهي من حرب إلى أخرى. وبذلك قُدِّم التشكيك في قيادة الإمام الحسن عليه السلام لضرب الفكر السياسي الذي يستطيع أن يؤثر به الإمام عليه السلام تأثيراً بالغاً في جلب طاقات وقدرات الأمة لبناء الفكر الإسلامي الصحيح والتقدم الحضاري الذي ينسجم مع القيادة الربانية والإلهية لأهل البيت عليهم السلام، وبذلك لم تتفاعل الأمة (الجمهير) مع الفكر الأصيل وتفاعلت مع ما طرحه معاوية، وظهر ذلك من خلال استشارة الإمام عليه السلام للجمهير قبل إبرامه بنود الصلح حيث قال لهم: إن معاوية أرسل إليّ ورقة بيضاء موقعة بختمه، فما نريد أن نتفق عليه نكتبه له، بمعنى إبرام هدنة بين الطرفين أو صلح، فماذا ترون أنقاتله أو نبرم صلحاً؟ فكانت الأصوات تنادي الإمام الحسن عليه السلام: البقية البقية يا ابن رسول الله ^(١)، أي أن الناس يريدون الدعة والراحة ويغترون بالشعارات الجوفاء مما أثر على الفكر السياسي للإسلام الأصيل وعلى تقدم الحركة الاجتماعية التي يتبناها الإمام الحسن عليه السلام.

(١) الملاحم والفتن للسيد ابن طاووس ص ٣٦١-٣٦٢. ومن المجموع قال: لما وجد الحسن بن علي عليه السلام فترة من أنصاره... وكتب معاوية في طلب الصلح إليه وإلى أصحابه خطب خطبة منها: ما ثننا عن أهل الشام شك ولا ندم، وإنما كنا نقاتلهم بالسلامة والصبر، فشيبت السلامة بالعداوة، والصبر بالجزع، وكنتم في متدبكم إلى صفين، دينكم أمام دنياكم، فأصبحتم اليوم دنياكم أمام دينكم، ألا وإنا لكم كما كنا ولستم كما كنتم لنا، أصبحتم بين قتيلين: قتيل بصفين تبكون له، وقتيل بالنهروان تطلبون منا ثأره، والباقي خاذل، والباقي ثائر، ومعاوية يدعوننا إلى أمر ليس فيه عز ولا نصفة، فإن أردتم الموت، رددناه وحاكمناه إلى الله بظلمات السيوف، وإن أردتم الحياة، قبلناه، وأخذنا لكم بالرضى (فناداه الناس من كل جانب: البقية البقية يا بن رسول الله).

ماذا نستفيد مما طرحناه؟

ونستفيد من ذلك خصوصاً في عصرنا الحاضر عندما نقرأ أو نسمع في الإعلام المضاد ما يمس بقادتنا الإلهيين أنه ينبغي أن نستذكر تاريخنا السابق وأن لا نتأثر بالإعلام المضاد، رغم كون تأثيره على أذهان الناس يشبه السحر أي يستطيع الإعلام المضاد أن يجعل حاجزاً سميكاً بين القائد الإلهي وبين الشخصية المؤثرة والجمهير، إذن علينا أن نستذكر تاريخ أئمتنا ونستفيد من تلك الحركات المضادة والإعلام المضاد، وينبغي الانصياع لأوامر مراجعنا وعلماؤنا الأبرار والقادة الذين يمثلون النزاهة والطهارة والزهد والرأي الحصيف.

إضاءة من فكر الإمام الحسن عليه السلام

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ (الأحزاب: ٣٣).

ذكرى ميلاد الإمام الحسن عليه السلام تشع أنوارها فتأخذنا إلى أصالة الفكر والأخلاق والثقافة الإسلامية من خلال أروع الدروس التوجيهية التي كان الإمام عليه السلام يسديها للسائرين في طريق الله تعالى، كل درس من تلك الدروس هو مصدر للمعرفة السليمة والصحيحة وقبس من نور يستضيء به الإنسان في الطرق الحالكة في هذه الحياة الدنيا.

من أهم تلك الدروس، ما أفاده الإمام عليه السلام لبعض أصحابه بكلمات قصيرة تجمع كل ما يرتبط بشؤون الإنسان وحياته ضمن قواعد تسع:

الأولى: طهر نفسك كي تؤثر فيك العبادة.

قال عليه السلام: «إن من طلب العبادة تزكى لها»^(١).

لابد لمن أراد أن يكون عابداً لله أن يحقق شرائط العبودية، التي من أهمها تزكية النفس، إذ أن من لا يُزكي نفسه لن تؤثر عبادته الأثر المطلوب، وقد أوضح ذلك العرفاء في كلمات جميلة، قال العلامة الملكي التبريزي - أستاذ الإمام الراحل عليه السلام في علمي الأخلاق والعرفان - "إن من المجربات التي لا يُشك فيها أن العبادة من دون تزكية كالزراع في الأرض السبخة الذي لا ينبت، وكذلك العبادة في تأثيرها في نفس العابد دون تزكية لنفسه". أي أن من كانت أرضية نفسه سبخة، فإن عباداته لا تثمر، لأنه يعبد الله دون تزكية نفسه، وهو كالناقض لغرضه لن يستفيد من عباداته الفائدة المرجوة.

الثانية: قَدِّم الأهم على غيره.

قال عليه السلام: «إذا أضرت النوافل بالفريضة فارفضوها».

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ٧٥ ص ١٠٩، قال عليه السلام: إن من طلب العبادة تزكى لها، إذا أضرت النوافل بالفريضة فارفضوها، اليقين معاذ للسلامة، من تذكر بعد السفر اعتد، ولا يغش العاقل من استنصحه، بينكم وبين الموعدة حجاب العزة، قطع العلم عذر المتعلمين، كل معاجل يسأل النظرة، وكل مؤجل يتعلل بالتسويق

هذا مبدأ عام وهام وهو تقديم الأولويات، المؤمن في عباداته لله تعالى بين الأهم والمهم، الفرائض هي الأهم والنوافل هي المهم الذي يُشكل رافداً لإكمال الفرائض إلا أن كثيراً من الناس لا يعلم بأهمية أداء الفرائض على الوجه الصحيح، فيعتنى ببعض المستحبات ويُفَرِّط في العبادات المفروضة، بينما ينبغي للسائر في طريق الله طبقاً للتوجيه الصحيح الذي رسمه إمامنا الحسن عليه السلام والأئمة من أهل البيت عليهم السلام أن يهتم بالفرائض التي افترضها الله تعالى، قال الإمام الصادق عليه السلام: «من أتى الله بما افترض عليه لم يسأله عما سوى ذلك»^(١)، لا يُسأل المكلف عن النوافل وإن كانت تسد النقص في العبادات المفروضة، كما ورد ذلك في الروايات والشروح لعلمائنا الأبرار إلا أن الأهمية الكبرى تكمن في أداء الفرائض، وقد جاء هذا التوجيه عن أبيه أمير المؤمنين عليه السلام أيضاً.

الثالثة: أحصل على اليقين كي تسلم.

قال عليه السلام: «اليقين معاذ للسلامة».

من أراد أن يسلم في الدنيا والآخرة عليه أن يوصل نفسه إلى مرتبة الاطمئنان واليقين، لأنه ملجئ حصين للإنسان وهو معاذ سلامته النفسية والمعنوية الأهم من سلامة جسده بمراتب، وتتوقف هذه السلامة على أمرين:

(١) وسائل الشيعة للحر العاملي ج ٤ ص ٦٧.

الأول: الرقي المعرفي للإنسان.

يحتاج الإنسان إلى المعارف التي تشكل ركائز أساسية وهي أصول الدين ليصل فيها إلى مرتبة من الاطمئنان واليقين.

الثاني: العبادة.

ويحتاج أيضاً إلى العبادة، قال تعالى: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ (الحجر: ٩٩)، والآية تشير إلى وجود تلاقي بين الجانب المعرفي الذي يحصل عليه المرء عن طريق التأمل والتعلم والبراهين التي يُقيمها للوصول إلى معارفه مع طريق العبادة لله تعالى، وقد أشار كثير من العلماء إلى أنّ الإنسان لا يصل إلى اليقين بالتعلم والبرهان وحده بل يحتاج إلى اللجوء إلى الله عبر مفردات من العبادة، أهمها الدعاء والصلاة والتوسل بالصالحين.

الرابعة: تذكّر الآخرة.

قال عليه السلام: «من تذكّر بعد السفر اعتدّ».

التذكر على نحوين: تارة يمر على الإنسان دون أن يعطيه أهمية، وأخرى يلامس شغاف قلبه، أي يضرب الوتر الحساس في كُنه وجوده، ويسمي العلماء هذا النوع من التذكر بالاستعداد التام، وهو المؤثر الذي أشار إليه القرآن: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً﴾ (التوبة: ٤٦)، أي أنّ من يريد شيئاً لا بد أن يُعدّ له العُدّة ويؤهل نفسه لإدراكه والوصول إليه، أما إذا كان

تذكره مجرد خاطرة تمر عليه دون أن تؤثر في عمق وجوده فإنه لا قيمة له، والإمام عليه السلام لا يقصد الجانب النظري فحسب بأن يدرك الإنسان أن الطريق إلى الآخرة طويل يتطلب جهداً وتفريعاً لله، بل قصده عليه السلام الجانب العملي والاستعداد بالتأهب من لدن الإنسان.

الخامسة: الإخلاص في النصيحة.

قال عليه السلام: «ولا يغش العاقل من استنصحه».

يضع العاقل الأمور في مواضعها، وإذا طلب منه النصيحة يُسديها ويؤديها على طبق الموازين السليمة، ولأهمية النصيحة قال النبي صلى الله عليه وآله: «الدين النصيحة»^(١)، ولا بد أن يكون الناصح عاقلاً لديه حكمة وخبرة في المجال الذي يستشار ويستنصح فيه، لأن من لا يمتلك خبرةً وعقلاً فإن نصيحته قد لا تُفيد بل قد تُضر ضرراً بالغاً في بعض الأحيان.

السادسة: لا ترفع على نصائح الآخرين.

قال عليه السلام: «بينكم وبين الموعدة حجاب العزة».

يرى كثير من الناس مقاماً لنفسه، وبالتالي لا يسمع الموعدة التي يُسديها الآخرون إليه، ويعود السبب إلى الحاجز النفسي بينه وبين الآخرين، إذ يرى نفسه أرفع منهم مقاماً، وحينئذ لا استعداد له لقبول النصيحة، وهو ما عبر عنه الإمام عليه السلام بحجاب العزة، غير أن العالم السائر في طريق الله أي السالك

(١) مستدرک الوسائل للشاهرودي ج ١٣ ص ٣٢٧.

على طبق ما يُريده الشارع المقدس يهتم بالموعظة والنصيحة حتى وإن كانت من الأقل رتبة ومكانة ومستوى علمي، بل حتى وإن صدرت من غير مؤمن، وشاهد ذلك ما نجده في بعض الروايات من أن بعض الأنبياء استفاد من نصائح الشيطان، وذلك درس هام نقتبسه من الأنبياء عليهم السلام في الاستفادة من النصائح التي توصل إلى الخير والهدى وإن صدرت من الأعداء، إذ قد تجد بعض الناس لا يتأثر بالنصيحة إذا سمعها من غير أهلها، غير أنه ينبغي للإنسان أن يتواضع لكلمة الحق ويأخذ بها بغض النظر عن من صدرت، قال علي عليه السلام: «لا تنظر إلى من قال وانظر إلى ما قال»^(١)، نعم؛ إذا كانت النصيحة صادرة ممن استفاد منها عظم تأثيرها، لكن الطالب للحق يستفيد منها دون حجب وأستار بينه وبينها.

السابعة: تعلم ولا تتكاسل.

قال عليه السلام: «قطع العلم عُذر المتعلمين».

لا يصل المرء إلى المعرفة الصحيحة إلا عبر موازين علمية توصله إلى الاطمئنان واليقين، فيكون حُجة بينه وبين الله، وهناك آيات من القرآن الكريم وأحاديث متعددة تحض على أهمية طلب العلم بحيث لا يكون المرء معذوراً في تركه، وتبين أن من عمل دون هدى فإن أعماله لن توصله إلى الرشد ولن تؤدي به إلى السداد.

(١) ميزان الحكمة للريشهري ج ٣ ص ٢٠٨٢.

الثامنة: أنجز العمل في وقته ولا تطلب تأخيره.

قال عليه السلام: «كل معاجل يسأل النظرة».

إذا قيل لإنسان بينك وبين الوصول إلى إنهاء العمل وتحقيق الهدف دقائق محدودة طلب الإمهال والتأخير، ونحن في مسارنا إلى الله وإلى الآخرة نعاجل، وتمر علينا الأزمنة سراعاً وهي من أعمارنا، فإذا جاء الموت قال الإنسان ﴿رَبِّ أَرْجِعُونِي ۙ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا﴾ (المؤمنون: ٩٩-١٠٠)، لكنه طلب لا يفيد أبداً إذ لا يمكنه الرجوع إلى الدنيا.

التاسعة: لا تُسوف العمل إذا كان وقته لم يحن.

قال الإمام عليه السلام: «وكل مؤجل يتعلل التسويف».

من أراد أن يصل إلى مراده ويحقق بعض آماله عليه أن لا يُعلل نفسه بالتسويف إلى أن تفوته الفرص وتذهب آماله وطموحاته هباءً، بل عليه الاستعداد والسير على موازين الهدى والصواب وتقديم العمل كي لا تعاجله المفاجآت.

إنها توجهات تجسد رُشداً وسداداً وهدايةً من إمامنا الحسن عليه السلام.

مظاهر كرم الإمام الحسن بين السلوك والأهداف الاجتماعية

قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾

(الشورى: ٢٣) صدق الله العلي العظيم.

وقال صلى الله عليه وآله: «إنّ ابني هذا سيد»^(١) وفي رواية أخرى، «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة»^(٢).

تضفي ذكرى ميلاد الإمام الحسن عليه السلام في النصف من شهر رمضان على هذه الأيام المباركة سعادة وحبوراً وروحياً عاليةً، فحياة هذا الإمام العظيم حافلة بالدروس والعبر إلا أننا سنأخذ درساً من حياته عليه السلام يتناسب مع شهر رمضان المبارك مستوحى من خصلة عُرف بها عليه السلام وأصبحت عنواناً عريضاً في شخصيته الاجتماعية، إذ لُقّب بكريم أهل البيت لكثرة عطاياه وكرمه وجوده، واللقب الشريف له علاقة وثيقة بشهر رمضان باعتبار أنّ الرسول صلى الله عليه وآله والأئمة من أهل البيت عليهم السلام دأبوا على تعليم المسلم الرسالي العطاء والبذل في سبيل الله تعالى، وأن يبقى مصدراً للوجود والكرم بالخصوص في هذا الشهر الكريم، الذي يفاض فيه الكرم الإلهي على المؤمنين. تؤكد كتب الروايات والسيرة على أنّ الإمام عليه السلام كان يعطي كل حين، بل يغدق في عطائه على من سأله، وعلى من لم يسأله، فيُرسل عطاياه لمن لم يسأله.

أنماط كرم الإمام الحسن عليه السلام.

يعلّمنا الإمام عليه السلام في عطائه درساً نحن بأمس الحاجة إليه، لإخراج مجتمعنا الذي نعيش فيه من دائرة الفقر من خلال عدم الاكتفاء بالتكاليف

(١) عوالي اللئالي لابن أبي جمهور الأحسائي ج ١ ص ١٠٢.

(٢) ميزان الحكمة للريشهري ج ١ ص ١٥٢.

المالية الشرعية كالزكاة والخمس بأن يتعدى العطاء إلى دائرة أوسع، ليشمل كل أنواع المساهمة والدعم المالي لكل المشاريع الخيرية التي من شأنها رفع المستوى المعيشي والاجتماعي للفقراء والمعوزين، ولعله لذلك عبّر القرآن الكريم بالحق، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ (المعارج: ٢٤-٢٥)، وقد فسر إمامنا الصادق عليه السلام الحق المعلوم في الآية بقوله: «الحق المعلوم ليس الزكاة، وهو الشيء تخرجه من مالك إن شئت كل جمعة، وإن شئت كل يوم، ولكل ذي فضلٍ فضله»^(١).

الإمام الحسن عليه السلام جسد عملياً ما طرحته الآية السابقة من خلال أنماط وأنواع الكرم التي مارسها في ثنائية أخلاقية اجتماعية، ومن أهم تلك الأنماط لجوده عليه السلام:

الأول: التواضع والعاطفة الممتزجة بالسخاء.

تحدثنا كتب السيرة والروايات بأن الإمام عليه السلام مرّ ذات يوم على مجموعة من الفقراء الذين ابتلوا ببعض الأمراض فدعوه إلى مُؤاكلة، فنزل من على دابته وجلس يأكل معهم وقام بتقديم الطعام لهم، وبعد أن انتهى دعاهم إلى بيته في مأدبة خاصة، وبعد الفراغ منها أعطى كل واحد منهم عطية.

الثاني: الجزاء المضاعف.

ذكر المؤرخون مواقف متعددة للإمام الحسن عليه السلام توضح أسلوب مجازاته

(١) تفسير نور الثقلين للشيخ الحوزي ج ٥ ص ٤١٨.

لمن يُقدِّم الخير والعطاء بالأضعاف المضاعفة، رُوي أنه عليه السلام كان مسافراً إلى مكة مع عبد الله بن جعفر ونفر من قريش، وكانوا يسرون على غير الجادة، فمروا بامرأة فقيرة، وما كان لديهم طعام، فطلبوا منها أن تُطعمهم، وقالوا لها: نحن نفر من قريش سرنا على غير الجادة ونفد طعامنا، فقالت: لا يوجد لديّ إلا هذه العنزة، فذبحتها لهم، وأكلوا منها، ثم قال الإمام الحسن عليه السلام لتلك المرأة: «نحن نفر من قريش نريد هذا الوجه، فإذا رجعنا سالمين فألمي بنا فإننا صانعون إليك خيراً»، وبالفعل أجذبت الأرض التي تعيش فيها المرأة، فذهبت إلى المدينة فرآها الإمام الحسن عليه السلام، فعرفها ولم تعرفه، ثم قدّم لها ألف شاة وأعطها ألف دينار، ثم أرسلها إلى الإمام الحسين عليه السلام وإلى عبد الله بن جعفر، فقدّم لها كل واحدٍ منهما كما قدّم الإمام الحسن عليه السلام (١).

الثالث: العطاء والإيثار فوق ما يتصوره الإنسان.

الأمر الآخر الذي يلفت الإمام عليه السلام انتباهنا إليه أسلوب المناصفة مع الله تعالى في أمواله ثلاث مرات، فكان يُقسّم جميع ما يملك بالنصف، فيُقدم للفقراء والمعوزين والمحتاجين نصف ما يملكه، وقد تكرر هذا العمل منه عليه السلام ثلاث مرات، ليُعلم الإنسان الرسالي كيفية البذل والعطاء في سبيل الله وأنّ البذل لا ينحصر في دائرة التكليف الشرعي، بل أنّه أوسع دائرة، وله مفهوم يمثل عمقاً في وجدان الإنسان المُعطي له صلةً بالمُعطي.

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ٤٣ ص ٣٤٨-٣٤٩.

لماذا هذا العطاء اللامحدود من قبل الإمام عليّ؟

تتضح أهمية هذا الأسلوب الذي اتخذهُ الإمام عليّ بجلاء إذا تأملنا في أواخر العصر الذي عاشهُ الإمام حيث برزت ظاهرة تُسمى بالتكاثر الاترافي، فكان هناك أفراد من الصحابة وأبنائهم استفادوا من الفتوحات الإسلامية استفادة كبيرة من الناحية الاقتصادية والمالية فجمعوا ثروات هائلة، بينما كان بجانبهم الكثير من الفقراء والمعوزين، بل المعدمين، إلا أنهم لم يسهموا في رفع الفقر، فأراد الإمام عليّ أن يُعلّم هؤلاء درساً في البذل والعطاء من أجل القضاء على التفاوت الطبقي الصارخ الذي كان يعيشهُ المجتمع آنذاك، حيث أخذ ينتشر ويشكل في أوائل نشوؤهِ ظاهرة خطيرة تجتاح المجتمع الإسلامي، وأراد الإمام الحسن عليّ أن يعالج هذا التفاوت والتكاثر الطبقي في بداية تشكلهِ وفي مراحلهِ الأولى، من خلال خطواتهِ العملية في البذل بأن ناصف الله تعالى في أموالهِ ثلاث مرات، وخرج من أموالهِ كلياً، فقدّم جميع ما يملك في سبيل الله وبدأ حياة جديدة. لذا، عندما نُطلق على الإمام كريم أهل البيت، فإنه يعود إلى أسس وركائز كانت في حياة الإمام أوجبت أن يلقب بهذا اللقب، هذه الركائز لم تنطلق من بذله وعطائه عليّ في دائرة التكليف الشرعي الواجب، وإنما انبثقت من مبدأ أوسع، يشمل رفع حاجة الإنسان المملق والمحتاج ومشاركته، وذلك ما نقرأهُ في بعض الأدعية، «وارزقني مواساة من قترت عليه من رزقك بما وسعت عليّ من فضلك ونشرت عليّ من عدلك

وأحييتني تحت ظلك»^(١) يريد الإمام مواساة من قُتِرَ عليه بالرزق. هذه بعض الصور الناصعة في حياة إمامنا الحسن عليه السلام التي تعلمنا درساً في البذل والعطاء في هذا الشهر الفضيل، خصوصاً تجاه أرحامنا وأقاربنا الفقراء، الذين يتوقون إلى العون والمساعدة في هذا الشهر، حيث تكبر فيه الحاجات بالقياس إلى سائر الشهور، كلنا يعرف أن البذل في هذا الشهر أكبر، لأن فيه كسوة العيد وغيرها من الحاجات المتعددة التي لا غنى عنها.

الرابع: المبادرة في العطاء من دون سؤال.

يشير قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ (المعارج: ٢٤-٢٥) إلى وجود سائل يسأل الناس، إلا أن هناك كثير من الناس لا يسألون، وينأون بأنفسهم عن المسألة، لكنهم يعيشون الفقر والفاقة، وهم بحاجة إلى مد يد المساعدة ليس بعنوان الصدقة وإنما بعنوان البذل عن طريق الهدية والاحترام لقيمة الإنسان من الناحية الشخصية والمعنوية، وقد جسد ذلك الإمام عليه السلام عندما جاءه شخص وأراد أن يسأله فباشره عليه السلام قبل السؤال، وقال: (أعطوه ما في الخزانة) فوجد فيها عشرون ألف دينار فدفعها إلى الأعرابي فقال الأعرابي: يا مولاي ألا تركتني أبوح بحاجتي وأنشر مدحتي. فأنشأ الحسن عليه السلام:

(١) الصحيفة السجادية - الإمام السجاد عليه السلام - ص ٢٠٤.

نحن أناس نوالنا خضل يرتع فيه الرجاء والأمل
تجود قبل السؤال أنفسنا خوفا على ماء وجه من يسأل
لو علم البحر فضل نائلنا لغاض من بعد فيضه خجل^(١)

إذن فمنعه عليه السلام عن السؤال بمرئى من الناس، وأعطائه أكثر من حاجته أراد عليه السلام به أن يعلم أصحابه والمحيطين به إنما يعطيه الإنسان للسائل لا يمثل جوداً، فبين عليه السلام: أن الجود قبل المسألة وما أعطيته بعد المسألة ليس بجود وإنما هو مبادلة بما يشتريه الإنسان بقاء وجهه.

ويمثل هذا التعليم الحسن الرائع والجميل احتراماً وتكريماً للإنسان، وأن على من أراد أن يكون جواداً أن يبدأ بعطاياه للفقراء المحتاجين.

كيف نجسد كرم الإمام الحسن عليه السلام؟

تعدد سبل الخير في هذا الشهر المبارك من خلال المشاريع الاجتماعية المتعددة، ولا بد أن نجسد كرم الإمام الحسن عليه السلام، ونبرز القدوة والتأسي بسلوكه عليه السلام من خلال مشروع إفطار صائم الذي لا يختص بالفقراء فقط، قال النبي صلى الله عليه وآله في خطبته: «من فطر منكم صائماً مؤمناً في هذا الشهر كان له بذلك عند الله عتق نسمة ومغفرة لما مضى من ذنوبه»^(٢)، لم يقل صلى الله عليه وآله: من فطر فقيراً أو محتاجاً، ويدل ذلك على أن تفتير الصائم من المستحبات المؤكدة، ولا بد أن

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ٤٣ ص ٣٤١.

(٢) وسائل الشيعة للحر العاملي ج ١٠ ص ٣١٤.

نُفَعِّلُ هذا المشروع في كل مكان، إذ أنّ هذه المشاركة تصنع تلاهماً وتقارباً بين أفراد المجتمع يشعر معه المجتمع بأنه وحدة متكاملة في البذل والعطاء.

بناء المجتمع الإنساني في فكر الإمام الحسن عليه السلام

قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ (السجدة: ٢٤). صدق الله العلي العظيم.

أسس التقدم الحضاري للأمم.

ركّز أئمة أهل البيت عليهم السلام على بناء الإنسان الصالح، الذي تستطيع الأمة أن تكل الأمور إليه باطمئنان تام، وأولوا أهمية بالغة للجانب المعنوي في شخصية الإنسان، انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (الرعد: ١١). ذلك أنّ التقدم المطرد للأمم يتوقف على الاستعداد لدى الأفراد، وما لم تتوافر الشخصية التي تتصف بالأمانة، فتكون نزويةً في التعامل مع معطيات الأحداث بنحو من الإيجابية والانطلاق من قيم السماء فإنّ الإنسان لن يكون لبنة صالحة في بناء المجتمع، بل سوف يسهم بشكل غير مباشر في هدم ما تحقق من التقدم الاجتماعي. لذا، نجد سقوط الحضارات يعود إلى التفسخ في الجانب القيمي، باعتباره يجعل التقدم في مهب الريح، وحينها لن تستطيع الأمة أن تحافظ على تقدمها المحرز إذا لم يكن البناء الأساس لشخصية الإنسان على وفق ما تريده المبادئ السماوية.

بناء شخصية الإنسان.

أولى إمامنا الحسن عليه السلام عناية كبيرة بإيضاح تعليمات هامة تُسهم في بناء شخصية الإنسان انطلاقاً من المفهوم الأنف، ولإيضاح أهمية بناء الجانب الإنساني في الشخصية نشير إلى كلمة قيمة لأحد الحكماء قال فيها: (إنَّ الحصول على مرتبة علمية كبيرة من الصعوبة بمكان لكنَّ الأصبغ أن يصل الإنسان إلى مرتبة كبيرة في الجانب الإنساني)، ويعود السبب في ذلك إلى أنَّ الوصول إلى هذه المرتبة يتطلب جهداً كبيراً، لذا كانت الأهمية الكبرى والعناية الفائقة لدى أهل البيت عليهم السلام في بناء شخصية الإنسان في الجانب المعنوي، وإزالة العقبات، وقد أسهم الإمام الحسن عليه السلام إسهاماً كبيراً من خلال التوجيهات التي وجهها إلى أفراد الأمة، وأراد منهم الالتزام بتطبيقها للوصول إلى الرشد، وسوف نستعرض ثلاثاً منها:

الأول: أهمية الاستهداء بأراء الآخرين.

يستبد بعض الناس برأيه في أكثر من مجال من مجالات الحياة مما يؤدي إلى نتائج لا تُحمد عقباه، مع أنَّ الاستهداء بأراء الآخرين الحاصل من التشاور يؤدي إلى نضج الرأي لكونه نتج مما لدى الآخرين من خبرات تكاملت على مر السنين، قال إمامنا الحسن عليه السلام: «ما تشاور قوم إلاَّ هدوا إلى رشدهم»^(١) التشاور في كل مجال ومنها المجال الأسري والمجالات الواسعة التي يحتاج فيها إلى

(١) ميزان الحكمة للريشهري ج ٢ ص ١٥٢٤.

التعرف على حيثيات مختلفة لزوال اللبس عنها يؤدي إلى الصواب ويحقق الكمال.

الثاني: إسداء الشكر للآخرين.

الثناء والشكر لهما أهمية بالغة في التقدم المضطرد والوصول إلى الكمال، والإنسان الذي يُقدم خدمات متعددة للآخرين بإخلاص ويحاول جاداً أن ينفعهم، قد يتوقف عطاؤه لعدم التجاوب وتقديم الثناء والشكر لما يقوم به، ذلك أن الإنسان مركب من أحاسيس وعواطف وقد فُطر على حب الثناء الذي يمثل وقوداً معنوياً للاستمرار في كل عمل خير وصلاح، وهذه الأهمية لحب الثناء في الحصول على الخير في كل الميادين ذُكر بها الإمام الحسن عليه السلام في قوله: «اللؤم أن لا تشكر النعمة»^(١) فإذا أسدى إليك الآخرون نعمة من النعم لا بد أن تُقدم عبارات الثناء، وعليك أن تبادر في السعي لمكافئة النعمة التي حصلت عليها، وهذا ما أبانه الإمام عليه السلام فقال: «الخير الذي لا شر فيه: الشكر مع النعمة والصبر على النازلة»^(٢)، أي إذا أردت أن تكون سائراً في طريق الهدى؛ فعليك عند حصول نعمة من لدن إنسان أو من الحق تعالى أن تكون شاكراً لها فإن ذلك خير محض لا يشوبه شر، أما الثناء على الآخرين فإنه يدعوهم إلى الإحسان المطرد إلى الشاكر، والثناء على الله تعالى يوجب الزيادة، قال تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ (إبراهيم: ٧).

(١) ميزان الحكمة للريشهري ج ٢ ص ١٤٩٢.

(٢) ميزان الحكمة للريشهري ج ٢ ص ٨٤١.

الثالث: الصبر على النوازل.

قوله عليه السلام: «والصبر على النازلة».

الصبر بلسم شافٍ للإنسان لمواجهة مدلهات الخطوب التي تعترى حياته، ومهما توافرت لدى الإنسان الإمكانيات المتعددة لا بد أن يصاب بأذى في الحياة الدنيا، إذ لا يسلم منها أحد، فالابتلاءات الطبيعية تحدث بسبب البراكين والزلازل والأمراض وما إلى ذلك، وعلى الإنسان أن يستعد بثبات ويلازم رباطة الجأش في شخصيته إذا أصيب بمصيبة، ويتذكر أن الصبر على النازلة له الأهمية في استقامة وثبات شخصيته.

آثار المواظبة على الحضور إلى المساجد.

التعاطي الاجتماعي في الحضور للمتدييات العامة والأمكنة الدينية في غاية الأهمية، لأن ذلك يجعل الإنسان سوياً في علاقاته الاجتماعية، ويستفيد في تقدم الجنبه الحياتية لشخصيته وللمرتبطين به، بالخصوص الحضور في المسجد، وهذا ما أوضحه الإمام عليه السلام فقال: «من أدام الاختلاف إلى المسجد»^(١) أي، أصبح من المصلين، وداوم على أداء الصلاة جماعة، فسوف يحصل على فوائد جمّة:

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ٧٥ ص ١٠٨، عن الإمام الحسن عليه السلام: (من أدام الاختلاف إلى المسجد أصاب إحدى ثمان: آية محكمة، وأخا مستفادا، وعلما مستطرفا، ورحمة منتظرة، وكلمة تدله على الهدى، أو ترده عن ردى، وترك الذنوب حياء أو خشية).

الأولى: العلم بالعقائد.

قال عليه السلام: «من أدام الاختلاف إلى المسجد أصاب إحدى ثمان: آية محكمة»،
 وفُتِّرت بالعلم النافع الذي يترسخ في شخصية الإنسان ويستقر فلا يرتكب
 حراماً ويواظب على الإتيان بالحلال وتصبح لديه معرفة نظرية بأصول الدين.

الثانية: الأخ الصادق.

قال عليه السلام: «وأخاً مستفاداً»، التعرف على بعض الناس ممن لديهم إمكانيات
 يقدمونها، ومنها إسداء النصيحة.

الثالثة: العلم المفيد.

قال عليه السلام: «وعلماً مستظرفاً»، قد يستفيد من الآخرين بعض العلوم أو
 يكتسب بعض المهارات في شؤون الحياة.

الرابعة: نزول الرحمة.

قوله عليه السلام: «ورحمة منتظرة».

يشير عليه السلام إلى أن إدمان الحضور إلى المساجد باعتبارها محلاً للدعاء وتلاوة
 القرآن الكريم فهي موئل لنزول الرحمة من الله تعالى على عباده، وعلى الإنسان
 أن يستمطر رحمة الله بالحضور إلى أماكن الذكر والعبادة.

الخامسة: الهداية إلى طريق الاستقامة.

قوله عليه السلام: «وكلمة تدله على الهدى»، بيان رائع في استماع الإنسان للكلمة

الهادية إلى الصراط المستقيم في مكان مناسب لذلك، وهو المسجد. وقد تعددت في عصرنا الحاضر القنوات التي يستطيع الإنسان من خلالها أن يستمع لكلمة الخير، غير أنه في تلك العصور كان المسجد هو المكان الأنسب لاستماعها، ومع ذلك لا زال للمسجد الدور الرائد لاستماع الكلمة الهادفة والوصول إلى الحق. ونبه الإمام عليه السلام إلى هذه النقطة، «وكلمة تدله على الهدى أو ترده عن ردى».

السادسة: اجتناب المعاصي.

قال عليه السلام: «وترك الذنوب حياءً أو خشية».

ما أجمل هذه الكلمة التي توضح أن بعض الناس لا تستقر أصول الدين في شخصيته، ولا تثبت أحكام الشرع المقدس في نفسه، فتسول له ارتكاب الحرام، لكن نتيجة للمحيطين به من الأخيار والطيبين من الناس، الذين يخشاهم، لا يرتكب محرماً، وذلك مفيد للابتعاد عن الحرام حتى وإن كان خشيةً من الناس، إذ أن صون النفس عن التلوث بأدران المعصية خير عظيم لشخصية الإنسان.

الطريق الصحيح للإفادة من الآخرين.

يبين إمامنا الحسن عليه السلام في هذا الجانب التعليمي والتربوي للأمة أهمية محافظة الإنسان على الكيفية المثلى لاستماع الخير والحفاظ على طهارة القلب، قال عليه السلام: «إن أبصر الأبصار ما نفذ في الخير مذهبه، وأسمع الأسماع ما وعى

التذكير وانتفع به، أسلم القلوب ما طهر من الشبهات»^(١) يتصور بعض أن اختصاص الإبصار بالجنبه الهادية، غير أن الجنبه المعنوية هي الأهم في إبصار الحقائق، لأنها تنفذ في الخير وتصل إلى كنهه ويتركز في الشخصية المعنوية. فمن يستمع إلى الخير بإحدى أذنيه ثم يخرج من الأخرى، لا يستقر في قلبه، ويؤكد الإمام على أن الأسمع هو الذي يستفيد من النصيحة ومن كلمة الهدى فتستقر في شخصيته، ويتذكرها على الدوام كلما احتاج إليها، «ما وعى التذكير وانتفع به».

حقيقة القلب السليم.

يُنَّ الْقَلْبَ السَّلِيمَ الَّذِي يَفِيدُ الْإِنْسَانَ فِي عَالَمِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَقَالَ: «أَسْلَمَ الْقُلُوبَ مَا طَهَرَ مِنَ الشُّبُهَاتِ»، سلامة القلب لصالح الإنسان ودليل صلاحه. وهناك نصوص متعددة تركز على سلامة القلب، قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (الشعراء: ٨٩)، وعكس القلب المريض - كما في تعبير القرآن - الذي يجعل الإنسان غير سوي، ولا مستفيد من نعم الله، وبالتالي يخسر الدنيا والآخرة، وذلك هو الخسران المبين، علينا أن نلتفت في مناسبات أئمتنا لنستوعب الحكم والتعاليم التي أدلوا بها إلى أفراد الأمة وكانوا تائقين إلى أخذها بحصافة رأي وسلامة فكر، ليتاح للأمة أن تسير بأمان واطمئنان فتصل إلى الحق تعالى.

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ٧٥ ص ١٠٩.

المنهج الثقافي والحركة الرسالية للإمام الحسن عليه السلام

قال إمامنا الحسن عليه السلام: «من عرف الله أحبه، ومن عرف الدنيا زهد فيها، والمؤمن لا يلهو حتى يغفل، وإذا تفكر حزن»^(١).

الدور الإصلاحي للأنبياء والرسل.

تتعرض الأمم لأمراضٍ متعددة، فتصاب بالوهن والخمول تارةً، وبالذوبان وفقدان الشخصية تارةً أخرى، فلا تلتفت إلى المسؤولية الملقاة عليها، وقد بعث الله تعالى الأنبياء والرسل لمعالجة أمراض الأمم وانتشالها من مستواها المنخفض، فهم عليهم السلام يرفعون المستوى الهابط للأمم التي يبعثون فيها ويعالجون داءها بإحكام.

الأمّة في عصر الإمام الحسن عليه السلام.

تتعرض المجتمعات الإنسانية لابتلاءات متعددة حتى تصل إلى الرقي، وقد ابتلت أمتنا الإسلامية بداء الخمول والتواني وعدم الالتفات إلى مسؤوليتها نتيجة لتراكم الأحداث، وعندما تتعرض الأمة إلى الوهن والخمول لا بد للقائد أن يمارس دوره في التوعية والإعداد باعتبار أن ممارسة هذا الدور وظيفية مناطة بالقائد، بيد أن تشخيص الدواء يختلف من آنٍ إلى آخر، فتارةً يحتاج العلاج إلى جهاد في سبيل الله وتضحيات جسام، وأخرى إلى

(١) الروائع المختارة من خطب الإمام الحسن ص ١١٢٠.

إيقاظ وتوعية ورفع مستوى التفكير في الأمة حتى تسير في طريق الاستقامة، وتعي مسؤوليتها ومن ثمّ تطالب بحقوقها، وتدرك أنّ التضحية وتقديم القرابين في سبيل الله يحقق لها الغاية، أما الأمة التي لا تعي مسؤوليتها فليس لديها استعداد للتضحية والعطاء بالمال والنفس، وهذا ما كان الحال عليه أبان زمن إمامنا الحسن عليه السلام، فإنّ جمعاً من القادة وأصحاب المسؤوليات الكبيرة في جيشه عليه السلام رفعوا شعاراً (البقية البقية يا بن رسول الله)، وهو شعار يدل على خور العزيمة وعدم الاستعداد للتضحية، والإمام عليه السلام أراد أن يعطي الدروس التي ينبغي للأمة أن تستوعبها لتشخص المسار بنحو سليم.

الدور الإصلاحي للإمام الحسن في الأمة.

مارس الإمام عليه السلام دوره الإصلاحي في منحيين:

الأول: الحفاظ على طلائع الأمة، لأنّ الحكم الأموي يريد استئصال الخط المنتمي لأهل البيت عليهم السلام، وأراد الإمام عليه السلام إبعاد حواريه عن الأنظار بنحو مؤقت، لعلمه عليه السلام أنّ القضاء عليهم سوف يؤثر في تأخير مسار الأمة، إذ أنّ القادة لها هم الطلائع فإذا استؤصلوا كانت الأمة غير قادرة على حركتها الفاعلة، وبذلك نفهم ما جاء عن علمائنا في تحليل ثورة الإمام الحسين عليه السلام من أنّ الثورة الحسينية هي حسنية قبل أن تكون حسينية، لأنّ الحسين عليه السلام لا يستطيع أن يثور دون أنصار طلائعيين، ولو ثار عليه السلام وحده لما تحقق النجاح

الكبير للثورة، وقد عبّر إمامنا أمير المؤمنين عليه السلام عن هذا المعنى، «وظفتك أرتأي بين أن أصول بيد جذاء أو أصبر على طخية عمياء»^(١)، لا يستطيع الإنسان أن يصول إذا لم يكن معه طلائع تؤمن بهدفه. وهذا ما حققه الإمام الحسن عليه السلام لأخيه الحسين عليه السلام في الحفاظ على تلك الكوكبة المؤمنة بحقانية أهل البيت عليهم السلام.

الثاني: إيقاظ الأمة لتحمل المسؤولية، وقد وجه الإمام الحسن عليه السلام دروساً في رفع مستوى الأمة وإيضاح مسؤوليتها والتنمية لفكرها، فكان عليه السلام يركز على دور الفكر والعقل في تحمل المسؤولية، لأنّ الذي لا يمتلك فكراً لا يستطيع أن يزن الأمور بميزانها السليم، ولا يتمكن أن يقوم بوظيفته بجدارة، من هنا مارس الإمام عليه السلام دوره التوعوي فأدلى بتوجيهاته في مناسبات متعددة لإيقاظ ضمير الأمة، وعرف الأفراد على مسؤولياتهم، كي يندفعوا في أقرب فرصة تتاح لهم للحركة على ضوء موازين واضحة ودقيقة من قبل القائد، وهذا ما قام به الإمام الحسن عليه السلام في توجيهه من خلال أمرين:

الأول: الارتباط بالله.

قال عليه السلام: «من عرف الله أحبه»، إذا عرف الإنسان الله تعالى سوف يربط وجوده به تعالى، فيزهد في الدنيا، ولا يُقدم مصالحه الشخصية، كما فعل بعض القادة.

(١) نهج البلاغة - خطب الإمام علي عليه السلام - ج ١ ص ٣١.

الثاني: التركيز على أهمية الفكر.

«المؤمن لا يلهو حتى يغفل، فإذا تفكر حزن»^(١) قد يتعرض المؤمن في وقتٍ ما للغفلة، غير أنه سرعان ما يعود إلى رشده، لأن فكره ينبض بالحياة، «فإذا تفكر حزن»، يقوده فكره للحزن في تفريطه وفيما فاته من أمر، لكونه هادف وله غاية يريد الوصول إليها، قال عليه السلام: «عليكم بالفكر، فإنه حياة قلب البصير ومفاتيح أبواب الحكمة»^(٢) من فكر أبصر الأمور بجدارة، أما من لا يفكر فلن يستطيع أن يدرك العواقب، وستصدر منه هفوات تُضيع عليه الكثير من الفرص.

أهمية العقل في حياة الإنسان.

سأل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ابنه الحسن عليه السلام عن العقل، فأجاب عليه السلام بجواب أبان فيه الدور الكبير للعقل من خلال نقطتين:

الأولى: «التجرع للغصة حتى تنال الفرصة، ومداهنة العداء، ومدارة الأصدقاء»^(٣) أي، تحمل الألم حتى الوصول إلى الغاية والهدف المرسوم.

الثانية: «ومداهنة العداء»، يتطلب المسار الحركي للإنسان مداهنة الأعداء مع الحفاظ على الجماهير في ارتباطها بقيادتها، وهنا تكمن مشكلة الجماهير في

(١) ميزان الحكمة للريشهري ج ٤ ص ٢٨٠٣.

(٢) ميزان الحكمة للريشهري ج ٣ ص ٢٦١٤.

(٣) ميزان الحكمة للريشهري ج ٢ ص ٨٦٥.

عدم إيمانها بأهداف القائد فتأخر عنه فتُفشل مخططاته، لذا، أكد الإمام عليه السلام، «مداهنة الأعداء»، أي لا يكفي أن تتجرع الغصة لتصل إلى هدفك، بل تحتاج أن تداهن العدو، حتى لا يواجه كل قدراته وقواه، فيمنعك من الحركة، فالعدو في بعض الأحيان أقوى، إعلامياً أو سياسياً أو في أحد المجالات الأخرى، والقائد الفذ بحاجة إلى المداهنة حتى يسلم على قواعده.

البرنامج العملي لطلائع الأمة.

خطب الإمام عليه السلام في أصحابه فقال: «اعلموا أن العقل حرز، والعلم زينة والوفاء مروءة والعجلة سفه»، كلماته عليه السلام برامج عمل يطررها لقواده وللطلائع الذين يريد لهم أن يرسموا معالم الخط الحسني من خلال إرشادات أربعة:

الأول: العقل حرز، من ليس لديه عقل يسقط ويُقضى عليه، إذ لا سياج له يحميه من سهام أعدائه، ليعرف به كيف يتجاوز المحن.

الثاني: العلم جمال، تعبير الإمام عليه السلام عن العلم بأنه جمال باعتبار أن العلم يبرز الجانب الإيجابي في شخصية العالم ويخفي الجانب السلبي ويتعرف به على الجانب السلبي في شخصية العدو ويزن الجانب الإيجابي بحكمة كما يزن الأمور بعقله، والعلم مع العقل توأمان، يحتاج الإنسان للعقل ويحتاج أيضاً للعلم، أي إلى دراسات تمكنه من الوعي بمسؤوليته كي يتخذ قراراً صائباً، الأمم والشعوب المتقدمة تسير إلى أهدافها من خلال ما تشخصه مراكز الدراسات والبحوث العلمية.

الثالث: الوفاء مروءة، المتمي إلى الإمام الحسن عليه السلام إذا كان من ذوي المروءة لا بد أن يكون وفياً، ولا يتخلى عن مسؤوليته.

الرابع: العجلة سفه، الوفاء الذي يريده الإمام عليه السلام ليس هو التهور، إذ أن العجلة سفه.

فاعلية العمل أساس النجاح.

أبان الإمام عليه السلام أهمية استمرارية وبقاء العمل الفاعل من خلال أمرين هامين:

الأول: التوازن الحركي مع الإمكانية المتاحة.

قال الإمام عليه السلام لما سئل عن الجهل: «سرعة الوثوب إلى الفرصة قبل الاستمکان منها»، يبين عليه السلام أن من لا يمتلك الصبر ويتحرك بأكثر من حجم إمكانياته البسيطة ولا يزن الإمكانيات مع الحركة لن يصل إلى هدفه.

الثاني: الكتمان والحفاظ على خطة العمل.

قال الإمام عليه السلام: «ونعم العون الصمت في مواطن كثيرة وإن كنت فصيحاً»، يحتاج القائد في بعض الأحيان أن لا يجيب، وإن كان لديه الجواب الشافي.

الثقافة الرسالية لرفع مستوى الطلائع.

بين الإمام عليه السلام ثقافة رسالية لرفع مستوى المتمين إليه، ورغم أن الأمة كانت مصابة بداء الوهن وتحتاج إلى تغيير، إلا أن الإمام عليه السلام أراد أن يبدأ الطريق في الإعداد للثورة من خلال توجيهات متعددة:

الأول: ارتباط الأدب بالعقل.

قال إمامنا الحسن عليه السلام: «لا أدب لمن لا عقل له»، من لا عقل له لا أدب له، ويقع في أخطاء كبيرة، إذ لا بُدَّ نظر عنده، وبمجرد ما يرى موقفاً يصدر منه كلام دون مقارنة واتزان، ولعل ما صدر منه لا يليق، والإمام عليه السلام مدح الصمت وحث على عدم التسرع في الجواب، وأثنى على العقل، «لا أدب لمن لا عقل له»، لكي لا تصدر هفوات.

ثانياً: الانصياع للقيادة.

«ولا مودة لمن لا همة له»، المودة للإمام المعصوم عليه السلام لأنه القائد الذي تنطلق أوامره من الشارع، ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ (الشورى: ٢٣)، ولا بد أن يُطاع وتنفذ أوامره، ولا يُكتفى بالميل القلبي، «ولا مودة لمن لا همة له»، الميل القلبي وحده دون فاعلية وحركة ليس بمودة، بل عاطفة محضة.

ثالثاً: المرونة مع المجتمع.

«ولا حياء لمن لا دين له ورأس العقل معاشره الناس بالجميل»، العاقل يتصرف بمرونة مع مختلف الطيف الاجتماعي.

رابعاً: وضع الأمور في مواضعها.

ثم قال عليه السلام: «وبالعقل تدرك سعادة الدارين، ومن حُرِّمَ العقل حُرِّمَها جميعاً»، من لا يملك عقلاً يُحرم سعادة الدنيا والآخرة، لأنه قد يتخذ مواقف

ضد الآخرين دون إدراك للعواقب المترتبة عليها، أما العقل فيستلزم السؤال والحوار قبل اتخاذ المواقف ليأمن العواقب.

آثار عدم الوعي بالمسؤولية في المجتمع.

نبه إمامنا الحسن عليه السلام الأمة على الوعي بالمسؤولية، وأن عدم الوعي بالمسؤولية يجر الداء، وقد يستشري فيها حتى يصعب علاجه، وهو ما أصاب الكثير من المجتمعات، والمجتمع الإسلامي ليس بدعاً عنها، فكل مجتمع إذا لم يتوافر فيه من لديهم القدرة على ممارسة المسؤولية بعقلانية وحكمة، مصيره إلى التأخر.

الفصل السادس

الإمام السجاد عليه السلام

دروس من حياتي الإمامين الحسين والسجاد عليهما السلام

نبارك للأمة الإسلامية الذكرى العطرة لميلادي الإمامين الحسين وزين العابدين عليهما السلام، وميلاد أبي الفضل العباس عليه السلام، هذه مناسبات سعيدة تحمل في طياتها قصصاً وعبراً، وكل مولد من مواليد هؤلاء العظماء يُشكل درساً له بالغ الأثر في حياة الإنسان المؤمن وفي مسيرة الرسالي نحو الله تعالى، وسأنتقي درسين من الدروس التي أعطاها الإمامان عليهما السلام.

الأول: سمات الإنسان العاقل.

جاء شخص للإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وقال: صف لنا العاقل. فقال عليه السلام:
 «هو الذي يضع الشيء مواضعه» فقبل: فصف لنا الجاهل. فأجابه الإمام عليه السلام:
 «قد فعلت»^(١).

(١) نهج البلاغة - خطب الإمام علي عليه السلام - ج ٤ ص ٥٢.

أي أنّ الأمور تُعرف بأضدادها، فإذا عرف الإنسان سمات وعلامات العاقل فإنّ أضداد هذه السمات تكون للجاهل.

الأولى: القبول عند الله.

حدد إمامنا الحسين عليه السلام بعض الصفات والخصائص التي يتصف بها العاقل، فقال: «من دلائل علامات القبول الجلوس إلى أهل العقول»^(١).

العاقل المقبل على الله تعالى يأوي إلى صنفه وهو من يتصف بصفات العقلاء، ويتعد عن الحمقى الذين لا يُحكمون العقل في مسيرتهم، إنّ الله تعالى يقبل العاقل لأنه السائر إليه في منطق أهل البيت عليهم السلام. سُئل الإمام الصادق عليه السلام: ما هو العقل؟ فأجاب عليه السلام: «ما عُبد به الرحمن واكتسب به الجنان، قال السائل: قلت: فالذي كان في معاوية؟ فقال عليه السلام: تلك النكراء! تلك الشيطنة، وهي شبيهة بالعقل وليست بالعقل»^(٢).

فرق الإمام عليه السلام بين العقل (تلك القوة الباعثة على الخير والتسامي) وبين النكراء (تلك الفطنة التي تتجاوز حدها المعتدل إلى الإفراط الباعث على المكر والحيل والأهواء الشيطانية).

(١) تحف العقول لابن شعبة الحراني ص ٢٤٧، قال عليه السلام: (من دلائل علامات القبول: الجلوس إلى أهل العقول. ومن علامات أسباب الجهل المماراة لغير أهل الكفر. ومن دلائل العالم انتقاده لحديثه وعلمه بحقائق فنون النظر).

(٢) الكافي للكليني ج ١ ص ١١.

الثانية: ترك الجدال.

قال عليه السلام: «ومن علامات أصحاب الجهل الممارسة لغير أهل الفكر».
 يُجادل الجاهل ويتحدث مع من لا يمتلك حُجة وليس لديه برهان أو علم، أما العاقل فحواره ومنطقه مع أهل الأدب والعلم وأصحاب الحجى (العقل) والرأى.

الثالثة: الانتقاد لحديثه.

قال عليه السلام: «ومن دلائل العالم انتقاده لحديثه».
 هذه سمة وصفة هامة للعاقل والعالم، أما كيفية انتقاد الإنسان لحديثه، فهو ما نريد أن نسلط الضوء عليه لبيان، إذ أنّ الإنسان لا يمكن أن يكون كاملاً في كل النواحي والجوانب مهما عَظُم في تفوقه العلمي أو في سجاياه الأخلاقية، فلا بد أن يشوبه نقص لأنّ الكمال المطلق لله تعالى، وعندئذ قد يصدر منه خلل أو خطأ، وعليه أن يقبل النقد لما صدر من حديثه، لذا قال عليه السلام: «ومن دلائل العالم انتقاده لحديثه، وعلمه بحقائق فنون النظر».
 هذه السِمَات والصفات التي يُعطيها إمامنا الحسين عليه السلام تُشكل دروساً عملية للمقبول عند الله تعالى، ويهمننا في هذه المناسبات أن نستذكر هذه الدروس والعبر والحقائق عن أئمتنا لأئمتها النبراس الذي يضيء لنا الطريق، جاء في الزيارة الجامعة: «كلامكم نور وأمركم رُشد ووصيتكم التقوى»^(١).

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ٩٩ ص ١٣٢.

الثاني: كيفية أداء الحقوق.

ثم ننتقل إلى نور آخر من كلام أهل البيت عليهم السلام على لسان الإمام زين العابدين عليه السلام في ندائه الإنساني الذي وجهه للبشرية في رسالة الحقوق التي خَطَّ فيها دستوراً يضبط أقوال الإنسان وسلوكه مع الآخرين وهي دروساً عملية لا غنى عنها، وسوف نقف متأملين في هذه المعاني والدروس التي يُعطيها الإمام عليه السلام لكافة الناس.

حق الله تبارك وتعالى:

تحدث عليه السلام عن حق الله تعالى بقوله: «فأما حق الله الأكبر فإنك تعبده لا تُشرك به شيئاً، فإذا فعلت ذلك بإخلاص جعل لك على نفسه أن يكفيك أمر الدنيا والآخرة»^(١).

السائر في طريق العبودية لله تعالى، يتكفله الله تعالى بكفايته في الدارين (الدنيا والآخرة)، مهما كانت العقبات والامتحانات التي تمر عليه، قال الله تعالى: ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ۗ ﴾ (الزمر: ٣٦)، وقال تعالى في آية أخرى: ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ ۗ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ۗ ﴾ (الطلاق: ٣)، فمن فعل ذلك بإخلاص في عبوديته لله فإنه سيجعل له أن يكفيه أمر

(١) تحف العقول لابن شعبة الحراني ص ٢٥٦ قال الامام السجاد عليه السلام: (أما حق نفسك عليك فأن تستوفيها في طاعة الله، فتؤدي إلى لسانك حقه وإلى سمعك حقه وإلى بصرك حقه وإلى يدك حقه وإلى رجلك حقه وإلى بطنك حقه وإلى فرجك حقه وتستعين بالله على ذلك).

الدنيا والآخرة، ويحفظ له ما يجب من الآخرة، أي أن من أراد التفوق في عالم الآخرة والوصول إلى مقامات ومجاورة أنبياء الله ورسله والصالحين من عباده، فإن الله تعالى يحقق له ذلك ويوصله إلى ما تصبو إليه نفسه وما تطمح له وتتمناه ويحفظ له ما يحبه منها.

استيفاء النفس والجوارح في طاعة الله:

قال عليه السلام: «وأما حق نفسك عليك فإن تستوفيها بطاعة الله تبارك وتعالى».

استيفاء النفس في طاعة الله بأن تستوفي النعم التي منحها الباري تعالى لك من لسان ويدين وجوارح أخرى في الطاعات، قال عليه السلام: «فتؤدي إلى لسانك حقه، وإلى سمعك حقه وإلى بصرك حقه، وإلى يدك حقه وإلى رجلك حقه، وإلى بطنك حقه وإلى فرجك حقه، وتستعين بالله على ذلك».

أي لا يكفي أن تؤدي الحقوق فتستخدم البصر فيما يرضي الله تعالى، وتجنب السمع عما يسخطه، وتسير فيما يرضيه، بل عليك أن تجعل الله تعالى حاضراً وناظراً ومعيناً لك في توجهك ومنقلبك. وما أجمله الإمام عليه السلام من الحقوق، تكفل ببيانه وشرحه، فقال عليه السلام: «أما حق اللسان^(١) فإكرامه عن الخنا - أي لا ينطق بالفحش ولا بالغيبة أو النميمة ولا بالمعصية بل أن تعوده على

(١) تحف العقول لابن شعبة الحراني ص ٢٥٦ قال الإمام السجاد عليه السلام: (أما حق اللسان فإكرامه عن الخنى وتعويدته على الخير وحمله على الأدب وإجمامه إلا لموضع الحاجة والمنفعة للدين والدنيا وإعفاؤه عن الفضول الشنعة القليلة الفائدة التي لا يؤمن ضررها مع قلة عائدتها. ويعد شاهد العقل والدليل عليه وتزين العاقل بعقله حسن سيرته في لسانه ولا قوة إلا بالله العلي العظيم).

الخير فتمارس رياضة النطق بالصدق وتُعود نفسك ألا تقول إلا الحق -
وتعوّده على الخير وحمله على الأدب وإجمامه - أي حبس اللسان عن الكلام -
إلا لموضع الحاجة والمنفعة - اللسان يحتاجه المرء في الخير، ولا بد من إحكامه
عن موارد الشر - وإعفاؤه عن الفضول الشنيعة القليلة الفائدة التي لا يؤمن
ضررها مع قلة عائدتها، وبعد شاهد العقل والدليل عليه (أي إذا استخدمت
لسانك في موارد لا يسندك المنطق والحجة والبرهان والدليل العقلي على ما
تقول، فسوف يؤدي بك إلى الخذلان من الله تعالى والبعث عن الحق)، لذا
قال عليه السلام: «وبعد شاهد العقل والدليل عليه» ثم قال عليه السلام: «وتزَيَّن العاقل بعقله
حُسْنُ سيرته» يزدان الإنسان ويُعرف بعقله فإذا كان منطقَه الصواب، كما قال
أمير المؤمنين عليه السلام لهمام في وصفه للمتقين: (منطقهم الصواب)، وهو منطق
العاقل المُتقي.

ثم قال عليه السلام: «ولا قوة إلا بالله العلي العظيم».

أي أنّ أداءك لحق اللسان بالخصوص في مسارك الدنيوي في هذه الحقة
الزمنية تحتاج إلى إعانة واستعانة بالله تعالى لأنّ القوة والحول به ومنه جل
وعلا.

ثم بيّن عليه السلام سمات وخصائص من سلك طريق العبودية ومسار الأنبياء
والرسل فقال عليه السلام: «إِنَّ أَحْبَبَكُمْ إِلَى اللَّهِ أَحْسَنَكُمْ عَمَلًا»^(١).

(١) تحف العقول لابن شعبة الحراني ص ٢٧٩ قال الإمام عليه السلام: (إن أحبكم إلى الله أحسنكم عملاً).

أي أنّ العمل الذي يصدر وإن قلّ فإنه يكفيه فضلاً.
 (وإنّ أعظمكم عند الله عملاً أعظمكم فيما عنده رغبة) أي من كان لديه
 توجه إلى عالم الآخرة ورغبة في حصول الثواب وفي خدمة المؤمنين، ورغبة
 بالتميز والتفوق في الوصول إلى الخير في دنياه وأخراه سوف يصل.
 قال عليه السلام: «وإنّ أنجاكم من عذاب الله أشدكم خشية لله، وإنّ أقربكم من
 الله أوسعكم خلقاً، وإنّ أرضاكم عند الله أسبغكم على عياله».
 بين عليه السلام صفة للإنسان الذي يعول عائلة، وأنه ينبغي أن يكون كريماً معهم
 لأنّ بعض الآباء المسؤولين عن عوائلهم، قد يمارس الكرم مع الآخرين لكنه
 في غاية البخل مع عياله وأولاده، وهي سمة مذمومة تؤدي بالعيال إلى مواطن
 الرذيلة والانحطاط في الناحية الأخلاقية، وبين عليه السلام أنّ من موارد الرضا الإلهي
 للإنسان أن يكون كريماً مع من يعول من عائلته خصوصاً مع أبنائه وزوجته.
 ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْتَقَى﴾ التقوى ميزان التفاضل بين البشر.

العباس عليه السلام مثال الأخلاق الفاضلة.

هذه السمات التي حددها الإمامان الحسين وزين العابدين عليهما السلام تجسدت في
 أبي الفضل عليه السلام، لذا وصل إلى مقام عالٍ، قال عنه الإمام الصادق عليه السلام: «إن

وإنّ أعظمكم عند الله عملاً أعظمكم فيما عند الله رغبة. وإنّ أنجاكم من عذاب الله أشدكم
 خشية لله. وإنّ أقربكم من الله أوسعكم خلقاً. وإنّ أرضاكم عند الله أسبغكم على عياله. وإن
 أكرمكم على الله أتقاكم لله).

للعباس عند الله تعالى منزلة يغبطه بها جميع الشهداء يوم القيامة»^(١).

المبادئ والقيم عند الإمام السجاد عليه السلام

قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (الأحزاب: ٣٣) صدق الله العلي العظيم.

شهدت أيام محرم أعظم حدث تاريخي مر على الأمة الإسلامية تتمثل في استشهاد الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه المخلصين، وتمتد أحزانه إلى اليوم الخامس والعشرين الذي استشهد فيه - أحد رواد فاجعة كربلاء الذين أوصلوا لنا حقيقة هذه الواقعة وفكرها وثقافتها الأصيلة - مولانا الإمام زين العابدين عليه السلام.

جسد هذا الإمام العظيم مبادئ الإسلام من خلال تأكيده المتكرر في المواقف المتعددة التي وقفها عليه السلام من الناحية العملية والسلوكية، فأبرز الإمام عليه السلام المبادئ الحقة من خلال البعد المدني والحضاري.

الفرق بين السياسي وصاحب المبادئ:

هناك فارق بين السياسيين وأصحاب المبادئ، السياسي هو الشخص

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ٢٢ ص ٢٧٤ قال الإمام السجاد عليه السلام: (رحم الله العباس فلقد أثر وأبلى وفدى أخاه بنفسه حتى قطعت يده فأبدله الله عز وجل بهما جناحين، يطير بهما مع الملائكة في الجنة كما جعل لجعفر بن أبي طالب، وإن للعباس عند الله تبارك وتعالى منزلة يغبطه بها جميع الشهداء يوم القيامة).

الذي يُريد أن يغتنم الفرصة لكي يصل إلى أهدافه ورغباته بغض النظر عن ما يقترفه من أمور لا تمت إلى تلك المبادئ بصلة وتتعارض مع الدين. أما صاحب المبادئ فلا يهيمه الكسب المؤقت والنجاح الذي يمثل البرهة الزمنية المحدودة، وإنما همه التمسك بالمبادئ والقيم الحضارية للدين والحُلق القويم.

صمود الأئمة في تحقيق المبادئ السماوية:

الأئمة من أهل البيت عليهم السلام بالرغم من معرفتهم للطرق والأساليب المتتوية التي يتعاطى بها السياسيون إلا أن ذلك لم يحرفهم قيد أنملة عن المبادئ التي ينطلقون منها ويتحركون في إطارها، فهم لا ينظرون إلى أزماتهم التي يعيشون فيها بقدر ما ينظرون إلى المستقبل، لذا نجد أن بعض غير المتمين إلى الإسلام عندما يقومون بدراسات معمقة في حياة بعض أئمة أهل البيت عليهم السلام استطاعوا أن يُبلوروا الفكرة التي شرحناها بلورة رائعة، فهذا جورج جرداق وهو من المسيحيين بل لعله من العلمانيين يقول: أنا لا أو من في البشرية إلا بشخصين ويعتبر أحدهما الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

وما ذلك إلا أن الإمام كان يُؤكد على قيم السماء والوقوف مع العدالة ومع المثل، وهو القائل: «والله ما معاوية بأدهى مني ولكنه يغدر ويفجر ولولا كراهية الغدر لكنت أدهى الناس»^(١)، يكره الإمام عليه السلام هذه الممارسات المشينة التي تتنافى مع القيم والمبادئ الدينية، والإمام زين العابدين عليه السلام وريث جده

(١) نهج البلاغة - خطب الإمام علي عليه السلام - ج ٢ ص ١٨٠.

أمير المؤمنين عليه السلام في الحفاظ على تلكم المبادئ الساموية التي جسدها في كل المواقف، وسأذكر بعضاً منها:

الأول: الحفاظ على قيم الإسلام ومبادئ الإنسانية العامة.

ثار أهل المدينة على الحكم الأموي في واقعة الحرّة التي اقترف فيها الأمويون تجاوزات وانتهاكات لا حدّ لها ولا تنسجم مع مبادئ الإسلام ولا مع القيم الإنسانية، إلا أنهم بالطبع احترموا شخص الإمام عليه السلام، الذي كان يحمل طابعاً أشبه ما نسميه في العصر الحديث بالحصانة الدبلوماسية، أي أنّ الإمام - نتيجة لواقعة كربلاء التي استشهد فيها الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه الطيبين - أصبح يُمثل المرجعية الدينية والعلمية بالإضافة إلى المكانة الاجتماعية التي يحتلها في المجتمع الإسلامي، فأصبح كياناً وواقعاً لا يمكن لأحد أن يتجاهله، وكانت السلطة آنذاك تخشى السخط الشعبي واضطراب الوضع السياسي لو أساءت إلى الإمام عليه السلام وبالأخص أنّ بوادر السخط والاستياء كانت تعم أوساط الأمة الإسلامية تجاه الأمويين بما فعلوه بالإمام الحسين عليه السلام وأصحابه، فأعطت هذه الواقعة الإمام عليه السلام نوعاً من الحصانة، ولما دخل جنود الأمويين واقترفوا تلك المجازر البشعة وانتهكوا الأعراض الطاهرة (بنات الصحابة)، كان الإمام عليه السلام محترماً ولم يجراً أحد بالمساس به وأهل بيته، فلذا، جاء مروان بن الحكم وهو من ألد أعداء أهل البيت، وأمنّ عنده بعض الأمانات بالإضافة إلى زوجة مروان عائشة ابنة الخليفة عثمان بن

عفان، مع أنّ الإمام عليه السلام على معرفة تامة بمروان وبغضه وعدائه ومواقفه ضد أهل البيت عليهم السلام، لكن الإمام عليه السلام وافق أن يحفظ الأمانة والوداعة ويردّها - بعد ذلك - على أكمل وجه، ويعود السبب إلى أنّ الإمام عليه السلام كان لا يتحرك من خلال ردة الفعل لإساءة الآخرين له أو استغلال ظروف الطرف الآخر وضعفه للانتقام منه، بل كانت مواقفه عليه السلام منبثقة من قيم الإسلام ومبادئ الإنسانية العامة التي أكدت عليها الرسالات السماوية.

الثاني: الحفاظ على الأمانة.

صدرت من الإمام زين العابدين عليه السلام أحاديث بيّن فيها أهمية الحفاظ على أحكام الإسلام وعلى المبادئ والمفاهيم التي شرّعها الشارع المقدس، ومن أهم تلك المبادئ الحفاظ على الأمانة، التي كان عليه السلام يوصي بها كل مسلم بل كل إنسان يحمل ضميراً حياً، قال عليه السلام: «عليكم بأداء الأمانة، فو الذي بعثَ محمداً بالحق نبياً، لو أنّ قاتلَ أبي الحسين بن علي عليه السلام ائتمني على السيف الذي قتله به لأديتهُ إليه»^(١) - لاحظوا - ما أروع ما يوصي به الإمام عليه السلام كل الناس بالحفاظ على الأمانة، وتتجلى الأهمية الفائقة لأداء الأمانة عندما تتأمل الوضع الاجتماعي - آنذاك - الذي لا تتوافر فيه بنوك ولا توجد حكومات بمثل الحكومات التي في عصرنا الحاضر التي تمتلك سلطة تنفيذية قوية، بالإضافة

(١) وسائل الشيعة للحر العاملي ج ١٩ ص ٧٦.

إلى أن الكثير من الناس يعيشون بمنأى عن السلطة في القرى والأرياف، وكانوا يعيشون على مبدأ الثقة واستيداع الأمانات عند بعضهم، والإمام عليه السلام يريد للمجتمع المدني - آنذاك - أن يعيش الوداعة والطمأنينة والرفاه، ويتفرغ لأمواله حتى يُحقق التقدم في مسارات الحياة المتعددة، فكان يُوصي بأهمية أداء الأمانة، قال عليه السلام: «لو أن قاتل أبي الحسين بن علي عليه السلام ائتمني على السيف الذي قتله به لأديته إليه» يؤكد الإمام عليه السلام بهذا المثال على القيم ويرفع الإنسان من النظرة الضيقة والمحدودة للزمن الذي يعيش فيه وللمجتمع الذي يعيش في كنفه ووسطه، فيتجاوز كل ذلك، ليلحظ التاريخ المشرق للإنسانية بامتداده وأحقابه المتطاولة.

الثالث: الارتباط بالله تبارك وتعالى.

يعلم الإمام عليه السلام الإنسان المؤمن بل الإنسانية جمعاء أهمية الارتباط بالله تعالى، للإمام عليه السلام العشرات من الأدعية والروايات والمواقف والتوجيهات التي يؤكد فيها على أهمية وقيمة الارتباط بالله تعالى.

مرَّ الإمام عليه السلام ذات يوم على شخص فقير قد ضاع منه بعض المال أو سقط من يده، فكان يتألم لضياح تلك الأموال من يده ويكي بكاءً مريباً، فأراد الإمام عليه السلام أن يعطي الفقير وأمثاله درساً يرشده إلى أهمية الارتباط بالله تعالى، فالتفت إليه وقال: «لو أن الدنيا كانت في كف هذا، ثم سقطت منه ما كان

ينبغي له أن يبكي عليها»^(١)، يؤكد الإمام عليه السلام هنا على قيمة الارتباط بالله كمبدأ، لأنه لا يزول ولا يضمحل ولا يتغير، أما الارتباط بغيره والتعلق به وبالتالي التأثير الكبير على فقدانه، فلا ينسجم مع الإيمان الحقيقي بمبادئ وقيم الشرائع السماوية جمعاء، فأراد عليه السلام أن يُبين أن الإنسان لا ينبغي أن يجزع إذا ألمت به مصيبة أو وقع في مشكلة عويصة، لأنه يعلم أن الله تعالى بيده ملكوت كل شيء وهو على كل شيء قدير، وهذا درس من أعظم الدروس التي تُقدم للإنسان الذي تعرض لخسارة مالية أو فقد أمواله. فالهال رغم أهميته القصوى لكن لا ينبغي أن يؤثر ذلك على الإنسان فيصاب بالجزع، فإذا فقد ماله فقد عقله أو تأثر تأثراً نفسياً بالغا، والأسوأ من ذلك أن يفقد الإنسان في مثل تلك الظروف إيمانه ودينه، والإمام عليه السلام يخاطب هذا الفقير وغيره بأن الهال الذي ذهب من بين يديه حتى لو كان الدنيا بأجمعها ثم زالت من عنده وفقدها ما كان ينبغي له أن يبكي جزعاً عليها.

التمسك بالمبادئ هو الذي حفظ الدين.

هذه الدروس وغيرها لم يكن الإمام عليه السلام يوجهها للموالين والمحبين المؤمنين بمدرسة أهل البيت عليهم السلام فقط بل للناس عامة حتى الذين يسرون في ركاب السلطة الأموية وانحرفوا عن منهج أهل البيت عليهم السلام كالزهرى وغيره

(١) ميزان الحكمة للريشهري ج ٢ ص ١٢٢٩.

من علماء البلاط الأموي الذي سعى الإمام عليه السلام إلى إصلاحه وتنبهه على أخطائه الفادحة التي وقع فيها، فكان عليه السلام يحمل هموم الأمة بأجمعها ويسعى لربطها بالله وانتشالها من الأخطار المحدقة بها، وكان عليه السلام يُغدق على الجميع بمكارم أخلاقه، هذا الدور الفعال الذي قام به الإمام عليه السلام حفظ الدين ومبادئه الحقة إلى عصرنا الحاضر.

الإمام السجاد عليه السلام أصالة ونهضة واعية

قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ (السجدة: ٢٤).

الأجواء التي عاشها الإمام زين العابدين.

الإمام السجاد عليه السلام نجم ساطع وكوكب دري في الإمامة لعالمنا الإسلامي، وقد عاش فترة زمنية مليئة بالظلم والجور والانتهاك للحقوق والمقدسات، فما كان منه عليه السلام إلا أن يتخذ أسلوباً آخر للمواجهة مع الواقع المظلم الذي عاشه، باعتبار أن السلطة الأموية آنذاك مارست تجاهه أقصى أنواع التنكيل والاضطهاد والتعدي على حقوق الناس، ويكفيها مفردة واحدة من الظلم الذي مارسته السلطة الأموية ففي واقعة الحرة أخذت البيعة من الجميع كعبيد أرقاء، ويُدلل هذا على أنه لم تكن هناك حرية، والمهم هو إرضاء السلطة بأي نحو من الأنحاء.

المحاور التي اعتمدها الإمام في حركته الواعية.

عاش الإمام عليه السلام وسط هذا الجو الضاغط، وفي كنف واقع مؤلم ومظلم، فلم يستطع عليه السلام أن يمارس دوره بشكل واضح بحيث يظهر معارضته للسلطة بشكل يبين فما كان منه إلا أن يتخذ أسلوباً آخر، ركّز فيه على محاور ثلاثة - التثقيفي، والإعلامي والتعليمي - واستطاع الإمام عليه السلام بهذا الأسلوب الذي انتهجه إيصال الأمة إلى ما كان يصبو إليه من ناحية، وأبعد عن نفسه نظر السلطة من ناحية أخرى، وسوف نستعرض هذه المحاور على التوالي:

الأول: المحور التثقيفي للأمة.

من ناحية التثقيف كان الإمام عليه السلام يريد بهذا الدور أن يشرح مفاهيم الرسالة وحقائق الشريعة المقدسة من خلال دعاء الله ومناجاته، وأسلوب الدعاء هذا لم يشعر السلطة الحاكمة وأجهزة الرقابة آنذاك بأنّ هناك خطراً يهددها، بل، كانت تنظر إلى الإمام عليه السلام كأحد الزهاد والنساك دون أن تُدرك دوره الحضاري الذي يجتاز المدة الزمنية التي عاشها إلى الأبعاد المستقبلية من الدهور والأحقاب، ولذا، نجد أنّ أدعية الإمام عليه السلام بالإضافة إلى رفعها مستوى الإنسان في إدراكه لمفاهيم الشريعة المقدسة ربطته بالله تعالى، وهذا بدوره حقق هدفاً آخر، حيث استطاع الإمام عليه السلام أن يُضاد الأطروحة المتخذة من قبل السلطة الأموية التي ترتبط بتميع الروح المعنوية للإنسان المسلم وإشغاله بالمال والجواري، لأنّ الفتوحات التي حققها المسلمون كان من

نتاجها جلب الجوارى من أنحاء مختلفة من العالم، فحاولت السلطة تسليط الضوء وتوجيه الرأي العام إلى مسألة الهال والجوارى. وكان دور الإمام عليه السلام معاكساً ومضاداً للسلطة حيث سعى عليه السلام إلى تقريب الإنسان المسلم من البارى تعالى وتذكيره بعالم الآخرة، ووضع على مستوى المسؤولية الذاتية بأن لا يؤدي به الوضع الاجتماعى المعاش إلى سحق معنوياته، وإنما يأخذه الدعاء إلى عالم فيه من الإشراق ما يملأ ضميره ويربطه بمبدئه. وكل الأدعية والمناجاة التي نقرأها في الصحيفة السجادية الأولى أو الثانية أو الثالثة أو الرابعة نجدها توضح حقائق يصعب على الإنسان أن يدركها لولا هذه الأدعية. وسأشير فقط إلى مفردة واحدة من هذه الأدعية يتحدث فيها الإمام عن شكر النعمة انطلاقاً من قوله: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ (إبراهيم: ٣٤)، ويؤكد على أن ما يصدر منه من شكر هو نعمة من نعم الله عليه، قال عليه السلام: « فكيف لي بتحصيل الشكر، وشكري إياك يفتقر إلى شكر»^(١) هذه المفردة في غاية البلاغة، لأن الإمام عليه السلام يشير فيها إلى أن كل النعم المادية والمعنوية التي تأتي من قبل الله تعالى تحتاج إلى الشكر، والشكر هو توظيف النعم فيما يريد الله تعالى، وقد أسدى الإمام عليه السلام بثقافة الدعاء خدمات متعددة للأمة الإسلامية في عصره والعصور اللاحقة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

(١) الصحيفة السجادية - الإمام السجاد عليه السلام - ص ٤١٠.

الثاني: استغلال المحور الإعلامي.

من المعروف تاريخياً أنّ السلطة الأموية مارست تشويهاً إعلامياً على قتل الإمام الحسين عليه السلام في أنحاء مختلفة من العالم، وتعدى ذلك التشويه حتى وصل للذين تخصصوا في فهم علوم الدين، فنجد أنّ بعض الذين لم يفهموا روح الشريعة يُعبر عن الإمام الحسين عليه السلام بأنه خرج عن حده فقتل بسيف جده، وهذا كلام بعيد عن الصواب، ولا يتناسب مع ما ذكره المصطفى صلى الله عليه وآله في حق الحسين وأخيه الحسن كقوله صلى الله عليه وآله: «الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا»^(١) فهل يمكن أن يخرج من أعطاهم النبي صلى الله عليه وآله مثل هذا الوسام عن حدود الشريعة؟! كلا، لكنّ التشويه الإعلامي أخذ مداه وأثر حتى على المتخصصين أو من يدعي التخصص في علوم الشريعة. وهو ما تطلب أن يوجد الأئمة من أهل البيت عليهم السلام منبراً إعلامياً يوضح حقيقة النهضة الحسينية من مناحي مختلفة، أهمها، جانب المظلومية التي حلّت عليهم، ويبين أيضاً أنّ هناك حقوقاً للإنسان ولأبي مفردة في هذا الكون لا بد من المطالبة بها، وهذا الدور الإعلامي جسده الإمام السجاد عليه السلام في مواقف متعددة، فعندما كان يخرج إلى السوق، ويرى من يذبح الشاة، يسأله هل سقيت الشاة ماءً؟ فيقول: نعم، وهنا يتأثر الإمام عليه السلام، وينفجر باكياً على أبيه الحسين عليه السلام، وهو بذلك يوجه رسالة يُعلّم الأمة فيها آداب وحقوق عالم الحيوان فضلاً عن الإنسان، كي

(١) عوالي اللئالي لابن أبي جمهور الأحسائي ج ٤ ص ٩٣.

يراعوها؛ وإذا كان هناك حق للحيوان فما بالك بالإنسان، هذا التعليم والتربية التي كان يجليها الإمام ويوضح معالمها العامة في الجانب الإعلامي لإظهار مظلومية أبيه وأهل بيته ممن قُتل في كربلاء أخذ أبعاداً مختلفة حتى كان يبكي في مناسبات مختلفة، وقد نقل المؤرخون أنه ما قدم له طعام أو شراب إلا ومزجه بدموعه. ولولا هذا الجهد المركز من قبل الأئمة من أهل البيت عليهم السلام بما فيهم الإمام السجاد عليه السلام لنسيت ثورة الإمام الحسين عليه السلام، واندثرت، ولم يمكنها أن تأخذ هذا البعد العالمي الذي أخذ مداه واتسع بأبعادٍ مختلفة تصب كلها في صالح إنسانية الإنسان ومراعاة حقوقه، بل، حقوق كل مفردة من مفردات الكون.

الثالث: تفعيل المحور التعليمي.

أسس الإمام عليه السلام نواة للجامعة التي تبلورت معالمها في حياة ابنه الباقر والصادق عليهما السلام، فبدأ التأسيس العلمي لهذه الجامعة في مسجد جده النبي صلى الله عليه وآله، ونلاحظ فيها عدم اقتصرها على الطلاب الذين ينتمون مذهبياً للإمام ويعتقدون بإمامته، بل، شملت كل ألوان الطيف الديني آنذاك؛ فانفتحت جامعته على الجميع، وكان يهدف من هذا الانفتاح إيصال رسائل متعددة لشرائح الأمة المختلفة، وهو ما أدى إلى وجود التنوع في الثقافة والاتجاه الفكري والعقدي في تلامذته، فكان بعضهم يؤمن بإمامة الأئمة من أهل البيت عليهم السلام، بينما يرى البعض الآخر أن الإمام كسائر العلماء الموجودين لا

يفترق عنهم، استطاع الإمام عليه السلام جمع هذا الشتات المتعدد وحاول أن يرييه تربية مبتنية على أسس قويمة، فنجد بعض النماذج من تلامذته كالجبل الأشم في صموده وصبره وتحديه، وفي أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، وفي مقدمة هؤلاء سعيد بن جبير، حيث وقف أمام الحجاج، الأمير المتغترس، الذي خاطبه: ألسنت شقي بن كُسير، فرد عليه ذلك الرد الحازم الحاسم. وهناك أنموذج آخر في تربيته لأمثال طاووس السيامي، ومجموعة من الزهاد الذين تأثروا بمنهجه الأخلاقي في الزهد والتوجه إلى عالم الآخرة ونبذ زخارف الدنيا، وكان الإمام يهدف من وجود هذا التوجه، التقليل من ذلك الزخرف الكبير وحالة الترف الهادي، الذي توجهه السلطة لتميع الروح المعنوية للأمة، فكان عليه السلام يُطعم الأمة بنماذج تنبذ التوجه الهادي وتدرك عمق التوجه المعنوي في صنع شخصية الإنسان الرسالي، واختار الإمام عليه السلام بعض هؤلاء الناس ليكونوا طلائع في الأمة يُذكَرون الأمة بما ينبغي لها أن تتذكره من قيم الرسالة ومعاني الروحانية، ولا يتاح للإنسان إدراك هذا الجانب ما لم يطلع بشكل نظري وعملي على بعض النماذج التي ترجح الله وعالم الآخرة على عالم الدنيا والمادة. ولم يكتفِ الإمام عليه السلام بأن يضم في مدرسته هذه النماذج التي تمثل درجة عالية من الجهد والتوجه إلى العالم المعنوي، بل، أولى اهتماماً ببعض الشخصيات، التي لها مصالح مع السلطة أمثال محمد بن مسلم الزهري، وهو شخصية علمية من العامة لديها اعتدال إلى حد ما، والإمام عليه السلام يضمه الزهري

إلى مدرسته كان يريد أن يُعلم هؤلاء تعاليم خاصة ويربيهم على المفاهيم الإسلامية كي يتسنى لهم من خلال لقاءاتهم بمسؤولي الدولة، من الأمراء والوزراء والشخصيات ذات النفوذ، أن يُقللوا من الظلم والجور الصادر منهم على الأمة، وهذا ما نجده بوضوح في الرسائل التي وجهها الإمام عليه السلام للزهري والتي قال في بعضها: «كفانا الله وإياك من الفتن ورحمك من النار فقد أثقلتك نعم الله بما أصح من بدنك، وأطال من عمرك، وقامت عليك حجج الله، بما حملك من كتابه، وفقهك فيه من دينه وعرفك من سنة نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم»^(١)

فكان الإمام عليه السلام يخاطبه من خلال مسؤوليتين، مسؤولية في جانب النعم التي أنعم الله بها عليه، وأخرى في الجانب العلمي الذي تلقاه من لدن الإمام بحيث يكون علمه مطبقاً في سيرته العملية وألاً يكون عمله يتنافى مع ما تلقاه من علم.

حقوق الإنسان في رسالة الحقوق.

لقد كانت للإمام عليه السلام توجيهات كثيرة لكل شرائح الأمة من أجل تربيتهم من جهة، وإلفات نظرهم إلى أن هناك حقوقاً لهم وعليهم من جهة أخرى، ولذلك، نجد الإمام في رسالة الحقوق يخاطب الجميع بهذه الحقوق، ولتقف على حقين منها:

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ٧٥ ص ١٣٢.

الأول: حق الصغار في الجانب التعليمي، فهناك من يحتاج إلى التعامل وإياه بإيجابية كبيرة، وكان الإمام يركز على مسألة الناشئين من اليافعين والشباب، لما لهم من دور فاعل في عالم المستقبل، ويُذَكِّر الأمة جمعاء بأهمية الشباب، قال عليه السلام: «وأما حق الصغير فرحمته وتثقيفه وتعليمه والعفو عنه والستر عليه - فإذا ارتكب بعض الأخطاء فلا بد من العفو عنه - والرفق به والمعونة له»، أي، رفع مستواه درجة درجة إلى أن يصل إلى تحمل المسؤولية، والأهم من ذلك أنه قد يقترف بعض الأعمال المشينة المعبر عنها بالجرائر وبعض الذنوب الكبيرة، لكن ذلك لا يمنع من إسداء النصيحة له والرحمة له والتربية المشفقة عليه، قال عليه السلام بهذا الصدد: «والستر على جرائم حدائته فإنه سبب للتوبة والإنابة والمداراة له وترك مما حكته، فإن ذلك، أدنى لرشده»^(١) أي، لا تتقصاه ولا تجادله بشكل شديد، وإنما ترفع من مستواه بشكل تدريجي كما أشرنا وذلك أقرب لرشده، وهذه رسالة عامة وجهها الإمام عليه السلام كحق على جميع الناس بالنسبة للشباب واليافعين.

الثاني: حق أهل الملة، وهو الأروع من السابق في كلمات الإمام حيث أكد على حق من يشترك معك في لا إله إلا الله، محمد رسول الله، فقال عليه السلام: «وأما حق أهل ملتك عامة فإضمار السلامة»^(٢) أي، ليس فقط أن تُسلم الآخر، بل،

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ٧١ ص ١٩.

(٢) مستدرک الوسائل للنوري ج ١١ ص ١٦٨: (وأما حق ملتك عامة، فإضمار السلامة، ونشر

تضمّر له السلامة، ويعني هذا أن تعيش السلامة في الجانب النفسي الذي هو الأساس للفكر والانطلاقة العملية، فتكون مبادئ تفكيرك قائمة على السلامة، ثم قال عليه السلام: «ونشر جناح الرحمة والرفق بمسيئهم وتألّفهم واستصلاحهم»، أي أنّ انطلاقاتك مع المسلمين لا بد أن تبنى على الرحمة والرفق بالمسيئ والمخطئ حتى إذا حدثت إساءة عليك، لا بد من تحمل الإساءة، والتعامل برفق وألفة مع المسيء واستصلاحه بشكل دائم، لأنّ هذا ما يؤدي إلى رفع مستوى الأمة، ثم قال عليه السلام: «وشكر محسنهم إلى نفسه وإليك، فإنّ إحسانه إلى نفسه إحسانه إليك»، حتى الإنسان الذي لا يُقدّم لك شيئاً، لكنه يتولى تربية ذاته، لا بد أن تُقدّم له بطاقة شكر، لأنّ إحسانه إلى نفسه إحسان إليك بطريق غير مباشر، وأوضح الإمام ذلك، فقال عليه السلام: «إذا كف منك أذاه وكفّك مؤونته، وحبس عنك نفسه»، أي، كفّك ثقل المؤونة تجاهه وجعلك في راحة تتوجه إلى نفسك وإلى المسؤوليات الأخرى المناطة بك ثم قال: «فعمّمهم جميعاً بدعوتك»، اجعل دعائك لجميع المسلمين دون استثناء، «وانصرهم جميعاً بنصرتك وأنزلهم جميعاً منك منازلهم: كبيرهم بمنزلة الوالد، وصغيرهم بمنزلة الولد، وأوسطهم بمنزلة الأخ فمن أتاك تعاهده بلطف

جناح الرحمة، والرفق بمسيئهم، وتألّفهم واستصلاحهم وشكر محسنهم إلى نفسه وإليك، فإن احسانه إلى نفسه احسانه إليك، إذا كف منك أذاه، وكفّك مؤونته، وحبس عنك نفسه، فعمّمهم جميعاً بدعوتك، وانصرهم جميعاً بنصرتك، وأنزلهم جميعاً منك منازلهم: كبيرهم بمنزلة الوالد، وصغيرهم بمنزلة الولد، وأوسطهم بمنزلة الأخ، فمن أتاك تعاهده بلطف ورحمة).

ورحمة، وصل أخاك بما للأخ على أخيه»، وما أروع هذه التعاليم، التي تُعد مدرسة متكاملة للأمة في أبعادها، وتصنع شخصية الإنسان المسلم على مستوى التفكير والعمل في الآفاق المتعددة للحياة، ولو سارت الأمة في ركاب أهل البيت عليهم السلام وأخذت بهديهم لما توصلت إلى ما وصلت إليه في عصرنا الحاضر، وما نلاحظه في العصر الحاضر من إرهاب يُوسمُ الغرب المسلمين به ما هو إلاّ نتائج طبيعية للابتعاد عن منهج أهل البيت عليهم السلام، المتضمن لقيم الرسالة والمعاني العميقة للفهم الواعي للدين. لذا فإنّ الاعتداء الآثم على قيم الرسالة هو اعتداء على الإسلام بشكل مباشر، لكنه بأطر ولافتات غاية في المهانة، من هنا نرى أنّ الاعتداء على حرم الإمامين العسكري والهادي عليهما السلام في العراق هو تعدٍ على قيم الرسالة، لأنّ أهل البيت ليسوا للشيعنة خاصة، وإنما هم المرجعية العلمية والثقافية لكل المسلمين، بل، للإنسانية جمعاء.

إنّ الحقوق التي ذكّر بها إمامنا عليه السلام حقوق عامة للإنسان بما هو إنسان، وبغض النظر عن انتمائه الديني. وكانت رسالة الإمام زين العابدين عليه السلام هي الأخذ بيد الأمة إلى الاتجاه الصحيح، لكن، ما مُورس في حقه من طغيان للسلطة آنذاك واستمرار الوضع إلى يوم الناس هذا أوجب أن يكون بعض النافذين الذين لا تهمهم إلاّ المصالح الخاصة لأنفسهم أن يتخذوا أساليب متعددة باسم الإسلام تارة وأسماء مختلفة تارة أخرى، لكنها بعيدة عن قيم الرسالة، وتؤدي بالأمة إلى التشرذم، والانحطاط، والتخلف والفقر والتعدي

على كل الحقوق، بما فيهم الصغار والكبار والمقدسات. ويتجسد النهج الذي رسخه الإمام عليه السلام في تلامذة مدرسته الممتدة على مر العصور، ولعل أبرز هؤلاء سيدنا السيستاني حفظه الله الذي تميز بالحنكة والمواقف الحكيمة، وقد تجلّى ذلك بوضوح في بيانه الرائع والجميل، الذي أصدره بعد الاعتداء الصارخ والآثم على الأماكن المقدسة، حيث قال: (انطلاقاً من مبادئ الإمام زين العابدين عليه السلام يحرم عليكم التعدي)، أي لا تجاهبوا تلك الأعمال الشنيعة والبربرية بالمثل، فحتى المجابهة بالمثل لا يجيزها علماؤنا لهماذا؟ لأنهم يريدون لأمتنا أن ترفع قامتها بين الأمم وتبين بمعالم واضحة الجانب الحضاري والسلم الاجتماعي للأمة، لكن أعداء الأمة من حيث لا يشعرون يريدون لها التشرذم والتخلف والفقر وإظهار الإنسان المسلم بمظهر الإرهابي في عالم الإنسان، ولولا أنّ الأئمة عليهم السلام قاموا بهذه الأعمال الكبيرة لمحي الدين ومحقت آثاره، ولم يبقَ منه شيء، فبقاء الإسلام هو بركة من بركات جهاد الإمام زين العابدين وأهل البيت عليهم السلام، الذين ناضلوا بكلماتهم المضيئة ودمائهم الزكية، والتي لولاها لما بقي للإسلام ثمار ومعنى من المعاني الجميلة التي يستطيع الإنسان أن يدركها بوضوح، ولولا ذلك لما رُئي الإسلام إلا مجموعة من الأعمال البربرية والشنيعة التي يقوم بها الهمج الرعاع في عصر الناس هذا.

الإصلاح الاجتماعي عند الإمام السجاد عليه السلام

قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ

وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَقَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾
 (الحجرات: ١٣) صدق الله العلي العظيم.

للإمام زين العابدين عليه السلام أدوار مختلفة في المجال التعليمي والثقافي وكذلك في المجال السياسي بنضاله السلمي المنسجم مع ظرفه الزمني، كما أن له دور بارز ومؤثر في المجال الاجتماعي، وسنورد شذرات من دوره عليه السلام في الحياة الاجتماعية.

المجتمع في عصر الإمام السجاد عليه السلام.

يتقدم المجتمع كلما تأكدت الأواصر فيه وتوثقت العلاقات بين فئاته وأفراده، ويسير بذلك سيراً انسيابياً في تقدمه، وكلما حدث خلاف وسط المجتمع تقهقر إلى الوراء ورجع إلى الخلف، لذا يسعى حكام الجور والظالمون إلى تفكيك أواصر الارتباط بين أفراد وفئات المجتمع الواحد، ويعود السبب في ذلك إلى سهولة السيطرة عليه لتفككه، وانشغال بعضه ببعضه الآخر، فلا يتفرغ لقضاياه ولا يستطيع أن يرقب الحاكم الظالم في تصرفاته اللامسؤولة، وقد اشتهر بين الناس قاعدة (فرق تسد) فمن أراد أن يتسيد على مجتمع ما زرع أسباب الفرقة في وسطه ليسهل السيطرة عليه.

المخطط الأموي في تمزيق المجتمع.

مارس الأمويون هذه السياسة البشعة اللامقبولة في التفريق بين أفراد المجتمع وفئاته من خلال مخطط قائم على أمرين:

الأول: التصنيف الطبقي للمجتمع.

من أعظم الممارسات التي مارسها الأمويون في تفريق المجتمع بتصنيفه إلى صنفين عرب وموالي، وإعطاء الامتيازات السياسية والاقتصادية والامتيازات الأخرى لمن ينتمي إلى العرب، أما من كان من غيرهم حتى وإن كان مسلماً فلن يشفع له إسلامه ولن ينال حقوقه.

الثاني: الولاء للسلطة الحاكمة.

مارس الأمويون التفريق بين المجتمع على أساس الولاء للحاكم فمن يوالي السلطة الأموية سيتمتع بامتيازات كثيرة، أما من يتوقف في موالاته لها فلن ينال حقوقه فضلاً عما يعارض السلطة كأتباع أهل البيت عليهم السلام فإنه سوف يلاحق بالاضطهاد والتنكيل بالسجن وغيره من أنواع العذاب التي مارسها الأمويون في ملاحقتهم لأتباع أهل البيت عليهم السلام.

انتشار الطبقة في الوسط العلمي.

لم تكن التفرقة بين عربي وغيره - التي أسسها الأمويون - مقتصرَةً على الجانب الاجتماعي، بل أثرت حتى في المجال الديني، فقد كان بعض الرواة لا يروي إلا إذا كان المروي عنه من العرب، أما إذا كان في سلسلة الرواية شخص غير عربي من الموالى فلا يروي عنه ولا يُقبل منه، وعندما يصل الأمر إلى هذا المحدودية فإنّ الفكر الإسلامي سينحصر في دائرة ضيقة ولن يستطيع أن ينتشر بين الناس، لأنّ الرواية لن يؤخذ بها حتى إذا كانت من الأكفأ

الأعلم إذا كان الراوي من غير العرب، هذه إشكالية كبيرة فقد استطاع الأمويون أن يجعلوا من التفرقة التي ساروا عليها أن تصل إلى هذا المستوى المزري في رواية الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وآله.

مواجهة الإمام السجاد عليه السلام للطبقية.

واجه الإمام زين العابدين عليه السلام في جهاده الاجتماعي السلطة، وأرسى دعائم الفكر الإسلامي الأصيل بعدم الفرق بين عربي وغيره وبين أسود وأبيض، وبين من ينتمي إلى قبيلة وأخرى، لا فرق في الحقوق بين الجميع ومقياس التفاضل هو تقوى الله تعالى والعلم النافع. ولم يكتفِ الإمام عليه السلام في مناهضة الأمويين نظرياً، بل أكد ذلك بمواقف عملية، جابه بها السلطة بإصلاح اجتماعي ناجح ظهر في أمور عدة:

الأول: الإكثار من عتق الموالى.

قام الإمام عليه السلام بشراء العبيد والإماء وتربيتهم تربية صالحة ثم عتقهم ليجسدوا الفضيلة والخير وسط المجتمع الإسلامي فكان الإمام عليه السلام يعتق العبيد والإماء بعد مرور سنة من تربيتهم وانتهائهم من دورة تدريبية يتلقون فيها تعاليم الإسلام والفهم لأحكامه من قبل الإمام عليه السلام ومن ثم يعتقون وينطلق كل منهم في سبيله، ولم يقتصر الإمام عليه السلام على هذا فحسب ليقال إنه فعل ذلك من زاوية الثواب، وابتغاء الفضل من الله تعالى والتقرب إليه بعتقهم بل كان الأمر أبعد من ذلك وأعمق.

الثاني: رفع المستوى الاجتماعي للإمام.

لم يقتصر دور الإمام عليه السلام في محاربة الطبقة بين الموالي وغيرهم على شرائهم وعتقهم، بل سعى إلى رفع مستواهم الاجتماعي، وقد عمل ذلك مع إحدى جواريه التي اشتراها ورباها تربية صالحة ثم أعتقها ثم خطبها وتزوجها، وعندما سمع بذلك عبد الملك بن مروان أرسل رسالة إلى الإمام عليه السلام يؤنبه فكتب عبد الملك إلى علي بن الحسين عليه السلام: «أما بعد، فقد بلغني تزويجك مولاتك، وقد علمت أنه كان في اكفائك من قريش من تمجد به في الصهر، وتستنجبه في الولد، فلا لنفسك نظرت، ولا على ولدك أبقيت، والسلام، فكتب إليه علي بن الحسين عليه السلام: «أما بعد، فقد بلغني كتابك تعنفي بتزويجي مولاتي، وتزعم أنه قد كان في نساء قريش من أتمجد به في الصهر، واستنجبه في الولد وإنه ليس فوق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مرتقى في مجد ولا مستزاد في كرم، وإنما كانت ملك يميني خرجت، متى أراد الله عز وجل مني بأمر التمسست ثوابه، ثم ارتجعتها على سنته، ومن كان زكياً في دين الله فليس يخل به شيء من أمره، وقد رفع الله بالإسلام الخسيسية، وتمم به النقيصة، وأذهب به اللؤم، فلا لؤم على امرئ مسلم إنما اللؤم لؤم الجاهلية والسلام»^(١).

هذا الرد الدامغ للإمام عليه السلام مجابهة واضحة مع السلطة، لأنها تريد تفكيك المجتمع على أساسٍ عربي وموالي، ومن لا ينتمي إلى العرب ليس له الامتياز

(١) الكافي للكليني ج ٥ ص ٣٤٥.

الذي يتمتع به العربي، غير أن الإمام عليه السلام لم يكتفِ بالتنظير لذلك بل عمل عملاً بتزوجه لأُمَّته الأعجمية.

الثالث: التواضع للموالي.

كان للإمام عليه السلام أصحاب وأصدقاء من الموالي الذين يمتلكون فكراً جيداً، وكان عليه السلام يهدف بارتباطه الوثيق بهم أن يبين أنه لا ينبغي للمجتمع الإسلامي أن يتفكك على أساس عرقي بل عليه أن يربط بعض أجزاءه ببعضها الآخر من خلال صداقات وعلاقات طيبة وقد وطّد علاقة طيبة مع مولى لآل عمر، وكان عليه السلام يتعمد أن يجلس مع هذا المولى ويتحدث طويلاً أمام مرأى ومنظر من الناس فيبسطه في الحديث ويناقشه في المسائل مما أثار عليه السلطة وبعض العنصريين فقالوا له لماذا لا تجلس مع أشرف الناس من ذوي الحسب والنسب وتجلس مع هذا العبد تاركاً الشخصيات اللامعة والكبيرة؟ فرد الإمام عليه السلام بسلوكه العملي من خلال استمراره بالجلوس معه.

الرابع: التواصل مع الموالي.

لم يقتصر دور الإمام عليه السلام على شراء العبيد وتربيتهم ثم عتقهم، بل ارتبط عليه السلام معهم بروابط حميمة فمن اعتقه يبقى راعٍ له، هذه العلاقات الحميمة جعلت بعض من يعتقه لا يقبل أن ينفصل عن الحالة التي هو عليها مع الإمام عليه السلام ولا يريد أن يخرج من بيته عليه السلام، إذ أنه وجد بيت الإمام عليه السلام مدرسة تعلمه الأخلاق والعقيدة ومهارات التعامل مع الطيف الاجتماعي المتعدد،

فكان بعض العبيد الحصيف في رأيه لا يريد أن يدع هذه المدرسة ويترك التعاليم القيمة ليخرج لمتاع أي أنه لا يريد أن يرتقي اقتصادياً دون أن يتطور من ناحية تعليمية وثقافية.

كل هذا يصب في مسار المواجهة للسياسة الاجتماعية التي اتخذها الأمويون، بتفكيكهم أو اصر اللحمة الاجتماعية، والإمام عليه السلام يوطد تلکم الأواصر.

محاربة التمايز الاجتماعي.

عالج الإمام عليه السلام داءً مزمناً هو التفريق بين بعض أفراد المجتمع وفئاته على أساس الانتماء إلى الأب أو الأسرة كما نعلم أنّ بعض الناس من بعض القبائل قد يتمتع بذكاءٍ أو مهارة يتفوق بها على بعضهم الآخر ويصبح من ينتمي لهذا الشخص له امتيازات تتراكم على مر الزمن كما إذا كان ابناً لأحد العلماء أو الأدباء أو الأتقياء المشهورين بزهدهم وتقاهم فتكون لسلالة ذلك العالم أو الأديب بعض الامتيازات، ويتصور من ينتمي إليه أنه يفوق بقية الناس، والسبب أنّ جده فلان أو أنه ينتمي إلى الأسرة الفلانية مما يجعله ينظر إلى شخصيته بنظرة مختلفة عن الناس ويرى أنه أفضل من غيره بسبب ذلك الانتماء كقول الشاعر:

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني^(١)

هذه النظرة إلى النفس كانت ولا تزال موجودة لدى بعض الناس بغض

(١) شرح نهج البلاغة: لابن أبي الحديد ج ٢٠ ص ١٨٨.

النظر عن السياسة الأموية، وأراد الإمام عليه السلام أن يبرهن لفئات المجتمع بأنه لا فرق بين شخص ينتمي إلى ذلك الأب وغيره فهو عليه السلام ينتمي إلى رسول الله وعلي والصديقة الزهراء والحسن والحسين عليهم السلام ومع ذلك يتزوج بأمة ليذيب الجليد الذي تراكم بمرور الزمن ويجعل نظرة الناس إلى بعضهم نظرة الاحترام والتقدير وأن الكفاءة بالإسلام والتقوى.

إفشال السياسة الأموية.

وطّد الإمام عليه السلام بهذه اللمسات الاجتماعية المتعددة أواصر الارتباط بين فئات المجتمع الواحد، فكسر العرف القائمة عليه السياسة الأموية بأنّ الأفضل هم العرب أو أنّ تلك القبيلة كمضر أفضل من قبائل العرب الأخرى، سياسة التفريق على أسس عرقية وقبلية لا زالت تمارس من الحكومات حتى في عصرنا الحاضر والتفرقة بين الناس على أساس الانتماءات لا زالت مستمرة غير أنّ الأئمة من أهل البيت عليهم السلام جابهوا سياسة التفريق القائم على أسس عقديّة أو انتماءات سياسية أو قبلية، وشجّبوا ذلك مستنكرين له بممارسات عملية واضحة، لعل زواج الإمام زين العابدين عليه السلام من أمته وتعامله مع بعض الموالي وإعتاقه للإيماء والعبيد واحترام الإمام عليه السلام للعالم بغض النظر عن كونه عربياً أو أعجمياً، بل التقدير للعلم والعلماء أرسى دعائم اللحمة الاجتماعية، وبهذه اللمسات دعا شرائح الأمة المختلفة إلى أهمية أخذ العلم، والاعتناء بالثقافة الإسلامية الأصيلة لأنّ التقدير هو دعم من الإمام عليه السلام للعلماء والمثقفين في المجتمع الإسلامي.

الفصل السابع

الإمام الصادق عليه السلام

الحركة العلمية للإمام الصادق عليه السلام في الأمة الإسلامية

قال الرسول صلّى الله عليه وآله: «إني تاركٌ فيكم الثقلين، كتابَ الله وعترتي أهل بيتي»^(١).

إطلالة على عصر الإمام الصادق عليه السلام.

مثَّل الإمامُ الصادق عليه السلام منعطفاً في تاريخ الأمة الإسلامية بما أوجده من حركة علمية وثقافية في العالم الإسلامي، جعلت الأمة الإسلامية تستطيع أن تفهم جميع أحكام الله تعالى من خلال القواعد التي أسسها في علمي الفقه والأصول.

مرَّ الإمام عليه السلام بعصر ذهبي في الحرية إذا صح التعبير، وإن كان حُكام

(١) وسائل الشيعة للحر العاملي ج ١ ص ٧٦.

عصره لا يمثلون الحرية أو الديمقراطية وإنما كانوا من الطغاة الجبابرة العتاة، إلا أنّ الظرف السياسي لم يخدم أولئك الطغاة لأنّ الدولة الأموية تلفظ أنفاسها الأخيرة، دبّ الخلاف بين أمرائها من جهة، وعمت الثورات والاضطرابات أرجائها من جهة أخرى، أما الدولة العباسية فكانت في بداية تأسيسها مشغولة بتكوين نفسها يشوبها الضعف وتمر بفترة حرجة تحتاج فيها إلى إعادة هيكلة النظام.

بروز شخصية الإمام عليه السلام في الساحة الإسلامية:

اغتنم الإمام الصادق عليه السلام هذه الفرصة وسعى إلى تغيير مسار الحركة السياسية التي تواجه العباسيين الذين استلبوا إرادة الأمة وحاولوا أن يأخذوا المغنم دون أن يُقدّموا مَعْرَماً بشعارات كانت تُمثّل الصحة في الظاهر لكنهم يريدون أن يُغيروا المسمى لهذه الشعارات في الواقع، حارب العباسيون الأمويين تحت شعار كبير عنوانه أنّ الحكم للرضا من آل محمد صلّى الله عليه وآله، أي الشخص المرّضي من آل محمد صلّى الله عليه وآله، ولم تشك الأمة آنذاك -بمختلف توجهاتها- من أنّ ذلك الشخص هو الإمام الصادق عليه السلام، إلا أنّ العباسيين لم يفوا بشعاراتهم بعد انتصارهم مع أنّ الظرف الاجتماعي ساعدهم للتوصل لمآربهم، وأرادوا بذلك تهميش الإمام عليه السلام وإلغاء دوره إلا أنّ ذلك أدى إلى بروز شخصية الإمام عليه السلام العلمية وتوجهه للعطاء الثقافي والفكري، الذي يتطلب صرحاً علمياً كبيراً، يكون امتداداً لمدرسة أبيه الإمام الباقر عليه السلام.

خصائص جامعة الإمام الصادق عليه السلام.

قام الإمام الصادق عليه السلام بتشييد هذا الصرح العلمي، فأسس أول جامعة إسلامية في العالم الإسلامي تفوقت على الكثير من الجامعات في العصور المتأخرة، وقد تولى بنفسه التدريس فيها ومناقشة أدق المسائل العلمية في حقول مختلفة والإشراف على تطوير حركتها العلمية، وإيصالها إلى أعلى المستويات، لذا تميزت هذه الجامعة بخصائص متعددة نلخصها في الآتي:-

الأولى: تدريس العلوم والمعارف الإسلامية.

قامت جامعة الإمام الصادق عليه السلام بالتدريس في الحقول والمعارف الإسلامية التي من أهمها، الحقل الفقهي، والأصولي، والعقدي بما مثله من مناظرات مختلفة أو جد مَشْرَباً كلامياً فلسفياً يُقْلُ نظيره حتى في عصرنا الراهن، وأعطى تميزاً خاصاً لطلابها على المدارس الأخرى.

الثانية: فتح التخصصات العلمية المختلفة.

لم يقتصر الإمام عليه السلام على إلقاء الدروس المرتبطة بالمجال الديني فقط، بل فتح باب التخصص في العلوم الحديثة التي أثارها بأطروحاته الدقيقة التي لم يتوصل إليها العلماء إلا في عصور متأخرة، ولا زال الكثير منهم ينظر إلى تلك القواعد التي أسسها الإمام من خلال الرسائل التي احتفظ بها التاريخ، وهي الرسائل المتبقية من تراث جابر ابن حيان الكوفي- الذي كان من ألمع تلامذة الإمام عليه السلام - تُعادل كتاباً كبيراً يتكون من ألفي صفحة تقريباً، وتتعلق بحقل

علمي هو الكيمياء، تعرضت هذه الرسائل للتلف، وهناك حقول علمية مختلفة تخصص فيها تلامذة الإمام عليه السلام كالفلك والرياضيات والطب والفيزياء والأحياء (علم الحيوان والنبات سابقاً) وحقول أخرى أثارت إعجاب الكثير من العلماء الذين جذبتهم شخصية الإمام عليه السلام العلمية، فأصبحوا ينظرون إليها بإجلال وإكبار عظيمين، نلمس ذلك جلياً عندما نقرأ كتاب الإمام الصادق عليه السلام عند الغرب الذي تكشف لنا فيه شخصيات كبيرة ومؤثرة من الناحية العلمية في حقول متعددة تثني بإطراء على إمامنا الصادق عليه السلام، إذ كيف أتيج آنذاك وفي ذلك العصر المظلم مع العقبات الكبيرة التي تُحد من نشاط الإنسان في أي مجال من المجالات أن يعطي هذا العطاء الكبير والمؤثر في الإنسانية جمعاء وليس في حياة الأمة الإسلامية فقط.

الثالثة: استقطاب الشخصيات العلمية للمذاهب الأخرى.

لم يكن الإمام عليه السلام منطوياً على نفسه ويراعي الكتلة التي تنتمي لأهل البيت عليهم السلام فقط، بل سمح لأي إنسان بغض النظر عن انتمائه الطائفي والمذهبي أن يلتحق بجامعة الإمام الصادق عليه السلام وأن يتلقى فيها مختلف التخصصات العلمية، لذا استقطبت مدرسة الإمام عليه السلام شخصيات علمية من أئمة المذاهب الأخرى بالخصوص المذهبين الحنفي والمالكي، اللذين استفادا من عطاء الإمام عليه السلام العلمي. وقد افتخر الإمام أبو حنيفة النعمان بقوله: (لولا الستان لهلك النعمان)^(١)، كما ذكر ذلك الألويسي في مختصر التحفة الاثني

(١) المراجعات للسيد شرف الدين ص ١٥.

عشرية، وهذه الكلمة تعني أن تتلمذ أبي حنيفة على يد الإمام عليه السلام لمدة سنتين أهله أن يفهم الكثير من القواعد الفقهية رغم كونه مخالفاً للمشرب الفقهية الذي يرتبه الإمام عليه السلام، وتبنى مسلكاً آخر يعتمد على القياس والاستحسان والمصالح المرسله، إلا أن الإمام عليه السلام كان في استنباطاته الفقهية هو الأعظم، كما قال إمام المذهب المالكي: (ما رأيت أفقه من جعفر بن محمد)^(١)، أي لم يوجد فقيه في العالم الإسلامي يستطيع أن يستنبط الأحكام من آي القرآن الكريم كالإمام عليه السلام بشهادة الإمام مالك، وغيره من أئمة المذاهب الإسلامية الأخرى، الذين لا ينتمون إلى مسلك أهل البيت عليهم السلام من الناحية العقدية، لكنهم استفادوا من علم الإمام عليه السلام تؤكد ذلك.

الرابعة: الانفتاح الفكري على التيارات المنحرفة.

تبنى الإمام عليه السلام الانفتاح الفكري على الجميع بما في ذلك الاتجاهات التي لا تعتقد بالإسلام عقيدة ومنهجاً، وذلك بهدف الحد من انتشارها في الوسط الإسلامي من جهة، وتثبيت قدرة الإسلام على مواجهة أي اتجاه فكري منحرف بما يمتلكه من أدلة دامغة وبراهين قوية من جهة أخرى، وبذلك استطاع أن يرّد بأسلوب علمي واستدلالي عميق، يعتمد مبدأ الحوار مع التيار الإلحادي الذي كان أنكر وجود الباري تعالى، بل استهزأ بكثير من المقدسات الإسلامية، حتى أن أحد زعماء التيار - ابن أبي العوجاء - الذي كان كثير من

(١) شرح إحقاق الحق للمرعشي ج ١٢ ص ٢١٣.

العلماء يكره مجالسته لفظاً لسانه انفتح عليه الإمام الصادق عليه السلام وأصغى لإشكالاته وفندها بأسلوب رائع وبرهان ساطع وفق قواعد علمية للحوار مع الآخر، وقد أدّى ذلك إلى تراجع كثير ممن تأثروا بهذا المبدأ الإلحادي، لهذا حذر ابن المقفع ابن أبي العوجاء من الدخول في نقاش مع الإمام عليه السلام حتى لا يتأثر به، قال له: (لا تفعل فإني أخاف أن يفسد عليك ما في يدك)^(١)، وكان الطابع العام لأصحاب الفكر المنحرف هو الحذر الشديد من محاوره الإمام عليه السلام لقوة حجته. ولهذا انتصر الإمام عليه السلام ودحض الشبهات التي لو أتيح لها المجال لأن تأخذ مسلكها لأثرت سلباً على حياة الأمة الإسلامية آنذاك.

قوة الإمام عليه السلام في مواجهة الصعاب

تعرض الإمام عليه السلام إلى إرهاب فكري بعد أن استقامت الأمور في الدولة العباسية، بالإضافة إلى المضايقات المتعددة على جميع المستويات، لكن ذلك الإرهاب وتلك المضايقات المتعددة لم تؤثر على مسار الإمام عليه السلام، ولم تشن له عزماً، وبقي يواصل طريقه وانفتاحه وحواراته العلمية إلى آخر يوم من حياته، وفي ذلك درس كبير نستفيده في حياتنا العملية وفي دعوتنا الثقافية في إصلاح مجتمعنا الذي يتطلب عزماً وثباتاً، وصبراً وأناة حتى الوصول إلى الهدف الأسمى وتحقيق الرضا الإلهي.

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ٣ ص ٤٣.

الإمام الصادق عليه السلام أصالة فكر ووعي أمة

قال الله تعالى في القرآن الكريم: **وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ** ﴿السجدة: ٢٤﴾. صدق الله العلي العظيم.

ملأ الإمام الصادق عليه السلام الدنيا علماً وفجر أبواب المعرفة، وقد نهل كثير من العلماء بمختلف اتجاهاتهم الفكرية والعقدية من ندير علمه، فبذل الإمام عليه السلام جهداً كبيراً في محاور متعددة، من أهمها محور استنهاض الأمة بإسناد بعض الرساليين الذين قاوموا السلطة الظالمة، وقد أولى الإمام عليه السلام عناية كبيرة وجهداً فائقاً في الوقوف إلى جانب أولئك الرساليين، وكان عليه السلام يهدف من وقوفه إلى جانب الثوار أن لا تسترخي الأمة، فتتنظر إلى ما يقوم به السلطان الظالم بأنه مشروع لرضا أحرار الأمة عنهم، وعدم وقوفهم ضده، ذلك أن الأمويين والعباسيين أظهروا أنفسهم بأنهم يحكمون بحكم الله تعالى، واستندوا في ذلك إلى إرادة الله، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، مطبقين ذلك على تولي السلطان للحكم، قائلين إن الخروج على السلطان خروج على إرادة الله تعالى، غير أن الإمام عليه السلام جسّد الشرعية الحقة المناهضة لهذا الفكر المنحرف.

مواقف الإمام ضد السلطة.

أبان الإمام عليه السلام مشروعية الثورة ضد الظالمين بأقوال متعددة ومواقف كثيرة، توضح أهمية الوقوف ضد الظلم والسلطة الظالمة، وأهم المواقف:

أحداث مقتل زيد بن علي.

من مواقف الإمام عليه السلام أنه عندما ذُكر له استشهاد عمه زيد بن علي عليه السلام بكى الإمام عليه السلام لما جرى عليه من فجائع، وأثر حزنه على من رآه.

الدعم الاقتصادي لعوائل الشهداء.

ومن مواقف الإمام عليه السلام توزيعه الأموال الكثيرة على عوائل الشهداء الذين استشهدوا في ثورة زيد.

التأييد الكامل للثورة ضد الظالم.

قال الإمام عليه السلام عندما ذُكر بعض من يخرج من أهل البيت عليهم السلام ضد الظالمين من الأمويين: «لا أزال أنا وشيعتي بخير ما خرج الخارجي من آل محمد، ولوددت أن الخارجي خرج من آل محمد وعليّ نفقة عياله»^(١)، وكان عليه السلام يُدلي بهذه الأحاديث أمام الحواريين من شيعته والمخلصين من أتباعه.

منهج الإمام في الاستنهاض.

محور الإمام عليه السلام مواقفه في ثلاثة:

الأول: دعم الثوار.

دعم الإمام عليه السلام الثائرين لئلا تسترخي الأمة فتموت إرادتها، ولئلا يقوم سلطان الجور بما شاء من أفعال دون رادع من الأمة، فالأمة التي لا أحرار فيها -

(١) وسائل الشيعة للحر العاملي ج ١٥ ص ٥٤.

تطالب بحقوقها- أمة ميتة، فكان الإمام عليه السلام بوقوفه المُعلن في بعض الأحيان والخفي في أحيان متعددة يهدف الحفاظ على ضمير الأمة من جهة، والحفاظ على الكتلة الصالحة من أتباعه من جهة أخرى، ذلك أنّ السلطة الظالمة إذا علمت بشخص أنه من الثوار أو أتباع الإمام آذته، فكان عليه السلام يغطي عليهم، ويبين أنهم خط آخر، يختلف عن خط الثائرين، لئلا تستولي عليهم السلطة، فتودعهم في السجون وتقضي على حركة الإمام العلمية، فهذا المحور كبير وقد صبّ الإمام عليه السلام جهداً جباراً فيه بإسناد الثوار ضد الظلم للحفاظ على ضمير الأمة.

الثاني: التأصيل العلمي للأمة.

اشتهر الإمام الصادق عليه السلام بالتأصيل الفكري والعقدي والفقهي للأمة، إذ أنّ السلطة الظالمة للأمويين والعباسيين اشترت بعض الرواة، وأرادت أن تصنع فقهاً جديداً ومجالاً آخر لتبيان أنّ الدين تبع السلطان، ولا فارق بين النظرية العقدية والفقهيّة والدولة لها مشروعية في ما يصدر من أعمال، وهناك اتحاد وانسجام، فقد اشترى العباسيون بعض العلماء وكذلك فعل الأمويون بشرائهم بعض الرواة ليضعوا الحديث وليلبسوا على الناس دينهم، وكان جهد الإمام الصادق عليه السلام على نحوين:

أولاً: متابعة نشوء الأفكار الوافدة.

من خلال المعرفة والدراية بكل ما تقوم به السلطة في المستويات المختلفة، أي أنّ النظرية الفقهيّة عندما تظهر وتُسند من البلاط الحاكم، للإمام عليه السلام دراية

بها، ويعرف مدركها، وهناك قواعد تؤصل لمصالح السلطة كالقياس والاستحسان والمصالح المرسلّة وما إلى ذلك من أسس شجبتها الإمام عليه السلام وندد بها وبيّن في القياس بأنّ دين الله تعالى لا يُصاب بالعقول وأنّ السنة إذا قيسَتْ مُحَقِّقِ الدين، وكان الإمام عليه السلام يُظهر للسلطة الجائرة - بلطف ومرونة - أنه على دراية بكل ما يدور من مسائل عقدية وفقهية.

ثانياً: الطرح العلمي الشمولي.

عندما طلب المنصور من أبي حنيفة أن يُعدَّ للإمام عليه السلام أربعين مسألة من المسائل الشائكة، لعل الإمام عليه السلام يتلکأ في الإجابة أو يظهر بأنه يحتاج إلى مراجعة لرأي من الآراء، ومع أنّ أبا حنيفة يعلم بأنّ الإمام عليه السلام أعلم بالمسائل الفقهية من غيره، لكنه استجاب للسلطة، لعل للسلطة مأرب سياسي لا يعلم به أبو حنيفة، فلما أعد أبو حنيفة المسائل وجاء بها إلى البلاط وجلس مع الإمام عليه السلام، وطلب المنصور منه أن يسأل الإمام عليه السلام بالمسائل المتعددة، كانت أجوبة الإمام عليه السلام تظهر تفصيلاً دقيقاً لها تتبناه السلطة من آراء، ولما عليه أهل الحديث من رأي، ولما يتبناه الإمام عليه السلام من تأصيل للمسائل في منحى ثالث، قال الإمام عليه السلام: إنّ أهل المدينة - أي أهل الحديث - يقولون كذا، وأنتم - أهل الرأي - تقولون كذا، ونحن نقول كذا، وقد أراد الإمام عليه السلام أن يُسمع المنصور الآراء المختلفة، وأنه على دراية وإطلاع بما يريد المنصور أن يفعله من جلب الناس إلى مشروعية السلطة، وعندما خرج أبو حنيفة من مجلس الإمام عليه السلام

وسئل عنه وعماد من مسائل، قال أبو حنيفة كلمة في الإمام عليه السلام: هو أعلم الناس بالفقه، لأنَّ أعلم الناس أعلمهم باختلاف الآراء، والإمام عليه السلام على دراية بجميع الآراء^(١).

تربية الإمام عليه السلام للعلماء.

اشتهر الإمام عليه السلام في منحنى علمي آخر بتربية العلماء والصالحين بالخصوص في المجالين الفقهي والعقدي، ففي المجال العقدي ربي أكابر العلماء كمؤمن الطاق وهشام بن الحكم وهشام بن سالم، وفي المجال الفقهي زرارة بن أعين ومحمد بن مسلم الثقفي الطائي الذي كان في البداية من فقهاء العامة، ثم سار على هدي الإمام عليه السلام وأصبح من أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام، وقد شهد الكثير بفقه الإمام عليه السلام وتربيته للعلماء، حتى قال ابن حجر في

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي ج ٦ ص ٢٥٧.

عن حسن بن زياد، سمعت أبا حنيفة، وسئل: من أفقه من رأيت؟ قال: ما رأيت أحدا أفقه من جعفر بن محمد، لما أقدمه المنصور الحيرة، بعث إلي فقال: يا أبا حنيفة، إن الناس قد فتنوا بجعفر ابن محمد، فهبي له من مسائلك الصعاب. فهيات له أربعين مسألة. ثم أتيت أبا جعفر، وجعفر جالس عن يمينه، فلما بصرت بهما، دخلني لجعفر من الهيبة ما لا يدخلني لأبي جعفر، فسلمت وأذن لي، فجلست. ثم التفت إلي جعفر، فقال: يا أبا عبد الله، تعرف هذا؟ قال: نعم. هذا أبو حنيفة. ثم أتبعها: قد أتانا. ثم قال: يا أبا حنيفة، هات من مسائلك نسأل أبا عبد الله فابتدأت أسأله. فكان يقول في المسألة: أنتم تقولون فيها كذا وكذا، وأهل المدينة يقولون كذا وكذا، ونحن نقول كذا وكذا، فربما تابعنا وربما تابع أهل المدينة، وربما خالفنا جميعا، حتى أتيت على أربعين مسألة ما أخرج منها مسألة. ثم قال أبو حنيفة أليس قد روينا أن أعلم الناس أعلمهم باختلاف الناس؟

الصواعق ونقل عنه الناس ما سارت به الركبان وانتشر صيته - أي الإمام الصادق - في جميع البلدان.
تأسيس القواعد والأصول.

قال الجاحظ: وفجّر الإمام الصادق ينابيع العلم والحكمة في الأرض وفتح للناس أبواباً من العلوم لم يعهدوها من قبل، وقد ملأ الدنيا بعلمه^(١)، الإمام عليه السلام جعل الناس يتحدثون بالآراء والنظريات التي قالها، ويُعلم هذا لمن تعمق في الفقه وقواعده، إذ أنّ تلك القواعد لها تأثير كبير في مجال استنباط الأحكام الشرعية كالاستصحاب والبراءة والتخيير وقاعدة الضمان في الفقه، فأرسي الإمام عليه السلام أسساً يتكئ عليها الفقيه ليصل إلى استنباط الحكم الشرعي بجدارة وفهم، لهذا قال ابن حجر ما قاله في الإمام عليه السلام لفهمه لما قام به الإمام في المجال الفقهي، أما في العقائد فإنه عليه السلام علّم الكثير من الشخصيات التي زادت بقوة عن مذهب أهل البيت عليهم السلام، ومن قرأ المناظرات - التي جرت مع أصحاب الإمام عليه السلام كمؤمن الطاق وهشام بن الحكم - يتعجب لما وصل إليه هؤلاء مع قلة الإمكانيات أبان ذلك العهد، من رقي في فهم دقائق الحكمة والأمور العقدية الدقيقة.

(١) شرح إحقاق الحق للمرعشي ج ٢٨ ص ٤٧٦. قال الجاحظ: (جعفر بن محمد الذي ملأ الدنيا علمه وفقهه)

الثالث: الإيمان بقيادة أهل البيت.

لقد أولى الإمام عليه السلام اهتماماً بغرس مفهوم القيادة الراشدة لأهل البيت عليهم السلام، إذ أنّ الكثير من الناس إلى يومنا هذا لا يعرفون حركة الإمام عليه السلام ومدى تأثيرها على الأمة، إنّ حركة الإمام عليه السلام كحركة أنبياء الله ورسله، فهي كحركة نوح ع في بعدها الزمني الطويل، وحركة إبراهيم عليه السلام في تأثيرها الجوهري وحركة موسى عليه السلام في بيناتها المتعددة وآياتها الواضحة وحركة عيسى عليه السلام في ألقها الروحي وحركة جده المصطفى ص في نضجها وكمالها، فكان الإمام عليه السلام يريد للأمة أن تحكم بشرع الله تعالى على أسس واضحة وبصائر بيّنة أهمها:

الأول: التضحية في سبيل القيادة.

إنّ إيمان الأمة بالقيادة الراشدة لأهل البيت عليهم السلام يستدعي من الجماهير أن تُقدم ما لديها من أموال وأرواح في سبيل الله تعالى، وكان الإمام عليه السلام يُربي الناس على هذا الأساس وأنه المعتقد الذي يمثل الأرضية الصلبة للحكومة الراشدة، فعقيدة الناس المبتنية على الإيمان بحكومة أهل البيت عليهم السلام المرتبطة بالله تعالى وبرسوله صلى الله عليه وآله وذات الشرعية الحقة.

الثاني: إيمان الأكثرية بالقيادة الراشدة.

يجب أن تؤمن غالبية الجماهير بأنّ أهل البيت عليهم السلام هم الأصحّ للأمة.

منهجية الإمام في استنهاض الأمة.

أسس الإمام منهجاً لاستنهاض الأمة من خلال أمرين:

الأول: حوار الآخر طريق الإقناع.

إنّ منهج الأنبياء والرسل والأوصياء هو الحاكمة للناس المبتنية على الاختيار، فلا يحكمون الناس بالقهر ولا يريدون لهم أن يُذعنوا لمنهجهم الفكري والعقدي دون قناعة داخلية تنبع من ذواتهم، فالقهر وعظمة السلطة لا ينبغي أن يؤثرتا على حرية الرأي ومبدأ الاختيار.

الثاني: تعزيز مفهوم الأصلحية.

جسد الأئمة من أهل البيت عليهم السلام مبدأ حرية الاختيار للحاكم دون تزييف وتدليس، فالإمام أمير المؤمنين عليه السلام كان بإمكانه في بعض الأحيان أن يستلم الحكم إلا أنه يعلم أنّ القاعدة الجماهيرية التي يتكئ عليها لا تعرف حقانية الإمام عليه السلام من الناحية الشرعية المرتبطة بالسماء، فقد تؤمن بحقانيته لأنه الأصلح والأكفأ، إلا أنّ الإمام عليه السلام لا يكفيه ذلك بل يريد تحقيق أمرين:

الأول: القاعدة التي يتكئ عليها، بما لها من الكفاءات التي تحتاج إليها الدولة وإقامة النظام الإسلامي المنتمي إلى السماء، فالجماهير ليست على مستوى من الفهم الفكري والعمق العقدي الناضج للاستعداد للتضحية في سبيل الله تعالى، كما أنّ الإمام عليه السلام يريد للجماهير الأمة أن تؤمن بأنّ الحكومة التي يديرها أهل البيت عليهم السلام هي الأرقى بتجسيدها الدقيق للقانون الإلهي،

والتطبيق الحي لما أَرَادَهُ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في كل مجالات الحياة.

الوعي السياسي للإمام.

لم يكن بعض أصحاب الإمام عليه السلام على دراية وعلم بما تقدم، فكان عندما يرى الجماهير تهتف للإمام عليه السلام من ناحية عاطفية يظن أن ذلك كافٍ في إقامة الحكم ومجابهة الدولة، فبين الإمام عليه السلام أن المسألة ليست في الكثرة، فالسلطة الممنية إلى السماء لا بد أن تتكئ على رجال من ذوي الكفاءة والقدرة والحنكة، إذ الحكومة لا تصمد أمام التيارات العاتية للأهواء والمطامع وشراء الذمم بالمال.

حقيقة الانتماء العملي.

عندما رأى سدير الصير في الجماهير تهتف باسم الإمام قال للإمام عليه السلام لا يسعك القعود يا بن رسول الله، قال الإمام لسدير، لماذا لا يسعني القعود؟ قال لأنك أكثر من مائة ألف سيف، يذودون عنك ويرجعون الحق إلى نصابه، فقال له الإمام عليه السلام أو مائة ألف سيف؟! قال سدير: ومائتا ألف سيف، قال الإمام عليه السلام: أو مائتا ألف سيف؟! قال سدير: ونصف الدنيا؛ أي أن نصف العالم الإسلامي يهتف باسمك، إلا أن الإمام عليه السلام ذكّر بالمحورين اللذين بينهما، فهو عليه السلام لا يريد الانتماء العاطفي فقط، بل يريد انتماءً عملياً واستعداداً للتضحية والبذل في سبيل الله والصمود فالحروب التي يشنها الإمام عليه السلام لو قام بثورة ستكون كحروب جده أمير المؤمنين عليه السلام تحتاج لسنواتٍ طويلة قد

يمل الناس منها ذلك أن أكثر الناس يربطون مصيرهم بقضايا دنيوية ويرون النجاح في الأمور الدنيوية هو الميزان، والإمام عليه السلام يريد صبراً ليعلم الله تعالى بهم فينزل عليهم النصر ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ (آل عمران: ١٢٦)، أي أن حركة الإمام إلهية وليست لمصالح سياسية ومادية، والإمام بين هذه المعادلة لسدير عندما مشى معه إلى ينبع، فمراً بقطيع جداء فقال الإمام عليه السلام لسدير: «لو كان عندي عدد هذه الجداء لما وسعني القعود»^(١)، يريد الإمام عليه السلام من الناس الإخلاص والنضج العقدي والتضحية في سبيل المبدأ دون ترددٍ وقد أدرك سدير ما يرومه الإمام الصادق عليه السلام للكتلة الصالحة التي تجسد أهدافه المعنوية في حكومة تربط الناس بالحق تعالى وتتجاوز عن المصالح والأطر الضيقة التي تشدهم إلى الأرض، فبذل الإمام الصادق عليه السلام

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ٤٧ ص ٣٧٢.

عن سدير الصيرفي قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقلت له: والله ما يسعك القعود قال: ولم يا سدير؟ قلت: لكثرة مواليك وشيبتك وأنصارك والله لو كان لأمر المؤمنين مال لك من الشيعة والأنصار والموالي، ما طمع فيه تيم ولا عدي فقال: يا سدير وكم عسى أن تكونوا؟ قلت: مائة ألف قال: مائة ألف؟ قلت: نعم، ومائتي ألف؟ فقال: ومائتي ألف؟ قلت: نعم ونصف الدنيا قال: فسكت عني ثم قال: يخف عليك أن تبلغ معنا إلى ينبع؟ قلت: نعم، فأمر بحمار وبغل أن يسرجا، فبادرت، فركبت الحمار فقال: يا سدير ترى أن تؤثرني بالحمار؟ قلت: البغل أزين وأنبل قال: الحمار أرفق بي، فنزل فركب الحمار وركبت البغل، فمضينا فحانت الصلاة فقال: يا سدير انزل بنا نصلي، ثم قال: هذه أرض سبخة لا يجوز الصلاة فيها، فسرنا حتى صرنا إلى أرض حمراء ونظر إلى غلام يرمى جداء فقال: والله يا سدير لو كان لي شيعة بعدد هذه الجداء، ما وسعني القعود، ونزلنا وصلينا، فلما فرغنا من الصلاة عطفت إلى الجداء فعددتها فإذا هي سبعة عشر.

جهوداً كبيرة ومتعددة في محاور كثيرة ما تقدم بعض منها.

جامعة الإمام الصادق عليه السلام أصالة علمية وتربية أخلاقية

قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ (السجدة: ٢٤) صدق الله العلي العظيم.

الإمام الصادق عليه السلام غصن من تلك الشجرة المباركة، وقد برز عليه السلام في ميادين متعددة أبرزها الميدان العلمي، فأثرى عليه السلام العالم بعلمه، إذ أسس جامعة ضمت العلماء من أقطار الأرض رغم الظروف الصعبة أبان ذلك الزمان فلم تكن الظروف مساعدة له عليه السلام إلا أنه ورغم قساوة الظروف استطاع عليه السلام أن يلمّ شعث العالم الإسلامي الذي لم يكن يولي المعرفة والعلم الاهتمام الكافي.

تنوع التخصصات في الجامعة الصادقية.

ركز الإمام عليه السلام جهوده في الميدان العلمي، وبقيت آثاره التي يروها المؤرخون تبين عظمة جامعته عليه السلام لكونها تضم تخصصات مختلفة، من أهمها علوم الحديث والفقه والتفسير، وقد برز في جامعة الإمام الصادق عليه السلام الكثير من الفقهاء كزرارة بن أعين وأخويه ومحمد بن مسلم الثقفي الطائي، وبريد بن معاوية والحلبيون عبد الله ومحمد وعمران وجميل بن دراج وغيرهم كثير.

تعدد التخصص والميول العلمي.

وكان الإمام عليه السلام يلحظ هؤلاء من نواحٍ متعددة، مثل الرغبة والميول،

فيجعل تخصصاتهم العلمية على وفق رغباتهم، ويشاهد ذلك جلياً في بعض من تخصص في الفلسفة وعلم الكلام كمؤمن الطاق وهشام بن الحكم وآخرين، أو تخصص في علم الحديث والفقهاء كزرارة ومحمد بن مسلم أو تخصص في علوم الطبيعة كالفلك والرياضيات والكيمياء كجابر بن حيان الذي أولاه الإمام عليه السلام عناية خاصة فاستطاع أن يؤلف أكثر من ثلاثة آلاف وتسعمائة رسالة في علم الكيمياء ولا زالت رسائله المصدرة بقوله أخذت هذا العلم من سيدي جعفر بن محمد سيد أهل زمانه مصدراً للعلم والمعرفة إلى يوم الناس هذا، وقد ذكر أحد علماء بريطانيا هو (لميارد): أن جابر يجب أن يُقرن اسمه مع أساطين هذا الفن في العالم أمثال بويله وبريستله ولا فوازيه.

التنوع المذهبي في جامعة الإمام.

انفتح الإمام عليه السلام على الطيف المتعدد في العالم الإسلامي ولم يجعل جامعته حكراً على من ينتمي إلى ولاية أهل البيت عليهم السلام، بل جلب الكثير من المنتمين إلى المشارب الأخرى، وثقفهم ثقافة إسلامية وأولاهم عناية حتى تأثر بعضهم بالإمام عليه السلام، فتحول إلى ولاية أهل البيت عليهم السلام كمحمد بن مسلم الثقفي الطائي الذي كان من علماء العامة وعندما تتلمذ لدى الإمام عليه السلام ما وسعه إلا الأخذ بمذهب أهل البيت عليهم السلام وبرع في الفقه حتى أمره الإمام عليه السلام أن يتصدى للإفتاء في مسجد جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكان عليه السلام يمهد لها نصطوح عليه بالمرجعية.

غرس الجانب الأخلاقي.

أولى الإمام عليه السلام عناية فائقة بتلامذته فغرس الخلق القويم فيهم وحضهم على التعامل المرن مع الناس لئلا يطغوا بالعلم، فلم يقتصر على تعليمهم الفقه والعلوم الأخرى فحسب بل عني بالجانب الأخلاقي والاجتماعي لشخصياتهم وإن كانوا غير متمينين لولاية أهل البيت عليهم السلام وذلك لأن العلم سيف ذو حدين، يستخدم في الخير وفي السوء والشر، والإمام عليه السلام يؤكد على الاهتمام بالجانب الأخلاقي، وغرس قيم الفضيلة والخلق القويم في تلامذته.

الركائز الأخلاقية في جامعة الإمام عليه السلام.

ففي وصيته لسفيان الثوري - من كبار علماء العامة وله مذهب اندرس - نتلمس الركائز الأخلاقية التي غرسها الإمام عليه السلام في تلامذته، وهي على النحو التالي:

الأول: الميزان الحقيقي للمروءة.

قال الإمام عليه السلام لسفيان الثوري: «لا مروءة لكذوب»^(١) يتجرد عن المروءة

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ٧٥ ص ١٩٢.

عن سفيان الثوري قال: لقيت الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام فقلت له: يا ابن رسول الله أوصني فقال لي: يا سفيان لا مروءة لكذوب، ولا أخ للموك، ولا راحة لحسود، ولا سؤدد لسوء الخلق، فقلت: يا ابن رسول الله زدني، فقال لي: يا سفيان ثق بالله تكن مؤمناً، وارض بما قسم الله لك تكن غنياً، وأحسن مجاورة من جاورت تكن مسلماً، ولا تصحب الفاجر فيعلمك من فجوره، وشاور في أمرك الذين يخشون الله عز وجل. قلت: يا ابن رسول الله زدني فقال: لي:

من يكذب، المروءة هي صدق اللسان واحتمال العثرات وبذل المعروف وكف الأذى وصيانة النفس وطلاقة الوجه، وهي باصطلاحنا الحديث كون الإنسان من أهل الشرف وذوي المكانة الذين لا يصدر منهم السوء، وصاحب المروءة لا يكذب.

الثاني: لا إخاء للملول.

قال عليه السلام: «ولا أخ للملول»^(١).

تتطلب الأخوة قوة في التحمل وصبراً على الأذى ومواساة في المال، والملول لا صبر له لذا لن تكون مؤاخاته مستمرة لأنه يمل بسرعة فيزهد في أخيه، فالملل يقصم عرى الأخوة.

الثالث: لا راحة للحسود.

قال عليه السلام: «ولا راحة لحسود».

الحسود هو من يتمنى زوال النعم عن الغير ويعيش عذاباً يحرق به نفسه

يا سفيان من أراد عزا بلا عشيرة، وغنى بلا مال، وهيبة بلا سلطان فليتنقل عن ذل معصية الله إلى عز طاعته، قلت: زدني يا ابن رسول الله، فقال لي: يا سفيان أمرني والدي عليه السلام بثلاث ونهاني عن ثلاث فكان فيما قال لي: يا بني من يصحب صاحب السوء لا يسلم، ومن يدخل مداخل السوء يتهم ومن لا يملك لسانه يندم، ثم أنشدني:

عود لسانك قول الخير تحظ به إن اللسان لما عودت معتاد

موكل بتقاضي ما سنتت له في الخير والشر كيف تعتاد

(١) في بحار الأنوار للمجلسي ج ٧٠ ص ٢٩٧ (ولا أخ للملول) وفي ج ٧٥ ص ١٩٥ (ولا أخ للملوك).

وإنجازاته فيعذب ذاته جسدياً ومعنوياً، فلا يعيش راحة وإنما يعيش الألم النفسي والعناء الجسدي.

الرابع: لا سؤدد لسيء الخلق.

قال عليه السلام: «ولا سؤدد لسيء الخلق».

يُعلم الإمام عليه السلام سفيان الثوري ما ينبغي أن يتوافر للعالم من ركائز الأخلاق ليكون علمه الذي يبلغه للناس مطعماً بالخلق الكريم، قال الشاعر:

لو كان للعلم من دون التقى شرف لكان أشرف خلق الله إبليس
إن سيء الخلق لا يصل إلى السؤدد بل العكس بجانب الصواب، فالخلق الكريم يوصل صاحبه إلى الصواب وسوء الخلق يجنبه السؤدد.

الرابع: الثقة بالله علامة الإيمان.

تكهرب سفيان بعد أن استمع لكلمات الإمام عليه السلام فقال للإمام عليه السلام: يا بن رسول الله زدني، فقال الإمام الصادق عليه السلام له: «ثق بالله تكن مؤمناً».

إن بعض المؤمنين قد يثق بمعادلات عالم المادة وينسى ثقته بالله تعالى مع أنّ الثقة بالله تعالى سلم للوصول إلى كل عال، وهي ركيزة للإيمان، ومن أراد أن يبني إيمانه على أساس مكين فعليه أن يثق بالله تعالى، «ثق بالله تكن مؤمناً».

الخامس: الرضا بما قسم الله.

قال عليه السلام: «وارض بما قسم الله تكن غنياً».

الرضا بما قسمه الله تعالى يغني المرء عن بسط يديه للناس واستجداء الآخرين، ويملاًه غنىً وراحة فلا يلهث في طلب المال من غيره.

السادس: الإحسان للجار.

قال عليه السلام: «أحسن مجاورة من جاورك تكن مسلماً».

المجاورة هنا لا يراد بها المجاورة في البيت، بل لها معنى أعم يشمل المجاورة في العمل، والزمالة في الدراسة، والرفقة في السفر، فإظهار الإسلام يتأتى من خلال الإحسان لمن هم بالقرب منك، وعلى المسلم أن لا يصدر منه السوء للقريبين إليه بل يكون مصدراً للإحسان إليهم.

السابع: خطر مصاحبة الفاجر.

قال عليه السلام: «ولا تصحب الفاجر فيعلمك من فجوره».

تؤثر المصاحبة مع الغير فينبغي تجنب الفجار لئلا يتعلم من فجورهم فالفاجر يغلب عليه الانتهاك للأوامر الشرعية ويستصغر عظمة الحق تعالى، ويسهل عليه خرق القانون الإلهي وبذا يتأثر به صاحبه سلباً.

الثامن: مشاورة من يخشى الله.

قال عليه السلام: «وشاور في أمرك الذين يخشون الله».

المشاورة للعقلاء والحكماء والأتقياء الذين يخشون الله تعالى تكسب المستشار حكمة وتفتح له أفقاً واسعاً وتكسبه تجربة وقد ورد فيها عن الإمام

أمير المؤمنين عليه السلام: «من شاور الرجال شاركها في عقولها»، وتفيد في اختزال الزمن وعدم الوقوع في مطبات تؤدي إلى التهلكة ولفت الانتباه إلى زوايا خفية إن لم يلتفت إليها أوقعت في العاقبة الوخيمة، ومن استشار تلافى ذلك.

التاسع: الذل في معصية الله.

طلب سفيان من الإمام عليه السلام أن يزيده فقال يا بن رسول الله زدني، فقال الإمام عليه السلام: «يا سفيان من أراد عزاً بلا عشيرة وهيبة بلا سلطان وغنى بلا مال فلينتقل من ذل معصية الله إلى عز طاعته»، قد يتصور البعض أنه يكتسب عزة بعلمه أو هيبة بماله أو غنى بجاهه فيبين الإمام عليه السلام لسفيان الثوري أن العز الحقيقي والهيبة الدائمة والغنى الذي لا يزول بالخروج عن المعصية إلى الطاعة، فلا ينبغي أن يعتز الإنسان بعشيرته إذ قد تحذله العشيرة والعز بلا عشيرة لا يكون إلا بالله تعالى ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (المنافقون: ٨)، وهناك من يعتز بالسلطان ويطلب الهيبة بقربه من ذوي النفوذ والسلطنة، وذلك لا يوجب عزة ولا هيبة أو يستغني بالمال، مع أنه عارية خول الإنسان في صرفه ليصل بذلك إلى الخير فيستغني بالله تعالى الذي منحه المال فلا استغناء بالطاعة، والالتجاء إلى الله تعالى وتفويض الأمر إليه والتوكل عليه لا بالمال والإمام عليه السلام يعلم سفيان الثوري إكسير الحياة ويفتح له آفاق المعرفة مفصلاً عن أن العلم إذا لم يمتزج بالخلق الكريم لم يستفد منه صاحبه ولن ينتفع به الناس، إن أعظم إشكاليات العصر

الحديث والعصور المتقدمة امتلاك المال أو العلم أو الجاه والنفوذ دون أخلاق ومن أراد أن يكون لعلمه وماله وسلطانه ووجاهته تأثيراً باقٍ عليه أن يمزج ذلك بالخلق القويم ليصبح ماله بركة ومركزه الاجتماعي خيراً.

الإمام الصادق عليه السلام والانجاز العلمي

قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ (السجدة: ٢٤) صدق الله العلي العظيم.
حياة الإمام الصادق عليه السلام مليئة بالإنجازات الكبرى في ميادين متعددة، من أهمها الميدان العلمي.

عاش الإمام عليه السلام فترة أفول الدولة الأموية وتشكل الدولة العباسية، وكان العباسيون في بداية تشكل دولتهم همهم الأول استئصال شأفة المعارضين لهم بالتصفيات الجسدية ولم يتعرضوا للإمام عليه السلام لأمر منها أن التعرض له يخالف مدعاهم بأن الدولة للرضا من آل محمد، والإمام عليه السلام رغم تحفظاته الكبيرة والمتعددة على العباسيين إلا أنه اتخذ نهجاً غير تصادمي معهم ينسجم مع تطلعات الأمة الإسلامية كأمة رائدة.

الإمام الصادق عليه السلام والتخصص العلمي.

دعا الإمام عليه السلام النابهين من مختلف أصقاع العالم الإسلامي إلى الانضمام لمدرسته، وكانت أشبه بالجامعة في العصر الراهن، وقد عيّن عليه السلام بعض تلامذته للتدريس فيها كما يفهم ذلك من خلال ما ورد في رواية الحسن بن علي

الوشاء، قال: «فإني أدركت في هذا المسجد - مسجد الكوفة - تسعمائة شيخ كل يقول حدثني جعفر بن محمد»^(١) أي أنّ هناك طائفة كبيرة من العلماء المتخصصين الذين تتلمذوا على يدي الإمام عليه السلام درّس كل منهم في مجال تخصصه العلمي.

الأمور الهامة:

ركّز الإمام عليه السلام على أمور:

الأول: التخصص العلمي.

أولاه عناية فائقة، إذ قبل الإمام عليه السلام لا نجد في الإسلام من أبرز هذا الجانب - التخصص العلمي في الحقول العلمية المختلفة - وقد أبدع الإمام عليه السلام في ذلك، فكان يتلمس قابليات تلامذته، ومن ثم يأمرهم بالتخصص في حقل علمي محدد، ومن أهم الفروع المعرفية التي أولاها الإمام عليه السلام عناية كبيرة الفقه، والأصول والتفسير والحديث وبعض العلوم الطبيعية كالفلك والرياضيات والكيمياء والطب، فأولى الإمام عليه السلام هذه الحقول العلمية المختلفة عناية كبيرة، ولا زالت الرسائل التي ألفها تلامذته عليه السلام بالتلقي المباشر عنه عليه السلام محلاً للدرس والعناية، وكان عليه السلام يعطي بعض الدروس باصطلاحات خاصة تتناسب مع الحقبة الزمنية التي عاشها عليه السلام من الناحية الاجتماعية

(١) رجال النجاشي للنجاشي ص ٤٠.

والسياسية لعدم وجود قابليات آنذاك لتلقي المعارف بالنحو الذي يريده عليه السلام، بالإضافة إلى ذلك فقد أولى عليه السلام بعض تلامذته عناية كبيرة كمحمد بن مسلم الثقفي الطائي وجميل بن دراج وأخيه وغيرهم ولم يقتصر على تدريسهم فحسب بل أبرزهم في الجانب الفقهي من ناحية التخصص، فكان يدعو بعضهم للتصدي لإعطاء الفتاوى كمحمد بن مسلم الذي كان من علماء العامة ثم استبصر وأصبح من حوارى الإمام عليه السلام، وبعد أن طور الإمام عليه السلام قدراته قال عليه السلام فيه وفي بعض الحواريين: «ما أحد أحيى ذكرنا وأحاديث أبي إلا زرارة، وأبو بصير ليث المرادي، ومحمد بن مسلم، وبريد بن معاوية العجلي، ولولا هؤلاء ما كان أحدٌ يستنبط هدى»^(١) وقال عليه السلام: «بشّر المختبين بالجنة: بريد بن معاوية العجلي، وأبو بصير ليث بن البختري المرادي، ومحمد بن مسلم، وزرارة بن أعين، أربعة نجباء، أمناء الله على حلاله وحرامه، ولولا هؤلاء لانقطعت آثار النبوة واندرست»^(٢). وذلك تحفيز قوي لهم، كما أنه عليه السلام جعل بعض ذوي المهارات الخلاقة من الناحية العقلية يتخصصون في علمي الفلسفة والكلام، إذ أن عصره عليه السلام كثرت فيه المقارنة بين الأديان كالمسيحية واليهودية من جهة، وكان السجال عقدياً في المقارنة في قضية الخلافة لعلي عليه السلام، فخصص عليه السلام المفضل ابن عمر ومؤمن الطاق، وهشام بن الحكم في

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ٤٧ ص ٣٩٠.

(٢) وسائل الشيعة للحر العاملي ج ٢٧ ص ١٤٢.

الكلام والمقارنة بين المذاهب المختلفة والأديان السماوية بل وغير السماوية من المذاهب الوضعية، فكان لهم إطلاع جد واسع بعد أن طور عليه السلام قدراتهم المعرفية، وعلمهم اكتساب مهارات وجعلهم يتلقون العلم بنحو من التفصيل والإتقان، وكان لهم قدرات فائقة في اللغة العربية تظهر عندما يجرون حواراً مع الغير فيسخرون مهاراتهم بنحور رائع وجميل.

الثانية: التشجيع على التأليف.

الجانب الثاني هو أن الإمام عليه السلام علمهم الكتابة وحاول جاداً أن يجعلهم يؤلفون وينشرون مؤلفاتهم، وهذا جانب جد هام للمتخصصين في المجال الفلسفي والعقدي وكذلك في مجال الفقه والأصول والحديث والتفسير، وقد كتب بعض تلامذته عليه السلام رسائل ومؤلفات لا زالت محلاً للبحث والمدارسة إلى يومنا هذا، وقد جمعت أحاديث الإمام عليه السلام في أصول سميت بالأصول الأربعمائة أي أن هناك أربعمائة كتاب من الأحاديث والمعارف الإسلامية التي ألقاها الإمام عليه السلام على الحواريين من تلامذته والمتخصصين في الفقه والحديث والأصول والتفسير، وهناك كتب غيرها في مجالات غير شرعية، كالفلك والكيمياء والرياضيات والطب، وكان الإمام عليه السلام يركز على الطب الوقائي، ويشرح بعض فوائد الأغذية، ويعلم تلامذته كيفية تركيب العقاقير غير أن جل الطب كان وقائياً - درهم وقاية خير من قنطار علاج -.

الثالثة: التنوع الفكري.

الجانِب الآخر الذي أولاه الإمام عليه السلام عناية في التخصص العلمي هو أنه لم يقصر دوره في مدرسته العلمية على المتمين لمدرسة أهل البيت عليهم السلام فحسب، بل كان يجلب التلامذة من مختلف التوجهات من أصقاع العالم الإسلامي اقتداءً بجده أمير المؤمنين عليه السلام الذي نُسب الفقه كله إليه، قال ابن أبي الحديد المعتزلي: (ومن العلوم: علم الفقه، وهو عليه السلام أصله وأساسه، وكل فقيه في الإسلام فهو عيال عليه، ومستفيد من فقهه، أما أصحاب أبي حنيفة كأبي يوسف ومحمد وغيرهما، فأخذوا عن أبي حنيفة، وأما الشافعي فقرأ على محمد بن الحسن، فيرجع فقهه أيضاً إلى أبي حنيفة، وأما أحمد بن حنبل، فقرأ على الشافعي فيرجع فقهه أيضاً إلى أبي حنيفة، وأبو حنيفة قرأ على جعفر بن محمد عليه السلام، وقرأ جعفر على أبيه عليه السلام، وينتهي الأمر إلى علي عليه السلام. وأما مالك بن أنس، فقرأ على ربيعة الرأي، وقرأ ربيعة على عكرمة، وقرأ عكرمة على عبد الله بن عباس، وقرأ عبد الله بن عباس على علي بن أبي طالب، وإن شئت رددت إليه فقه الشافعي بقراءته على مالك كان لك ذلك، فهؤلاء الفقهاء الأربعة)^(١).

وكان الإمام الصادق عليه السلام يهدف بهذا الانفتاح الفكري الواسع أن يعرف الناس على مدرسة أهل البيت عليهم السلام ذلك أنهم حوربوا منذ زمان الإمام أمير

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١ ص ١٨.

المؤمنين عليهم السلام، وكان الناس من شدة الكبت والظلم لا يجراً أحدهم أن يروي عنه عليه السلام بنحو صريح، بل يكتني، فيعبر عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بأبي زينب، والإمام الصادق عليه السلام أراد أن يفك العزلة عن مذهب أهل البيت عليهم السلام ويجعل مدرستهم كسائر المدارس بادئ ذي بدء، ثم إنَّ الناس سيأخذون بمذهب أهل البيت عليهم السلام عبر قانون التكامل والتطور للأجيال، ذلك هو هدف الإمام عليه السلام، فكان يقول هذا رأي أهل البصرة وذلك رأي أهل المدينة، وهذا رأينا فيقدم آراء، ويضمنها الرأي الذي يتبناه الأئمة من أهل البيت عليهم السلام، وقد أتى هذا النحو من عرض الأفكار الفقهية الثرة أكله وأصبحت مدرسة أهل البيت عليهم السلام مقبولة، ومن ثم رأينا توسعاً فيما بعد للفقهاء في مدرستهم عليهم السلام، فألفت المسائل والكتب والرسائل التي أثرت الإنسانية جمعاء بفكرهم عليهم السلام، إذن تعمد عليه السلام عرض مدرسته كراي إسلامي مع الآراء الفقهية الأخرى لأهل المدينة والبصرة والكوفة، وأثمرت طريقته ثماراً يانعة وأصبح فكرهم عليهم السلام مقبولاً.

الانفتاح على المدارس المختلفة

الجانب الآخر أن الإمام عليه السلام انفتح على الطيف المتعدد إسلامياً، بل توسع وانفتح على المدارس الملحدة، فكان عليه السلام يتباحث مع ابن أبي العوجاء تحت ميزاب الكعبة، ولم يكن عليه السلام منغلقاً، بل كان رحمة للناس كجده المصطفى صلى الله عليه وآله يحسن لمن أساء إليه، إنَّ النبي صلى الله عليه وآله أحسن لليهودي الذي أساء إليه وعاده في

بيته، والأئمة عليهم السلام ديدنهم التركيز على احترام الإنسان بغض النظر عن انتماءه العقدي، انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ (الإسراء: ٧٠) والإمام عليه السلام يحترم الفقهاء والعلماء من المذاهب المختلفة خصوصاً إذا كان الآتي منهم يأتي للاستفادة، فلم يرد أحداً أو يقلل من شأنه، نعم؛ كان عليه السلام يصحح المفاهيم، ويشجب الخطأ الفادح كرده على قياس أبي حنيفة، وكان رده كالشمس في رابعة النهار، قال عليه السلام له: «البول أقدر أم المنى؟» فقال أبو حنيفة: البول أقدر، قال الإمام عليه السلام: «يجب على قياسك أن يجب الغسل من البول دون المنى وقد أوجب الله تعالى الغسل من المنى دون البول»^(١) فكانت الأسئلة والاستفسارات لأجل إلفات انتباه الطرف الآخر إلى خطأ المسار ليس إلا، أما تعامل الإمام عليه السلام فكله احترام وتجلة وتقدير للطرف المقابل، وقد ذكر المخالفون له عليه السلام ذلك، فغير المتمين إلى مدرسته عليه السلام ذكروه بالثناء والتجلة مشيرين إلى استقبال الإمام عليه السلام للعلماء من المذاهب الإسلامية المختلفة.

أول من أسس التخصصات العلمية.

لقد كان عليه السلام أول رائد أرسى التخصص العلمي فلم يكن قبله أي شيء يمكن أن يطلق عليه تخصصاً علمياً، والذي أرسى هذا الباب هو الإمام عليه السلام، ونضيف هنا أن التقدم الذي حصل في العصور الأخيرة كان بسبب ذلك، فلولا له لم يحدث تقدم إذ أن المعرفة تتطور بالتخصص العلمي، والمتخصص

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ٢ ص ٢٨٧.

هو الذي تطور تلکم المعرفة في الفرع المحدد، وأول من بدأ بالتخصص العلمي لتلامذته هو الإمام عليه السلام، ومن ثم أصبح الناس عيالاً عليه، وكانت مدرسته عليه السلام تضم أكثر من أربعة آلاف تلميذ كما جاء ذلك عن ابن عقدة وغيره من علماء الرجال، إذن هي جامعة كبرى باصطلاحنا الحديث إذ أنّ أربعة آلاف تلميذ آنذاك يعادل ما لا يقل عن ثلاثمائة ألف تلميذ في عصرنا الحاضر، لأنّ الظروف لا بد أن ينظر إليها باختلاف الزمان وتطور الإمكانيات، والتلميذ آنذاك ليست لديه الإمكانيات الموجودة في عصرنا الحاضر، وكل تلميذ أبان ذلك العصر يعادل ألفاً في عصرنا الراهن، فجامعته عليه السلام جامعة ضخمة وكبيرة.

الاهتمام بالجانب الأخلاقي

الجانب الآخر الذي أولاه الإمام عليه السلام عناية فائقة التركيز على مبادئ أخلاقية جد هامة، فقد ركز عليه السلام على المرونة في التعامل مع الناس، والمداراة لهم والوسطية في الأمور، انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِنَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ (البقرة: ١٤٣) أما مبدأ الوسطية فيقوم على عدم الإفراط والتفريط وقد جاءت أحاديث متعددة عنه عليه السلام في ذلك.

مبدأ العفو

كان الإمام عليه السلام يعلم الناس العفو عن المسيئين خصوصاً إذا كان المسيء مشتبهاً أو وقع خطأ منه دون قصد، حينئذ لا ينبغي أن يكون رد الفعل

بالغضب، بل بالعفو والتسامح كما فعل الإمام عليه السلام، فقد عفى عن إحدى جواريه عندما أمر عليه السلام بعض إيمائه بعدم صعود السطح، فعصت بعض الجوارى أمره، وفي أثناء صعودها سقط ابن له عليه السلام ومات فخافت أن يعاقبها الإمام عليه السلام، غير أنه عليه السلام عفا عنها وأعتقها، ذلك أن الولد مات ولن يرجع، وينبغي هنا حفظ الكرامة الإنسانية للمخطئ ومعالجة الموقف بحكمة، وذلك ما فعله الإمام عليه السلام تجسيدا لقوله تعالى: ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٤)، ولننظر ماذا سيكون عليه موقف الجارية بعد أن أعطها الإمام عليه السلام حريتها إنها ستسمو روحياً وتتعرف على قيمة الإنسان في الإسلام، ذلك أن ما صدر منها شبه قهري، وعلى صاحب المصائب أن يرضى بقضاء الله تعالى وقدره، فإذا عفا وأحسن دل ذلك على كماله وسمو نفسه.

الحكمة في معالجة الأمور.

كان الإمام عليه السلام يعالج المواقف الأخلاقية من خلال قوة المنطق، وليس بمنطق القوة، أي يجعل المبادئ تفرض نفسها، ولننظر إليه عليه السلام عندما فرضت عليه إقامة جبرية في الحيرة ثم رفع المنصور ذلك عنه، فأحب أن يخرج ليلاً كي لا يغير المنصور رأيه صباحاً، جاء في الكافي عن محمد بن مرازم، عن أبيه قال: خرجنا مع أبي عبد الله عليه السلام حيث خرج من عند أبي جعفر من الحيرة فخرج ساعة أذن له وانتهى إلى الساحين في أول الليل فعرض له عاشر كان يكون في الساحين في أول الليل فقال له: لا أدعك تجوز، فألح عليه، وطلب إليه، فأبى

إباء ومصادف معه، فقال له مصادف: جعلت فداك إنما هذا كلب قد آذاك، وأخاف أن يردك، وما أدري ما يكون من أمر أبي جعفر، وأنا ومرام أتأذن لنا أن نضرب عنقه ثم نطرحه في النهر؟ فقال: «كف يا مصادف» فلم يزل يطلب إليه حتى ذهب من الليل أكثره فأذن له فمضى، فقال: «يا مرارم هذا خير أم الذي قلتما؟» قلت: هذا جعلت فداك، فقال: «يا مرارم إنَّ الرجل يخرج من الذل الصغير فيدخله ذلك في الذل الكبير»^(١) إنَّ قتل الغير وظلمه يعتمد على منطق القوة، والإمام عليه السلام يبين أن ذلك يرجع إلى شريعة الغاب التي لا احترام فيها للإنسان، والأقوى بجبروته وقوته يفرض آرائه، ولا يريد الإمام عليه السلام ذلك المنطق بل يريد التقدير والاحترام حتى لمن يسيء إليه لإنسانيته.

الوسطية مبدأ الإمام الصادق عليه السلام.

إنَّه عليه السلام أرسى قواعد التخصص العلمي وجسّد مبادئ الخلق الكريم عبر قاعدة الوسطية بين الإفراط والتفريط وتطبيق العفو عن المسيء وعالج الكثير من المسائل بحكمة وروية، وكانت معالجاته في غاية السمو الأخلاقي.

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ٤٧ ص ٢٠٦-٢٠٧

الفصل الثامن

الإمام الحسن العسكري عليه السلام

إنجازات الإمام العسكري عليه السلام تتحدى ضغوط السلطة

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وهوي»^(١).

أسباب التضييق على الإمام عليه السلام.

استشهد الإمام العسكري عليه السلام مسموماً، ويذكرنا ذلك ببعض الأدوار الهامة التي قام بها الإمام عليه السلام، وكان لها الأثر الكبير في أمتنا الإسلامية، فقد عاش الإمام العسكري عليه السلام كأبيه الهادي عليه السلام مضطهداً تمارس السلطة العباسية تجاهه أنواع وأنماط شتى من التضييق والتهديد والسجن، لأسباب متعددة:

(١) وسائل الشيعة للحر العاملي ج ٢٧ ص ٣٤.

الأول: المكانة السامية للإمام عليه السلام.

جلب الإمام عليه السلام انتباه الكثير من المثقفين والسياسيين وكبار الشخصيات الاجتماعية في عصره، بل أنّ بعض أركان الدولة كان يميل لأطروحة الإمام عليه السلام في السياسة والواقع الاجتماعي، وقد أبدى الإمام عليه السلام تأييداً لبعض الشخصيات التي كان لها نفوذ في الحكم العباسي، ويرى بعض الباحثين في حياة الإمام عليه السلام أنّ التضييق على شخصيته كان لجهات متعددة، من أهمها، مكانة الإمام التي كانت ترسل أشعتها إلى أصقاع العالم الإسلامي كالشمس ترسل أشعتها في كل مكان.

الثاني: خطر المهدي الموعود.

تدرك الدولة العباسية أنّ الإمام المهدي عليه السلام سيتولى الأمر بعد الإمام العسكري عليه السلام مباشرة، وهو الذي سوف يتولى القضاء على الحكم الفاسد ويُنهي الجور. وكانت الدولة العباسية تُولي مسألة الإمام المهدي عليه السلام -كعدو لها- اهتماماً كبيراً في سياستها وتعتبر أنّ التضييق على الإمام يصب في مصلحة إنهاء مسألة الإمام المهدي عليه السلام، وقد أشار الإمام العسكري عليه السلام في بعض أحاديثه أنّ الدولة العباسية وإن صممت على إنهاء أمر الإمام المهدي إلا أنّ الله تعالى سيؤيد الإمام بتأييدات خفية، ويجعل أمره عليه السلام ظاهراً مجسداً لأطروحة الأنبياء والرسل وأهل البيت عليهم السلام.

دور الإمام عليه السلام في المجتمع.

نريد أن نوضح الأدوار التي تُمثل أهمية خاصة في حياة الإمام عليه السلام:

الدور السياسي للإمام.

كان رئيس الوزراء في عهد الإمام عليه السلام هو عبد الله بن يحيى بن خاقان، ويبدو أنّ هذه الشخصية كانت تسمع أنين المضطهدين الذين أثار فيهم الظلم الفادح من الناحية الاجتماعية والاقتصادية بشكل خاص، وقد رفع عبد الله بن يحيى شعاراً في الدولة العباسية، هو التأكيد على العدل في جهاز الحكم، الذي ينعكس بدوره على أفراد الأمة، وهذا الشعار الذي رفعه الوزير الأول لم يتجاوب معه بعض البرجمانيين والمصلحين المنضوين تحت حكم الدولة آنذاك، بيد أنّ هناك من يحمل ضميراً حياً فأيد أطروحة عبد الله بن يحيى بن خاقان، في قبال من وقف مضاداً لهذه الأطروحة، فما كان من الإمام عليه السلام وهو الشخصية المعارضة للدولة إلا أن يؤيد رئيس الوزراء في أطروحته وقد تطلب ذلك جهداً كبيراً من الإمام عليه السلام في التوفيق بين معارضته السياسية للحكم وتأييده لرئيس الوزراء، فقام بدور هام، حيث التقى بابن خاقان أمام الجماهير، وأعلمه تأييده لأطروحته في تطبيق العدالة على أجهزة الحكم، لآثارها الايجابية على أفراد الأمة.

موقف المخلصين من تحرك الإمام السياسي.

هذا الموقف من الإمام عليه السلام جعل بعض المخلصين له والموالين يتخوف من

ناحيتين:

الأولى: أنّ الإمام مع كونه معارضاً سوف يحسب تابِعاً للدولة آنذاك مما يُضيق الجهد الطويل للمعارضة.

الثانية: أنّ الإمام عليه السلام كان يتعرض لمضايقات متعددة، ويُحشى أن تزداد تلك المضايقات عليه.

أسلوب التضييق على الإمام عليه السلام وأصحابه.

لاقى الإمام عليه السلام أنواعاً متعددة من التضييق فلم يتح له أن يلتقي تلامذته والمؤمنون بإمامته به ولم يسمح له بالإجابة على الأسئلة العقديّة والفقهية، وكان عليه السلام يجيب على الأسئلة التي تمت إلى الواقع الاجتماعي بصلة عن طريق الكتابة، بنحو خفي لا يظهر، إذ أنّ من يُعرف أنه من أصحاب الإمام سيضيق عليه. وقد كانت التضييقات على أصحاب الإمام عليه السلام تمارس بنحوين مختلفين: الأول: تهديد أصحاب الإمام عليه السلام خصوصاً الشخصيات الكبيرة منهم، الذين يمثلون الرواد والطلائع لفكره عليه السلام.

الثاني: من خلال العملاء الذين يمثلون دوراً مزدوجاً فيظهرون الولاء لأصحاب الإمام عليه السلام، وواقع حالهم عملاء للسلطة العباسية.

الدور التربوي للإمام عليه السلام.

كان الإمام عليه السلام يربي الشخصيات الكبيرة ليس من الناحية العلمية والثقافية فحسب؛ بل من ناحية بناء شخصياتهم لمواجهة أشد وأكبر للأحداث، ورفع مستواهم لفهم كيفية التعامل مع مختلف الناس الذين

يمثلون الدولة العباسية بطرق متعددة:

الأول: الوعي وأخذ الحيطة.

هناك قسم من حوار الإمام عليه السلام كأبي هاشم الجعفري، وداود بن القاسم، والحسن بن محمد العقيلي وغيرهم أودعوا السجن وجعلت عليهم العيون لتتعرف على الأدوار التي يقومون بها لإفهام الناس ما يطرحه الإمام عليه السلام من عدالة اجتماعية تنعكس على كل أفراد المجتمع الإسلامي آنذاك، فكان بعض المسجونين يظهر أنه من أتباع الإمام عليه السلام، وأن السبب في سجنه رفعه لأطروحة الإمام العسكري عليه السلام، فأرسل الإمام عليه السلام رسالة إلى السجن أبان لهم أنّ هذا الشخص هو من الجواسيس عليهم وطلب منهم أن يفتشوا ثيابه بعد مغيبه ليطلعوا على واقعه، فالإمام عليه السلام رفع مستوى هؤلاء في كيفية التعامل مع الأفراد الذين يقومون بالتجسس على حركته، وهياً عليه السلام أصحابه لنشر فكره والتمهيد لغيبه ابنه المهدي عليه السلام.

الثاني: احتواء الشبهات وتفنيدها.

هناك شبهات تثار ضد الدين في كل زمان، وبعض تلك الشبهات تحتاج إلى قدرات كبيرة لدفعها، وقد واجه الإمام عليه السلام شخصية كبيرة من العلماء وأصحاب الفكر هو أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي، الذي كان يريد أن يضع كتاباً في متناقضات القرآن، ويضرب قدسيته، وقد كان من كبار الفلاسفة في العراق آنذاك، ومارس الإمام عليه السلام دوراً هادئاً وجميلاً في دفع هذا

الفيلسوف عن غرضه، وينظر إلى دوره عليه السلام من ناحيتين:

الأولى: الفرق في المعالجة والاحترام الكبير الذي أعطاه لشخصية هذا الفيلسوف فلم يتهجم عليه بل حمل لهذا الفيلسوف احتراماً كبيراً، وأرسل له بعض تلامذته ليطرح له شبهات على آرائه، وكان دوي الآراء العلمية لإسحاق بن يعقوب الكندي يشبه دوي آراء بعض الشخصيات الكبيرة كأنشأتين وديكارت وغيرهما من شخصيات له واقع علمي، وقد قال تلميذ الإمام عليه السلام له: إنك تطرح بعض النظريات العلمية لتلامذتك، فهل يتساوون في فهم أرائك العلمية؟ قال: لا، بل يختلفون حتى أن بعض الآراء العلمية لا يفهمها الكثير منهم، ثم قال له: هل تُفهم بأنحاء مختلفة أم بنحو واحد؟ قال: بل تُفهم بأنحاء مختلفة، حتى أن بعضهم يفهمها على خلاف ما أريده، قال له: إذا كان حال تلامذتك هكذا فما بالك بالقرآن الكريم الذي أنزله رب العالمين على قلب سيد المرسلين عليه السلام، فأنت مع أنك عالم أصبحت بهذه المثابة، تفهم نظرياتك بطرق مختلفة، والقرآن الكريم أولى بذلك، من أجل ذلك قرن الإسلام القرآن الكريم بأهل البيت عليهم السلام الذين يمثلون المرجعية العلمية والثقافية للمسلمين، «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً كتاب الله وعترتي أهل بيتي»^(١)، وعندما سمع الكندي هذا الحوار الهادئ والموزون الذي فيه إشادة بآرائه العلمية، أطرق متأملاً، ثم سأل تلميذ الإمام:

(١) كمال الدين وإتمام النعمة للصدوق ص ٢٣٧

من أين لك هذا الجواب؟ فأجابه: إنه من الإمام العسكري عليه السلام، فأشاد الكندي بشخصية الإمام وترك ما يريد طرحه.

الثانية: أراد الإمام عليه السلام أن يثد فكرة الكندي في مهدها إذ أنه لو وضع كتاباً في تناقض القرآن لسار على حذوه الكثير من أصحاب الشبهات وفُتح باب في الأمة آنذاك واستمر، مما يستلزم جهداً كبيراً من علماء الأمة للرد عليه وتفنيد أفكاره، والإمام ردّ ذلك الفساد بأسلوب غاية في الجمال والاحترام، وبهذا استطاع عليه السلام أن يوقف ذلك المسار.

الدور الأخلاقي للإمام عليه السلام.

من مواقف الإمام عليه السلام التأكيد على الجانب الأخلاقي في الأمة، يتضح ذلك بجلاء في عصري المتوكل والمعتمد وخصوصاً عصر المتوكل إذ أنه كان من أهل الفسوق، حتى جعل شرب الخمر أمراً مستساغاً يتناوله الكثير من الناس خلافاً لحكم الإسلام، وكان الإمام عليه السلام يقاوم هذا الأسلوب بشدة، لكنه لا يملك سلطة تنفيذية فكان يؤكد عبر الأحاديث المسندة إلى الله تعالى بالتسلسل الطبيعي عن آبائه عن أجداده بطريقة مؤثرة في الضمير الحي عندما يسمع تلك الكلمات المضيئة الصادرة منه عليه السلام، التي نقلت عبر كبار تلامذته عليه السلام، ونرى شطراً من الأحاديث التي نُقلت في مصادر الفريقين مثل ما نقل ابن الجوزي عن الإمام عليه السلام عندما كان يقاوم استباحة الخمر يقول عليه السلام:
أشهدُ الله أني سمعتُ أبي يقول: أشهدُ الله أني سمعتُ أبي، فكل إمام ينقل عن

أبيه على هذا النحو إلى أن يصل إلى النبي صلى الله عليه وآله إلى جبريل يقول: «أشهد الله أني سمعت الباري يقول: «شاربُ الخمر كعابد الوثن»^(١)، وعندما يسمع أولئك الأفراد المتأثرون بالمجون المشجع عليه من قبل السلطة آنذاك مما جعل البعض ينضوي تحت الأطروحة التي كان يركز عليها الإمام عليه السلام والحواريون من تلامذته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

(١) مستدرك الوسائل للنوري ج ١٧ ص ٤٣.

الفصل التاسع

الإمام المهدي عليه السلام

المهدي عليه السلام والتقدم العلمي والرفاه الاقتصادي

قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرْثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (الأنبياء: ١٠٥) صدق الله العلي العظيم.

الحكومة العالمية الواحدة

بينت الآية المباركة أن الحق تعالى كتب وعداً بخلافة الصالحين للكرة الأرضية، والألف واللام في الأرض يشمل الأرض كلها، أي أن هناك حكومة عالمية للصالحين في نهاية المطاف، رغم أن التاريخ البشري لم تتوافر فيه حكومة عالمية واحدة.

سيادة المصالح الذاتية

نعم نظر المثقفون والعلماء مبينين أن مصلحة البشرية تكمن في حكومة عالمية واحدة، ولعل بعض تنظيرات النظام الدولي الجديد تصب في هذا المسار، وترى أن من مصلحة العالم أن تحكمه حكومة عالمية واحدة، ليتاح للجميع أن يعيشوا تحت سقف القانون والحرية بمستوى واحد.

أولاً: التجرد من القيم والأخلاق.

غير أن هذا التنظير رغم كونه ينسجم مع الواقع إلا أنه لا يمكن أن يتحقق، لأن تحققه يرتبط بمسألة جد هامة، هي ارتباط عالم الشهادة بعالم الغيب، إن عالم الغيب يرتبط وثيقاً بعالم المادة، وكل من العالمين مرتبط بالآخر، وهذه التنظيرات تركز على إدارة الكرة الأرضية دون ارتباط بالسماء، والفكر السياسي والعلوم السياسة تركز على المصلحة، وترى أن القائد السياسي الفذ هو الذي يحقق منفعة لشعبه أو لأمته، بغض النظر عن أي مبدأ من المبادئ الأخلاقية والقيمية، أي أنها لا تربط بين السياسة وعالم القيم والأخلاق، وترى أن الربط بينهما أشبه بالجنون، يتنافى مع الواقعية السياسية، لذا قيل إن السياسة لا أخلاق فيها، والقائد السياسي له أن يقول ما يشاء في كلماته من وعود وكلام، وكل ذلك حبر على ورق، لا قيمة له، وقد سمعت أن شخصاً كتب رسالة دكتوراة في الأخلاق السياسية، ولما جاء الدكتور لمناقشة الرسالة، شطب عليها وقال لمعدها: إن السياسة لا أخلاق فيها، وحقيقتها تجردها عن الأخلاق، ومن يفهم في السياسة لا بد أن يتجرد عن الأخلاق كي يصبح سياسياً محنكاً، فالسياسة في حقيقتها تقوم على المكر والخديعة، بخلاف السياسة الإلهية التي طرحها الأنبياء والرسل عليهم السلام، وتجسدت في أئمة أهل البيت عليهم السلام - ساسة العباد -، إنها تختلف عن السياسة التي يقوم بها من همهم الوحيد المصلحة والجانب البرغماتي فقط، إن السياسة عند البرغماتيين تبتني

على فلسفة وليام جمس، وخلصتها التركيز على النفع والمصلحة فقط.

ثانياً: غلبة المصالح الذاتية على العدالة.

إن الاختلاف حقيقي بين السياستين، لذا نرى بعض الومضات في التأريخ البشري يتقدم فيها المسار الإنساني والبشرية بنحو عام، بسبب الارتباط الوثيق بالسماء وعالم الغيب، فهناك توأمية واقتران بين مسار الفكر البشري من ناحية والجانب الغيبي، والربط بينهما في غاية الوثاقة، وليس ارتباطاً طارئاً، ذلك أن الله تعالى يريد العدالة، وهو عادل، والإمامية ترى أن العدل من صفاته تعالى، بل أصل من أصول الدين، أي أن العدل لا بد أن يتحقق في كل زاوية وكل جانب، والظلم ناتج من طغيان العباد، لعدم سيرهم في المسار الإلهي، إن الظلم ليس من الله تعالى، لأنه أعطى الإنسان ما يمكنه من إقامة العدل، وجعله هدفاً للرسالات السماوية بأجمعها، غير أن الإنسان بظلمه وطغيانه وجبروته لا يريد للعدالة الإلهية أن تأخذ مسارها، ويريد أن يحقق مصالحه الذاتية بغض النظر عن الله تعالى، ولا يرى مبدأً قيمياً، فيحيد عن المسار الأخلاقي ليحقق لنفسه المصالح خصوصاً إذا كان زعيماً سياسياً.

مبدأ الغاية تبرر الوسيلة

هناك نظريات كثيرة للوصول إلى الأهداف المادية، من أهمها ما كتبه الأمير ميكافيلي، وأصبح مشهوراً، وهو أن الغاية تبرر الوسيلة، وهذا المبدأ قديم بقدم الإنسان، أي أن الإنسان إذا أراد أن يصل إلى مبتغاه، عليه أن يظأ

مبادئه وقيمه بقدمه في سبيل الوصول إلى ذلك، وما نراه في العالم من حروب وسفك للدماء ليس إلا شمة في هذا المسار، أي أن الهدف منه هو الوصول إلى الغايات، وإن لزم انتهاك المبادئ التي أحكمها الشارع المقدس، وأراد للإنسانية أن تسير عليها، إذ لا قيمة لهذه المبادئ في سبيل تحقيق الغايات للسياسيين الطغاة، والمسار يصب كله في ذلك.

انسجام العدل الإلهي مع الفطرة

إن مسألة الإمام المهدي عليه السلام ترتبط بالعدل الإلهي وتحققه، والعدل الإلهي ينسجم مع فطرة الإنسان النقية التي تدعوه أن يكون عادلاً مع نفسه ومع الطبيعة ومع أخيه الإنسان، فلا يظلم نفسه، ولا يظلم أخاه الإنسان، ولا يتصرف بسوء مع الكون، بل يسير على وفق نظام ومقادير محددة، فالأنظمة والقوانين محددة من الله تعالى، وعلى الإنسان أن يسير على وفقها، وإذا سار على ذلك تحقق ما يبتغيه، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰءِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ (الأعراف: ٩٦) أي أنه يحصل على خيرات بلا حدود، دون أن يصاب بعناء، لأن السماء تؤيده، والله تعالى يريد الخير له فيعطيه ويغدق عليه، فيصل إلى ما يريد، والروايات وفطرة الإنسان يفصحان عن مطالب أساسية وفطرية فطر الإنسان عليها.

الأول: أن الإنسان يتوق إلى العلم والمعرفة بطبيعته، ويسأل عن الأشياء

ليعيها ويتعرف عليها.

الثاني: حب الحياة، فيحب أن يعيش بفطرته، ومن يضحى بنفسه إنما يريد أن يحقق هدفاً، وأن يتقرب إلى الله بدمائه الزكية، أما أصل مبدأ الحياة وحبها فأمر فطري.

الثالث: حب الجمال، فالإنسان يعجب به ويحبه، ويتفاعل مع الأمور التي فيها جانب كمالي أو جمالي، ويكره القبيح.

العلم والمعرفة:

غير أن أعظم الأمور الفطرية حب العلم والمعرفة، أما الأمور الأخرى فليست بوضوح حب العلم والمعرفة، أي أن الإنسان يقدر الشجاعة ويحبها، لكنه لا يحبها كحب العلم والمعرفة، لذا نرى الناس بطبيعتهم يقدسون العلماء ويحترمونهم، بغض النظر عن كونهم علماء دين أو غيره، فمن رأى بروفسوراً في أي علم سيحترمه مقدراً إياه، مظهراً له التجلة، وذلك أمر فطري، فالعلم هبة من الله أعطاها الإنسان ليصل به إلى الكمال.

مصدر المعارف الإنسانية:

إن ما لدى الإنسانية من علوم ومعارف جد قليل، وقد أفصحت الروايات بأن ما لدى البشر من علوم ومعارف أساسها ما جاء به الرسل والأنبياء من عند الله تعالى، وأن الإنسان لم يكن يعرف فعلمه الله المعارف عبر الرسل والأنبياء، فالكتابة التي تنقل المعرفة من جيل إلى آخر، تعلمها من

إدريس عليه السلام، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أول من خط بالقلم إدريس»^(١) أي أن إدريس عليه السلام علم الإنسان نقل المعارف إلى الأجيال اللاحقة، والتقدم العلمي الهائل الذي أشار إليه الحق تعالى بقوله: ﴿تَوَالَّفَ الْقَلَمُ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ (القلم: ١) جاء عبر إدريس عليه السلام ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ (مريم: ٥٧) والحال في الحرف والصناعات كذلك، فالاستفادة من البحار تمت بصنع السفن، وأول من صنع سفينة في التاريخ البشري نوح عليه السلام، وقد استهزأ به قومه لرؤيتهم أن العمل غير عقلائي، لكنه أوجد تقدماً علمياً هائلاً، ويسر الاستفادة من البحار والمحيطات لكونه وضع القواعد الأساسية لذلك.

وكذلك في دفاع الإنسان عن نفسه والوقاية من بأس الأعداء في الحروب، تم ذلك بواسطة داود عليه السلام، فقد صنع الدروع وعلم القواعد الأساسية، ليتاح للإنسان أن يطور هذه المعرفة فيما بعد، أي أنه بادئ ذي بدء علم قواعد بسيطة، وهكذا فعل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في قواعد اللغة العربية، فهي أعظم لغة لدى البشرية، وفيها من الكنوز الكثير، غير أن الذي أرسى قواعدهما بواسطة السماء هو وصي المصطفى صلى الله عليه وآله، فقد قعد القواعد لعلمي الصرف والنحو، ثم بذل العلماء جهوداً جبارة فتطورت البحوث اللغوية والقواعد النحوية، ولا زال التطور جارٍ.

(١) ميزان الحكمة للريشهري ج ٤ ص ٣٠٣٦.

العلم والتكنولوجيا في زمن المهدي عليه السلام

لقد تحدثت الروايات عن أن جميع ما وصل الإنسان إليه من تقدم علمي، منذ بداية البشرية إلى خروج الإمام المهدي عليه السلام يدور حول حرفين، أي باين من العلم فقط، قال الإمام الصادق عليه السلام: «العلم سبعة وعشرون حرفاً فجميع ما جاءت به الرسل حرفان فلم يعرف الناس حتى اليوم غير الحرفين، فإذا قام قائمنا أخرج الخمسة والعشرين حرفاً فبثها في الناس، وضم إليها الحرفين، حتى يشها سبعة وعشرين حرفاً»^(١) أي أن الإمام المهدي عليه السلام يضيف خمساً وعشرين حرفاً، فيصبح العلم سبعة وعشرين حرفاً، وذلك خيال علمي باصطلاحنا الحديث.

أولاً: التقدم العلمي الهائل.

وهناك شواهد من القرآن الكريم والروايات على هذا الخيال العلمي، فالإنسان لا يستطيع أن يصل بجهدده فقط، بل بالسماء وعالم الغيب، والآيات والأحاديث تؤيد ذلك، والتقدم العلمي الهائل أشار إليه القرآن الكريم في عدة من آياته.

ثانياً: أعظم الإنجازات البشرية في عالم المواصلات.

كي يتضح ذلك، ينبغي أن نلتفت أن أعظم الأمور التي قدمت الإنسانية هي الاتصالات والنقل السريع عبر القطارات والطائرات والأقمار الاصطناعية.

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ٥٢ ص ٣٣٦.

بين سليمان والمهدي عليهما السلام:

طرح القرآن الكريم أمراً أفضل من وسائل النقل السريعة الحديثة، فسليمان عليه السلام لما سأل الله تعالى أن يؤتیه ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، سخر له الريح، فجعلها تنقل جنوده على بساطها، وهذه شفرة لم يستطع أحد أن يفكها إلى يومنا هذا، فالريح تحمل بساطاً عليه كتيبة من الجنود أو جيش بأكمله، فيتوجه إلى المكان الذي يريده، إن تلك وسيلة نقل آمنة رغم أنها من الحرفين وليست من السبعة والعشرين، أي أن النقل الذي تحقق على بساط الريح على يد سليمان عليه السلام سيتحقق ما هو أعظم منه.

بين ذي القرنين والمهدي عليهما السلام:

انتقل ذو القرنين بين مطلع الشمس ومغربها بجيوش جرارة، وكان ذلك بواسطة السحاب والغيوم، وهذه شفرة علمية لم تفك إلى الآن، فكيف ينتقل الجنود عبر الغيوم؟! لكن ذا القرنين نقل جنوده على السحب السهلة، والإمام المهدي عليه السلام سينقل جنوده على السحب الصعبة ذات البرق والرعد والعواصف، التي تنقل الجيش أو بعضه في أقل من جزء من الثانية، والروايات تحدثت عن أن ذا القرنين خيره الله عز وجل بين السحاب الذلول والسحاب الصعب فاختر السهل، ولو اختار الصعب ما كان له ذلك، لأنه يدخر للإمام المهدي عليه السلام، فلا يستطيع أحد أن يقاومه، بل سيستسلم الكل له لقوته الهائلة، وستكون الإمبراطوريات الحديثة مستسلمة له عليه السلام، كما

استسلمت لذي القرنين من قبل، قال الإمام الصادق عليه السلام: «إن الله خير ذا القرنين بين السحاب الذلول والصعب فاختر الذلول وهو ما ليس فيه برق ولا رعد، ولو اختار الصعب لم يكن له ذلك، لان الله ادخره للقائم عليه السلام»^(١) أي أن الله أعطى ذا القرنين السحاب الذلول، وادخر لصاحبكم - الإمام المهدي عليه السلام - السحاب الصعب، وهو الذي فيه برق ورعد وقواصف، أي أن وسائل المواصلات في عصره عليه السلام بسرعة البرق الخاطف، في جزء من الثانية، يُنقل الجيش من مكان إلى آخر، وذلك أكثر من الخيال العلمي، وقد ادخره الله تعالى للإمام المهدي عليه السلام.

خضوع العالم الجغرافي للإمام المهدي عليه السلام:

إن وسائل المواصلات لا تختص بالقارات السبع فقط التي ستكون خمس منها عامرة واثنتان خربتين وغير مأهولتين بالسكان، بل ستعم الفضاء والكواكب السماوية.

ثالثاً: التقدم في عالم الاتصالات.

أما وسائل الاتصال فليست عبر الأجهزة الحديثة، التي يرى الواحد بها صورة أخيه في أي مكان من العالم، بل عبر جسم الإنسان كيده، فيرى في يده الشخص الذي يريد أن يتحدث إليه ويشاهده، ذلك أن الذبذبات والموجات

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ٥٢ ص ٣٢١.

موجودة، لكن جسم الإنسان ستكون له القدرة على تلقي هذه الموجات الأثرية، فيكلم أخاه في الشرق وهو في الغرب، ويراه في يده، ويتحدث معه بنحو طبيعي (خدمة مجانية).

رابعاً: الاتصالات بالكواكب الأخرى.

والأعظم من ذلك هو إن وسائل المواصلات السريعة والسهلة سيتاح بها الوصول إلى الكواكب الأخرى، وقد جاء في الروايات أن في بعض الكواكب كائنات عاقلة يتاح للإنسان أن يتصل بها ويتعامل وإياها ويستفيد منها، ويسافر لها ويرجع منها بسرعة فائقة، كومضات البرق السريعة.

خامساً: مصدر الطاقة في زمن المهدي عليه السلام.

إن من جملة الأمور الكبيرة الطاقة التي يتقاتل الناس عليها، رغم وجودها في الشمس والرياح والماء والهواء والبتروال والغاز والفحم الحجري وما إلى ذلك، غير أن الطاقة في عصر الإمام عليه السلام ستكون ذاتية، ومن أراد طاقة هائلة يستطيع ذلك بالاستفادة من طاقة الإمام عليه السلام، أي أن إضاءة مدينة بأكملها سيتحقق بالاتصال بالإمام عليه السلام، فتصبح كأنها قنديل مضيء بالاتصال بالإمام عليه السلام، جاء ذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾ (الزمر: ٦٩)، عن الفضل بن عمر أنه سمع أبا عبد الله عليه السلام يقول في قول الله: ﴿ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾، قال: رب الأرض إمام الأرض، قلت: فإذا

خرج يكون ماذا؟ قال: إذا يستغني الناس عن ضوء الشمس ونور القمر ويجتزئون بنور الإمام عليه السلام»^(١) أي أن نوره عليه السلام يضيء للناس جميعاً، وهذه تقنية عالية جداً أشار الحق إليها، قال تعالى: ﴿يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ (الحديد: ١٢)، إن الإنسان فيه نور وطاقة هائلة، وقد أثبت العلماء ذلك، لكن المسألة هي في كيفية الاستفادة من هذه الطاقة الذاتية، إن التقدم العلمي في زمانه عليه السلام أشبه بالخيال العلمي، لكنه ضمن معادلات علمية دقيقة، تتحقق بعد مضي ثمانية أشهر من ظهوره عليه السلام.

الرفاه الاقتصادي في زمن الإمام عليه السلام

ويهمنا هنا الإشارة إلى الرفاه الاقتصادي الذي سيتحقق، ذلك أن الكثير من الناس يتقاتلون على الثروة، بل أن الحروب منذ القديم إلى عصرنا الحاضر سببها الرئيس الحصول على الثروة، نعم قد تغلف بلافتات مرفوعة تنبئ بغير ذلك، غير أن الواقع هو الصراع على النفوذ والثروة، فاحتلال البلدان إنما هو لأجل ما فيها من ثروات أو مقدمة للحصول على ثروة في مكان آخر، غير أن البسطاء من الناس لا يعون هذه المعادلات الدقيقة في الاستراتيجية السياسية على مستوى العالم، إن العالم عند السياسيين رقعة شطرنج، يقدمون فيها شيئاً ويؤخرون آخر في سبيل الوصول إلى الكعكة، ومذكرات السياسيين منذ القديم تدور حول هذا المسار، نعم إنهم يضحون بدول وحكومات في سبيل

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ٧ ص ٣٢٦.

المكاسب الكبيرة، والتحالفات الدولية أنشأت من أجل الاستيلاء على الثروات، وقلما قدمت خدمات بعنوان إنساني محض لا يتغى من ورائه الوصول إلى مآرب أخرى، ذلك أن جل ما يقام به ليس لسواد عيون أهل بلد بل بقدر ما يمثله من ربح وتقاسم له بين الكبار، أما من لا يستطيع فيخرج من اللعبة ليربح صاحب النفوذ الأقوى، والمسار على هذا المدار.

أولاً: القضاء على الفقر والحرمان.

إن زمن الإمام المهدي عليه السلام تحل فيه المعضلة الاقتصادية، فلا ترى ملايين البشر يموتون فقراً وجوعاً، والأحاديث متواترة في مصادر المسلمين، وليست خاصة بأتباع أهل البيت عليهم السلام، وهي متفقة على غنى الناس اقتصادياً.

ثانياً: العطاء من غير حساب.

تفصح الأحاديث بأن الإمام عليه السلام إذا أراد أن يعطي مالاً لا يعده، وإنما يحثوه حثياً، فيقول لمن يعطيه: خذ ما شئت!.

ثالثاً: الاستفادة من الثروات ببسر وسهولة.

الأمر الآخر: أن الأرض تخرج بركاتها من الذهب والفضة والخيرات الكثيرة، والسماء لا تدخر من قطرها، ورواتب الموظفين نصف شهرية، فكل موظف له راتبان في الشهر، ومن أراد أن يتصدق صعب عليه أن يحصل على محتاج، وقد تحقق جزء يسير من ذلك في زمان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، فالناس

في حكومته عليه السلام وجدوا ما يكفيهم من الرزق، فلم يجوعوا لكونه بذل المال المدخر كأعطيات للناس، ولم يدخر الأموال مع حاجة الناس إليها، بل وزع العطاء بينهم، وما تحقق في عصره عليه السلام شمة بسيطة مما سيتحقق على يد الإمام المهدي عليه السلام.

التقدم في عالم الطب:

عوداً على بدء، إن التقدم العلمي جد هام، سيتاح به تحقق بعض رغبات الإنسان، فمن أراد أن يرزقه الله تعالى ذكوراً فقط أتيح له ذلك، ومن أراد أن يرزقه الله تعالى إناًاً تحقق له ذلك، إن كثرة الولد وجنسه أمران يسيران يتحققان بنحو طبيعي دون أي مشكلة، وتلك تقنية خاصة من تقنيات كثيرة وأسرار علمية تتحقق على يده عليه السلام.

التقدم في الجانب الأمني:

إن الشيء الجميل والرائع هو الاستفادة من الحيوانات، حتى المفترسة منها، كالذئب والسباع والنمور، وسيتاح للناس التعامل مع الحيوانات المفترسة بأمن وأمان، بل أن الجانب الأمني الذي له أهمية كبيرة استعرضته الروايات بإيضاح، وبينت أن التقدم الأمني الذي يتحقق في زمانه عليه السلام يسعد به الإنسان بدرجة كبيرة، ويتاح له التعامل به مع أنماط الحيوانات المفترسة بسهولة ويسر.

تركيبة دولة الإمام المهدي عليه السلام:

إن الرخاء والازدهار يرتبطان بالعدل الإلهي، فإذا انتفى الظلم تحقق الرخاء، وفي زمانه عليه السلام حتى غير المؤمنين بالمهدي من أصحاب الديانات السماوية تجتمع كلمتهم على أن الحكومة التي يقودها الإمام عليه السلام هي أفضل وأجمل حكومة تحكم الكرة الأرضية، وحكومته العالمية الموحدة لا تختص بقطر، بل هناك ثلاثمائة وثلاثة عشر ولاية يحكمها أصحابه عليهم السلام، وخمسون ولاية أخرى محكومة من قبل صالحات مؤمنات، قال الإمام الباقر عليه السلام: «ويجيئ والله ثلاث مائة وبضعة عشر رجلا فيهم خمسون امرأة يجتمعون بمكة على غير ميعاد قزعا كقزع الخريف، يتبع بعضهم بعضا، وهي الآية التي قال الله ﴿أينما تكونوا يأت بكم الله جميعا إن الله على كل شيء قدير﴾»^(١) أي أن المسؤولين من قبل الإمام عليه السلام يحكمون ولايات العالم وأقطار الكرة الأرضية مع تقدم علمي هائل ورفاه اقتصادي كبير، حتى أن من لا يؤمن به سيرضى عنه عليه السلام لما يشاهده من عدله، وكما أحب الناس ذا القرنين من قبل لعدله سينسجمون مع بعضهم وإياه عليه السلام لكونهم يرونه أفضل قائد يوصل البشرية إلى الأمن والأمان، يحبه سكان الأرض وسكان السماء.

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ٥٢ ص ٢٢٣.

العدل والأمن في دولة الإمام المهدي عليه السلام.

قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ (القصص: ٥) صدق الله العلي العظيم. استعرضنا بعض التقدم العلمي الذي يتحقق في عصر الإمام المهدي عليه السلام كما تحدثت عن ذلك الروايات، وألحنا باختصار إلى الرفاه والرخاء الاقتصادي الذي يتحقق على يديه عليه السلام، إن الروايات تؤكد على أمر غاية في الأهمية، هو العدل في دولته عليه السلام، أي أن جميع ما يحصل من تقدم في العلوم والاقتصاد وأمن للمواطنين وإنجازات على صعد أخرى كل ذلك قاعدته العدل، فدولته عليه السلام أرسيت قواعدها على العدل، ولا ظلم في دولته، بل أن جميع المرافق الحياتية تسير على وفق موازين العدل، إن بعض آي القرآن الكريم تفصح عن أن الهدف والغاية من إرسال الرسل وبعث الأنبياء هو إرساء قواعد العدل ﴿ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾ (الحديد: ٢٥).

التمييز وأثره في المسيرة البشرية

الهدف من دولة الإمام المهدي عليه السلام تجسيد مبادئ العدل الإلهي في الكرة الأرضية، وليس في قطر واحد، ولا لأهل عرق خاص أو ديانة خاصة.

أولاً: التمييز العرقي.

هناك اختلافات عرقية بين الناس منذ فجر البشرية إلى يوم الناس هذا، وقد دارت حروب طاحنة بسبب الاختلاف العرقي، وادعاء بعض الناس

بأنه أفضل من الآخرين، فهناك من يرى أن تميزه في العرق أو اللون كيباض البشرة أو الانتماء لمحيط جغرافي محدد يفضله على الآخرين، وهذه امتيازات مصطنعة ليس لها أساس تُبنى عليه، ولعل التمييز على أساس العرق أقواها وهو الذي لا يزال موجوداً إلى يوم الناس هذا، فهو وإن ألغي قانوناً لكنه يمارس كواقع بغض ومقبت ضد بعض الفئات الذين يطلق عليهم بالملونين، وهو موجود في أوروبا والولايات المتحدة إلى يوم الناس هذا، ويطالب الناس بحقوقهم وإلغائه.

ثانياً: الطائفية.

إن بعض الدول تمارس تمييزاً على أساس الانتماء المذهبي، وتتعامل مع من يختلف معها مذهبياً بالظلم، وتفرق بين مواطنيها على أساس ذلك، فمن لا ينتمي إلى المذهب الرسمي للدولة يمارس تجاهه ظلماً بلا حدود.

ثالثاً: الأقلية والأكثرية.

هناك دول فيها أقليات من غير المسلمين، تحكمها الأكثرية من المسلمين وهناك العكس أقلية من المسلمين وأكثرية من غيرهم، وتمارس الأكثرية ظلماً في حق الأقلية، وهذا تمييز ديني موجود في جل دول العالم.

دولة الإمام المهدي عليه السلام نموذج نبذ التمييز

أما دولة الإمام المهدي عليه السلام فلا تمييز حتى لغير المنتمين إلى الدين

الإسلامي، فقد أكدت الروايات على أنهم ينالون حقوقهم غير منقوصة، بسبب العدل الذي يمارسه الإمام عليه السلام مع ولاته.

أولاً: المساواة في المواطنة.

قال الإمام الحسين عليه السلام: «من أحبنا لا يحبنا إلا الله، جئنا نحن وهو كهاتين». أي يأتي يوم القيامة من يحبنا أهل البيت عليهم السلام في مرتبتنا، ويكون معنا في الآخرة، ثم قال عليه السلام: «ومن أحبنا لا يحبنا إلا للدنيا، فإنه إذا قام قائم العدل وسع عدله البر والفاجر»^(١) أي أن هناك من يحب أهل البيت عليهم السلام للدنيا، لكونه يرى رفاهاً اقتصادياً يعم الناس جميعاً ولا يختص بالطيبين منهم، بل يعم غير الأتقياء لأن الدولة قائمة على العدل، وبه تختلف عن دول العالم كلياً، إذ الدول الأخرى فيها تمييز واضح، وظلم وهضم لحقوق كثير من الناس خصوصاً الذين لا يشاركون في القرار، فيتعدى على حقوقهم، أما في دولة الإمام عليه السلام حتى غير الأتقياء الذين لا يسرون في الخط الإلهي ينالون حقوقهم كاملة لإرسائه عليه السلام قواعد العدل لتلك الدولة المباركة.

ثانياً: رد المظالم.

أكدت الروايات بأنه عليه السلام يملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً،

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ٢٧ ص ٩٠، عن بشر بن غالب عن الحسين بن علي عليه السلام قال: قال لي: (يا بشر بن غالب من أحبنا لا يحبنا إلا الله جئنا نحن وهو كهاتين - وقدر بين سبائتيه - ومن أحبنا لا يحبنا إلا للدنيا فإنه إذا قام قائم العدل وسع عدله البر والفاجر).

وأنه عليه السلام لا يأخذ الحقوق الواضحة والكبيرة من الظالمين فحسب، بل حتى البسيطة المخفية يرجعها إلى أصحابها لأن السماء تؤيده، والملائكة أعضاء وأشهاد في دولته عليه السلام، فيرجع الحقوق إلى أصحابها، قال عليه السلام: «يبلغ من رد المهدي المظالم -الظلامات التي أخذت، (أنَّ) الحقوق ترجع لأصحابها - حتى لو كانت تحت ضرس إنسان، انتزعه حتى يرده»^(١) وهذا تعبير كنائي، ففي العصر الحديث يتمكن بعض الناس من إخفاء بعض الأمور في جسمه بعمليات جراحية غير أن ذلك لن يخف عن الإمام عليه السلام، لأنَّ عدله يعم الجميع، والأقليات من غير المسلمين سترضى عن حكمه لما يرونه من عدله عليه السلام، لذا جاء في الروايات يحبه سكان الأرض والسماء أي أن سكان الكرة الأرضية يرضون عنهم إذ لا يوجد حكم على سطحها أفضل من حكمه عليه السلام.

خصائص للإمام عليه السلام

إنَّ من الأمور الهامة التي تختلف بها دولة الإمام عليه السلام عن غيرها من دول العالم أن المسؤولين المقربين لأصحاب السلطة لهم امتيازات فلا يسألون عن ظلمهم، وتغض السلطات الطرف عن الأقربين إليها متجاوزة عن ظلمهم في حق من يختلف معهم سياسياً أو عقدياً فتنتهك الحقوق، كما يلاحظ ذلك منذ فجر التاريخ إلى يوم الناس هذا، غير أن دولة الإمام عليه السلام تختلف جوهرياً عن

(١) شرح إحقاق الحق للمرعشي ج ٢٩ ص ٢٨٠.

غيرها من الدول، فهو كجده أمير المؤمنين عليه السلام في عدله، وله عليه السلام خصائص ذكرت في الروايات:

الأولى: الجود بالمال.

الإنفاق الكبير للأموال، عكس ما هو موجود في دول العالم، فلديهم تخزين للمال، مع أن الناس يعيشون الفقر والفاقة، قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إنَّ النبي صلى الله عليه وآله قال: «مهدي أمتي من أهل بيتي جواد بالمال رحيم بالمساكين»^(١) فهو عليه السلام جواد كريم ورحمة للمساكين.

الثانية: محاسبة رجالات السلطة.

إنه عليه السلام شديد على العمال، أي على المسؤولين من الوزراء الذين يمارسون السلطة التنفيذية، ويتلقون الأوامر منه عليه السلام، فإذا رأى أحدهم حاسبه بالدقة، مقتدٍ بجده الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فعندما ولى عثمان بن حنيف على البصرة وهو من أجلاء الصحابة، فدعاه بعض الأثرياء ليستميله، أرسل الإمام عليه السلام له رسالة تهديد، قائلاً له: «وما ظننت أنك تجيب إلى طعام قوم عائلهم مجفو، وغنيهم مدعو»^(٢) أي كيف يدعوك شخص لا ستمالك فتجيبه مع أنه يريد أن يخذلك ولو كان يريد الخير لدعى الصالحين والفقراء والمساكين، فالإمام عليه السلام يمارس الشدة في تطبيق المسؤولية على التنفيذيين من الوزراء والأمراء

(١) مناقب الإمام أمير المؤمنين ع للكوفي ج ٢ ص ١٦٠.

(٢) وسائل الشيعة للحر العاملي ج ٢٧ ص ١٥٩.

والمحافظين للمناطق بينما الأمر بالعكس تماماً في عصرنا، فالشخصية الكبيرة المسؤولة تحابى، وبرر لها الظلم، ولا يُنظر إلى المظلوم، إن هذه سمة يختلف بها حكم الإمام عليه السلام في دولته عن غيرها من الدول، فالرقابة شديدة على المسؤول والحساب على الجميع سواسية كأسنان المشط، ومقام المسؤولية لا يعطي حصانة للمسؤول عن المحاسبة والمراقبة، والإمام المهدي عليه السلام رغم شدته على العمال إلا أنه جواد بالمال ورحمة للمساكين فكأنه عليه السلام يلعبهم الزبدة من رحمته، وذلك تعبير كنائي جميل يفصح عن أنه عليه السلام في تعامله معهم في نهاية الأريحية فكأنهم يلعبون زبدة في تعاملهم معه عليه السلام، وتلك غاية الرحمة في تعامله مع المستضعفين الذين ليس لهم مطالب بحقوقهم، لكنه عليه السلام يقيم موازين العدل، وفي ذلك عبرة للدول الأخرى التي تدعي السير على وفق موازين العدل، لكنها إذا ظلم المسؤول، أو مورس التمييز بين الناس لم ترجع الحقوق إلى أصحابها، إن في دولته عليه السلام لا يقال إن الفئة الكذائية هي شعب الله المختار، لأن ذلك ليس من العدل، فحتى من لا ينتمي إلى الديانات السماوية يعطى حقه، أما ما تطبقه بعض الدول بحجة انتهاها إلى الله تعالى كاليهود القائلين: ليس علينا في الأميين من سبيل فخر عبلات، وهكذا ما يحكم به المسؤول الإسلامي إذا مارس الظلم، فإن ذلك ليس من الإسلام، لأن حقيقته العدل، وإذا انتفى، فليس هناك إسلام، لأن الغاية من بعث الرسل والأنبياء قيام الناس بالقسط.

الثالثة: ارتياح الناس منه عليه السلام.

إن البشرية بانتهاؤها المختلفة تحبه لما يرونه من عدله وإنفاقه للمال وجوده وكرمه فيحبونه وتصبح شعبيته عظيمة، قال الإمام الصادق عليه السلام: «المهدي محبوب في الخلائق، يطفى الله به الفتنة الصماء»^(١) أي الصلدة القوية تنطفى بعدله، وتأوي الناس إليه لارتياحهم منه عليه السلام.

الرابعة: لا يهرق الدم.

إن بعض المسؤولين عندما تزوره يتتابك الخوف منه ولا ترتاح إليه، لكن الإمام عليه السلام «تأوي إليه أمته» أي الجماهير «كما تأوي النحلة يعسوبها» يعسوب النحل هو الملكة والناس ستأوي إلى المهدي عليه السلام كما يؤوي النحل إلى الملكة، (اليعسوب) «يملاً الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، حتى يكون الناس على مثل أمرهم الأول، لا يوقظ نائماً ولا يهرق دمًا»^(٢) التعبيرات بلاغية توضح أن عدله عليه السلام يبلغ مداه، فلا يوقظ نائماً ولا يهرق دمًا عكس ما نراه في العصر الذي نعيشه، فإهراق الدم من أبسط الأمور، أما الإمام عليه السلام فلا يهرق الدم، بل يصون الحقوق كما أكد جده عليه السلام، فقد بين بأن حرمة الدم بإهراق محجمة من قطرة دم كبير عند الله تعالى، لا يجوز لأحد، قال عليه السلام: «فإن الله قد حرم عليكم

(١) عصر الظهور للكوراني ص ٣٢٦، وفي شرح إحقاق الحق للمرعشي ج ٢٩ ص ٤٥٩، عن قتادة قال: المهدي خير الناس أهل نصرته وبيعته من أهل الكوفة واليمن وأبدال الشام، مقدمته

جبريل وساقته ميكائيل، محبوب في الخلائق، يطفى الله به الفتنة العمياء

(٢) شرح إحقاق الحق للمرعشي ج ٢٩ ص ٢٤٧.

دماءكم وأموالكم وأعراضكم كحرمة هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، إلى يوم تلقونه»^(١) لا يجوز لأحد أن يعتدي، وما نراه في العالم الإسلامي من كون المسلم ليس له حرمة فيسفك دمه للمصلحة، بينما لا يهرق الإمام عليه السلام دماً إلا إذا اعتدى أحد على أحد فقتله، فإنه عليه السلام يقتص منه، والتعبير الأنف كنائي يفصح بأن الناس كأنهم في حالة استرخاء وكأن أحدهم نائم فلا يوقظ من نومه، وهو تعبير بلاغي رائع وجميل.

الجانب الأمني في دولة الإمام المهدي عليه السلام

الأمن يرتبط بالعدل، والناس يأمنون في زمانه عليه السلام، وتلك خصيصة لحكمه عليه السلام، فالأمن له أهمية كبيرة، لذا يمارس الظلم من أجل الأمن، وكثير من الدول تظلم الناس وتتعدى على بعض الفئات من أجل تحقيق الأمن، أما في المنهج الإلهي فالأولوية للعدل، وعلى أساسه يترتب الأمن، والعدل هو القاعدة الصلبة التي ينبثق عنها الأمن، وإن قدمت الدول الأخرى الأمن عليه، فلا يهمهم العدل بقدر ما يهمهم الأمن.

الأموات يتمنون الرجوع في دولته

ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله بأن: «بلاء يصيب هذه الأمة، حتى لا يجد الرجل ملجأً يلجأ إليه من الظلم، فيبعث الله رجلاً من أهل عترتي فيملاً الأرض

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ٢١ ص ٣٨١.

قسطاً كما ملئت جوراً وظلماً، يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض» ساكن السماء الملائكة، وساكن الأرض أهلها، قال ﷺ: «لا تدع السماء من قطرها شيئاً إلا صبته مدراراً، ولا تدع الأرض من نباتها شيئاً إلا أخرجته، حتى يتمنى الأحياء الأموات»^(١) أي أنّ من يعيش زمانه يتمنى الموتى أن يرجعوا ليرون العدل والرفاه، قال أبو سعيد الخدري أنّ النبي ﷺ، قال: «تنعم أمتي في زمن المهدي نعمة لم ينعموا مثلها قط، ترسل السماء عليهم مدراراً، ولا تدع الأرض شيئاً من النبات إلا أخرجته»^(٢) فيعم العدل والأمن، وذلك شيء قد لا نتخيله.

الأمن الشامل

غير أنّ الأعظم منه أنّ الأمن ليس من الإنسان فقط، بل من الحيوان، فبأمن الإنسان الحيوانات الضارية والسباع، وهذا شيء لا نفقه أسراره، فالسباع الضارية تعيش كحيوانات أليفة كما تحدث طائفة من الروايات عن ذلك.

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ٥١ ص ١٠٤.

(٢) شرح إحقاق الحق للمرعشي ج ١٣ ص ٢٢٥.

القسم الثاني : الثورة الحسينية

الفصل الأول

أسباب ثورة الإمام الحسين عليه السلام

تجديد الخطاب الحسيني في ذكرى عاشوراء

الإمام الحسين المصلح الاجتماعي والسياسي.

قال النبي صلى الله عليه وآله: «إنَّ الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة»^(١).

نلتقي بعاشوراء إمامنا الحسين عليه السلام وملحمته التاريخية العظيمة التي سطرها وكان لها أبلغ الأثر في تاريخ الفكر البشري، هذا الحدث يتطلب منا أن نقف وقفة تأمل في بعض ما ينبغي لنا أن نقوم به تجاه هذه الملحمة العظيمة، لا أحد يشك أنَّ إمامنا الحسين عليه السلام قام بهذه الثورة من أجل إرجاع الأمور إلى نصابها السليم والصحيح، وكان يرى الانحراف في أوساط الأمة على أصعدة متعددة؛ فهناك انحراف في مجال السلوك قام به الأمويون كتميع للفضيلة، وإغراق الشخصية الإسلامية في مستنقع الرذيلة والانحراف

(١) مدينة المعاجز للبحراني ج ٤ ص ٥٢.

الأخلاقي، وهناك أيضاً انحراف في المجال الاقتصادي، فالأثرة وتقديم المقربين هي المحكمة في التوزيع الاقتصادي من بيت المال، وهناك انحراف أعظم من هذه الانحرافات يرتبط بتخطيط الأمويين للقضاء على الهوية العقدية للأمة، ذلك ما أبرزه يزيد بن معاوية لما تولى السلطة في بعض أشعاره عندما قال:

لَعِبَتْ هَاشِمٌ بِالْمَلِكِ فَلَا خَبْرٌ جَاءَ وَلَا وَحْيٌ نَزَلَ (١)

ومعنى ذلك أن السلطة تتبنى مشروعاً تشكيكياً في الجانب العقدي للأمة الإسلامية، فما كان من الإمام عليه السلام إلا أن يقف هذه الوقفة التي وقفها وهو يعلم مسبقاً أن الموت المحتم ينتظره وأصحابه، وقد أخبر بذلك في مكة، قال عليه السلام: «كأني بأوصالي تقطعها عُسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء» (٢)، ورد أيضاً على بعض الناصحين له بأن لا يخرج أو أن يُغير مساره ووجهته إلى اليمن أو إلى غيره من بقاع الأرض المختلفة، وقد أخبره بعضهم بالمصير المحتوم الذي ينتظره فكان جوابه عليه السلام: «شاء الله أن يراني قتيلاً، وشاء الله أن يراهن سباياً» (٣)، أي أنه عليه السلام خطط للمستقبل البعيد، ولم يكن ينظر إلى الهزيمة العسكرية، وإنما نظر إلى تغيير المسار الفكري والثقافي للأمة الإسلامية، وذلك هو ما أدى أن تهتف الدنيا باسمه طوال السنين، وأصبح رمزاً للتضحية

(١) الاحتجاج للطبرسي ج ٢ ص ٣٤.

(٢) بحار الأنوار للمجلسي ج ٤٤ ص ٣٦٧.

(٣) الأخلاق الحسينية لجعفر البياتي ص ٤٢.

والفداء والبطولة والإصلاح الفكري والاجتماعي. غير أن ما يهمننا في عاشوراء مجموعة من الأمور يتجدد بها الخطاب الحسيني ويؤثر تأثيراً كبيراً:

الأول: التركيز على أهداف الثورة الحسينية.

انطلقت ثورة الإمام الحسين عليه السلام وفق أهداف واضحة مخطط لها من أجل الوصول إلى غايات سامية سعى الإمام عليه السلام إلى تحقيقها، ويتجلى هذا الأمر بوضوح في رسائله وكلماته عليه السلام التي بعثها إلى مجموعة من الناس في البصرة والكوفة وأماكن أخرى بيّن فيها أهداف خروجه، وجعل في مقدمتها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والسير بسيرة جده وأبيه هذا التركيز على نهج الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في تحقيق العدل ومناهضة الظلم بشتى صورته، وحث الناس على الارتباط بأئمة أهل البيت عليهم السلام لأنه استمرار للنبوة في القيادة السياسية للمجتمع الإسلامي. وأهداف أخرى ذكرها الإمام عليه السلام في كربلاء وفي بعض رسائله المتعددة وكلماته التي وجهها إلى أصحابه، ينبغي للخطيب الحسيني أن يركز عليها، لكونها أهداف وقيم عليا ومبادئ سامية تسعى البشرية إلى تحقيقها للوصول إلى العدل والحرية التي تطمح إليها من خلال الثورات والحركات التصحيحية التي تقوم بها الشعوب والأمم. لذا، تقع على الخطباء مسؤولية كبيرة في طرح هذا المنهج الذي أكده إمامنا الحسين عليه السلام على أساس أنه المنهج الحضاري في الفكر الإسلامي الذي يتسم بصلاحيته للتطبيق في كل زمان ومكان.

الثاني: التركيز على الجانب العاطفي من الثورة.

يخطئ بعض الناس عندما يتصور أن منهج أهل البيت عليهم السلام يُركز على جانب العبرة في ثورة الإمام الحسين عليه السلام فقط و يُقلل من شأن العبرة؛ لأننا نجد تركيزاً في فكرهم عليهم السلام على كلا الجانبين لإيجاد توازن بين العبرة والعبرة. فكثير من المرويات الصحيحة عنهم عليهم السلام ركزت على البكاء والتأثر بما جرى على الإمام الحسين وأهل بيته عليه وعليهم السلام.

وقد مارس هذا الدور بعض الأنبياء والرسل لإرجاع الحق إلى نصابه، حكي القرآن الكريم قصة بكاء يعقوب عليه السلام على ابنه يوسف عندما ظلم، قال تعالى: ﴿ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَىٰ عَلَىٰ يَوْسُفَ وَأَبْصَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾، أي أعرض يعقوب عليه السلام عن أولاده ولجأ إلى المعارضة السلمية من خلال البكاء للاحتجاج على ممارستهم الخاطئة وظلمهم ليوسف عليه السلام. كذلك ممارستنا للبكاء والتأثر بما جرى على الإمام الحسين عليه السلام نابعة من مناهضتنا للظلم من جهة، واتباعاً للروايات الصحيحة عن أهل البيت عليهم السلام التي تحثنا على البكاء وإحياء ذكرى عاشوراء بما يتناسب مع الفاجعة الكبيرة من جهة أخرى.

الثالث: طرح البحوث والمحاضرات المفيدة.

تمتاز أيام عاشوراء بالحضور الكثيف والفاعل من الناس فيها خصوصاً من المثقفين والطبقة الراقية علمياً من أبناء المجتمع، الذين يُسجلون حضوراً

رائعاً وفعّالاً في المجالس الحسينية، ويتطلب ذلك من الخطباء تحديث المحاضرات والبحوث التي يطرحونها بما يتناسب مع المستوى الثقافي للحاضرين، ويتناسب أيضاً مع النقلة الحضارية والثقافية والسياسية التي يُعاشها مجتمعنا في الوقت الحاضر. لذا يحتاج الخطيب البارع أن يُنوع في المحاضرات التي يُلقّيها مع ملاحظة المستوى الثقافي والاجتماعي للمنطقة التي يُحاضر فيها، وأفضل طريقة لتحقيق المستوى المنشود هو أن يُشارك المثقفون وعامة الناس من كل منطقة الخطيب في اختيار المواضيع التي تتناسب مع منطقتهم لكونهم أكثر إطلاعاً من غيرهم على متطلبات منطقتهم الثقافية وسيؤدي ذلك إلى تحقيق أفضل النتائج في إثراء المتلقي فكرياً ورفع مستوى المنطقة ثقافياً. هذا الأسلوب الراقي في تبادل الخبرات والتجارب بين الخطيب والمتلقي يُوجد نوعاً من التواصل والترابط الثقافي ينعكس على ارتقاء المجتمع فكرياً والإبداع والتجديد في حركة المنبر الحسيني وخطبائه.

الرابع: التنظيم ومراعاة المسائل الأمنية.

ينبغي لنا عندما نشارك في إحياء الشعائر الحسينية، اقتداءً بالأئمة عليهم السلام أن نلتفت إلى مسألة التنظيم في كل ما يرتبط بإحياء الشعائر من دخولنا المجالس الحسينية والمحافظة على الهدوء والإصغاء للخطيب، ونؤكد هنا على خروج النساء إلى هذه المجالس المقدسة بكامل حجابهن وزينهن الإسلامي الذي يُعبر عن اقتدائهن بالسيدة زينب عليها السلام فقد كانت بكامل حجابها وحشمتها رغم

الأحداث التي ألمت والظروف الصعبة التي واجهتها. إن الاهتمام بالنظام يعكس تمسكنا بوصايا الأئمة من أهل البيت عليهم السلام، وعلى رأسهم أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته للإمامين الحسن والحسين عليهما السلام حيث قال لهما: «أوصيكما وجميع ولدي وأهلي ومن بلغه كتابي، بتقوى الله ونظم أمركم»^(١) لأن النظام يجذب الآخرين لنا ويُعطيهم صورة حسنة عن مذهبنا وثقافتنا الرائعة المستقاة من أهل البيت عليهم السلام، كما ينبغي أن لا ننسى التأكيد على الحفاظ على الجانب الأمني حتى لا يتعرض المؤمنون لبعض التصرفات الخاطئة من لدن بعض المتطرفين.

مسارات في فكر النهضة الحسينية

قال تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ صدق الله العلي العظيم.

اليقظة في ضمير الأمة.

مثّلت ثورة إمامنا الحسين عليه السلام مُنعطفاً في التاريخ الإسلامي بما تميّزت به من أحداث كان لها الأثر الكبير في تغيير مسار التاريخ الإنساني، لأن الأمة قبل قيام الإمام الحسين عليه السلام كانت بحاجة إلى استنهاضٍ لضميرها الميت، وكان الإمام عليه السلام - ضمير الأمة النابض بالحياة - يُدرك أنّ الدماء الزكية هي القادرة

(١) بحار الانوار للمجلسي ج ٤٢ ص ٢٥٦.

على استنهاض ذلك الضمير الميت، وبالفعل حدّد الإمام عليه السلام المسارات العامة التي سوف يتحرك في إطارها من خلال كلماته التي أطلقها:

المسار الأول: تأصيل ثقافة الشهادة

تحتاج الأمة إلى دم زكي، يحافظ على منجزاتها ومكتسباتها من جهة، ويردع الطغاة والبغاة - الذين لا يرون قدسية للإسلام ولا كرامة للمسلمين - من جهة أخرى، ولذلك نجد الإمام عليه السلام يبين مُفصّحاً عن هذا المسار بقوله: «إني لا أرى الموت إلا سعادةً والحياة مع الظالمين إلا برماً»^(١)، الموت يُمثل استشهاداً في سبيل الله يمنح الإنسان البقاء والحفظ والذكر في الحياة الدنيوية وفي عوالم الغيب بأروع الصور التي يطمح الإنسان للوصول إليها عند الباري تعالى.

ثمن الشهادة:

أليس المسلمُ يريدُ أن يصلَ إلى رضوان الله؟ هذا الرضوان يتحقق من خلال الشهادة، والإمام عليه السلام يريد لكل المسلمين في كل عصرٍ ومصر أن يُحافظوا على كرامتهم وعزتهم عندما يُجابهون بالخطوبِ المدهمة، وذلك من خلال مبدأ الشهادة، الذي يُمثّل البلسم الشافي للجروح غير القابلة للشفاء.

صفة الموت والحياة.

يرى الإمام الحسين عليه السلام أن الموت استشهاد في سبيل الله، واعتبر الحياة مع

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ٤٤ ص ١٩٢.

الظالمين موتاً وبرماً، وقد جسد هذا المعنى أبوه أمير المؤمنين عليه السلام في كلمته الخالدة في صفين عندما قال: «الموتُ في حياتكم مقهورين والحياةُ في موتكم قاهرين»^(١) يُريد الإمام عليه السلام للأمة الإسلامية أن تكون أمةً عزيزةً، ولا يتسنى لها ذلك إلا من خلال السيادة المطلقة لمبادئ الإسلام وقوانينه التي يخضع لها جميع المسلمين.

صدى خطاب الإمام عليه السلام.

الإمام الحسين عليه السلام في كل مفردة من المفردات التي تحدث بها كان يُبين معلماً واضحاً ويرسّم مساراً نيراً للأجيال المتعاقبة عبر التاريخ الإنساني ليس للمسلمين فحسب، وإنما التركيز بالذات على الأمة الإسلامية.

المسار الثاني: التحرك نحو الشهادة.

ويعطي الإمام عليه السلام درساً آخر في حوارهِ مع عمرو بن لوذان الذي قال «... فوالله ما تُقدّمُ إلا على الأسنّة وحِدِ السيوف» أي أنهم يُريدون قتلك يا أبا عبد الله، فرد عليه عليه السلام بكلمات في غاية الجمال والروعة قال فيها «و الله لا يدعوني حتى يستخرجوا هذه العلقه من جوفي»^(٢) يُركز الإمام عليه السلام في كلمته على مبدأ في غاية الأهمية وهو أن من لا يدنو نحو الشهادة ولا يتحرك نحو هذا المبدأ العظيم فإنه سيموت ذليلاً مُهاناً مُستصغراً، أما الشعوب والأمم التي تُقدّمُ شهداء وقرايين في سبيل الله، للحفاظ على كرامتها فإنها تدفع الثمن

(١) نهج البلاغة - خطب الإمام علي عليه السلام - ج ١ ص ١٠٠.

(٢) بحار الأنوار للمجلسي ج ٤٤ ص ٣٧٥.

الأقل وتأخذ النصيب الأوفر، ولذلك أراد الإمام الحسين عليه السلام أن يُبين لعمرو بن لوذان أنه إذا لم ينهض ويتحرك ضد هؤلاء الظالمين الطغاة فإنهم سوف ينتهكون حرمة ويقتلونه.

المسار الثالث: التركيز على عزة وكرامة الأمة.

رَكَز الإمام الحسين عليه السلام على مبدأ العزة والكرامة للأمة الإسلامية، قال: «لا والله إني لا أُعطيكم بيدي إعطاء الذليل ولا أقر لكم إقرار العبيد»^(١) أي أنه عليه السلام لا يُريد للمسلم أن يكون ذليلاً حتى عندما يُخاطبُ أعتا الطغاة، بل يُريده أن يكون عزيزاً مُهابَ الجانب، له شخصيته المحترمة، ليس كفرد وإنما لكونه يُمثل كياناً يُرادُ له أن يكون أمةً كريمةً وعزيزةً، وليست أمةً مُهانَةً ومُتشرذمةً، يعبث بها الطغاة كيفما شاؤوا.

شرط العزة والكرامة:

استمد النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام هذا المبدأ من القرآن الكريم قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾، وفي آية أخرى: ﴿فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾. وورد في الروايات عن الإمام الصادق عليه السلام: «إِنَّ اللَّهَ فَوْضَ إِلَى الْمُؤْمِنِ أَمْرَهُ كُلَّهُ وَلَمْ يُفَوِّضْ إِلَيْهِ أَنْ يَكُونَ ذَلِيلًا»^(٢)، وقد رَكَز الأئمة عليهم السلام هذا المبدأ في ضمير الأمة الإسلامية من خلال القيادات الصالحة التي جسدها العلماء الأعلام عبر

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ٤٥ ص ٧.

(٢) بحار الأنوار للمجلسي ج ٦٤ ص ٧٢.

تاريخنا الإمامي الطويل. والأئمة عليهم السلام والعلماء يمثلون ضمير الأمة ويدعون الناس إلى الاستشهاد عندما تكون الشهادة هي الفاصل بين الحق والباطل، وذلك ما قام به الإمام الحسين عليه السلام، لأن الأمة في عصره وصلت إلى مهوى سحيق في الرذيلة وعدم الانصياع للحق، وقد تجلى ذلك بوضوح في كلام يزيد الذي أراد به نفي شريعة الإسلام فقال:

لَعَبَتْ هَاشِمٌ بِالْمُلْكِ فَلَا خَبْرٌ جَاءَ وَلَا وَحْيٌ نَزَلَ (١)

كلام في غاية الخطورة يُواجه الأسس العقدية للأمة، فأراد الإمام عليه السلام أن يضع حداً لهذا الهذيان والباطل، وهو ما أفصح عنه عليه السلام في كلمته الرائعة «ألا ترون إلى الحق لا يعمل به و الباطل لا يتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء الله» (٢)، أي أنه عندما يكون هرم السلطة لا يرى قدسية لمبادئ الإسلام، بل يرى أن المبادئ العقدية تمثل أكاذيب جاء بها النبي صلى الله عليه وآله وسلم فماذا سيبقى من الإسلام؟

المسار الرابع: المشيئة الإلهية تحكم الأشياء.

على المسلم أن يقف بعزم وثبات كي ينصر مبادئ الإسلام، كما فعل الإمام الحسين عليه السلام مع أهل بيته وصحبه الأبرار، مع علمه أن التضحية جسيمة وكبيرة، وفيها انتهاك لكل القيم السماوية والقوانين الوضعية بل لكل المبادئ

(١) تاريخ الطبري ج ٨ ص ١٨٨.

(٢) بحار الأنوار للمجلسي ج ٤٤ ص ١٩٢.

الإنسانية، لكنّها قليلة مادامت في سبيل الله، لذلك، عندما قال بعض الناصحين للإمام «فما معنى حملك هؤلاء النساء معك وأنت تخرج على هذا الحال» قال عليه السلام إن رسول الله ﷺ قال لي: «إن الله قد شاء أن يراهنّ سبايا»^(١)، وهو بهذه الكلمات يعطي - للأجيال - درساً عملياً في التوكل على الله وتقديم المشيئة الإلهية على كل الأشياء.

دور الإنسان الرسالي:

يُقَدِّم الإنسان - بطبيعته - نفسه في سبيل بقاء ولده وعائلته، ولكنه لا يضحى بعائلته وولده، لأنهم يُمثّلون له الخلود والاستمرار لحياته. والإمام عليه السلام أراد أن يُبرهن - بدرس عملي رائع - على أنّ الإنسان مهما يُقدِّم من تضحيات في سبيل الله تعالى فهي قليلة وضيئة، وهذا ما أبانته العقيلة زينب عليها السلام عندما استشهد الإمام الحسين عليه السلام قائلة «اللهم تقبل منا هذا القربان»^(٢) يريد الأئمة من أهل البيت عليهم السلام الحفاظ على كرامة الأمة وعزتها، وليس لديهم أي طمع في جاهٍ أو مالٍ أو أي أمرٍ آخر، كما يصور ذلك البعض، لأن الإمام عليه السلام ومنذ اليوم الأول لنهضته كان يعلم بأن مصيره القتل لكنه كان يرى القتل عزة وكرامة لكل المسلمين عبر الأجيال المتعاقبة لتاريخهم.

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ٤٤ ص ٣٦٤.

(٢) حياة الامام الحسين للقرشي ج ٢ ص ٣٠٢

العزة والكرامة في النهج الحسيني

قال الله ﷻ في القرآن الكريم: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون/٨] صدق الله العلي العظيم.

أهمية العزة والكرامة في الشرائع السماوية.

تعيش الأمة الإسلامية هذه الأيام ذكرى عاشوراء الأليمة، التي تمثل العزة والكرامة، إن أيام محرم وصفر كلها أيام عِزَّة وكرامة وشرف للإنسانية، لكننا سنبحث وإياكم من خلال هذه الذكرى عن درس قرآني جسده الإمام الحسين عليه السلام في تضحيته وفدائه، هو درس الكرامة والعزة، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون/٨]، وأكد ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران/٣٩]. من هنا لا بد من التأكيد على أن النفس الإنسانية تتكون من جنتين: مادية وروحية، ويريد الإسلام للجنة الروحية أن تحيا بعزة وكرامة، لأنها تجسد الوجود المعنوي للإنسان، وما ورد من النواهي في الشريعة الإسلامية، والشرائع السماوية الأخرى هو لصيانة روح الإنسان من أن تُدَنَسَ بالآثام أو تخلد إلى الأرض.

أهمية العزة والكرامة في روايات أهل البيت عليهم السلام.

يجد المتتبع لروايات أهل البيت عليهم السلام في توجيهاتهم تركيزاً كبيراً على الجنبه الروحية للإنسان؛ ويمكننا أن نصنف الروايات إلى ثلاثة أصناف:

الأول: ما يؤكد على أنّ الدين والخُلق توأم العزة.

ونجد هذا المعنى جلياً في قول إمامنا أمير المؤمنين عليه السلام: «لا دين لمن لا مروءة له ولا مروءة له ولا مروءة لمن لا عقل له»^(١)، وأيضاً في كلام إمامنا الهادي عليه السلام: «من هانت عليه نفسه فلا تأمن شره»^(٢)، أي أنّ من يعيش الذلة من الناحية المعنوية، سيكون مستعداً للقيام بكل عمل يُدنس به شرفه، وشرف المجتمع الذي يعيش في وسطه، أما من يمتلك الشهامة والمروءة والعزة لنفسه فلن يرتكب ما يُدنس شرفه وكرامته، فضلاً عن شرف الوسط الذي يعيش فيه.

الثاني: ما يؤكد أنّ العزة سلم للمراتب العالية.

أكد أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة على هذا المعنى فقال: «قدر الرجل على قدر همته، وصدقه على قدر مروءته، وشجاعته على قدر أنفته وعفته على قدر غيرته»^(٣). المراد من الرجل هو الإنسان الأعم من الرجل والمرأة، وتشير الرواية إلى أنّ الإنسان في وصوله إلى المراتب العالية يرتكز على قدر طموحاته التي يحملها بين جنبيه. وتُركز الرواية أيضاً على أنّ الصدق الذي يتمتع به الإنسان في حياته يرتبط قولاً وعملاً بقدر مروءته. والمراد بالمروءة هو شرف

(١) ميزان الحكمة للريشهري ج ٤ ص ٢٨٨٣.

(٢) ميزان الحكمة للريشهري ج ٢ ص ٩٨٢.

(٣) نهج البلاغة - خطب الإمام علي عليه السلام - ج ٤ ص ١٣.

النفس والروح، الذي يتطلب من الإنسان السعي الحثيث كي يصل بروحه إلى الطهارة والشفافية بنحو دائم.

وتضيف الرواية معنى يرتبط بما نحن فيه، وهو أنّ عفة الإنسان على قدر غيرته، فبقدر ما يكون غيورًا على أهله يكون عفيفًا؛ فإن كان لديه غيرة على شرفه فلن يتعدى على شرف الآخرين، أما إذا ذهب غيرته فله استعداد في ارتكاب أي محذور يُدنس به شرف الآخرين، وهذه الحقيقة أكد عليها في قوله عليه السلام: «وعفته على قدر غيرته»^(١).

الثالث: ما يربط بين الذل وضعف الجانب الروحي.

ونجد هذا المعنى بوضوح في وصية أمير المؤمنين عليه السلام لابنه الحسن الزكي عليه السلام حيث قال: «وأكرم نفسك عن كل دنية، وإن ساقتك إلى الرغائب، فإنك لن تعترض بما تبذل من نفسك عوضًا»^(٢)، يريد عليه السلام من هذه الوصية أن ينبه البشرية جمعاء إلى أهمية مجاهدة النفس في كل أمرٍ من الأمور التي تدنس الشرف مجاهدةً جادة، لأنّ العثرات والسقطات البسيطة تُقلل من مستوى الإنسان وتُدنس شرفه المعنوي، وتؤدي إلى اتصاف روحه بالرديلة، وبالتالي، سيضعف الجانب المعنوي لديه، ومن الصعوبة بمكان أن يرجع بعد ذلك إلى المستوى الذي وصل إليه سابقاً.

(١) نهج البلاغة - خطب الإمام علي عليه السلام - ج ٤ ص ١٣.

(٢) نهج البلاغة - خطب الإمام علي عليه السلام - ج ٣ ص ٥١.

العزة والكرامة في نهج الإمام الحسين عليه السلام:

جسد الإمام الحسين عليه السلام مبادئ العزة والكرامة قولاً وعملاً، وتجلى ذلك في الشعارات التي صدرت منه عليه السلام، والتي تحفظ كرامة الإنسان وعزته في إطار الفرد أو المجتمع، من أهم الشعارات قوله: «الموت خير من ركوب العار، والعار أولى من دخول النار»^(١)، يبين الإمام عليه السلام على أن موت الإنسان أولى من أن يُعيره المجتمع بشيء، وأن النظر إليه كوضيع أولى من أن يرتكب ما يؤدي إلى دخوله نار جهنم. وقد ورد هذا المضمون في كلمات سيد الشهداء عليه السلام حين قال: «إني لا أرى الموت إلا سعادة، والحياة مع الظالمين إلا برماً»^(٢). فهو عليه السلام يريد للمجتمع الذي يعيش فيه أن يحيا حياة العزة والكرامة، ليس على مستوى الفرد فحسب، بل على مستوى المجتمع أيضاً، لذا كانت تضحية الإمام الحسين عليه السلام تصب في الجانب الروحي لوجود الإنسان. وكان الهدف منها الحفاظ على تلك الجنبه المعنوية للإنسان، ووقايتها من السقوط في وحل الذل والمهانة، إذ من السهل على كثير من الجبابرة المتغطرسين أن يشتروا شرف بعض الناس وكرامتهم وعزتهم بعد سقوطهم في مهاوي الذلة.

نموذج تاريخي للسقوط في مهاوي الذلة.

حدثنا التاريخ عن شخصيات سقطت في مهاوي الذل بسبب تنازلها عن

(١) ميزان الحكمة للريشهري ج ٢ ص ٩٨٢.

(٢) ميزان الحكمة للريشهري ج ٢ ص ١٥١٥.

مبادئ العزة، منها شخصية دعاها أحد الخلفاء المتجبرين، وطلب أن يُساومها، ليس على وجودها، وإنما على شرفها وعزتها، فلما أحضرت، قال لها: بماذا تفدي مولاك الخليفة؟ فقال الرجل: أفديه بنفسي. عند ذلك تركه، وأمره بالانصراف. ولما مضت فترة زمنية طلبه مرة ثانية، وقال له: بماذا تفدي مولاك الخليفة؟ فقال: أفديه بنفسي ومالي، ثم أمره بالانصراف، وقال له: اذهب مالنا حاجة فيك، وبعد مرور فترة وجيزة استدعاه الثالثة، وسأله نفس السؤال، فأجاب الرجل: أفديه بنفسي ومالي وأهلي، حينها، طرده وأمره بالخروج، وبعد ذلك، استدعاه، وسأله نفس ذلك السؤال، فقال الرجل: أفدي الخليفة، بنفسي ومالي وأهلي وشرفي وديني. حينها، رضي عنه الخليفة، لأنه كان ينتظر منه هذا الجواب من أول الأمر.

الإمام الحسين يعطي أروع الدروس في العزة.

يريد الجبارة من الإنسان أن ينسلخ عن جانبه المعنوي وعن عزته وكرامته، وبذلك يكون المجتمع تحت سيطرتهم التامة وسلطتهم فيحققون رغباتهم وأهواءهم. لكن الإمام الحسين عليه السلام أراد أن يُفوّت عليهم هذه الفرصة من خلال تنبيه المجتمع إلى أنّ الإنسان يمكنه التنازل عن كثير من الأمور التي يحتاجها، لكنه لا يمكنه التنازل عن شرفه وكرامته وعزته، لأنها الجزء الهام من حياته كفرد والأهم من حياته كأحد لبنات المجتمع.

الثورة الحسينية التطبيق الكامل للإسلام

قال رسول الله ﷺ: «حسين مني وأنا من حسين»^(١).

تنوع النصوص في فضائل أهل البيت ﷺ.

الأحاديث الواردة في أهل البيت ﷺ كثيرة ومتعددة، وكل منها يشير إلى معنى من المعاني، بعضها يبين أن النجاة لا تتحقق إلا بالسير في مسارهم ﷺ كقوله ﷺ: «إنما مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق، ومثل باب حطة من دخله نجا ومن لم يدخله هلك»^(٢) وبعضها تتحدث عن اقتران أهل البيت ﷺ بالقرآن الكريم كحديث الثقلين، ومعناه أنهم القرآن الناطق والتطبيق السليم والصحيح لآياته، أي كما أن النبي ﷺ خلقه القرآن بمعنى أنه يجسد آياته في أخلاقه، كذلك أهل البيت ﷺ هم التطبيق الصحيح لآيات القرآن في كل ميادين الحياة، وبعضها يفصح عن عصمتهم وكونهم مع الحق في أي موقف يقفونه كقوله ﷺ: «علي مع الحق والحق مع علي يدور معه حيثما دار»^(٣)، يبين الحديث أن الإمام علياً ﷺ لن يفترق عن الحق وأن الحق لن يفترق عنه علياً ﷺ، هناك توأمية بين الحق وعلي علياً ﷺ وبين علي والحق، وبعضها يشير إلى الخلافة للنبي ﷺ كحديث الغدير.

(١) ميزان الحكمة للريشهري ج ١ ص ١٥٨.

(٢) بحار الأنوار للمجلسي ج ٢٣ ص ١٠٥.

(٣) ميزان الحكمة للريشهري ج ١ ص ١٣٨.

الحسين استمرار بقاء الإسلام.

الحديث الذي استفتحنه به رواه الحاكم النيسابوري في صحيحه وصححه^(١)، ويبين الحديث أنّ الحسين عليه السلام من رسول الله صلى الله عليه وآله إذا جعلنا (من) للتبويض أي أنه جزء من مشروع الرسول صلى الله عليه وآله، أمالو كانت (من) بيانية فمعناه أنّ الحسين عليه السلام هو التطبيق العملي للرسول صلى الله عليه وآله، ولعل المعنى الثاني أقرب وذلك من خلال «وأنا من حسين» إذ أنّ معناه أنّ بقاء الرسالة واستمرار الإسلام يرتبط جذرياً بالحسين عليه السلام.

مسؤولية الإمام الحسين تجاه الأمة.

إذن كل حديث من الأحاديث الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله فيهم عليهم السلام يفصح عن جانب محدد ويبين معنى يريد النبي صلى الله عليه وآله للأمة أن تستوعبه، من هنا كان فعل أهل البيت عليهم السلام يبرز حقيقة الإسلام ومن تلكم الأفعال الهامة ثورة الإمام الحسين عليه السلام، لها أبعاد كثيرة منها: المسؤولية العامة وما يعبر عنه بمسؤولية الأمة تجاه ما يمر بها من أحداث، فهناك أحداث تمر في كل عصر وعلى كل مصر من الأمصار، والأحداث التي تمر لا بد أن يكون للأمة تجاهها مسؤولية، إذ أنّ بعضها لا يمكن أن يتغاضى عنها، ولا يكون للأمة موقف بإزائها، فالأحداث الجسام لا بد أن يكون للأمة موقف منها، ومن تلك الأحداث

(١) في المستدرک للنيسابوري ج ٣ ص ١٧٧ قال: (هذا حديث صحيح الاسناد).

الجسام ما عبر عنه الفقهاء بالتعرض للإسلام من أعدائهم سواءً أكان العدو داخلياً أو خارجياً بنحو يمس حقيقة الإسلام فيجب حينئذ على المسلمين جميعاً الذود عن الإسلام، والوجوب مسؤولية الأمة جمعاء، ولا يمكن لبعض أفرادها أن يتنصل عن مسؤوليته.

موقف الإمام الحسين عليه السلام من السلطة.

ذلك ما ينطبق على موقف الحسين عليه السلام تجاه حكومة يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، الموقف موقف المسؤولية أي أنه لا يمكن للإمام الحسين عليه السلام إمام الأمة الذي يجسد مرجعيتها الدينية أن لا يبالي بحكومته بعد أن أفصح عن نواياه بقوله:

لَعِبَتْ هَاشِمٌ بِالْمَلِكِ فَلَا خَبْرٌ جَاءَ وَلَا وَحْيٌ نَزَلَ (١)

إن ما جاء من آياتٍ على لسانه يعبر عن أن الدين أكذوبة لم ينزل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وحي، وإذا كان المسؤول الأول وهرم السلطة يعبر عن الدين بأنه خرافة، فيتعين أن يكون الموقف الشرعي من الأمة هو الوقوف تجاهه، فإن من يدير دفة الأمور، ويبيده الحل والعقد، ويعلن بملء فيه أن الدين أكذوبة لم يُنزل على محمد ص لا يمكن أن يسكت عنه، من هنا كان موقف الحسين عليه السلام موقف المسؤولية ليضع النقاط على الحروف ويبين للأمة أنه لا مجال للمداراة والسكوت مع من يعلن إنكار رسالة السماء.

(١) الاحتجاج للطبرسي ج ٢ ص ٣٤.

الإمام الحسين عليه السلام يواجه شرعنة الظلم.

وبعد أن أعلن الإمام الحسين عليه السلام ثورته تغير مسار التاريخ، ولم يجزراً أي خليفة وسلطان للمسلمين أن ينكر الإسلام ويقول بأنه ليس بدين سماوي، وأنه أكذوبة لعب بها النبي صلى الله عليه وآله على أمته فاختلق هذا الدين كما قال يزيد على مرأى ومسمع من المسلمين، إن الإمام الحسين عليه السلام أصبح فيصلاً وحاجزاً يمنع من التلاعب بالشرعية من لدن السلاطين، ويمنع عن تأثر الناس بذلك، إذ أن الناس على دين ملوكهم، وقد سار المنهج الأموي على تقعيد إطاعة السلطان وأنها من الدين حتى وإن كان السلطان ظالماً فيجب أن يطاع ولو ضرب بطنك وظهرك، إن الناس قد تتقبل هذا النحو من الظلم مع أنه غير عقلائي، غير أن الناس يمكنها أن تتماشى وإياه، أما القول بأن القرآن أكذوبة، وأن رسالة السماء مختلفة فذلك شيء لا يمكن أن يقف الإمام الحسين عليه السلام بإزائه مكتوف اليدين، بل لا بد أن يضحى بنفسه.

الإعلام الحر في عصر الإمام الحسين عليه السلام.

إن ما نُسب للإمام الحسين عليه السلام - إن كان دين محمد لم يستقم إلاّ بقتلي فيا سيوف خذيبي - يشير إلى تحمله للمسؤولية بكل أبعادها وإرادته أن يبقى الدين جذوة مشتعلة في نفس المسلم وإن تطلّب ذلك أن يضحى بنفسه في سبيل الله تعالى، وهذه مسؤولية الإمام الحسين عليه السلام فإنه جسّد ذلك انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿وَقَفَّوهُمْ أَتَمَّ مَسْئُولُونَ﴾ (الصافات: ٢٤)، غير أن المسؤولية التي جسدها الإمام عليه السلام لم

تكن في وقوفه أمام المد الجارف لإنكار الشريعة من يزيد الذي مثل الطغيان أكثر من غيره من الأمويين إذ لم يجراً أحد منهم قبله أن يقول ذلك علانية، نعم؛ أرسوا مبادئ الحكم الدكتاتوري فأعلنوا أنّ الأمر والنهي وجميع الأمور بيد السلطان وما شاء أن يفعل فعل، وما شاء أن يدع ترك، وقاموا بتخدير الأمة بحيث لم تستطع أن تقاوم السلطات، ولم يكن هناك إعلام حر مفتوح يستطيع أن يناقش تلك السلطة الظالمة إلاّ بنحو يسير من لدن بعض الشعراء الأحرار، لذا ما كان أمام الحسين عليه السلام غير أن يقف ذلك الموقف البطولي الذي تُعجب منه، إذ كيف يضحى بنفسه مع علمه بأنّ نساءه ستكون أسارى تلاقى أقسى وأبشع أنواع الذل والهوان غير أنه قبّل ذلك في سبيل الحق من أجل الإسلام.

موقف المؤمن تجاه الحدث المعاش.

على المسلم أن يلتفت إلى هذا الأمر، فلا يقف تجاه الأحداث الجسام غير مبالٍ، بل عليه أن يعي المسؤولية الملقاة على عاتقه، وإن اقتضى أن يقدم نفسه قرباناً للشريعة، هذا هو الموقف الشرعي عندما يتعرض الإسلام لخطر، فإنّ الدفاع والذود عن مبادئه واجب الأمة ولا قيمة للمرء إذا لم يعي مسؤوليته.

الإمام الحسين عليه السلام يدفع الأمة نحو المسؤولية.

إنّ مسؤولية الإمام الحسين عليه السلام لم تكن في الجانب الكبير الذي أوضحناه فحسب، بل جسّد المسؤولية في كل المفردات الأخرى، فلم ينطلق بالأمة كانطلاقة بعض السياسيين من المصلحين البرغماتيين، بل أوضح أهدافه

فكانت كالشمس في رابعة النهار، ومنذ بدء حركته بين أنه سيتعرض للقتل هو ومن معه، ومن أراد أن يتبعه في هذا المسار سوف ينال الشهادة في سبيل الله تعالى، «من لحق بي استشهد ومن لم يلحق بي لم يدرك الفتح»^(١) أي أنه لا خيار لمعالجة الوضع المتردي للأمة غير الاستشهاد والتضحية في سبيل الله تعالى، فلم يخدع أحداً ولم يقل للناس أنه سينتصر بل أعلن بوضوح تام أن همه ليس كسب المعركة بل تجسيد وتطبيق لشريعة الإسلام ومفاهيمها، وقد اقتدى بجده المصطفى صلى الله عليه وآله بقوله: «قولوا لا إله إلا الله تفلحوا»^(٢) فكان يبين أن الظروف إن واثته وانتصر كما انتصر جده المصطفى صلى الله عليه وآله فذلك نعمة من الله تعالى، وإن عاكسته وأصبحت ضده كما كان الحال عليه مع كثير من أنبياء الله ورسله كإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام، فقد تعرضوا لأقسى الابتلاءات، كما تحدث عنهم القرآن، فإبراهيم عليه السلام بقيت معه ثلة قليلة من أصحابه، نعم؛ تغيرت الأجيال فأصبحت كل أمة من بعده تدعي أنها الأقرب إليه عليه السلام.

استشرف الحسين عليه السلام آفاق المستقبل وأراد أن تتيح الظروف الموضوعية للناس الالتفات إلى مسؤولياتهم تجاه الأحداث التي تمر بهم، فيقفوا الموقف الشرعي ليكونوا مع الحق ومع الحسين عليه السلام ليس بالعاطفة فحسب بل بالعمل الرسالي، والتقبل طواعية للدفاع عن الإسلام وعدم التواني في ذلك.

(١) بحار الانوار للمجلسي ج ٤٥ ص ٨٧.

(٢) ميزان الحكمة للريشهري ج ٤ ص ٣٠٧.

المسؤولية عند أصحاب الحسين عليه السلام.

هناك ثلة في كل أمة تصل إلى القمة في وعيها وإدراكها لمسؤولياتها وفهم الأحداث والملاسات التي تمر عليها، وقد كان أصحاب الإمام الحسين عليه السلام يجسدون قمة الوعي إذ أنهم جاؤوا من تلقاء أنفسهم، ولم يؤثر عليهم إعلام أو طمع بأن يحصلوا على شيء من حطام الدنيا، بل كانت الظروف معاكسة لهم وكان الإمام الحسين عليه السلام إلى آخر لحظة يقول لهم: «وهذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً»^(١) غير أن كل واحد منهم كان في غاية الاستبسال والإدراك لمسؤوليته التاريخية والعقدية والأخلاقية تجاه ما تمر به الأمة من أحداث، ولم ينقل التاريخ عن أحدٍ منهم أنه ترك الحسين عليه السلام، نعم؛ قبل أن يصل بعضهم إلى كربلاء علم أن الهدف هو الله تعالى فترك الحسين عليه السلام أما النخبة التي وصلت معه فقد استشهدت في سبيل الإسلام، إنهم علموا أنها مسؤولية الإمام الحسين عليه السلام التاريخية لتغيير واقع الأمة عبر الأحقاب المستقبلية التي ستأتي.

الحسين عليه السلام تجسيد الأخلاق الإسلامية.

لم يستدرج الإمام الحسين عليه السلام بعض من حاربه بوعده له بالنصر كما يفعل الإعلام الكاذب في عصرنا فترى أن كلا طرفي المعركة يتحدث عن الغلبة على

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ٤٤ ص ٣١٦.

الطرف الآخر ويكذب كل من الطرفين على الآخر بينما كان الإمام ع في نهاية الصدق والحقانية لعلمه بمسؤوليته وتجسيده لأخلاق الإسلام، فهو عليه السلام التجسيد الكامل، ومن نظر إليه وعى الأبعاد الكبيرة والعظيمة التي أشار إليها المصطفى ص في شخصيته عليه السلام قال صلى الله عليه وآله: «الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا»^(١) لبيان إمامتهما صلى الله عليه وآله ويريد للأمة أن تأتمر بأمره لأن أمره الرشد ووصيته التقوى وفعله الخير كما جاء في الزيارة الجامعة «وَأْمُرْكُمْ رُشْدٌ وَوَصِيَّتْكُمْ التَّقْوَى وَفِعْلُكُمْ الْحَيْرَةُ»^(٢)، وكل مفاهيم الإسلام ومكارم الخلق وما يريده القرآن من البشرية جمعاء جسده الحسين عليه السلام على أرض الواقع.

الحسين عليه السلام يتصدى لمسؤوليته تجاه الأمة.

وقف الإمام عليه السلام أمام المد الإلحادي الذي كاد أن يستشري في الأمة وينسف جهود المصطفى صلى الله عليه وآله، فأوضح عليه السلام مواقفه تجاه أنصاره ولم يكن يريد استيعاب السواد الأعظم من الناس بأي نحوٍ كان لذا قال أنه سيقتل «كأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء»^(٣) وأن المسألة استشهاد في سبيل الله تعالى من أجل الدين، وهو من رسول الله صلى الله عليه وآله ورسول

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ٤٣ ص ٢٩١.

(٢) بحار الأنوار للمجلسي ج ٩٩ ص ١٣٢.

(٣) بحار الأنوار للمجلسي ج ٤٤ ص ٣٦٧.

الله منه «حسين مني وأنا من حسين»^(١)، ليس هذا فحسب، فلا تعدي في دفاعه للأعداء فلم يبدأهم بقتال وما كان يظهر شماته بمن قُتل أو ينتهك قوانين الإسلام كما كان الطرف الآخر الذي قتل الحسين عليه السلام وتعدي على الأطفال وحرق المخيمات ورض صدر الحسين عليه السلام وانتهك كل قوانين الحرب والإنسانية، فالاعتداء على الأطفال وحرق المخيمات وسبي النساء من الجرائم البشعة التي تشجب بغض النظر عمَّن مورست في حقه حتى وإن اختلف معك في الدين فإن ذلك جرم غير مبرر.

الثورة الحسينية تطبيق الشريعة الإسلامية.

اقتدى أصحاب الحسين عليه السلام به وطبقوا المسؤولية العامة ولم يصدر من أحد منهم تصرف يخالف شريعة المصطفى صلى الله عليه وآله، لأنهم انصهروا في الإسلام وعلموا بأن الحسين عليه السلام ينطلق من مبادئه وعرفوا ما أشار إليه المصطفى صلى الله عليه وآله «حسين مني وأنا من حسين»^(٢)، وأن ما قاله صلى الله عليه وآله تطبيق سماوي، ﴿إِنَّهُوَ الْوَحْيُ الْوَحْيُ﴾^(٣) (النجم: ٤)، على الحسين عليه السلام فلا يمكن أن يُخطئ في تطبيقه للشريعة لأنه معصوم، وتطبيقه عين ما يريده المصطفى صلى الله عليه وآله، فلا يريد عليه السلام إلا الحق، وما أجمل هذه المفاهيم التي اختصرها المصطفى صلى الله عليه وآله بـ«حسين مني وأنا من حسين»^(٣).

(١) ميزان الحكمة للريشهري ج ١ ص ١٥٨.

(٢) نفس المصدر السابق.

(٣) نفس المصدر السابق.

الحسين عليه السلام وتجسيد منهاج الاسلام

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «حسين مني وأنا من حسين»^(١).

لأئمة أهل البيت عليهم السلام أدوار متعددة، غير أن الحسين عليه السلام بثورته الخالدة أصبح محطاً لأنظار العالم، ينظر إليه المظلومون والأحرار وكل من يتوق إلى النظام والعدل والحرية وسيادة القانون واحترام الإنسان، فهو أنشودة الأحرار، وملحمة الثوار، والنبراس المضيء طريق الاستقامة والهدى للبشرية جمعاء.

مفردات الارتباط الحسيني بالنبوي.

علينا أن نعي ما قاله النبي صلى الله عليه وآله: «حسين مني وأنا من حسين»^(٢) فالحسين من رسول الله صلى الله عليه وآله لا لبس في ذلك، فهو ابن بنت النبي صلى الله عليه وآله، غير أن كون النبي من الحسين يحتاج إلى فهم، ويتكئ هذا الفهم على أسس هي: العدل والقانون والحرية واحترام الإنسان، وسوف نستعرضها تفصيلاً.

الأولى: العدل.

جاء الإسلام لإنقاذ الإنسانية جمعاء - إخراج العباد من ظلم العباد وعبوديتهم إلى العدل وعبودية الحق تعالى - فالإسلام في حقيقته هو العبودية المطلقة لله تعالى، والتسليم لأمره تعالى والسير على منهاج القرآن الكريم، قال

(١) ميزان الحكمة للريشهري ج ١ ص ١٥٨.

(٢) نفس المصدر السابق.

تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (آل عمران: ١٩)، والإسلام في جوهره سير على منهاج النبي ﷺ وعلى وفق آي القرآن الكريم غير أنّ كل نظام له رواده الذين يجسدونه، ويعرفون حيثياته عند الاختلاف في تطبيقاته، ولولا ذلك لأصبح النظام في مهب الريح باعتبار تعدد الاجتهادات؟ والقراءات المختلفة له.

اقتران المنهج الإسلامي بالتجسيد.

من هنا أكد النبي ﷺ هذا المعنى باقتران المنهج الإسلامي بمن يجسده لئلا يصبح العوبة بأيدي اللاعبين، ومورداً للقراءات المتعددة التي تتنافى مع روحه، كقراءة الخوارج له فهم يدعون الإسلام، والشعار الذي طرحوه (لا حكم إلا لله) وقد جاءت حكومات ودول كلها تدعي أنها الأفضل والأقرب لتطبيق الإسلام، غير أنّ النبي ﷺ حسم الأمر بحديث الثقلين، قال ﷺ: «إني مخلص فيكم الثقلين، كتاب الله وعترتي أهل بيتي لن تضلوا بها ما إن تمسكتم بهما، وأنها ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض»^(١) والحديث يجعل تطبيق القرآن مرتبطاً بالعترة، ويلغي التطبيقات الأخرى بل يراها بعيدة كل البعد عن روح الإسلام وحقيقته.

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ٥ ص ٦٨.

الشخصية المجسدة للمنهج الإسلامي .

أفصح أهل البيت عليهم السلام بأدوارهم المختلفة عن هذه الحقيقة، فعلي عليه السلام عندما رفعت المصاحف في صفين - ومن يرفع المصاحف يدعي أنه يطبق الإسلام ويعمل بالقرآن - قال عليه السلام: «أنا القرآن الناطق»^(١) أي أنه يجسد الإسلام بحقانية، وليس معاوية وأصحابه كعلي عليه السلام، وهذا فارق جوهري وأساسي بين المنهاج الدقيق الذي أكدّه النبي صلى الله عليه وآله والأئمة من أهل البيت عليهم السلام، والأطروحات الأخرى التي لا تلتقي معه بل تتنافى وإياه إذ نرى أنّ من قتل الحسين عليه السلام لم يترك الصلاة ويدعي الإسلام لكنه يقتل الحسين سيد شباب أهل الجنة، والإمام إن قام أو قعد، بنص النبي على ذلك.

إنّ نهج التظاهر بالدين ومحاربتة في الباطن يتنافى مع روح الإسلام، ويتضاد مع حقانية القرآن الكريم، ومن يريد الإسلام عليه أن يتمسك بما أفصح عنه النبي صلى الله عليه وآله بحديث الثقلين، وتحدث عنه الأئمة من أهل البيت عليهم السلام بشيء من البيان والتفصيل.

علي عليه السلام جاهد مكافحاً حتى استشهد في سبيل ربه لبيان حقيقة الإسلام، وأنه الارتباط الوثيق مع الله تعالى، ومع قيم السماء، والالتزام الدقيق بحقوق الإنسان، والانسجام مع القانون، وأنّ الإسلام بتعبير حديث هو القانون والعدل والحرية، هذه هي حقيقة جوهر الإسلام، وما عرفه المسلمون عندما

(١) ينابيع المودة لذوي القربى للقندوري ج ١ ص ٢١٤.

قاتلوا في الصدر الأول وجاهدوا في سبيل الله، وتحديثوا عن أنهم يريدون إخراج العباد من عبودية العباد إلى عبودية الله تعالى.

الاحتفال بالحسين والقيم الإنسانية.

إنَّ احتفائنا واحتفالنا بالحسين، وتكرار اسمه عليه السلام من أجل أنه جسّد العدل الذي لا يريده الطغاة لتنافيه مع مصالحهم، فهم يسحقون كرامة الإنسان، ويضادون المنهاج الإلهي الذي تحدث عنه القرآن، وهو العدل، فكان استشهاد الحسين عليه السلام من أجل العدل، فهو عليه السلام العدل والمحافظة على حقوق الناس وكرامتهم التي بينها القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ (الإسراء: ٧٠)، ونحن إذ نحتفل بالحسين ونؤكد ذكره لكونه يمثل قيم السماء ضمن محاور، أهمها العدل الذي لا يريده الجبابرة، لأنهم يريدون التسلط والهيمنة، وفرض منطق الأقوى لا العدل والقانون، أما الإسلام فحقيقته العدل، ومراعاة الحقوق قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قُوٰرٍ عَلٰٓىٰ آلَا تَعَدَلُوْا أَعْدَلُوْا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوٰى﴾ (البقرة: ٨)، حتى مع من يختلف وإياه، ولا يلتزم معه، فإن المطلوب ممارسة العدل الذي أكدّه القرآن الكريم، والفكر العقدي لمذهب أهل البيت عليهم السلام يرى أنّ العدل أصلاً من أصول الدين يأتي بعد التوحيد مباشرة، والله تعالى عادل في بريته، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (يونس: ٤٤)، ولا يمكن أن يصدر منه ظلم لعباده، بل يريد لهم العدل مع أنفسهم ومع الناس.

الثانية: القانون.

وفيه سيادة لأحكام الإسلام، فعندما زنت امرأة من ذوات البيوت التي لها مكانة وقدرة في زمن النبي صلى الله عليه وآله، وأراد صلى الله عليه وآله أن يقيم عليها الحدّ، قيل له: يا رسول الله إنها من الأسرة الفلانية، ولها مكنة وشأن، فرفض النبي صلى الله عليه وآله ذلك وشجب هذا المنطق الذي يريد للقانون أن يطبق على الضعفاء فقط. لأنّ القانون له شمول، واستيعاب للجميع، ويبيّن النبي صلى الله عليه وآله أنّ أساس انحذار الأمم وسقوط الحضارات هو المنطق الأعوج، بتطبيق القانون على الضعفاء فقط، والأقوياء يتمتعون بحصانة القانون، وإلى يوم الناس هذا تجد أنّ الأقوى له حصانة، وهو فوق القانون، للقوة التي يتمتع بها.

إنّ سيادة القانون هي حقيقة ثورة إمامنا الحسين عليه السلام، وإذا أردنا أن نتحدث عن قيام الإمام الحسين عليه السلام في يوم مولده، فنقول إن حقيقة سيادة القانون.

الثالثة: الحرية.

منطق الجباية استضعاف وقهر الآخرين من أجل الهيمنة والنفوذ والمكنة، وتليبس الحق بالباطل، والأئمة من أهل البيت عليهم السلام مارسوا الحرية في أحلك الظروف، فالحسين مارسها مع الذين جاؤوا لنصرته، قال عليه السلام: «وأنتم في حل من بيعتي، ليست لي في أعناقكم بيعة، ولا لي عليكم ذمة، وهذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً»^(١) أي أنه عليه السلام لم يرغب أحداً وليس هناك أفصح من هذا

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ٤٤ ص ٣١٦.

البيان، فالذي يريد أن ينصر الحق لينطلق من وجدانه، ومبادئه، ولا ينصره بالقهر، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمَرْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ (البقرة: ٢٥٦).

إذن ثورة الحسين عليه السلام هي الحرية، التي بها يتاح للناس أن يأخذوا الاتجاه المطلوب على وفق ما يريدون وباختيارهم وحریتهم، والله تعالى جعل الناس أحراراً، أما إرغامهم بالجبر والقسر والإكراه وشراء الذمم والضمان فمنطق يأباه الإسلام، وهو منطق الجبارة والمتغترسين، إن أئمة أهل البيت عليهم السلام جسدوا الحرية في أحلك الظروف، والإمام الحسين عليه السلام رغم حاجته إلى أنصار لكنه لم يخدع من معه بل بيّن في خطابه لأنصاره أن المسألة تعود إلى الاستشهاد والقتل في سبيل الله، وأن من ينصره لن ينل مغنماً مادياً بل ينصر مبادئ السماء ويذود عن قيم الإسلام.

الرابعة: احترام الإنسان.

من مفاهيم الإسلام احترام الإنسان، بغض النظر عن معتقده وفكره، فهو مورد تكريم من لدن الحق تعالى، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ (الإسراء: ٧٠)، والتكريم لا يمكن أن يسلب من الإنسان، ولم تصل البشرية إلى هذا الفهم العميق إلا عبر سنوات وحروب وإشكاليات متعددة، غير أن الإسلام أكد كرامة الإنسان بنحو عام وليس المسلم فحسب قال تعالى ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ (الإسراء: ٧٠)، وقال إمامنا أمير المؤمنين عليه السلام: «فإنهم - أي الناس -

صنّفان: إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق...» (ميزان الحكمة: الريشهري)
 فالإنسان حتى وإن اختلف عقدياً، غير أنه مساوٍ لغيره في الحقوق، ذلك هو
 منطق السماء، أما منطق أهل الأرض فإنه إذا اختلف الأقوى مع غيره انتهك
 حرّماته، وصادر حرّيته، وداس كرامته، وتعدى على حقوقه، لعدم إيمانه
 بمنطق السماء والحسين عليه السلام يجسد منطق السماء وعندما نظر إلى من يريد قتله في
 يوم عاشوراء تألم وبكى عليهم، ولما سُئل: أتبكي على هؤلاء الذين يريدون
 قتلك؟ قال عليه السلام: أبكي عليهم لأنهم يدخلون النار بسببي، إنه منطق العقل،
 وحب الخير حتى للعدو، والحسين عليه السلام يريد لهم الجنة، وأن يكونوا في جوار
 الحق تعالى، ويصلوا إلى السعادة، ولا يرتكسوا على رؤوسهم في الجحيم.

الحسين والمفاهيم الحقّة.

إن الحسين عليه السلام هو التجسيد الحي لمفاهيم الإسلام، وهنا ننبه أنه قد يفعل
 ذلك بعض في الرخاء ويعطي شيئاً من الحقوق، لكنه ينتهكها في الشدة، أما
 الأئمة من أهل البيت فإنهم يبينون لنا السير على وفق القانون والانطلاق
 بمنطلق إنساني، وذلك ليس مسألة ترجع إلى سياسة آنية ومصالحة مؤقتة، بل
 منطق دائم، هو جوهر رسالات السماء، وحقيقة قيام الناس بالعدل والقسط،
 وثورة الحسين في أبعادها وعمقها تشتمل كل هذه الحيشات والأطر والمحاور
 التي تحدثنا عنها، فهو عليه السلام العدل وهو الإنسانية وهو القانون، وذلك معنى
 قوله صلى الله عليه وآله: «وأنا من حسين» أي أنّ النبي صلى الله عليه وآله يؤكد على جوهر الإسلام

ومحتواه، وما يتضمنه، ويبين أن الحسين هو من يجسد ذلك للناس، ليصبح جزءاً من شخصياتهم وعقائدهم، وثقافتهم العامة، وإذا سادت تلك الثقافة التي حاربها الأمويون ليرجع الناس إلى ثقافة الجاهلية، ورد عليهم الحسين عليه السلام بقوله: أنا أحق من غيري، ولا بد أن نعي هذه المعاني، وأنها حقيقة القرآن والإسلام ومعنى حديث الثقلين.

الثورة الحسينية نهضة حياة

قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَزَقُونَ﴾ (آل عمران: ١٦٩) صدق الله العلي العظيم.

الإمام الحسين عليه السلام أبرز مصداق للاستشهاد في سبيل الله تعالى وهو عليه السلام مصداق للحياة بالمعنيين اللذين فُسرَت بهما الآية المباركة - الحياة الحقيقية عند الله تعالى بتام الإدراك - والذكر الحسن الطيب والآثار المترتبة على الشهادة أي أن بعض المفسرين فسر حياة الشهيد بعد موته بالذكر الطيب والحسن، وترتب آثار طيبة على استشهاده تعود على الناس بالخير والنفع، وقد حصل باستشهاد الإمام الحسين عليه السلام ذلك، والآثار الطيبة المترتبة على استشهاد عليه السلام لا حد لها ولا حصر، تتجدد كل سنة.

الموقف الشرعي من الحاكم الظالم.

إنَّ استشهاد الإمام الحسين عليه السلام كان ضرورة فلا بد أن يستشهد في سبيل

الله تعالى وذلك لحكم فقهي أبانه العلماء واتفق عليه جميع الفقهاء من مدرسة أهل البيت عليهم السلام ومدرسة العامة، فقد اتفق الفقهاء على أن الوقوف أمام السلطان الجائر واجب إذا أظهر الكفر وانسلخ عن الشريعة الإسلامية، وكانت الرعية في دولة إسلامية أظهر السلطان أن الإسلام ليس بشرعية سماوية واعتبر الإسلام أكذوبة، فحينئذ يجب على المكلفين جميعاً أن يقفوا أمامه، وأن يقدموا دماءهم قرباناً في سبيل الله تعالى، وهذا الرأي الفقهي للمدرسة الإسلامية بشتى انتماءاتها قد اتفق الكل عليه، ولا يؤخذ برأي من شدّ ورأى أن السلطان حتى إذا أظهر الكفر البواح وجب أن يسمع له ويطاع، إذ أن الجميع قالوا: إن على الناس كافة الوقوف أمامه. واتفق علماء العامة في الجملة مع علماء أهل البيت عليهم السلام في هذه المسألة وقالوا إذا أظهر السلطان الكفر البواح وأبان انسلاخه عن الإسلام لا يجوز للمسلمين أن يسكتوا عنه بل يجب عليهم أن يقاوموه، وأن يقفوا في وجهه لئلا ينسلخ المسلمون عن إسلامهم ويرجعوا كفاراً، قال ابن حجر: (وقد أجمع الفقهاء على وجوب طاعة السلطان المتغلب والجهاد معه وأن طاعته خير من الخروج عليه لما في ذلك من حقن الدماء وتسكين الدهماء وحجتهم هذا الخبر وغيره مما يساعده ولم يستثنوا من ذلك إلا إذا وقع من السلطان الكفر الصريح فلا تجوز طاعته في ذلك بل تجب مجاهدته لمن قدر عليها كما في الحديث الذي بعده)^(١).

(١) فتح الباري لابن حجر ج ١٣ ص ٥.

الدفاع عن المقدسات الإسلامية.

وكما أنّ الوقوف ضد السلطان الجائر واجب فكذلك يجب الدفاع عن المقدسات الإسلامية، وقد عبّر فقهاء مدرسة أهل البيت عليهم السلام عن هذا الحكم بالتالي، قال الشيخ الطوسي: (اللهم إلا أن يداهم المسلمين أمر يخاف معه على بيضة الاسلام ويخشى بواره أو يخاف على قوم منهم فإنه يجب حيثئذ دفاعهم ويقصد به الدفاع عن النفس والاسلام والمؤمنين)^(١) وقال العلامة الحلي: (إلا أن يداهم المسلمين عدو يخشى منه على النفس والمال ويخاف على بيضة الإسلام، فيجب على كل متمكن الجهاد، سواء أذن له الإمام أو لا، وسواء كان مقلداً أو مكثراً، ولا يجوز لأحد التخلف إلا مع الحاجة إلى تخلفه، كحفظ المكان والأهل والمال أو منع الإمام له من الخروج)^(٢).

والنتيجة التي نصل إليها هي وجوب الدفاع عن المقدسات الإسلامية إذا غُزيت من عدو وكان هدفه انتهاك مقدسات المسلمين وسلخهم عن هويتهم الدينية فإنّ على الجميع حينئذٍ أن يقدم دمه في سبيل الله تعالى من أجل الحفاظ على بيضة الإسلام، هذا هو تعبير فقهاء مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

التطبيق العملي لهتك المقدسات.

شخصية يزيد ينطبق عليها ما تقدم، فقد ذُكر في التأريخ أنّه تمثل بأبيات شعرية لغيره من الشعراء، دلت بها أنه لا يحترم الإسلام ولا يراه عقيدة

(١) المبسوط للطوسي ج ٢ ص ٨.

(٢) تذكرة الفقهاء للعلامة الحلي ج ٩ ص ٤٨.

وشريعة من عند الله تعالى بل أكذوبة اختلقها النبي صلى الله عليه وآله من أجل مصلحة التغلب على الأمويين، لوجود نزاع بينهم وبين بني هاشم، وأراد النبي صلى الله عليه وآله أن يتغلب على الأمويين باختلاقه للإسلام، ليأخذ زمام المبادرة، أي أنّ الحقيقة عند يزيد أنه صلى الله عليه وآله لم يأت بدين من عند الله تعالى.

موقف الإمام عليه السلام من حكومة يزيد.

إنّ الحكم الشرعي عند فقهاء الإسلام بمختلف مشاربهم إذا أظهر السلطان المتولي أمور المسلمين الكفر البواح هو الوقوف ضده وعدم جواز السكوت عنه، نعم؛ قد يكون بعض المسلمين معذوراً غير أنّ على جميع المكلفين الدفاع عن مقدساتهم، ولا يسوغ السكوت للجميع، بل يجب الدفاع والجهاد بكل شيء في قبال السلطان حتى يرجع إلى رشده إما بالتوبة أو بإزالة سلطانه، وقيام الإمام الحسين عليه السلام وثورته ضرورة، فلا يمكن للإمام وهو الشخصية الأولى الممثل لديمومة الإسلام واستمراره والاتجاه الصحيح له أن يسكت عن يزيد، إذ أنّ سكوته يساوي التخلي عن الإسلام، وقد أجمع الفقهاء على هذا الرأي، بل أنّ السكوت قد يعطيه الشرعية لمحاربة الإسلام بحكم الإسلام، ويزيد حتى وإن أظهر الإسلام نفاقاً، فهو لا ينتمي إليه، لقوله:

لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل

وهذا الكلام معناه أنّ الإسلام ليس بدين من السماء، وأنّ النبي صلى الله عليه وآله كذب

على الله تعالى.

الحياة في النهضة الحسينية.

إننا عندما نرجع إلى نهضة الإمام الحسين عليه السلام نراها ضرورة حتمية فلا يمكن له عليه السلام أن لا يقف في وجه يزيد، وقد ترتب على هذه النهضة فوائد للناس في كل عصر بل في كل مصر، فكل عصر من العصور، وكل بلد من البلدان يخاف الناس من التهديد والكبت والقمع والظلم الفادح، والإنسان يجب أن يعيش لأن الله تعالى أودع فيه حب الحياة، وقدسها الدين الإسلامي أيضاً، وكذلك قدسها المسلمون، والثقافة الإسلامية ليست ثقافة موت، بل ثقافة تقدر الحياة بمعناها الدائم وبمفهومها الشامل، الذي يعم الحرية والقانون والاحترام والتقدير - الكرامة - كما أكد القرآن الكريم ذلك، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ (الإسراء: ٧٠).

والإمام الحسين عليه السلام أعطى الحياة البعد الشرعي الذي جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (آل عمران: ١٦٩)، فهي دون هذا البعد مجرد حياة لحيوان يأكل ويشرب، وليست بمقدسة، إن الحياة التي قدسها الإسلام هي حياة الكرامة والحرية والحفاظ على الحقوق.

المفهوم الخاطئ للحياة.

أما المفهوم الخاطئ للحياة فهو ذلك المعنى الذي يحصرها في أكل الإنسان وشربه فحسب حتى لو جرد من حرته وانتهكت حرماته فأصبح خانعاً ذليلاً

لا قيمة له، إنّ هذه الحياة غير مقدسة في الأديان السماوية كافة قال النبي عيسى عليه السلام: «ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان»^(١) أي أنّ الحياة ليست أكلاً وشرباً فحسب، غير أنّ الأمويين استعبدوا الناس، ووصل ذلك إلى استهتارهم بالشريعة الإسلامية وقيم الرسالة وإظهار أنها مكذوبة على الله تعالى، إنّ الحياة عندما تختزل في المأكل والمشرب ويصبح الإنسان عبداً للحاكم الجائر الذي يرى أنّ الدين الإسلامي مكذوب على الله تعالى لا معنى لها، والإمام عليه السلام يقدس الحياة الكريمة، لكنه يقف أمام السلطان الجائر الذي يجعل الناس يعيشون الجانب الحيواني من شخصياتهم وينسلخون عن الإنسانية، إنّ انسلاخ الإنسان عن إنسانيته تجعله لا قيمة له، لأنه ينحدر في وجوده ولا يكون هو الذي استخلفه الله تعالى وكرمه، فيعيش مسلوب الحرية، لا حفاظ على حقوقه بل لا حفاظ على أقدم مقدساته وهو الدين الذي يتعبد به ويؤمن بمفاهيمه وقيمه، ولا معنى حينئذ لعيشه، ولا معنى لقداسة هكذا حياة.

التقية مع السلطان الجائر.

ولا تشرع التقية هنا باتفاق علماء المسلمين بل يجب الوقوف أمام السلطان الجائر الذي أظهر الكفر البواح وانسلخ عن إسلامه ولا يمكن أن يقف المسلم مكتوف اليدين أمامه، يسمع له ويطيع، لأنه لا يمثل الإسلام، بل يراه مكذوباً

(١) التوحيد والتثليث للبلاغي ص ٦٣.

على الله تعالى، كما قال يزيد المتسلط على المسلمين والذي كانت جيوش الإسلام تحت إمرته يستغل إمكانيات الدولة الإسلامية في تحقيق مآربه.

المسؤولية الشرعية والتقية.

إن كثيراً من الناس لا يستطيع أن يقف موقف المسؤولية لخوفه، وخوفه يجرده عن الوظائف المناطة به، فلا يقف مسؤولاً، غير أن الخوف له حدود، فقد يخاف المرء ويتقي وتكون التقية مشروعة، إلا أن لها حدوداً أيضاً، فلا يمكن أن يتقى في بعض الأحيان كما في الدماء والأعراض، إن جميع علماء أهل البيت عليهم السلام قالوا بسقوط التقية في الحالة الأولى فإذا كانت بيضة الإسلام تتعرض لخطر بمجيء شخص همه القضاء على الشريعة الإسلامية، أو القضاء على مقدسات المسلمين، فلا تجوز التقية حينئذ، ومن اتقى ولم يقم بوظيفته تجرد عن إسلامه، إذ الإسلام لا معنى له إلا المسؤولية أمام الله تعالى، فعندما دعا النبي صلى الله عليه وآله المسلمين إلى الإسلام، وأخذ البيعة منهم ذكر فيها أن على من آمن به وبايعه أن يحميه مع أهله، وقد أفاض العلماء في ذلك على أن مضمون البيعة هي حماية للمقدسات الإسلامية ودفاع عن شخصية النبي صلى الله عليه وآله، ومن دخل الإسلام لا يسعه أن تتعرض شخصية النبي صلى الله عليه وآله إلى الأذى والإهانة وهو ساكت، فلا معنى لذلك حينئذ، وعلى الجميع أن يقدم نفسه وماله وأهله في سبيل الله تعالى للحفاظ على مقدسات الإسلام ولا يمكن التجرد عن المسؤولية والبقاء في الإسلام.

السعادة بين الموت والحياة.

إنَّ بقاء المسلم مسلماً يقترن بدفاعه عن مقدسات الإسلام، وهو معنى الحياة السليمة، وعلى المسلم أن يلتفت إلى أهمية الحياة بالحفاظ على حقوقه والحفاظ على كرامة نفسه وشريعته، وعندما تنتهك الحرمات كما حصل من يزيد فعندئذ تكون المسؤولية ملقاة على عاتق المسلم في الدفاع عن مقدساته، وإن اقتضت أن يستشهد في سبيل الله تعالى وذلك هو الدين، قال الإمام الحسين عليه السلام: «وإني لا أرى الموت إلا سعادة - شهادة - والحياة مع الظالمين إلا برماً»^(١)، إنَّ الموت في سبيل الله تعالى يؤدي إلى السعادة الأخروية.

الموقف السلبي تجاه النهضة الحسينية.

والجهاد في سبيل الله تعالى باتفاق العلماء -الذين يحترمون أنفسهم- أي أنَّ هناك بعض العلماء باع ضميره، ولا يهمنه الإسلام بقدر ما تهمنه مصالحه، وقد صدر من بعضهم ما يندي له الجبين، وقال: (الحسين خرج عن حده فقتل بسيف جده) وهذا عالم لا مسؤولية له، إذ أنَّ الرجوع إلى الموازين والثواب التي يراها علماء الإسلام بأجمعهم سنة وشيعة تقول إنَّ من أظهر الكفر البواح وتعرض لبيضة الإسلام بهتك مقدسات الشريعة لزم على الكل أن يتصدى له، ومن قُتل فهو حي يرزق عند الله تعالى.

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ٤٤ ص ١٩٢.

كيف نحیی عاشوراء

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُعْظَمْ شَعْبِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ (الحج: ٣٢)
صدق الله العلي العظيم.

دور أئمة أهل البيت عليهم السلام في إحياء عاشوراء

ذكرى عاشوراء مفعمة بالأحداث والدروس والعبر، وقد أوليت عناية من أئمة أهل البيت عليهم السلام، ونقف هنا مع مطلب هام هو كيف نحیی عاشوراء؟ لقد أفصح الأئمة من أهل البيت عليهم السلام عن كيفية إحياء عاشوراء، وذكرنا في بحث سابق أنّ النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام ذكروا بأحداث كربلاء قبل وقوعها، وكانت لهم نظريات وإيضاحات للكيفية المثلى لإحياء قضية الحسين عليه السلام لارتباطها بالإسلام، ولعل ما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله في قوله: «حسين مني وأنا من حسين»^(١) يرتبط في مدلوله ومعناه بالثورة الحسينية، وقد بيّن الإمام الصادق عليه السلام ما يترتب على حضور المجالس الحسينية، للاستماع إلى المحاضرة وقراءة المآتم والحديث عن ثورة الحسين عليه السلام، فقال لفضيل: تجلسون وتحدثون؟ قال: نعم جعلت فداك، قال: «إن تلك المجالس أحبها، فأحيوا أمرنا يا فضيل فرحم الله من أحيأ أمرنا يا فضيل، من ذكرنا أو ذكرنا عنده فخرج من عينه مثل جناح الذباب غفر الله له ذنوبه، ولو كانت أكثر من زبد البحر»^(٢) إنها مجالس

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ٤٣ ص ٢٦١.

(٢) بحار الأنوار للمجلسي ج ٧١ ص ٣٥١.

العلم والفكر الإسلامي الأصيل الذي يرتبط بمذهب أهل البيت عليهم السلام، وهي مورد تقدير ومحبة منهم عليهم السلام.

أهداف إحياء الشعائر الحسينية

يفصح الإمام عليه السلام عن هذه الحيشة، وينبغي أن لا نذهب بعيداً فنقول إن الأئمة عليهم السلام عندما شجعوا على إحياء ذكرى الحسين ع فإن كل ما ينسب إليه عليه السلام سائغ، وأن إحياء الشعائر بأي كيفية جائز، ذلك أن الأئمة عليهم السلام حددوا معالم ورسموا أهدافاً لإحياء الشعائر، فإحياءها يرتبط بمبادئ الإسلام، وما جاء عن النبي صلى الله عليه وآله: «حسين مني وأنا من حسين»^(١) يشير إلى هذا المعنى، أي أن الحسين عليه السلام هو العمق المضموني للرسالة الإسلامية، وعليه لا بد من الحفاظ على أصالة الثورة الحسينية، ومبادئها والتركيز على القيم والأهداف التي جاءت آثار صحيحة بها وقد ذكرها العلماء والمؤرخون وينبغي أن نسعى لإحيائها في عاشوراء، إن الحسين عليه السلام بين بعض معالم ثورته:

الأول: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وهو معلم بارز من معالم الثورة ورد في وصيته لابن الحنفية، وفيها حدد الإمام عليه السلام الهدف من خروجه فقال عليه السلام: «وإني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي صلى الله عليه وآله أريد أن آمر

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ٤٣ ص ٢٦١.

بالمعروف وأنهى عن المنكر»^(١) إنّه ﷺ يواجه سلطة غاشمة للأمويين ويحدد معلم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أحد أهداف خروجه، ذلك أنّ الأمر بالمعروف مبدأ قرآني غاية في الأهمية، وقد ارتبطت ثورة الحسين ﷺ به، وهو واضح المعالم أكدّه القرآن وأوضحته العشرات من الأحاديث الواردة عن النبي ﷺ وأئمة أهل البيت ﷺ، ومعنى إحياء الثورة هو إحياء ذلك المبدأ الذي جعله الحسين ﷺ من معالم خروجه على الأمويين.

الثاني: عدم الانصياع للظالم.

قوله ﷺ: «ومثلي لا يبايع مثله»^(٢) يوضح به ما اتفق عليه المسلمون من أنّ الحاكم عندما يتجرد من الإسلام كيزيد ويسخر من قيم الرسالة، لا بد أن يقاوم وإلا فلن يبقى للإسلام معنى عندئذ، والحسين ﷺ يريد للإسلام أن يأخذ ألقه وإشراقه وزخمه الرسالي ولا يتأتى ذلك إلا عندما يصمد الصالحون في مقاومة الظلم، لذا قال ﷺ: «ومثلي» أي من يمثل الانتماء الأصيل ليس من حيث النسب فحسب بل من حيث المعالم التي حددها المصطفى ص في شخصيته كسيد شباب أهل الجنة، لن ينصاع لطاغية كيزيد، لكونه ﷺ يجسد الإسلام كعالم رسالي وشخصية لها وزنها الكبير، وليس كشخص من سواد الناس بل إنه ﷺ يختلف في رؤاه وفي عطائه، وعليه أن يحسب لنفسه حساباً

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ٤٤ ص ٣٢٩.

(٢) بحار الأنوار للمجلسي ج ٤٤ ص ٣٢٥.

كي لا تستغل علاقاته مع الظالمين المنسلخين عن قيم الرسالة، إن منطق الحسين عليه السلام يختلف عن منطق من يقول نحن مع من غلب، ويجعل الميزان الغلبة، ذلك أن الحسين عليه السلام يريد أن يجسد مبادئ الشريعة، ويتضح ذلك من خلال الأمرين المتقدمين وغيرهما من الأمور التي وردت في كلماته وكلام الأئمة عليهم السلام.

الخطباء والإعلام الحسيني

إن كثيراً من الناس لا يعرف أن العطاء للحسين عليه السلام لا بد أن يرتبط بأهداف الثورة الحسينية، وأن هناك آليات لذلك: منها: الإعلام فهو دعامة من دعائم الثورة الحسينية، وأهم مصاديقه الخطباء الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله تعالى، ولا يهمهم قول الجمهور فقط بل التركيز على المبادئ فلا يقول الخطيب إلا ما أصله الأئمة من أهل البيت عليهم السلام مع الاتصاف بصفات في شخصيته، ذلك أن لسمته وسلوكه تأثير، فلا بد أن تتوافر سمات في شخصيته.

المنبر الحسيني أمانة

الخطابة تخصص وليست شرعة لكل وارد، وينبغي لنا إذا رأينا خطيباً يهرف بما لا يعرف، ولم يتلق تعليماً كافياً، ويثير إشكاليات نحن في غنى عنها، أن لا نصغي لما يقول، وأن نلتفت إلى أن الخطيب الرسالي من يفقه العمق المضموني لمدرسة أهل البيت عليهم السلام التي تمثل أصالة الرسالة، وليس كل من

يتحدث عن الحسين عليه السلام كذلك، كما أنّ علينا أن لا نتأثر بكل من يتحدث عن القرآن ويقول ما شاء دون موازين، فيذكر أموراً غريبة على الأذهان لا تجلب نفعاً لمدرسة أهل البيت عليهم السلام ولا تأصل قيم الرسالة بل قد تبعد الناس عنهم عليهم السلام، إنّ علينا أن نعي المراد من قوله عليه السلام: «أحيوا أمرنا» فإحياء أمرهم عليهم السلام لا يتأتى بالتفكير عن مدرستهم عليهم السلام، وعلى من يبذل المال ويعطي الأجرة أن يجعلها لخطيب يربط الناس بقيم الرسالة التي ضحى الحسين عليه السلام من أجلها، وليس لجمع الناس وإثارة إشكالات عليهم هم في غنى عنها.

المستوى العلمي للخطيب

الخطابة الحسينية تخصص، ولذا نحتاج إلى خطيب عارف ولو افترضنا وجود حاجة إلى خطيب لا حظّ له من العلم ينبغي أن يقتصر دوره على إحياء المناسبة بالنعي والإرشاد والوعظ الأخلاقي فحسب، ولا يتحدث عن مفاهيم عميقة أو يفسر آيات قرآنية وأحاديث، إنّ بعض الخطباء قد يشتهر لنعيه أو أسلوب حديثه، لكنه لم يصل إلى مستوى علمي يؤهله لتفسير الآيات وشرح الأحاديث، وإذا اشتهر بين الناس ومستواه العلمي متدنٍ لعدم التحصيل العلمي فينبغي أن نذكر بأن لا يعطى حجماً فوق مستواه.

توافق المنبر مع مدرسة أهل البيت عليهم السلام

هناك أمور لا بد أن نلتفت إليها من أهمها أن لا نسمع لكل متحدث إذا صعد المنبر إلاّ إذا اتفق كلامه مع مدرسة أهل البيت عليهم السلام، ولا يُعلم ذلك في

الأعم الأغلب إلا إذا كان المتحدث والخطيب يتحدث على وفق موازين، وقد تحصل على مقدار من العلم يستطيع أن يفصح به عن رسالة الحسين ع ومبادئه التي أشار إليها بقوله عليه السلام: «وإني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي صلى الله عليه وآله...»^(١) تلك هي المبادئ والمعالم لرسالة الحسين عليه السلام وهي قيم ومبادئ الإسلام، وعلى الخطيب أن يركز على ذلك وأن لا يدخل الناس في متاهات، وينطبق هذا على الكتب التي نقرأها أو نطبعها عن الحسين عليه السلام وثورته، فلا بد أن تراعى أصولاً وموازن للكتاب، ومن يطبع كتاباً عليه أن يلتفت إلى الكتاب المفيد الذي يتحدث عن الفكر السليم لأهل البيت عليهم السلام، ويتعد عن الأمور غير الصحيحة ويراعي ما يقرب الناس إلى مدرستهم عليهم السلام، ولا يذكر أموراً لا تصدق.

طرح ما يوافق الدليل

الخطيب الناجح هو من يحترم عقول الناس الذين يأتون تقرباً إلى الله تعالى وحباً لمحمد وآله، وعليه أن لا يقول ما ليس عليه دليل، قال تعالى: ﴿قُلْ ۚ إِنَّ اللَّهَ أَذِنَ لَكُمْ أَنْ تَقُولُوا ۚ﴾ (يونس: ٥٩) هذه معادلة واضحة، والأحاديث والروايات وأقوال العلماء تخضع لقواعد، ولا يسوغ للمتحدث أن يتفوه بما يحلو له حتى إذا كان بعض الناس يتذوق ما يقوله، لأن الميزان هو أن لا يتحدث بما لا يجوز في الشريعة، وينطبق هذا على الكتاب الذي ينشر عن

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ٤٤ ص ٣٢٩.

الحسين عليه السلام فليس كل من كتب عنه عليه السلام أصل ما قاله، نعم؛ قد يتصور ذلك في نفسه لكنه في غاية البعد عنه وقد يبعد الناس بما يطرحه من قضايا لا دليل عليها، إنَّ التركيز على الروايات الصحيحة والكلمات المشهورة الموجودة في المصادر الإسلامية عامة، وهي من الاشتهار بمكان، وجلها موجودة في مصادر المدارس الإسلامية الأخرى، ويستطيع الخطيب أن يتحدث بها عن ثورة الحسين عليه السلام، وكذلك الكاتب ومن أراد أن يكتب عنه عليه السلام عليه أن يراعي الأصالة والأسس، وأن لا يورد أشياء لا دليل عليها، بل قد تبعد الناس عن مبادئ الثورة الحسينية، إنَّ تأصيل الفكر الحسيني بالأدلة الصحيحة والمحكمة يقرب الناس لمدرسة أهل البيت عليهم السلام، وإذا أراد الخطيب والمؤلف أن يتحدث عن شعارات الحسين عليه السلام وهي من الاشتهار بمكان يستطيع أن يؤلف كتاباً من خلال المقايسة بين أصالة شعاراته عليه السلام وزيف الشعارات الأخرى التي يطرحها الدجالون، شعارات الحسين عليه السلام هي الصدق، وأفعاله عليه السلام منطبقة على شعاراته، فلم يسمح عليه السلام أن ينصره كل أحد وأرجع من عليه دين، إذ ليس همه عليه السلام أن ينتصر بالخداع والكذب، لأنه يجسد مبادئ رسالية يختلف بها عن غيره من الذين يريدون أن ينتصروا بأي نحوٍ.

مبادئ الحسين عليه السلام مبادئ الأنبياء

مبادئ الحسين عليه السلام هي مبادئ الرسل والأنبياء منذ آدم إلى يوم القيامة، ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ (آل عمران: ١٩) المبادئ والقيم واحدة، نعم؛ قد

تختلف في الطرح لكنها تتحد جوهرًا، فما كان عند نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام فهو عند محمد صلوات الله عليه وآله، وهو الذي زاد عنه الأوصياء والعلماء عبر التاريخ، قيم ترتبط بالفطرة السليمة للإنسان.

قضية الحسين عليه السلام رجوع إلى الفطرة

يريد الحسين عليه السلام أن يرجع الإنسان إلى فطرته، فلا يبيع ويشترى بأبخس الأثمان، ولننظر إلى ما يطرح تشدقاً بعنوان (حقوق الإنسان) هل أن ذلك صحيح أم أنه من أجل مصالح؟ نحن نعلم إن الملايين من الناس يضطهدون ويعيشون الفقر دون أن يدافع أحد عنهم، والمسألة ليست مسألة حقوق إنسان، وإنما مسألة مصالح، أما في الإسلام فهناك حرمة للإنسان، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَبْرِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (الإسراء: ٧٠) وقد تعامل النبي صلوات الله عليه وآله والإمام الحسين عليه السلام مع الناس سواسية دون بخسٍ لحقوق بعضهم، والحسين عليه السلام تعامل مع ابنه الأكبر عليه السلام وجون مولاه نفس المعاملة، من هنا نعرف حقوق الإنسان، ونرى التعامل العملي للإمام عليه السلام يفترق عما يطرحه أصحاب المصالح منذ القديم إلى يومنا هذا من شعارات جوفاء لا يراد بها إلا الكسب، نعم قد يعطيك ١٠٪ من أجل جلب ٩٠٪ من المصالح لنفسه، لا يهمهم الإنسان بقدر ما يهمهم مصالحهم، إنهم يصرحون في مذكراتهم السياسية وكتبهم بذلك، والمقايسة تظهر ألق الثورة الحسينية وصدقها للناس، وقد أشارت زينب عليها السلام إلى

هذا المعنى في قولها: «وإنما يفتضح الفاسق ويكذب الفاجر، وهو غيرنا»^(١) إنّ المقارنات في البعد الزمني يتعرف بها الناس على الفارق الكبير، لذا لا نستطيع أن نقيس علياً بغيره لأنه عليه السلام صادق في قوله وفعله، قال أحد الفلاسفة الملحدّين - شبلي شميل -: إنّ علياً هو أعظم شخصية على مدار التاريخ، أي يرى أنه لا يقاس به عليه السلام الأنبياء، ونحن نختلف وإياه، ونرى أنّ محمداً صلى الله عليه وآله هو أعظم شخصية وبعده علي عليه السلام، لكنّ هذا الفيلسوف أدرك بفطرته أنّ علياً عليه السلام في منتهى العظمة، إننا نرى محمداً صلى الله عليه وآله وعلياً عليه السلام وجهان لعملة واحدة، كلاهما يمثل قيم الرسالة ومبادئها.

أهمية الحضور في المآتم الحسينية

ونؤكد هنا على أهمية حضور المآتم الحسينية، وإن كان الحضور عندنا يثلج الصدر والله الحمد، والكثير من الناس يذهب إلى المآتم مع علمه لأنه لا يستفيد ثقافياً لرقيه، لكنه يحضرها تعبداً وطاعة لله تعالى، ويرى أنها مصداقاً لـ «أحيوا أمرنا»، لقد حضر الإمام الصادق عليه السلام هذه المجالس وهو معصوم أذهب الله تعالى عنه الرجس وطهره تطهيراً وعلمه لدني، ومع ذلك حضرها وأحيها، وعلينا أن نغرس ذلك في نفوس أبنائنا وبناتنا، ونؤكد على ضرورة حضورها لكونها شعيرة إلهية، إنّ العلماء والمراجع يقيمون المآتم ويحضرون مجالس الحسين عليه السلام، ولا يقول أحدهم ماذا عسى أن يقول الخطيب في حديثه

(١) الإرشاد للشيخ المفيد ج ٢ ص ١١٥-١١٦.

ليضيف جديداً، فيحضر العالم المأتم بغض النظر عن الاستفادة العلمية منه، بل لكونه مصداقاً لـ «أحيوا أمرنا» وربطاً وثيقاً لمبادئ الحسين عليه السلام.

خاتمة:

إنّ علينا أن نؤصل مفاهيم ورؤى الإسلام في المنبر الحسيني وأن لا نبتعد عن ذلك، وندرك أنّ غير المتخصص قد يجلب ضرراً على الحسين عليه السلام نحن في غنى عنه.

الفصل الثاني

أهداف ثورة الإمام الحسين عليه السلام

الاستقامة مبدأ الثورة الحسينية

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾

(فصلت: ٣٠)

وقال تعالى أيضاً: ﴿وَأَلْوِ اسْتَقَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِيَنَّهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ (الجن: ١٦).
صدق الله العلي العظيم.

أهمية الاستقامة:

في البدء نرفع أحرّ التعازي للأمة الإسلامية بذكرى استشهاد الإمام الحسين عليه السلام مع صحبه الميامين.

ثورة الإمام الحسين عليه السلام منهاج حياة و جامعة علمية وفكرية وثقافية تُعطي للإنسانية أعظم الدروس والمحاضرات الراقية التي تُسهم في تقدم الفرد والمجتمعات والأمم. ومن أهم الدروس والعبر التي يستلهمها الإنسان من

هذه الثورة الاستقامة والثبات على المبدأ. وقد أولى الدين الإسلامي الاستقامة أهمية بالغة، وأكد عليها في كثير من آي القرآن الكريم والروايات، قال ابن عباس: ما نزل على رسول الله صلى الله عليه وآله في جميع القرآن آية كانت أشدَّ من قوله تعالى في سورة هود: ﴿فَأَسْتَقِمَّ كَمَا أَمَرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (هود: ١١٢)، ولهذا قال صلى الله عليه وآله: «شيتني هود»^(١). لأن الاستقامة والثبات على المبدأ كانت تشغل بال النبي صلى الله عليه وآله وتؤثر فيه تأثيراً بالغاً، لكونها تمثل اختباراً لمدى قوة إيمان الإنسان وإرادته الصلبة في مواجهة العقبات الكأداء والمصاعب التي تقف في طريقه. والاستقامة هي أيضاً محور هام للعلماء في العصر الحديث، ففي أحدث الدراسات العلمية الخاصة بعلم النفس - التي تبحث حول العوامل التي تسهم في نجاح الإنسان - تؤكد هذه الدراسات على وجود عامل أساسي للنصر والنجاح على مستوى الفرد أو المجتمع، هو عامل الثبات والاستقامة. ونحن إذا قمنا بدراسة عميقة في حياة الأفراد والأمم والحضارات وبحثنا عن أسس التقدم لتلك الأمم أو لأولئك الأفراد وأصحاب تلك الحضارات نجد أنّ الركيزة الأولى التي يقوم عليها تقدّمهم هي الاستقامة.

مواضع الاستقامة في حياة الإنسان.

تتجلى أهمية الاستقامة بوضوح في حياة الإنسان وترتبط بعقيدته، فالذي يؤمن بعقيدة على أساس الدليل يستقيم على عقيدته، قال الإمام علي عليه السلام:

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ١٦ ص ١٩٢.

«أفضل السعادة استقامة الدين»^(١) أي الركيزة التي تقوم عليها سعادة البشرية في الدنيا والآخرة هي الثبات والاستقامة على المنجزات التي حققها الإنسان في الجانب العقدي. وتؤكد الروايات أيضاً على مورد هام من الموارد التي يستقيم عليها الإنسان وهو الحق وأهله، قال الإمام علي عليه السلام: «اعلموا أنّ الله تبارك وتعالى يبغض من عباده المتلون، فلا تزولوا عن الحق وولاية أهل الحق، فإنّ من استبدل بنا هلك»^(٢) تُبين هذه الرواية أنّ الحق واتباعه هو من مواضع الاستقامة للإنسان في كل شأن من شؤون حياته، كما أنّ الثبات على الولاية ومبادئ أهل البيت عليهم السلام هي إحدى الركائز القوية للنجاح في الدنيا والآخرة.

الاستقامة في حياة الناجحين:

إنّ الاستقامة في آلية العمل - التي تقوم على أساس صحيح وفق منهجية مخطط لها - تُسهّم في تحقيق النجاح للفرد والمجتمع، وإذا درسنا حياة الفاشلين نجد أنّ من أبرز السمات التي تُدلل على فشلهم هي ترك الاستقامة. ففي سيرة العلماء، نجد أنّ بعضهم وصل إلى مراتب عالية وشاخحة وحقق طموحاته وأهدافه، ونجد بعضهم الآخر لم يصل إلى تلك المرتبة بسبب عدم استمراريته في البحث والتدريس وتحمل المصاعب والعقبات حتى بلوغ الغاية المنشودة. وأبرز شاهد من حياة علمائنا الأبرار يمكن طرحه كنموذج

(١) ميزان الحكمة للريشهري ج ٢ ص ١٣٠٦.

(٢) ميزان الحكمة للريشهري ج ١ ص ٦٥٩.

راقٍ في الوصول إلى المراتب العلمية العالية الشيخ الأنصاري رحمه الله، الذي لم يكن يتمتع بقدرات فائقة من ناحية الذكاء غير أنه تفوق على كثير من أقرانه وزملائه والسبب الوحيد - كما نص على ذلك المؤرخون والمترجمون لحياته - هو استقامته ، فلم يترك دروسه ومباحثاته ومناقشاته العلمية طوال حياته، وبذلك تحققت له الأهداف والطموحات التي أراد أن يصل إليها. وهكذا إذا نظرنا إلى حياة الفاتحين والغزاة سواء كانوا على حقٍ أو على باطل، فنباليون بونابرت - الإمبراطور الذي غزا بجيشه كثيراً من دول العالم - يُشير في ذكرياته إلى أن أهم سمة استفادها في التغلب على أعدائه وتحقيق انتصاراته الساحقة كانت هي استقامته وثباته على مبادئه وأهدافه. وهكذا أيضاً المكتشفون والمخترعون كانوا يُجربون التجارب تلو التجارب فأوصلتهم في خطواتهم العملية إلى اكتشاف أسرار غامضة لا يستطيع أن يكتشفها غيرهم.

المبدأ في ثورة الإمام الحسين عليه السلام.

وإذا أردنا أن نُغير أو نسعى إلى إيجاد عملية إصلاحية في المجتمع من الناحية الثقافية والفكرية لا بد لنا من الاستقامة على المبدأ مهما كلفنا ذلك من ثمن ، لذا من أهم السمات التي نأخذها من حياة إمامنا الحسين عليه السلام وأصحابه الميامين الاستقامة على المبدأ ، وحتى يتضح هذا المبدأ الحسيني سأنقل لكم بعض العبارات من خطبة الإمام عليه السلام في ليلة العاشر من المحرم التي تتضمن أروع الدروس في الاستقامة، قال عليه السلام: «أما بعد، فاني لا اعلم أصحابا أوفى،

ولا خيرا من أصحابي، ولا أهل بيت أبر ولا أوصل من أهل بيتي، فجزاكم الله عني جميعا خيرا. وقد أخبرني جدي رسول الله ﷺ باني سأساق إلى العراق، فانزل أرضا يقال لها عمورا وكربلا، وفيها استشهد وقد قرب الموعد. الا واني أظن يومنا من هؤلاء الأعداء غدا»^(١).

أهداف المبدأ الحسيني في الاستقامة.

نلاحظ أنّ الإمام عليّ - في الخطبة - قد وطن نفسه على الاستقامة في طريق الشهادة، لأنه يراه السبيل الوحيد في تحقيق أهداف ثلاثة:

الأول: تغيير الثقافة الأموية المزيفة التي نشرها في المجتمع الإسلامي.

الثاني: محاربة الفكر اللاديني الذي يسعى للقضاء على سنة الرسول ﷺ وتحريف الأحاديث النبوية.

الثالث: تغيير النظام الاقتصادي القائم على توزيع العطاء والمناصب على من ينتسبون إلى الأمويين ومنع الآخرين من ذلك.

الإمام الحسين عليّ يختبر أصحابه.

و الإمام الحسين عليّ عندما قال لأصحابه: «فاني لا اعلم أصحابا أوفى، ولا خيرا من أصحابي، ولا أهل بيت أبر ولا أوصل من أهل بيتي، فجزاكم الله عني جميعا خيرا»^(٢)، كان يعلم باستقامتهم، وأنهم مصداق لقوله تعالى:

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ٤٤ ص ٣٩٣.

(٢) بحار الأنوار للمجلسي ج ٤٤ ص ٣٩٣.

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْظُرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ (الأحزاب: ٢٣)، أي لا يوجد تغيير، بل ثبات واستقامة على المبدأ. إلا أنه كان يُريد أن يُوصل رسالة للإنسانية حتى يتعرفوا على جانب الصمود والثبات في أصحابه لكي يقتدوا بهم. وهو عليه السلام عندما قال لهم: «فانطلقوا جميعاً، في حلِّ ليس عليكم مني ذمّام»^(١)، وهذه فرصة ذهبية للإنسان الذي ليس له مبدأ يستقيم عليه لكي يهرب لأنه يُحِبُّ الحياة ويتشبث بها إلى أبعد الحدود، لكن أصحاب الحسين عليه السلام يتحركون وفق منهج متكامل وهدف سام، رسمه لهم الإمام عليه السلام، ولا بد أن تتحقق الأهداف حتى وإن تطلب ذلك تضحية وبذل دماء.

الإمام عليه السلام يأذن لأنصاره بتركه.

قوله عليه السلام: «وهذا الليل قد غشيكم، فاتخذوه جملاً»، توكيد لما قاله عليه السلام وأنه لم يكتفِ بأن يقول لهم: «فانطلقوا جميعاً، في حلِّ، ليس عليكم مني ذمّام»^(٢)،

(١) تاريخ الطبري للطبري ج ٤ ص ٣١٧، قال الامام الحسين عليه السلام: أما بعد فإني لا أعلم أصحابا أولى ولا خيرا من أصحابي ولا أهل بيت أبر ولا أوصل من أهل بيتي فجزاكم الله عنى جميعا خيرا ألا وإني أظن يومنا من هؤلاء الأعداء غدا ألا وإني قد رأيت لكم فانطلقوا جميعا في حل ليس عليكم مني ذمام هذا ليل قد غشيكم فاتخذوه جملا

(٢) تاريخ الطبري للطبري ج ٤ ص ٣١٧، قال الامام الحسين عليه السلام: أما بعد فإني لا أعلم أصحابا أولى ولا خيرا من أصحابي ولا أهل بيت أبر ولا أوصل من أهل بيتي فجزاكم الله عنى جميعا خيرا ألا وإني أظن يومنا من هؤلاء الأعداء غدا ألا وإني قد رأيت لكم فانطلقوا جميعا في حل ليس عليكم مني ذمام هذا ليل قد غشيكم فاتخذوه جملا

بل شرح لهم الأسلوب وأعطاهم الطريقة في الهروب، وتلك فرصة للضعيف والجبان لكي يهرب وينفذ بجلده، لكن أصحاب الإمام الحسين عليه السلام يختلفون عن غيرهم في المثل والقيم التي يعتقدون بها ويسرون على ضوئها. مع أنه عليه السلام طلب من أصحابه أن يأخذوا أقاربه وأهل بيته ويذهبوا بهم عندما قال لهم: «ولياًخذ كل رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي. فجزاكم الله جميعاً خيراً، وتفرقوا في سوادكم ومدائنكم، فإن القوم إنما يطلبوني، ولو أصابوني لذهلوا عن طلب غيري»^(١). وهذا اختبار من الإمام عليه السلام لجميع أصحابه ومن جاء معه حتى ثبت للأجيال المتعاقبة الاستقامة الحقيقية التي يتحلى بها جيشه وأنصاره.

جواب أنصار الإمام الحسين عليه السلام.

بعد أن فسح الإمام عليه السلام المجال للجميع وأنه يمكنهم الذهاب وتركه لأن الظالمين لا يريدون غيره، كان جوابهم له عليه السلام كالتالي:

أولاً: إخوته وأولاده وأبناء أخيه وغيرهم من الهاشميين قالوا: «لَمْ نَفْعَلْ ذلك؟! لنبقى بعدك لا أرانا الله ذلك أبداً»^(٢). إنهم مخلصون ينظرون بنور الله ويعلمون بعدم فائدة للبقاء بعده عليه السلام؛ ما فائدة البقاء بعدك؟ هل هو للأكل والشرب وللأمور الهادية فقط أم هناك هدفٌ أسمى من هذه الحياة الهادية

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ١٦ ص ١٩٢.

(٢) تاريخ الطبري للطبري ج ٤ ص ٣١٨.

يطمح له الإنسان ليُحقق ذاته وغاية وجوده؟

إنَّ الهدف المعنوي والطموح العالي كان يسري في دماء هؤلاء الشبان الأشاوس، ولا يمكن أن يضحوا بالنعيم الأخروي من أجل دنيا زائلة، قصيرة الأمد. ولم يكن للمنطق القبلي أو العشائري أي أثر في كلامهم أو خطابهم مع قرابتهم الحميمة من الإمام الحسين عليه السلام.

ثانياً: أصحابه عليهم السلام وأنصاره الذين أجابوا الإمام عليه السلام بكلام العاشق للتضحية والفداء وسنذكر نموذجين منها:

الأول: كلام مسلم بن عوسجة الذي قال: «أنحن نخلى عنك ولما نعذر إلى الله في أداء حقك أما والله حتى أكسر في صدورهم رمحي وأضربهم بسيفي ما ثبت قائمه في يدي ولا أفارقك ولو لم يكن معي سلاح أقاتلهم به لقدفتهم بالحجارة دونك حتى أموت معك»^(١).

الثاني: كلام زهير بن القين الذي قال: (والله لو ددت أنى قتلت ثم نشرت ثم قتلت حتى أقتل كذا ألف قتله وأن الله يدفع بذلك القتل عن نفسك وعن أنفس هؤلاء الفتية من أهل بيت)^(٢). إننا نجد في خطاب أصحاب الحسين عليه السلام لغة المنطق العقلي والشرعي، وأن المسألة عندهم هي عهد وميثاق مع الله تعالى، وذلك واضح من قولهم: (ولما نعذر إلى الله في أداء حقك)،

(١) تاريخ الطبري للطبري ج ٤ ص ٣١٨.

(٢) نفس المصدر السابق.

فهناك طاعة وحق أفترضه الله تعالى للمعصوم عليه السلام يجب تأديته حتى يسقط التكليف الشرعي، وهذا الوعي الكامل للجانب العقدي لهم؛ هو الذي خَلَدَهُمْ إلى يومنا هذا، حتى أن هناك حديثاً عن الإمام أمير المؤمنين يشير فيه إلى أنه لا يصل إلى مرتبتهم من تقدم عنهم من الشهداء ولا من تأخر عنهم لأنَّ لهم مرتبة خاصة. وكلامهم في حب الموت ولقاء الله يدل على توطين أنفسهم على الشهادة للوصول إلى النصر الذي تحقق لهم في انتصار فكرهم وثقافتهم الأصيلة النابعة من الاستقامة والثبات على المبدأ الحق. والإمام الحسين عليه السلام عندما سأله السيدة زينب عليها السلام عن مدى استعداد أصحابه للقتال معه، أجابها بقوله: «والله لقد بلوتمهم، فما وجدت فيهم إلا الأشوس الأقعس، يستأنسون بالمنية دوني استثناس الطفل إلى محالب أمه»^(١) يؤكد عليه السلام استبسال أصحابه وإخلاصهم في الدفاع عنه.

ثمره الاستقامة.

وأخيراً، نذكركم أن الآيتين التي صدرنا بهما حديثنا حول الاستقامة توضحان لنا، أن الفائدة التي تعود على الإنسان باستقامته هي: تنزيل الملائكة عليه، وأن لا يخاف، ولا يحزن، والبشارة بالجنة، وأن يكون من أولياء الله في الدنيا والآخرة، وأن الله تعالى يسقيهم بالماء الزلال المكتمل، كناية عن اكتمال الحياة في كل جوانبها المتعددة.

(١) كربلاء، الثورة والمأساة لأحمد حسين يعقوب ص ٢٩٩.

ثورة الإمام الحسين عليه السلام في أهدافها الإنسانية

قال إمامنا الحسين عليه السلام: «اللهم إنك تعلم أنه لم يكن ما كان منا تنافساً في سلطان، ولا التماساً من فضول الحطام؛ ولكن لنري المعالم من دينك، ونظهر الإصلاح في بلادك، ويأمن المظلومون من عبادك، ويُعمل بفرائضك وسنتك وأحكامك، فإنكم إن لم تنصرونا وتنصفونا قوي الظلمة عليكم، وعملوا في إطفاء نور نبيكم وحسبنا الله وعليه توكلنا وإليه أنبنا وإليه المصير»^(١).

موقف الأمويين من الإسلام.

استعرض الإمام عليه السلام أهداف ثورته في خطبه وكلماته المتعددة، وأبان تلك الأهداف السامية من قيامه بتلك الثورة، مما يُدلل على نظرته الشمولية واستشرافه لمجموعة من الأهداف التي يصلح كل منها أن يكون مشروع ثورة، وهنا لا بد من الالتفات إلى النتيجة المأساوية التي آلت إليها الأمور، من خلال البرامج المكثفة التي عملتها الدولة الأموية، وتمّ فيها إرساء معالم ثقافية مختلفة وبعيدة عما يمت إلى الإسلام بصلة غير الصلة القشرية؛ لكونهم يهدفون في برامجهم الدينية والثقافية إلى إفراغ الإسلام من محتواه وتجريد الشريعة من مضامينها على أكثر من صعيد وبأكثر من نظام.

كشف الإمام عليه السلام لأهداف الأمويين.

والإمام عليه السلام يهدف أن يوضح -في هذا النص الذي استعرضناه- بعض

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ٩٧ ص ٨٠.

برامج العمل التي قامت بها الدولة الأموية، ويريد أن يعمل بأسلوب معاكس لتلك الخطط والبرامج المقامة؛ كي يضادها ويئدها، لئلا تُضِلَّ الرأي العام، فتمحي آثار الشريعة وتُطفَأُ السُّنن ويعود الإسلام غريباً بين أهله، اللهم إلا بالهوية بعد إفراغه من مضمونه، فجاءت كلمته عليه السلام تبياناً لتلك البرامج المضادة من لدن الأمويين.

أهداف نهضة الإمام الحسين عليه السلام.

شرح الإمام عليه السلام للجماهير المسلمة أُنَّان تلك الفترة، وللأجيال إلى يوم الناس هذا، بل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فقال: «اللهم إنك تعلم أنه لم يكن ما كان منّا تنافساً في سلطان»، لم يخرج عليه السلام لأجل الدعاية والإعلام وجلب الانتباه لشخصه باعتباره سيمثل رئيساً للدولة وحاكماً للمسلمين، ولم يهدف في ثورته أن يحصل على مكافآت مادية، «ولا التماساً من فضول الحطام». ثم أخذ عليه السلام يعدد الأهداف التي ركز عليها:

الأول: إبقاء مبادئ الشريعة.

قال عليه السلام: «ولكن لنرى المعالم من دينك».

أول مفردة ركز عليها الإمام هي بقاء مبادئ الشريعة بينةً في وضوحها، ليتمكن المتحمي للإسلام التعرف على معالم دينه والعمل بتكاليفه الشرعية على ضوء ما جاء به المصطفى صلى الله عليه وآله.

الثاني: الإصلاح.

قال عليه السلام: «ونُظهِرُ الإِصْلَاحَ فِي بِلَادِكِ».

هذا مطلب في غاية الأهمية ركّز عليه الأنبياء والرسل، قال شعيب عليه السلام:
 ﴿إِنْ أُرِيدُوا إِلَّا الْأَصْلَحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾ (هود:٨٨)، بل أن الأنبياء والرسل جاءوا للإصلاح بمعنييه:

الأول: الذي يتم فيه تبديل الشيء الفاسد بغيره، والإصلاح هنا يساوق التبديل والتغيير.

الثاني: الذي يكون الشيء فيه ناقصاً أو قد عُير في معالمه ويأتي المصلح ليضع لمساته ويزيل تلك النقائص التي تعترى ذلك الشيء الفاسد، وبإتمام ذلك الشيء يكون قد صلح. لذا، نجد أن الإصلاح بمعنييه – التبديل والتميم – منهج الأنبياء والرسل والأئمة من أهل البيت عليهم السلام، وعندما يكون هناك مشروع فاسد لدولة ما لا بد أن يزال ذلك المشروع ويضع الصالحون مشروعاً يتفق مع ما يريده الإسلام الحنيف، ولعل مراد الإمام عليه السلام من الإصلاح هو المعنى الثاني (إزالة النقائص)، فقد أجرى الأمويون تبديلات متعددة وتغييرات على كثير من معالم الشريعة المقدسة، فكان الإمام عليه السلام يهدف إلى إزالة ذلك الدرن الذي اعترى معالم الشريعة البينة. ولذا، أمر الله تعالى الناس بالإصلاح في الكثير من المفردات التي يقوم بها الإنسان في حياته، قال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ (الأنفال:١)، التقوى توأم مع

الإصلاح لذات البين، وعندها يكون الإنسان مصلحاً لها فسد، مزيلاً للنقص فيما يعترى علاقات ذات البين.

الثالث: الأمن والاطمئنان.

قال عليه السلام: «ويأمن المظلومون من عبادك».

ركز الأئمة من أهل البيت عليهم السلام على الأمن والطمأنينة، لأنّ استتبابها أمر غاية في الأهمية، وذلك هو منهج الرسل والأنبياء، إذ لا تقدّم في الحياة، ولا عيش هانئ دون أمن وطمأنينة يسودان العلاقات الاجتماعية بين الفئات المتعددة، وبين كل فرد وآخر، ويرجع تركيز الإمام على هذه الظاهرة إلى أنّ الأمويين يتقصّدون بعض الفئات من الناس - خصوصاً الفئة المنتمية لأهل البيت عليهم السلام - بالتصفيات الجسدية والتضييق الاقتصادي والتهميش في الحياة الاجتماعية، فأراد الإمام عليه السلام أن يرسخ الأمن للجميع؛ وهذا ما أكد عليه علماء النفس من أنّ اختلال الأمن لفئة من المجتمع يؤدي إلى اختلال الأمن بسائر الفئات تبعاً لاختلال أمن تلك الفئة، لأنّ علاقات المجتمع الأمنية يرتبط بعضها ببعضها الآخر، ويريد الإمام عليه السلام بالإضافة إلى إظهار الإصلاح في البلاد أن يعيش الجميع باطمئنان حتى من يختلف مع السلطة في توجهاتها الاجتماعية و برامج عملها الثقافية.

الرابعة: الحرية الدينية.

الحرية في أداء الفرائض وإقامة السنن والعمل بالأحكام، حيث إنّ الكثير

من الدول الظالمة في تاريخ الإنسانية تحارب الناس في أدائهم لفرائض الدين وإقامتهم لأحكام الشرع، والإمام عليه السلام يؤكد على هذا المطلب باعتباره يشكل جزءاً هاماً في حياة الإنسان، الذي يحتاج إلى الحرية لإقامته للفرائض والأحكام الدينية كما يحتاج إلى الأمن في حياته الاجتماعية؛ بمعنى أن يُتاح للناس أن يعملوا بفرائضهم دون تضيق، لأنّ السلطة الأموية كانت تضيق على الكثير من فئات المجتمع في إقامة فرائض الدين وإحياء السنن، بل، أنّ من ينظر التاريخ الأموي يجد إحياء البدعة وإماتة السنن وتعطيل الأحكام الشرعية كان أحد برامج الأمويين.

دعوة الإمام عليه السلام لنصرة الحق.

ثم خاطب الإمام عليه السلام الجماهير مؤكداً لها أنّ هدفه واضح، وأنّ خصمه الذي يضاده في توجهاته الإصلاحية مشخصة أهدافه، وعلى المجتمع أن ينضوي تحت قيادة الربانيين من الأمة المتمثلة في شخصه عليه السلام، لأنّ غير ذلك سوف يؤدي إلى عواقب وخيمة، «فإنكم إن لم تنصرونا وتنصفونا قوي الظلمة»، هذه نتيجة طبيعية تتحقق إذا لم يُنصر العدل وتقام السنن ويظهر الإصلاح لتكون المسيرة راشدة ويحصل التقدم والازدهار لكل ما يريده الشارع في المجتمع الإسلامي، وإن لم يكن ذلك ستكون هؤلاء الظلمة سلطنة يُتاح لهم أن يعملوا في إطفاء نور نبيكم.

ثم بيّن عليه السلام أنّ التوجه العام للجماهير إذا كان يحقق إرادة السلطة الأموية،

فلا حول للإمام عليه السلام إلا أن يقوم مع الثلة المناصرة للحق، الذائدة عن المعالم، المتبعة لسنن الأنبياء والرسل في محاربة الباطل مع الالتجاء إلى الحق تعالى.

السياسة الأموية في الجانب الاقتصادي.

ثم أبان الإمام عليه السلام بوضوح في كلمات أخرى ما يريده الحكم الأموي فقال: «وقد علمتم أنّ هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وترلوا عن طاعة الرحمن وأظهروا الفساد في الأرض، وعطلوا الحدود واستأثروا بالفيء»^(١).

ركّز الإمام عليه السلام على الجنبه الاقتصادية للمجتمع، إذ أنّ السلطة الظالمة ليس من برامجها أن يعيش المجتمع الرفاه الاقتصادي، بل، تريده يعاني الضيق والضعف، لوجود ثلة من المجتمع تستأثر بكل مقدرات الأمة، «واستأثروا بالفيء»، تشكل الحياة الاقتصادية أحد برامج عمل أنبياء الله ورسله، لأنّ الاستضعاف في الحياة الاقتصادية لفئة من الناس يؤثر سلباً على الجميع، وقد أكدت الدراسات أنّ الفقر لبعض فئات المجتمع يأكل الرفاه الاقتصادي لمن استأثر بالفيء، لذا، على أولئك الذين يُحطّون في فهمهم للشريعة المقدسة أن يلتفتوا إلى أهمية العدل في الحياة الاقتصادية، كما ركّز عليه الأنبياء والرسل، وأنّ الله تعالى لا يريد الفساد في كل أمر من الأمور، ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ (الأعراف: ٨٥).

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ٤٤ ص ٣٨٢.

الحسين عليه السلام عبرة وعبرة

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُعْظَمْ شَعْتِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ (الحج: ٣٢)
صدق الله العلي العظيم.

سر خلود القضية الحسينية

روي عن إمامنا الباقر عليه السلام أنه قال: «من ذرفت عيناه على مصاب
الحسين عليه السلام ولو مثل جناح البعوضة غفر الله له ذنوبه ولو كانت مثل زبد
البحر»^(١).

وردت في البكاء على الحسين عليه السلام روايات معتبرة عن أهل البيت عليهم السلام،
وقبل استعراضها نشير إلى مطلب جد هام، هو أن ديمومة أي قضية
واستمرارها يرتبط بأمرين هامين بالإضافة إلى البعد العقدي، أي أن البعد
العقدي وحده لا يكفي في إعطاء الزخم والفاعلية إذا لم يتوافر الأمران
اللذان، سنشير إليهما باقتضاب:

الأول: الإستناد إلى العقل.

كون القضية تستند إلى العقل، بحيث إذا فكر الإنسان فيها وجد أدلة
عقلية على صحتها، أما إذا لم تسندها الأدلة العقلية فلن يكون تأثيرها إلا في
أتباعها، وإذا أثرت فهي غير قابلة لئ أن تكون شعلة وضاءة لغير أتباعها،

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ٤٤ ص ٢٩٣.

ذلك أنّ دعامة أي قضية يرتبط بانسجامها مع موازين العقل، وتأييده لها بقوة.

الثاني: العاطفة.

ولها تأثير فاعل، وإذا استندت قضية ما إلى العقل دون أن تستند إلى العاطفة فلن يكون لها الزخم الهائل والكبير. أما إذا توافر الأمران - العقل والعاطفة - أصبحت القضية لها فاعلية واستمرار يؤثران في أتباعها وغيرهم، إذن لا بد أن يكون للقضية المؤثرة بالإضافة إلى بعدها العقدي استناد إلى العقل والعاطفة لأهميتها في تفعيل الإنسان.

ارتباط الجانب العقلي بالجانب العاطفي

إنّ العقل وحده لا يكفي لاستمرار وديمومة قضية لأنّ الناس بطبيعتهم لا يجرّكهم العقل وحده، وكما يتضح ذلك نعطي مثلاً لا يشك أحد منّا أنه سيموت، وينتقل من هذه الدار إلى دار أخرى، يدرك ذلك بفطرته وعقله، ويعرف أنّ الأعمال الصالحة هي الزاد الوفير لعالم الآخرة غير أنّ كثيراً من الناس يصعب عليه أن يتحرك في المسار الموصل إلى الله تعالى، ويتناقل القيام بصلاة الليل رغم إدراكه لأهميتها في رفع مستواه الإيماني، لأنّ الإدراك العقلي المحض وحده لا يكفي للفاعلية والمحركية وإعطاء الزخم، لكنه إذا اقترن بالعاطفة وحصل الزخم العاطفي، فإنّ استذكار القضية يحدث حماساً غير

طبيعي كما نرى ذلك في الظلم، فإنَّ العقل يحكم بحسن العدل، ويراه بديهيًّا أو شبه بديهي، لكننا إذا نظرنا إلى ظلمين تسند أحدهما العاطفة دون الآخر نجد تفاوتاً صارخاً وكبيراً بينهما، فالقتل لشخص ظلماً مدان، ويتفاعل الناس معه لكن القتل إذا كان لامرأة اعتدي على كرامتها، فإنَّ القضية تختلف عن الأولى لارتباطها بالعاطفة عندنا نحن العرب، فالناس لديهم استعداد أن يدافعوا عن قضية المرأة بينما قد لا يتوافر الاستعداد للدفاع عن الرجل عند كثير منهم رغم أنَّ القتل واحد، وما ذلك إلاَّ لأنَّ قضية المرأة ترتبط بالجانب العاطفي نتيجة للقيم العربية المؤيدة بقيم الشريعة الإسلامية والشرائع السماوية.

وعليه فهناك تفاوت بين الأمرين وهناك استعداد للذود عن القضية الثانية لتوافر العنصر العاطفي فيها دون الأولى، والحال كذلك إذا كان القتل لطفل ورجل، فإنَّ قتل الطفل يتوافر فيه الزخم العاطفي عند الناس، ولا يختلف الحال في ذلك عند العرب وغيرهم.

التأثير الحركي للعاطفة

إنَّ تأكيد الروايات على البكاء إفصاح عن أهمية الجانب العاطفي في الثورة الحسينية، فهي بالإضافة إلى الجانب العقلي، لأنَّ الحسين عليه السلام خرج داعية سلام ليأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويسير بسيرة جده وأبيه، وهذه دعائم عقلية تسند الثورة الحسينية لكنها لا تكفي لتحريك الجماهير، لأنهم لا يتحركون للدعائم العقلية المحضة ما لم تقترن بالعاطفة.

التنوع في الجانب العاطفي

تتوافر في الثورة الحسينية الدعائم العقلية والعاطفية، وأراد الأئمة عليهم السلام أن يفصحوا عن أهمية الجانب العاطفي ليرتبط المجتمع الإنساني بغض النظر عن كونه يدين بالإسلام، وذلك أن انتهاك الحقوق والجرائم البشعة التي جرت على الحسين عليه السلام تؤثر في كل إنسان عندما يتذكر، فقتل الرضيع، والتمثيل بجسد الحسين عليه السلام وسبي النساء، وحرق الخيم جرائم مؤثرة بالعقل المسند بالعاطفة، وتأكيد الأئمة عليهم السلام على الجانب العاطفي لأهميته في استمرار مبادئ الحسين عليه السلام التي هي مبادئ الإسلام، والحسين عليه السلام ليس لديه غير الإسلام، فهو عليه السلام يزود عن قيم الرسالة بصدق يختلف به عن غيره من الناس، ذلك أن البعض قد يتشدد بكلمات سرعان ما يتجرد عنها، أما الحسين عليه السلام فهو صادق في أفعاله وأقواله، وليس كمن يقول ما قاتلتكم لتصلوا أو تزكو وإنما لأتأمر عليكم، فهو عليه السلام لم يخدع أحداً، لذلك أثرت مبادئه بفاعلية واستمرار خصوصاً لمن أدرك الزخم العاطفي لقضيته عليه السلام، وهم أكثرية الجماهير، لذا تجدهم باكين ناديين، ومن لم يكن له استعداد أن يضحي بنفسه لمبادئ الإسلام فإن العاطفة تؤثر فيه بنحو ما.

إنسانية القضية الحسينية

الناس على درجات، يرتبط بعضهم بالمبادئ العقلية المحضة، وهم قلة، وهناك من يتأثر بالمبادئ -العقل والعاطفة-، لذا كان الحسين عليه السلام عبرة

للمبادئ العقلية، وعبرة للعاطفة، وتأكيد الروايات على العاطفة لتشمل عامة الناس، والنبى صلى الله عليه وآله تأثر وعلم أم سلمة ليربط الجماهير بالحسين عليه السلام.
 قد يقول قائل إن هناك جرائم بشعة في التاريخ قضت على مئات الآلاف، فلماذا لا يذكر إلا الحسين عليه السلام؟

والجواب: أن قضية الحسين عليه السلام هي ذكر لكل مظلوم ودفاع عنه أكان مسلماً أو غيره، لأنها عادلة، وكل من وعى مبادئ الحسين عليه السلام وهي مبادئ رسالات السماء، سيدود عن قيم الحق والعدل وإن كان غير مسلم، وقد أشار الحسين عليه السلام إلى ذلك، فقال: «إن لم يكن لكم دين وكنتم لا تحافون المعاد فكونوا أحراراً في دنياكم»^(١) لأنّ الإنسان وإن تجرد عن قيمه الدينية فإنه ستبقى لديه ضوابط إنسانية، وإذا زالت فسوف يتحول إلى وحش كاسر، لتجرده عن قيمه الإنسانية.

إنّ مشاكل البشرية تحل عندما تربط بمبدأ قيمي يتوافر فيه العنصران، فعندئذ يتفاعل الجماهير وإياها.

مدى التأثير بالقضية الحسينية

كلما مر الزمان على الثورة الحسينية تألقت بإشراق، وأخذ الوهج الحسيني يزداد تأثيراً في المسلمين وغيرهم، يتعلم غير المسلم من الحسين عليه السلام ويصبح مستعداً للتضحية لمبادئه لعلمه أنّ الإمام عليه السلام أعطى بلا حدود، واتصف

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ٤٥ ص ٥١.

بشجاعة منقطعة النظير، ووقف وحده لا يهاب الموت أمام جيش، وهان ما جرى عليه من هتك للحرمات، لأن الله ينظر إليه، وهو بكل شيء محيط، فأصبح معلماً للحرية والحق.

الجانب العاطفي في الروايات

أكدت الروايات على الجانب العاطفي ورتبت ثواباً لا يحصيه إلا الله تعالى عليه.

البكاء والتباكي

روي عن آل الرسول ﷺ: «من بكى على الحسين أو تباكى وجبت له الجنة»^(١).

إن قولهم ﷺ "ومن تباكى فله الجنة" تعليم للبكاء، كما ورد ذلك في تعليم الصبر، قال تعالى: ﴿أَصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ﴾ (آل عمران: ٢٠٠) أي أن من لم يستطع صبراً فليتصبر، وهنا من لم يبك فليتباكى ليتعلم أن يتعاطف مع القضية الحسينية.

أسرار البكاء على الإمام الحسين ﷺ

دخل على زين العابدين ﷺ أحد مواليه، ورأى الإمام ﷺ يبكي، وقد ذكر المؤرخون والمحدثون أنه كثير البكاء على الحسين ﷺ، يريد بذلك أن يعلم الناس الارتباط بمبادئ الحسين ﷺ، وهي مبادئ إنسانية عامة بالإضافة إلى

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ٤٤ ص ٢٨٨.

ارتباطها برسالات الأنبياء منذ آدم إلى محمد صلوات الله عليهم، فقال مولاه له عليه السلام: جعلت فداك! إني أخاف عليك أن تكون من الهالكين، أي لهماذا التأثر البالغ على الحسين عليه السلام دون بقية المصائب! إذ أن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ضرب على رأسه أيضاً، وجرت عليهم عليهم السلام مصائب كثيرة، فقال عليه السلام: «إنما أشكو بشي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون إني لم أذكر مصرع بني فاطمة إلا وخنقتني لذلك عبرة»^(١) أي أن هناك ما يربطني بمصارع هؤلاء الطيبين من انتهاك للحرمان وتعدٍ على القيم مما يؤثر عاطفياً، إن كثيراً من الناس يسأل عن البكاء على الحسين عليه السلام دون ما سواه؟

والإجابة واضحة إن البكاء على الحسين عليه السلام بكاء على كل مظلوم، وشجب لكل تعدٍ، وإدانة لكل انتهاك للعدالة، وذلك معنى البكاء على الحسين عليه السلام، وهو إعلان للسير على مبادئه، مبادئ العدالة والقانون والتوجه إلى الله تعالى.

ثواب البكاء على الإمام الحسين عليه السلام

عن الحسين عليه السلام: «ما من عبد قطرت عيناه فينا قطرة، أو دمعت عيناه فينا دمعة إلا بوأه الله بها في الجنة حقياً»^(٢) وقال الإمام زين العابدين عليه السلام: «أيما مؤمن دمعت عيناه لقتل الحسين عليه السلام حتى تسيل على خديه بوأه الله بها غرفاً

(١) الأماي للصدوق ص ٢٠٤.

(٢) الأماي للمفيد ص ٣٤١.

يسكنها أحقاباً»^(١) إذا دخل الإنسان الجنة لا يخرج منها، غير أن هناك درجة عالية في الجنة قد يتبوئها لبكائه على الحسين عليه السلام، ويلبث فيها آفاً من السنين، أي أن من كانت أعماله لم توصله إلى تلك الدرجات فبكاؤه على الحسين عليه السلام كفيل برفع درجته، والحال كذلك لمن اقترف بعض الذنوب، وهو من أهل الجنة، فإنه يلبث في النار أحقاباً، قال تعالى: ﴿لَيْثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ (النبا: ٢٣).

قال عليه السلام: «أنا قتيل العبرة لا يذكرني مؤمن إلا بكى»^(٢) أي هناك عاطفة تربط الناس بثورته عليه السلام حتى غير المؤمن إذا لم ينسلخ عن مبادئ الإنسانية فإنه يغتم ويتألم لذلك.

وعن الباقر عن أبيه عليه السلام: «وأيا مؤمن دمعت عيناه حتى تسيل على خده فينا لأذى مسنا من عدونا في الدنيا بوأه الله بها في الجنة مبعوا صدق، وأيا مؤمن مسه أذى فينا فدمعت عيناه حتى تسيل على خده من مضاضة ما أودى فينا صرف الله عن وجهه الأذى وآمنه يوم القيامة من سخطه والنار»^(٣) والرواية تشير إلى المؤمن الذي صدق بمبادئ أهل البيت عليهم السلام وتأثر عاطفياً بما جرى عليهم من المصائب، فإن الله تعالى سوف ينزله منزل صدق في الجنة.

عن داود بن كثير الرقي، قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام إذ استسقى الماء، فلما شربه رأيتُه وقد استعبر واغرو رقت عيناه بدموعه، ثم قال: «يا داود، لعن

(١) وسائل الشيعة للحر العاملي ج ١٤ ص ٥٠١.

(٢) مستدرک الوسائل للنوري ج ١٠ ص ٣١١.

(٣) كامل الزيارات لابن قولويه ص ٢٠١.

الله قاتل الحسين، فما أنغص ذكر الحسين للعيش! إني ما شربت ماء باردا إلا وذكرت الحسين، وما من عبد شرب الماء فذكر الحسين عليه السلام ولعن قاتله إلا كتب الله له مائة ألف حسنة، ومحا عنه مائة ألف سيئة، ورفع له مائة ألف درجة، وكان كأنها أعتق مائة ألف نسمة، وحشره الله يوم القيامة أبلج الوجه»^(١).

استعبر هنا الإمام عليه السلام واغرو رقت عيناه بالدموع، ثم قال لداود لعن الله قاتل الحسين عليه السلام فإن ذكر الحسين عليه السلام ينقص علي العيش، والرواية فيها من الشجب والاستنكار والطرد عن رحمة الله تعالى لقاتلي الحسين عليه السلام، وذكر الثواب الجزيل للتعاطف مع الحسين عليه السلام «كتب الله له مائة ألف حسنة، ومحا عنه مائة ألف سيئة، ورفع له مائة ألف درجة، وكان كأنها أعتق مائة ألف نسمة، وحشره الله يوم القيامة أبلج الوجه».

الأئمة عليهم السلام يجسدون العاطفة الحسينية

قال الإمام الصادق عليه السلام: «كل الجزع والبكاء مكروه سوى الجزع والبكاء على الحسين»^(٢) إن من أصابه غم عليه أن لا يجزع، لكنه إذا جزع على الحسين عليه السلام فجزعه وغمه يرتبط بقيم ومبادئ الساء، وذلك مطلوب. وقد جسّد الأئمة عليهم السلام تلك المبادئ، عن أبي عماره المنشد، قال: "ما ذكر

(١) الأماي للشيخ الصدوق ص ٢٠٥.

(٢) وسائل الشيعة للحر العاملي ج ٣ ص ٢٨٢.

الحسين عليه السلام عند أبي عبد الله عليه السلام في يوم قط فرئي أبو عبد الله عليه السلام متبسماً في ذلك اليوم إلى الليل، وكان عليه السلام يقول: الحسين عليه السلام عبرة كل مؤمن^(١).

وعنه عليه السلام: «من ذكر الحسين عنده فخرج من عينيه مقدار جناح ذباب كان ثوابه على الله ولم يرض له بدون الجنة»^(٢) أي سيوفق للتوبة حتماً ويكون من أهل الجنة.

وقال الرضا عليه السلام: «يا بن شبيب إن سرك أن يكون لك من الثواب مثل ما لمن استشهد مع الحسين بن علي عليه السلام فقل متى ذكرته: ليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً»^(٣).

قوله عليه السلام: «ليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً» تأكيد وتمنٍ للذود عن تلك المبادئ والقيم وإظهار الاستعداد لذلك.

تؤكد الروايات على أهمية البكاء ليتفاعل المرء عاطفياً فيتمسك بتلك المبادئ التي توصله إلى الله تعالى، وترفع درجته في عليين فيكون ثوابه ثواب من استشهد مع الحسين عليه السلام.

الإمام الحسين عليه السلام شهيد المبادئ والقيم

قال الإمام الرضا عليه السلام: «يا ابن شبيب ان المحرم هو الشهر الذي كان أهل

(١) كامل الزيارات لابن قولويه ص ٢١٤-٢١٥.

(٢) جامع أحاديث الشيعة للبروجردي ص ٥٦٠.

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام للصدوق ج ٢ ص ٢٦٩.

الجاهلية يجرمون فيه الظلم والقتال لحرمة ما عرفت هذه الأمة حرمة شهرها ولا حرمة نبيها لقد قتلوا في هذا الشهر ذريته وسبوا نساءه وانتهبوا ثقله فلا غفر الله لهم ذلك أبداً يا ابن شبيب إن كنت باكياً لشيء فابك للحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام فإنه ذبح كما يذبح الكبش»^(١).

الرواية من روائع الروايات، وهي تؤكد ما شرحناه من ربط الناس بقيم الحسين ومبادئه عليه السلام، قوله عليه السلام: «إنَّ المحرَّم هو الشهر الذي كان أهل الجاهلية يجرمون فيه الظلم والقتال لحرمة» أي أن أهل الجاهلية يمنعون القتل والقتال قبل الإسلام لحرمة الشهر، وما عرفت الأمة حرمة شهرها ولم تعرف حرمة نبيها بانتهاك حرمة ذريته عليه السلام وسبي نساءه، وانتهاك ثقله، «فلا غفر الله لهم ذلك أبداً» يربط الإمام عليه السلام الناس بالمبادئ، كي لا يتعد الإنسان حدوده، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ (الطلاق: ١). إنَّ هذا الزخم العاطفي والتأكيد على أهمية البكاء على الحسين عليه السلام وتبيان أنه ذبح كما يذبح الكبش إبانة لانتهاك حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقوله عليه السلام: «وقد قتل معه من أهل بيته ثمانية عشر رجلاً ما لهم في الأرض شبيهه» تأكيد من الرضا عليه السلام على أن القتل وصلوا إلى نهاية التسافل، ولم يبقوا حرمة إلا وانتكسوها.

لذا تفاعل غير المسلمين، وهناك من يزور الحسين عليه السلام من المسيحيين، بل هناك من يزوره عليه السلام مع أنه لا يؤمن بدين، لكنه تعلم من مبادئه عليه السلام وبكى

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام للصدوق ج ٢ ص ٢٦٨.

عليه عليه السلام، والله تعالى سيعطيه جزاءه إما بأن يموت مسلماً أو أن يجازيه في الدنيا بالذكر الحسن.

أصحاب الحسين عليه السلام والموت للحياة

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ أَمُوتَ الَّذِي تَقْرُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلْقِيكُمْ مِنْكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلِّيِّ الْعَالِيِّ وَالشَّهَادَةُ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (الجمعة: ٨) صدق الله العلي العظيم.

أقسام الموت:

لا يمتري أحد أنه سيموت، غير أن الموت على أقسام متعددة:

الأول: الموت الطبيعي.

وهو الذي لا يقترن بأمور ترفع مستوى الميت أو تحط من قدره كموت أكثر الناس.

الثاني: غير طبيعي.

ويموته بعض الناس ليتسافل به أو يعلو رتبة بموته، ولا يشمل موت بعض المجرمين المصر على الظلم، فإنه يندرج في الطبيعي بل يراد به الموت الذي يقدم عليه بعض الناس لله تعالى، أما ما يخطبه بعض الطغاة من أجل الدنيا عندما يقاوم إلى آخر نفس من حياته، ويموت متسافلاً، لأنه لا يذود عن عز، وإنما لمطامع مادية كعمر بن سعد فقد دخل الحرب من أجل أن

يحصل على ملك الري، وخاطر بحياته لذلك، وسار في طريق الموت متسافلاً.

موت الرفعة

يشترك موت التعالي مع الموت للتسافل، كل منهما يُخطب ويُخطى لتحصيله، غير أن موت التعالي يشتره المرء ويخطو نحوه كالأنبياء والرسل والأوصياء والشهداء فإن موتهم من أجل قيم ومبادئ، ولعل ما ورد في بعض الروايات «ما منا إلا مسموم أو مقتول»^(١) يشير إلى ذلك، أي أنهم لا يموتون طبيعياً لكونهم يذودون عن الحق ويغتالهم أعداء الله تعالى لذلك.

خصائص موت العلو

يخاف أكثر الناس من الموت وإن كان للعلو، وقلة منهم تكاملت عقولهم ووصلوا إلى مستوى يدركون به أن المآل هو الموت، وأن المرء وإن عاش طويلاً فإنه مصيره، ولا بد أن يستعد له، ويتأهل للتضحية والفداء عن مبادئه، ويقاوم الإغراءات ليموت للعلو، إن الموت للعلو تصحبه في الأعم الأغلب إغراءات كبيرة بالأموال والمناصب غير أن من سار في طريقه يعلم بأن ذلك لن يدوم، ويرجح موت الشرف والعزة ويموت ليحيى ويحيى غيره.

الموت للحياة

قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ٢٧ ص ٢١٧.

مُرْدَفُونَ ﴿آل عمران: ١٦٩﴾ أي أنّ من يموت في سبيل الله تعالى هو حي عند ربه مرزوقاً، والكلام ليس في مراتبه المعنوية في عالم الآخرة، بل السير في الصراط المستقيم (العبودية لله تعالى)، ليحصل العابد على مزيد الثواب، وقد بينت ذلك الروايات موضحة أنّ المؤمن لا ينبغي أن يتمنى الموت، لأنّ بقاءه مصلحة لها يحصل عليه من الأجر والثواب فيتعالى معنوياً، أي أنّ الهدف من البقاء في الحياة الدنيا في المنظور الإسلامي هو الرقي المعنوي والأجر الكبير، وليس الاستمتاع بلذات الدنيا، لأنها فانية، ومهما طال أمدّها ستتلاشى منتهية، والعاقل يدرك ذلك، نعم؛ من لا يؤمن بدين يصعب عليه فهم ذلك لكن من يؤمن بالأديان السماوية يعلم أنّ المال إلى الله تعالى، وأنّ الهدف من الحياة الدنيا أن نزداد قرباً منه تعالى، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ﴾ (الذاريات: ٥٦-٥٧) أي ليعرفون فيتكاملون.

كيف يكون الموت للحياة

يحقق الموت للحياة ما يطمح له الإنسان، ويختزل عليه المسافات الطويلة، ويرى آثاراً لموته ليست بالحسبان، وقد كان أصحاب الحسين عليه السلام كذلك، بل أنهم وصلوا إلى رتب معنوية لم يصل إليها من تقدمهم ولم يلحق بها من تأخر عنهم، وكما يتضح ذلك نشير إلى أنّ الإنسان إذا اشترك في سبب من الأسباب، فإن ما يترتب من مسببات تعود إلى ذلك السبب، فمن بنى مسجداً أو تصدق بصدقة جارية فهو شريك فيها، وأنّ كل ما يترتب من الخيرات له

سهم منه، ذلك معنى قوله صلى الله عليه وآله: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث ولد صالح يدعو له، وعلم ينتفع به، وصدقة جارية»^(١) لأنه أسهم في إيجاد خيرات، وهو السبب، والخيرات مسببات ترتبت على عمله، فيعود له الخير الكبير والأجر الجزيل، من هنا نعلم السر في قوله صلى الله عليه وآله: «الضربة علي لعمر و يوم الخندق تعدل عبادة الثقلين»^(٢) لأن كل من يدين بالإسلام مسبب عن تلكم الضربة، ولولاها لانتهى الإسلام، فضرته عليه السلام هي السبب الأساس، وجميع الطاعات يرجع فضلها إلى علي عليه السلام لأنه أنهى تلك القوة الغاشمة التي كادت أن تودي بالإسلام.

إدراك فناء الدنيا

ضحى أصحاب الحسين عليه السلام بأنفسهم مدركين بأن الدنيا تتلاشى منقضية، وتنتهي فانية، ولن يبقى لها وجود بنحو كلي، وسيعود جميع الخلق إلى الله سبحانه، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ بَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ (إبراهيم: ٤٨) عندئذ لن يبقى أحد، وسينتقل الجميع إلى الآخرة.

يعلمون بمنابياهم

تجلت لأصحاب الحسين عليه السلام وأهل بيته حقيقة الموت للحياة، وظهر ذلك في كلماتهم، فعندما استرجع الحسين عليه السلام بعد أن خفق عليه السلام وهو على ظهر فرسه

(١) مستدرک الوسائل للنوري ج ١٢ ص ٢٣٠.

(٢) موسوعة الإمام علي عليه السلام في الكتاب والسنة والتاريخ للريشهري ج ١ ص ٢١٣.

خفقة ثم انتبه وهو يقول: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ففعل ذلك مرتين أو ثلاثاً فأقبل إليه ابنه علي بن الحسين فقال: مم حمدت الله واسترجعت؟ قال: يا بني إني خفقت خفقة فعن لي فارس على فرس وهو يقول: القوم يسرون، والمنايا تسير إليهم، فعلمت أنها أنفسنا نعت إلينا»^(١) فهم علي الأكبر رسالة الحسين عليه السلام، إذ هو ابن مدرسته، ومنطق الحسين عليه السلام هو منطق الأكبر عليه السلام، فقال لأبيه: يا أبة، لا أراك الله سوءاً ألسنا على الحق؟ قال: (بلى والذي إليه مرجع العباد) قال: فإننا إذن لا نبالي أن نموت محقين"، أي إن جاءنا الموت أو قدمنا إليه، لأننا محقون.

لا يكثرثون بالموت

إن الأكبر عليه السلام يشرح معنيين:

الأول: أن السائر في جادة الصواب إذا وقع عليه الموت فهو في حالة مرضية

لله تعالى، لكن الأعظم منه من يشتري الموت ويخطبه، أوقعنا على الموت؟

متى يكون الموت عزة وكرامة

يصطلم الموت أنفسنا، وحري بنا أن نموت في سبيل الله تعالى، «فإننا إذن

لا نبالي أن نموت محقين» تعبير رائع وجميل، فقد اشترينا الموت وخطبناه

لنموت بعزة وكرامة، من هنا فكل ما يترتب من آثار فإن الأكبر عليه السلام شريك

فيها.

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ٤٤ ص ٣٧٩.

سر تلذذ أنصار الحسين عليه السلام بالموت

قال بعض أصحاب الحسين عليه السلام - مسلم بن عوسجة - : «أنخلي عنك ولما نعذر إلى الله سبحانه في أداء حقك؟! أما والله حتى أطعن في صدورهم برححي، وأضربهم بسيفي ما ثبت قائمه في يدي، ولو لم يكن معي سلاح أقاتلهم به لقدفتهم بالحجارة، والله لا نخليك حتى يعلم الله أن قد حفظنا غيبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيك، والله لو علمت أني أقتل ثم أحيأ ثم أحرق ثم أحيأ ثم أذرى، يفعل ذلك بي سبعين مرة ما فارتكك حتى ألقى حمامي دونك، فكيف لا أفعل ذلك وإنما هي قتلة واحدة ثم هي الكرامة التي لا انقضاء لها أبداً»^(١).

إنهم يشرحون معادلة الموت للحياة، ويريدونها في سبيل الحق للذود عن الكرامة، وتحقيق أهداف إلهية، هي أهداف رسالات السماء، ذلك أن الإنسان لو مات أكثر من مرة في سبيل تلكم الأهداف لاستحق أن يبذل جهداً كبيراً ويتحمل العناء في سبيل تحقيقها، كيف وهو لا يموت إلا مرة واحدة.

تميز أصحاب الحسين عليه السلام

أشارت بعض الروايات إلى أفضليتهم على الإطلاق وأن من تقدم عنهم لن يصل إلى رتبهم، ومن تأخر عنهم لن يلحق بهم، قال عليه السلام: «أما بعد فاني لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي، ولا أهل بيت أبر وأوصل من أهل

(١) الإرشاد للمفيد ج ٢ ص ٩٢.

بيتي، فجزاكم الله عني خيراً»^(١) وأصحاب الإمام المهدي عليه السلام رغم ما لهم من فضل لوجود إشكاليات كبيرة في زمانهم غير أن الظروف مختلفة بين أصحاب الحسين عليه السلام وأصحاب الإمام المهدي عليه السلام ذلك أنهم يذودون عن مبادئ وهم يعلمون أنه سيتحقق انتصار لها، أما أصحاب الحسين عليه السلام فهم مدافعون عن مبادئ فقط، يعلمون أنه لن يترتب على دفاعهم قيام دولة، وليس إلا الموت فحسب، والأمر مع أصحاب رسول الله عليه السلام وأصحاب الرسل والأنبياء والأوصياء عبر التاريخ كذلك، أي هناك احتمال للنصر لديهم، أما أصحاب الحسين عليه السلام فلا يوجد ذلك مع إغراءات كبيرة بالأموال والمناصب لكنهم آثروا الله تعالى والدار الآخرة.

استشهاد أصحاب الحسين عليه السلام للقيم الإلهية

إنَّ المنظور لأصحاب الحسين عليه السلام هو الذود عن قيم إلهية، وقصدتهم أن يموتوا دون الحسين عليه السلام لأنه يجسد الفضيلة والسداد، ومبادئ الرسالات السماوية، وقد جاء ذلك في أراجيزهم وكلماتهم، قال العباس عليه السلام:

والله إن قطعتم يميني إني أحامي أبداً عن ديني
وعن إمام صادق اليقين نجل النبي الطاهر الأمين^(٢)

وحتى من دخل الإسلام تواءم بعض النصارى أراد أن يذود عن المبادئ

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ٤٤ ص ٣٩٢.

(٢) بحار الأنوار للمجلسي ج ٤٥ ص ٤٠.

التي يجسدها الحسين عليه السلام، واللافت في الأمر أن بعض من يعادي علياً والحسين عليه السلام كبعض الخوارج تأثر بالحسين عليه السلام، وعلم أن ما طرحه الخوارج من قولهم «لا حكم إلا لله» يتجسد في الحسين عليه السلام، فهو عليه السلام الذي يزود عن الحكم الإلهي، فقد سقطت الأقنعة، وعُلم بأنّ الأمويين يحاربون رسالات السماء، وأنّ الحسين عليه السلام يرفع مبادئ العدل والحرية وسيادة القانون والشرف والعزة، لذا تأثر بعض الخوارج به عندما انكشف القناع وتحول إلى مدافع عنه عليه السلام، بل أن من كان أموياً في التوجه كزهير بن القين (عثماني الهوى) تأثر بذلك، نعم؛ هناك تعدد مشارب لدى أصحاب الحسين عليه السلام لكن الجميع استشهد بعزة وشرف لذلك خلدوا.

كيف نستلهم الخلود من قضية كربلاء

إنّ جميع ما تحقق من خيرات يرتبط بثورة الحسين عليه السلام، قال بعض العلماء: «كل ما عندنا من الحسين» يشير إلى هذا المعنى: ذلك أن تعلم مبدأ القدوة والتضحية والإيثار بهذا المستوى استلهم من مدرسة الحسين عليه السلام الثرة بالعطاء، قد يقال إنّ الحسين عليه السلام معصوم لا يقاس به أحد، غير أن كلامنا في التأسّي به، وقد كان في كربلاء طيف متعدد منهم من تربى عند علي عليه السلام وله تأريخ طويل كحبيب وبرير، وهما من العلماء والشخصيات المؤمنة لكن الأمر لا ينحصر بهما فهناك الخارجي والأموي والنصراني لكنهم اختزلوا المسافة، وصنعوا ملحمة خلود، ومات كل منهم لا ليحيي نفسه فقط بل لتحيا أمم

متعلمة من هذه المدرسة مستلهمة بأنّ الإنسان بإمكانه أن يختار الحق وإن لم يكن من أول حياته سائراً على طريق الرشد والسداد، وأنه يمكن لغير السوي في سلوكه أن يشتري الموت لله تعالى فيموت للذود عن المبادئ، ويختار طريق الرشد والهدى ليحلق صاعداً ويصنع ملحمة خلود وحياة للأجيال القادمة كأصحاب الحسين عليه السلام.

الفصل الثالث

المنهج الحسيني في الثورة

الإمام الحسين عليه السلام ثورة إصلاح وتغيير مسار

قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُلِغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ (الأحزاب: ٣٩) صدق الله العلي العظيم.

الإمام الحسين المبلغ الرسالي.

الإمام الحسين عليه السلام مصداق جلي للمبلغين لرسالات الله، الذين لا يخشون أحداً إلا الله، فقد حفظ عليه السلام بثورته الإسلام وجعل المتمين له يعملون لصالحه في توسعة رقعة العالم الإسلامي، ولا يستطيع أحد أن يعرف الآثار المترتبة على ثورته عليه السلام إلا بقراءة التاريخ ومراقبة حركة الأمويين، والتعرف على الممارسات البشعة في حق الإسلام كمنهج عملي لهم، غير أن الإمام الحسين عليه السلام استطاع أن يغير مسار المنهج الأموي ليصب في صالح الإسلام، لقد خطط الأمويون للقضاء على الإسلام ومحو شرع الله تعالى.

زعماء المنهج الأموي.

هناك كلمات متعددة لزعماء الأمويين تُدلل على مخططهم في القضاء على الإسلام، نستعرض منها ثلاثاً:

الأولى: لأبي سفيان.

قال أبو سفيان عندما وصلت إليهم الخلافة: (يا بني أمية تلقفوها تلقف الكرة، فالذي يحلف به أبو سفيان ما من عذاب ولا حساب ولا جنة ولا نار ولا بعث ولا قيامة)^(١) وهو نص واضح في إنكار المعاد وإنكار الشريعة الإسلامية.

الثانية: معاوية بن أبي سفيان.

وصدر من معاوية ما لا يقل عما صدر عن أبيه، فقد سمع المؤذن يقول: (أشهد أن محمداً رسول الله) فقال: (لله أبوك يا بن عبد الله، لقد كنت علي الهمة، ما رضيت لنفسك إلا أن تقرن اسمك باسم رب العالمين)^(٢) ويبين النص أن معاوية يعتبر الرسالة الإسلامية تخطيطاً من لدن النبي صلى الله عليه وآله لغلبة الحزب الأموي باعتبار أن الأمويين والهاشميين كانوا في صراع بين الفضيلة والرذيلة، والحق والباطل، الهاشميون يمثلون الحق والفضيلة والقيم، ويمثل الأمويون الرذيلة والانحطاط في الأخلاق وتجارة الرقيق

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٩ ص ٥٤.

(٢) بحار الأنوار للمجلسي ج ٣٣ ص ٢٠٣.

الأبيض، وللأمويين منهج يعادي الحق، وكان معاوية يعتقد أن شعائر الإسلام جاء بها النبي ﷺ للقضاء على الحزب الأموي باعتبار أنه ﷺ يريد التأكيد على القيم التي يؤمن بها الهاشميون، فنسب ص نفسه إلى السماء.

الثالثة: يزيد بن معاوية.

استمر المنهج الأموي لمحاربة الإسلام على يد يزيد، ولعل الأبيات التي تمثلها:

لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل (١)
تُدلل على النهج الأموي.

المنهج الأموي والقضاء على الإسلام.

سعى الإمام الحسين عليه السلام لمقارعة المنهج الأموي، الذي لا يمثل بُرهة زمنية محدودة كقيادة حاكم منحرف ثم موته ليخلفه آخر دون أن يتجذر ذلك الانحراف في العقائد والأفكار والرؤى والمفاهيم، وقد أدرك الأمويون كساسة وقادة أنهم لا يتمكنون من القضاء على الشريعة الإسلامية فأبدلوا التخطيط إلى آخر يصب في صالح المنفعة الذاتية للبيت الأموي وللمقررين منهم، وقاموا بتحريف بعض أحكام الشرع الحنيف ليصب ذلك في صالح الحزب الأموي.

(١) مدينة المعاجز للبحراني ج ٤ ص ١٤٠.

البعد الديني للمنهج الحسيني.

إنّ تغيير الخطة الأموية وتبديل المنهج من القضاء على الإسلام واجتثاث أصول العقيدة إلى المنفعة الذاتية وإنّ أبقى الأمة الإسلامية في التخلف والمحسوبيات، إلا أنه حقق مكاسب كبيرة للإسلام، وفتح الباب أمام المخلصين والغياري من الأمة ليتحركوا لنصرة الإسلام والإبقاء عليه، وكانت الثورة الحسينية متميزة بقيادتها الحكيمة، حتى عرف الإسلام بأنه محمدي الوجود حسيني البقاء، وما كان للإسلام أن يبقى لولا ثورة الإمام عليه السلام.

النتائج الوخيمة لخلافة يزيد.

جسد يزيد بن معاوية الظلم والانحراف بكل صورته، وتجلى ذلك بوضوح في سنوات خلافته، ففي الأولى قتل الإمام الحسين عليه السلام، وفي الثانية حدثت واقعة الحرة في المدينة - العاصمة الدينية المقدسة للمسلمين أبان تلك الفترة لما يتواجد فيها من صحابة النبي صلى الله عليه وآله والتابعين وطلّاع الأمة - وقام يزيد بإذلال المسلمين وإباحة المدينة لجيشه، الذي اعتدى على النساء والأعراض، ولم يبق لأحد حرمة، وأخذ البيعة من أهل المدينة كعبيد أرقاء له شخصياً ومن لم يقبل ذلك يُقتل، وفي الثالثة رمى الكعبة بالمنجنيق - المدفعية في ذلك الزمان - وأحرقها وهدمها، وينم ذلك عن منهج مخطط له يراد به استعباد الأمة وتغيير مسارها من مسار توحيدني يخضع للقرآن الكريم وما جاء به المصطفى صلى الله عليه وآله إلى مسار أموي بحث لا يؤمن بوجود شريعة.

آثار الثورة الحسينية.

ترتب على ثورة الإمام الحسين عليه السلام فوائد جلييلة أهمها:

الأولى: إيقاظ الأمة.

تحققت أول ثمرة للثورة الحسينية وهي يقظة ضمير الأمة، فأصبحت تُرجح المبادئ والقيم والآخرة على الدنيا وما فيها، ثم توالى الثورات متعددة ومتأثرة بثورته عليه السلام مما أدى أن يُغيّر الأمويون منهجهم المحارب للإسلام إلى إبراز أنفسهم كدعاة للإسلام كي لا يُقضى عليهم، وهذا التغيير في المسار أثر من الآثار المباركة لثورة الإمام عليه السلام.

الثانية: تغيير الخطة الأموية.

مرّ علينا في الكلمات التي صدرت ودونها التاريخ عن زعمائهم التشكيك في الشريعة الإسلامية وإذا كان حال خلفاء المسلمين وحكامهم آنذاك عدم الإيمان بالإسلام، كيف يؤمن عامة الناس بما لا يؤمن به القادة؟! غير أن المسار تغيرّ وسرعان ما أظهر كل حاكم من الأمويين بل وغيرهم أنه يحكم باسم الإسلام، ويسوس الناس من أجل مصلحة المسلمين، وهذا أثر عظيم تحقّق بالثورة الحسينية.

الإمام الحسين يستشرف المستقبل.

تبين كلمات الإمام الحسين عليه السلام التي أطلقها كقوله - «ألا ترون الحق لا يُعمل به، والباطل لا يُتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء الله، وإني لا أرى

الموت إلاّ سعادة والحياة مع الظالمين إلاّ برماً^(١) - أنه عليه السلام يستشرف المستقبل ويرى أنّ بقاء الحكم الأموي على ما هو عليه وتطبيقه لخططه المشؤومة لن يبقى للإسلام أثراً، فما كان منه عليه السلام إلاّ أن يثور ويقاوم الانحراف الذي سيقضي على أسس الإسلام، بحيث لا يبقى منه إلا ما كتبه التاريخ من أنّ هناك شريعة جاءت وآمن بها بعض الناس برهة زمنية محدودة ثم انقلبوا عنها. إفشال المخطط الأموي.

إذن يمكن أن نُعبر عن ثورة الإمام الحسين عليه السلام بأنها تغيير مسار، إذ الإمام عليه السلام دفع أعظم الضررين عن الإسلام، فهناك فرقٌ بين أن يخطط الأمويون للحصول على منافعهم من ناحية مادية لتوافر الأمور لهم وبين أن يخططوا للقضاء على الإسلام، والإمام عليه السلام ثار ليغير المسار الأول، وإن بقي الحكام يحصلون على مصالحهم المادية، فذلك لن يضر الشريعة وبقاء الإسلام، بل أنّ الدين وإن مرض على يد الأمويين إلاّ أنه سيشفى لأنّ مفاهيم الشريعة الإسلامية ستبقى راسخة باقية وإن لم تأخذ الفاعلية والحيوية في أذهان الأمة الإسلامية غير أنه سيتاح للمسلم الواعي لدوره الرسالي التعرف على الهدف من هذه الشريعة والغاية من خلق الإنسان، وسيصحح مساره، ولن يؤثر ذلك الحكم عليه، وإن أثر على بعض المفاهيم، إلاّ أنّ روح الرسالة

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ٤٤ ص ١٩٢.

لن تتأثر، بل ستبقى صالحة لكل الأجيال، وما أحدثه الأمويون من ركام زائف سيتلاشى ليصل الإنسان إلى الحقيقة، ويعي الفكر السليم الذي جسده الحسين وأصحابه عليهم السلام.

الإمام الحسين يواجه الطغيان الأموي.

إنَّ ثورته عليه السلام تجسيد عملي لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَبِغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَهُ، وَلَا يَحْسُونَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ (الأحزاب: ٣٩) فهو عليه السلام لم يخش الأمويين، الذين لم يبقوا لأحد كرامة ولا ذمة، بقتل واستئصال شأفة المعارضة، وأخذ البيعة من الصحابة والتابعين وشخصيات المجتمع ليكونوا عبيداً أرقاء ليزيد، ومن يخالف ذلك مصيره القتل، أي أن ثورة الإمام عليه السلام قلبت تخطيط الأمويين وجعلتهم يهتمون بمنافعهم ومصالحهم، وهذا ما عليه الحال إلى يوم الناس هذا، فمن يصل إلى الحكم لا يستطيع أن يعلن معارضته للإسلام، حتى وإن لم يكن مؤمناً به كدين، وأقصى ما يستطيع أن يحققه الحصول على منفعه الشخصية.

الأمويون وانتهاك القانون

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «حسين مني وأنا من حسين اللهم أحب من أحب حسيناً، حسين سبط من الأسباط»^(١).

(١) مدينة المعاجز للبحراني ج ٤ ص ١٥٥.

بقاء الدين بالحسين عليه السلام.

النصوص الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله في الإمام الحسين عليه السلام كثيرة ومتعددة، غير أنّ من أهمها، ما أوردناه، «حسين مني وأنا من حسين»، إذ يكشف فيه النبي صلى الله عليه وآله أنّ بقاء الرسالة وديمومة الدين واستمرار الإسلام يرتبط بالحسين عليه السلام «وأنا من حسين»، أي أنّ استمرار وجود النبي صلى الله عليه وآله وبقاء ذكره محموداً يرتبط بالشرعية المقدسة والإسلام، وبقاء الشريعة يرتبط بالقانون والقيم وتطبيق هذه الشريعة لم يكن يتأتى إلا بدفاع الحسين عليه السلام وذوده عن مبادئها وقيمها.

الإمام الحسين عليه السلام يشجب ممارسات الأمويين.

بيننا في البحث السابق التخطيط المدروس للأمويين للقضاء على الإسلام، وهناك مفردات متعددة وأعمال شنيعة مارسها الأمويون ضد مبادئ الشريعة السمحاء وأحكام الرسالة، ولم تكن هذه الممارسات خفية، بل كانت تمارس علناً وجهاً مما يُزيل حرمة الشريعة وقداسة القانون، وكان الحسين عليه السلام يندد بتلك الممارسات ولا يخاف في الله لومة لائم، لأنّ السكوت عن تلك الممارسات السيئة يؤدي إلى اضمحلال الشريعة وسقوط القانون الإسلامي أمام كل المسلمين.

الالتزام بالعهد بين الإمام الحسين عليه السلام ومعاوية.

من كتاب لإمامنا الحسين عليه السلام إلى معاوية يبين فيه عليه السلام أنه لا يريد الخروج

على معاوية، لوجود سبب رئيس أشرنا إليه، وهو وجود ميثاق بين الإمام الحسن عليه السلام ومعاوية، بأن ترجع الخلافة للإمام الحسن عليه السلام بعد هلاك معاوية وللإمام الحسين عليه السلام إن حدث للإمام الحسن عليه السلام سوء، فالخلافة ستؤول للحسين عليه السلام طبقاً لبند دستوري موقع عليه بين معاوية والإمام الحسن عليه السلام غير أن معاوية لا يراعي للعهود والمواثيق حرمة بل صرح مجاهرًا بأن كل عهد أعطاه فهو تحت قدمه.

حرمة القانون في نهج الإمام الحسين.

أبان الإمام الحسين عليه السلام في كتابه لمعاوية أن ما بلغك عني من الإعداد للخروج عليك لا تُصدقه، لوجود ميثاق وعهد، والأئمة من أهل البيت عليهم السلام لا ينتقضون الميثاق، وديدنهم إرادة المصلحة العامة للأمة الإسلامية، ويرجعون إبقاء حرمة القانون ومصلحة المسلمين لرقى وتكامل الإسلام، قال عليه السلام: «وأما ما ذكرت أنه انتهى إليك عني فإنه إن رجاه إليك الملاقون المشاءون بالنميم، وما أريد لك حرباً ولا عليك خلافاً، وأيم الله إني لخائف لله في ترك ذلك، وما أظن الله راضياً بترك ذلك، ولا عاذراً بدون الإعذار فيه إليك وفي أوليائك القاسطين الملاحدين، حزب الظلمة وأولياء الشيطان»^(١)، يبين الإمام عليه السلام أنه وبالرغم من وجود معاهدة إلا أنه خائف من الله تعالى في عدم القيام والثورة على حكم معاوية، وكأنه عليه السلام يشخص المشكلة في وقوعه بين محظورين:

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ٤٤ ص ٢١٢.

أحدهما: مراعاة القانون.

والآخر: الانتهاكات الصريحة لقيم الإسلام التي تُعرض المسلمين
للسخط الإلهي، ويصرح عليه السلام بأنّ حاشية معاوية الفاسدة، تمارس الدهاء
والخدِيعَة، وأنهم من حزب الظلمة وأولياء الشيطان.

الانتهاكات القانونية للمنهج الأموي.

ثم يعدد عليه السلام بعضاً من تلك الانتهاكات:

الأول: قتل حجر بن عدي ونقض العهد.

قال عليه السلام: «ألست القاتل حجراً أخا كندة والمصلين العابدين الذين كانوا
يُنكرون الظلم، ويستعظمون البدع ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ولا
يخافون في الله لومة لائم؟ ثم قتلتهم ظلماً وعدواناً من بعد ما كنت أعطيتهم
الأيام المغلظة والمواثيق المؤكدة»، حجّر ومن معه من العباد الأتقياء الورعين
كانوا يمارسون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ففضى عليهم معاوية، لأنه
يحارب المؤمنين المصلين الصديقين، وذلك قتل للنفوس المحرمة البريئة قام به
معاوية، رغم حرمة بنص الكتاب، وجزاؤه الخلود في النار، وهو محاربة لله
تعالى وانتهاك صارخ للقرآن الكريم بقتل طلائع الأمة والشخصيات اللامعة
المعروفة بالعبادة والنسك وتبيان الأحكام الشرعية، وكان يجاهر به معاوية،
ولا يعتد بقتل المخلصين الأتقياء الصالحين، الذين ينكرون الظلم،
ويستعظمون البدع ولا يخافون في الله لومة لائم، فقتلهم ظلماً وعدواناً، إنّ

قتل حجر ومن معه انتهاك لأكثر من قانون إلهي، إذ أنّ معاوية أعطاهم أيماناً مُغلظة، وأقسم بالله أن لا يناولهم سوء ولا يمسهم شر، ثم حنث بيمينه وخان بعهده، قال عليه السلام: «من بعد ما أعطيتهم الأيمان المغلظة والمواثيق المؤكدة لا تأخذهم بحدث كان بينك وبينهم»^(١)، أي، لا تمسهم بسوء غير أنّ معاوية قتلهم ونقض الأيمان المغلظة، وقوله عليه السلام: «لا تأخذهم بحدث كان بينك وبينهم جرأة على الله واستخفافاً بعهده»، يؤكد الإمام عليه السلام أنّ المواثيق والعهود كانت على معاوية مشددة في أن لا يتخذ ضدهم أي عقوبة على أساس حقد أو عداوة سابقة، لكنه لم يلتزم بذلك.

الثاني: قتل عمرو بن الحمق الخزاعي.

ويذكر عليه السلام انتهاكاً آخر لمعاوية، «أو لست قاتل عمرو بن الحمق، صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله، العبد الصالح الذي أبلته العبادة فأنحلت جسمه وصفرت لونه»، يبين الإمام عليه السلام لمعاوية أنّ الأمة كانت تُقدس الصالحين من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله لصحبتهم وصلاحتهم، وعمرو بن الحمق الخزاعي من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو عبد صالح، وصفه عليه السلام بأنه وصل إلى هذه

(١) أعيان الشيعة للأمين ج ١ ص ٥٨٣، (انا من بعد ما أعطيتهم الايمان المغلظة والمواثيق المؤكدة لا تأخذهم بحدث كان بينك وبينهم جرأة على الله واستخفافاً بعهده أو لست قاتل عمرو بن الحمق صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله العبد الصالح الذي أبلته العبادة فنحل جسمه واصفر لونه، فقتلته بعد ما أمنتته وأعطيته من اليهود ما لو فهمته العصم لنزلت من رؤوس الجبال أولست المدعي زياد بن سمية المولود على فراش عبيد من ثقيف فزعمت أنه ابن أبيك).

المرتبة لإيمانه والتزامه بأحكام الشريعة، وهو مشهور بنسكه وعبادته، حتى أبلت العبادة جسمه فأصبح نحيلاً، واصفراً لونه، لكن معاوية تعامل بالغدر مع الصالحين الذين يضيئون العتمة المدهمة في المسلمين، وأعطى لهذا الصحابي الأمان والعهود أن لا يمسه بسوء ثم غدر به وقتله، قال عليه السلام: «بعدما أمنت وأعطيت من العهود، ما لو فهمته العصم لنزلت من رؤوس الجبال»، أي أن الطير لو أُعطي هذه المواثيق وهو على جبل لنزل منه، لكونها مغلظة، ومع ذلك لا يرى معاوية قيمة للعهد ولا اعتباراً، استخفافاً به، وينتهك القانون على صعيدين:

الأول: قتل النفوس البريئة خصوصاً الصديقين الصالحين من الأمة.

الثاني: نقص العهود والمواثيق والأيمان المغلظة.

سر خلود الثورة الحسينية

انتهاك الأمويين المتكرر للقانون على أكثر من صعيد يعرفنا السر العظيم لثورة الإمام الحسين عليه السلام التي جعلت الإسلام باقياً وخالداً.

المنهج الأموي في مواجهة الإسلام والأمة

لا زال الكلام موصولاً حول انتهاكات الأمويين التي مثلت تحطيظاً مدروساً للقضاء على أسس الإسلام، وقد بين الإمام الحسين عليه السلام هذه الانتهاكات، وضرورة الوقوف في وجهها لئلا يتمادى الأمويون بعد ذلك ويُرغمون الناس على ترك الإسلام قسراً.

الانتهاكات القانونية للمنهج الأموي.

استعرضنا بعضاً من تلكم الانتهاكات في رسالة وجهها الإمام الحسين عليه السلام إلى معاوية، ونواصل ذكر هذه الانتهاكات:

أولاً: خرق الأحكام الشرعية.

من الانتهاكات التي ذكرها الإمام عليه السلام لمعاوية قوله: «أو لست المدعي زياد ابن سمية، المولود على فراش عبيد ثقيف فزعمت أنه ابن أبيك، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (الولد للفراش، وللعاهر الحجر)»^(١).

(١) بحار الأنوار - للمجلسي ج ٤٤ ص ٢١٣، من نص كتاب الامام الحسين لمعاوية: (أو لست المدعي زياد بن سمية المولود على فراش عبيد ثقيف، فزعمت أنه ابن أبيك، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله "الولد للفراش وللعاهر الحجر" فتركت سنة رسول الله تعمدًا وتبعته هواك بغير هدى من الله، ثم سلطته على العراقيين: يقطع أيدي المسلمين وأرجلهم، ويسمل أعينهم ويصلبهم على جذوع النخل، كأنك لست من هذه الأمة، وليسوا منك. أو لست صاحب الحضرميين الذين كتب فيهم ابن سمية أنهم كانوا على دين علي صلوات الله عليه فكتبت إليه أن: اقتل كل من كان على دين علي، فقتلهم ومثل بهم بأمرك، ودين علي عليه السلام والله الذي كان يضرب عليه أباك ويضربك، به جلست مجلسك الذي جلست، ولولا ذلك لكان شرفك وشرف أهلك الرحلتين. وقلت فيما قلت: "انظر لنفسك ولدينك ولأمة محمد، واتق شق عصا هذه الأمة وأن تردهم إلى فتنه" وإني لا أعلم فتنه أعظم على هذه الأمة من ولايتك عليها، ولا أعلم نظراً لنفسي ولديني ولأمة محمد صلى الله عليه وآله علينا أفضل من أن أجاهدك فان فعلت فإنه قرابة إلى الله، وإن تركته فإني أستغفر الله لذنبي، وأسأله توفيقه لإرشاد أمري. وقلت فيما قلت "إني إن أنكرتك تنكرني وإن أكذبتك تكذبنني" فكذبتني ما بدالك، فإني أرجو أن لا يضرنني كيدك في، وأن لا يكون على أحد أضر منه على نفسك، لأنك قد ركبت جهلك، وتحرصت على نقض عهدك، ولعمري ما وفيت بشرط، ولقد نقضت عهدك بقتلك هؤلاء نفر الذين قتلتهم بعد الصلح والأيمان والعهود والمواثيق، فقتلتهم

من القوانين التي ترجع إلى مسائل النكاح، نسبة الأبناء لأبائهم، ومن تلكم المسائل قضية زياد ابن أبيه، الذي لا يعرف أبوه، وقد اجتمع على زياد عدّة من الرجال، كلٌّ يدعي أنه ابن له، ولذلك سمي زياد ابن أبيه، لكونه مجهول الأب، لادعاء أكثر من شخص بأنه هو الذي وطأ أمه فأولدها بزياد، أي أن أمه زانية في الاصطلاح الشرعي، غير أن معاوية بعد أن استتب له الأمر، كان في حاجة إلى شخصية تتمتع بمهارات قيادية كبيرة، وقد توافرت هذه المواصفات في زياد بن أبيه، غير أن مشكلته في نسبه المجهول، وكان العرب ولا زال ديدنهم الافتخار بالنسب إلى يوم الناس هذا، وإن خف ذلك، غير أن أبناء الزنا رتبهم أقل في المجتمعات، ومع كون زياد يتمتع ببعض المواهب إلا أنه يريد أن يثبت أن أباه أبو سفيان والد معاوية، على حساب انتهاك قانون شرعي في باب النكاح، في أن الولد ينسب لأبيه الذي ولدته أمه على فراشه، ولا ينسب لغيره.

من غير أن يكونوا قاتلوا وقتلوا ولم تفعل ذلك بهم إلا لذكرهم فضلنا، وتعظيمهم حقنا، فقتلتهم مخافة أمر لعلك لو لم تقتلهم مت قبل أن يفعلوا أو ماتوا قبل أن يدرکوا. فأبشر يا معاوية بالقصاص، واستيقن بالحساب، واعلم أن الله تعالى كتابا لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، وليس الله بناس لأخذك بالظنة، وقتلك أولياءه على التهم، ونفيك أولياءه من دورهم إلى دار الغربة، وأخذك الناس ببيعة ابنك غلام حدث: يشرب الخمر، ويلعب بالكلاب لا أعلمك إلا وقد خسرت نفسك وبترت دينك وغششت رعيتك وأخزيت أمانتك وسمعت مقالة السفية الجاهل وأخفت الورع التقي لأجلهم والسلام).

حقيقة نسب زياد.

وُلد زياد بن أبيه على فراش عُبيد ثقيف كما قال الإمام الحسين عليه السلام، غير أنَّ معاوية - لما رآه يتمتع بقدرات قيادية وليس لديه ضمير بل عنده استعداد لانتهاك الحرمات، لنقص نسبه - ألحقه به، ورأى فيه غنيمة باردة، فأدعى أنه أخوه، وبعد ادعاء الأخوة انضم إلى جنبه، ونفذ له كل ما يريد، وأصبح آله طيِّعة في تحقيق ما يريده معاوية، ومارس البطش والقتل والأخذ على الظنة والتهمة، بمجرد أن يظن في شخص أنه يوالي علياً وأهل البيت عليهم السلام يقتله، فضلاً عما إذا كانت هناك أدلة على موالاته أهل البيت عليهم السلام فيؤخذ بجريته بنحو أعظم وأكبر.

ثانياً: ترك سنة النبي صلى الله عليه وآله.

قال الإمام الحسين عليه السلام لمعاوية: «فتركت سنة رسول الله صلى الله عليه وآله تعمداً واتبعت هواك بغير هُدى من الله، ثم سلطته على العراقيين»، يقصد من العراقيين تأميره على البصرة والكوفة، باعتبارهما أهم مدينتين في العراق أبان تلك الفترة، وكان تعامل زياد مع المسلمين بطريقة وحشية عبّر عنها الإمام الحسين عليه السلام بقوله: «يقطع أيدي المسلمين وأرجلهم ويُسمِل أعينهم»، بطش زياد بالمسلمين من أجل بقاء حكومة ديكتاتورية من الطراز الأول، وإن حاول بعض أن يصف معاوية بأنه حليم، إلا أن هذا ليس بحلم، حتى لدى من عاصر معاوية، فعندما قيل للحسن البصري بأن معاوية حليم، قال وهل أعمد سيفه فترة من الزمان

حتى يتمتع بالحلم، أي أن معاوية لا يقتل بنفسه، لديه أعوان في مملكته يبارسون أفضع الجرائم والانتهاكات في حق الإنسان، هكذا كان معاوية الذي يُدعى حلمه، فممارسات ولاته كزياد كانت في غاية البشاعة، «ثم سلطته على العراقيين يقطع أيدي المسلمين وأرجلهم ويُسمل أعينهم ويصلبهم على جذوع النخل كأنك لست من هذه الأمة وليسوا منك»، يبين الإمام عليه السلام أن من يفعل ذلك ليس هو من أبناء هذه الأمة وليست الأمة منه.

ثالثاً: قتل الموالين للإمام علي عليه السلام.

وقال عليه السلام: «أولست صاحب الحضرميين - مسلم بن زيمر وعبد الله بن نجى - الذين كتب فيهم ابن سمية أنهم كانوا على دين علي، فكتبت إليه أن اقتل من كان على دين علي، فقتلتهم ومثّل بهم بأمرك، ودين علي - والله - الذي كان يضرب عليه أباك ويضربك»، يوضح عليه السلام إحدى الجرائم التي ارتكبتها معاوية حيث أرسل له زياد في الرجال الذين لديهم ولاء عميق لعلي عليه السلام، والولاء لعلي عليه السلام فرض في القرآن الكريم ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ (الشورى: ٢٣)، ومن الطبيعي أن يكون المسلم موالياً لعلي وآل علي، غير أن من يمثل القرآن في حب الإمام علي عليه السلام يتعرض للانتهاك، وعندما كتب زياد لمعاوية في شأن من كان على دين الإمام علي عليه السلام، أمره بقتلهم من دون مراجعته، ولم يكتف بالقتل بل، «مثّل بهم بأمرك»، لكونهم على دين الإمام عليه السلام «الذي كان يضرب عليه أباك ويضربك»، ولولا الإمام علي عليه السلام وقتاله لما

جلست مجلسك الذي جلست عليه، «وبه جلست مجلسك الذي جلست فيه، ولولا ذلك لكان شرفك وشرف أبيك الرحلتين»، أي، أقصى ما كان لدى العرب قبل مجيء النبي ص وجهاد المجاهدين وأبرزهم أمير المؤمنين عليه السلام، لكان أشرف ما لدى العرب رحلة الشتاء والصيف، ﴿لَا يَلْفُ قُرَيْشٍ ۝١﴾ إِيَّاهُمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴿١﴾ (قريش: ١-٢)، كان شرف العرب وتقديمهم الاقتصادي رحلة الشتاء والصيف فحسب، وكان دين المصطفى صلى الله عليه وآله ودين علي عليه السلام وجهاد البررة هو الذي أعطى الشرف للعرب جميعاً بما فيهم معاوية.

رابعاً: نقض المواثيق.

ويواصل الإمام عليه السلام قائلاً: «ولقد نقضت عهدك بقتلك هؤلاء النفر الذين قتلتهم بعد الصلح والأيمان والعهود والمواثيق، فقتلتهم من غير أن يكونوا قاتلوا وقتلوا ولم تفعل ذلك بهم إلا لذكرهم فضلنا»، القتل هنا ليس لشخص قاتل ثم قُتل وليس بينك وبينهم حرب، بل قتلهم خدعة وانتهاكاً للمواثيق، يؤكد الإمام عليه السلام على المخطط الأموي في استئصال من يسير على جادة الصواب ويوالي أهل البيت عليهم السلام، «ولم تفعل ذلك بهم إلا لذكرهم فضلنا وتعظيمهم حقنا»، هؤلاء كانوا من الموالين العمليين، أي، أن ولاءهم ليس عاطفياً، بل يظهرون ولاءهم لأهل البيت عليهم السلام بنحو عملي، ويبين عليه السلام لمعاوية أن كل الجرائم والانتهاكات التي قام بها كانت للحفاظ على ملكه، وكان بإمكانه أن يحافظ على سلطانه دون هذه الجرائم، إذ أن هناك حكومات استتب

لها الأمر دون أن تقترف جرائم وانتهاكات، فهل مجرد أن هؤلاء أظهروا الولاء بنحو عملي لأهل البيت عليهم السلام ومارسوا الإعلام بنحو ظاهر يستحقون الإبادة والاستئصال؟! مع أن الأمة الإسلامية أمرت بولاء أهل البيت عليهم السلام، «قتلتهم مخافة أمر لعلك لو لم تقتلهم مت قبل أن يفعلوا أو ماتوا قبل أن يُدركوا»، أي، كان بإمكانك أن تستمر في ملكك إلى أن ينتهي بك الأجل دون أن يتأتى لهم أن يصلوا إلى الملك، أو ماتوا قبل أن يصلوا إلى الحكم.

نتيجة انتهاكات معاوية.

ثم قال عليه السلام: «فابشر يا معاوية بالقصاص واستيقن بالحساب، واعلم أن الله تعالى كتاباً لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، وليس الله بناسٍ لأخذك بالظنة وقتلك أولياء الله على التهمة»، هذه الانتهاكات - التي مارسها معاوية وأعدائه كالمغيرة بن شعبة وزيد بن أبيه - لن ينساها الله تعالى وينظرهم العذاب جميعاً.

خامساً: تهجير من يتولى الإمام علي.

قال عليه السلام: «ونفيك أوليائه من دورهم إلى دار الغربة»، من الأمور التي مُورست تجاه من يوالي أهل البيت عليهم السلام التهجير إلى أماكن أخرى لا توالي أهل البيت عليهم السلام، أي مارس معاوية عملية تغيير ديمغرافي بالتغيير في التركيبة السكانية من وجود أكثرية توالي أهل البيت عليهم السلام في بعض الأماكن إلى أن يكونوا أقلية.

النظريات الإسلامية في الحكم.

ثم قال عليه السلام: «وأخذك الناس ببيعة ابنك غلام حدثٍ»، وهذه نهاية المطاف حيث الطامة الكبرى باستخلاف يزيد، وهنا نُذكر بالنظريتين المختلفتين للحكم في الإسلام، نظرية البيعة التي يؤمن بها العامة، ونظرية النص التي يؤمن بها أتباع أهل البيت عليهم السلام، نظرية النص هي نظريتنا الواضحة التي تقول: إنَّ النبي صلى الله عليه وآله نص على الأئمة من أهل البيت عليهم السلام إلى الإمام المهدي عليه السلام، أما نظرية البيعة فتدعي أنَّ الأمة تُركت هملاً، ولم ينص النبي صلى الله عليه وآله على خليفة من بعده، وبالتالي، لا بد لأهل الحل والعقد من الأمة أن يبايعوا شخصاً يرونه كفوّاً، ثم يصبح خليفةً على المسلمين.

معاوية يخالف الأمة في الاستخلاف.

عندما نتأمل بيعة معاوية ليزيد نجدها قد خرقت كلتا النظريتين، فلا نص عليه ولا على ابنه يزيد، ولم يتفق أهل الحل والعقد على مبايعة يزيد، بل جميع الأمة حتى كبار شخصيات الأمويين لا تريده.

أسباب عدم صلاحية يزيد للخلافة.

يمثل يزيد مسألة غاية في الخطورة، حتى للأمويين، الذين يمثلون حزباً، يقوم على أساس برغماتي، أي، أنَّ هدفه الأساس الحفاظ على مصالحه بأي وسيلة من الوسائل، لذا، نجد مروان بن الحكم يعترض على معاوية اعتراضاً

شديداً لاستخلاف يزيد، ويبيّن أنّ الناس لا يرضون به من ناحية، لأنه يُشكل خطورة كبيرة على إنجازات الأمويين التي تحققت ضد الإسلام من ناحية أخرى، هذا رأي لأحد كبار الأمويين، ويظهر منه أنّ شخصية يزيد لم تكن خافية على الناس لأنه كان متجاهراً بمخالفة أحكام الإسلام على مرأى ومسمع من المسلمين، ويصرح بعدم إيمانه بالإسلام، ويعتبره لا قيمة له، فقد تمثّل بقول الشاعر:

لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل^(١)

السلوك العملي ليزيد.

قال عليه السلام: «وأخذك الناس ببيعة غلام حدث، يشرب الخمر ويلعب بالكلاب»، كان يزيد في أوائل عمره، لا يمتلك تجربة ولا نضجاً، بل يشرب الخمر، ويلعب بالكلاب، شاب مستهتر بجميع القيم الإسلامية والأخلاقية. عواقب استخلاف يزيد.

ويواصل الإمام عليه السلام حديثه عن انتهاكات معاوية ليصل إلى تعداد العواقب الوخيمة لاستخلاف يزيد وهي:

الأول: خسران الدين.

قال عليه السلام: «لا أعلمك إلا وقد خسرت نفسك وبترت دينك»، الخسارة

(١) مدينة المعاجز للبحراني ج ٤ ص ١٤٠.

الكبرى لمعاوية هي قطع الانتماء إلى الدين الإسلامي، وبترا ما يمت بينه وبين الإسلام بصلة.

الثاني: غش الناس.

قال عليه السلام: «وغششت رعيتك»، أي، جعلت الرعية يعيشون في تيه وضلالة.

الثالث: خيانة الأمانة.

قال عليه السلام: «وأخربت أمانتك»، الحكم أمانة لدى الحاكم، لا بد أن يُسلمه لمن يحمل مؤهلات خاصة، وما قام به معاوية خيانة للأمانة إذ سلمها لمن لا يستحقها.

الرابع: استشارة السفهاء.

قال عليه السلام: «وسمعت السفيه الجاهل»، الخطأ الفادح هو استشارة غير المخلصين والمتملقين، كالمغيرة بن شعبة، الذي يتزلف لمعاوية، كي يُبقيه والياً على الكوفة، وقد أشار المغيرة باستخلاف يزيد، ومع أنّ معاوية لم يكن مرتاحاً من المغيرة إلا أنّ مشورته اتفقت مع ما يريد ويطمح إليه.

الخامس: إخافة الناس.

قال عليه السلام: «وأخفت الورع التقى لأجلهم»، يبلور الإمام عليه السلام تعامل الأمويين في إخافة الناس وإرعابهم لأجل تحقيق مقاصدهم.

نتائج الثورة الحسينية.

إذن رسخت ثورة الإمام الحسين عليه السلام مبادئ الإسلام وأصبح كما ذكر الحديث، «حسين مني وأنا من حسين»^(١)، أي، أنّ خلود النبي صلّى الله عليه وآله وخلود الرسالة بثورة الإمام الحسين عليه السلام، وهناك انتهاكات أخر للأمويين غير أننا أوردنا بعض الانتهاكات التي وردت في رسالة الإمام الحسين عليه السلام لمعاوية، لأنّ النص يُذكر المؤمنين والشرفاء بقضية الصراع بين المبادئ والقيم وبين البعد عن الحق.

(١) مدينة المعاجز للبحراني ج ٤ ص ١٥٥.

الفصل الرابع

أثر الثورة الحسينية في حركة التاريخ

رجال الثورة الحسينية وصنع التاريخ

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ أَمُوتَ الَّذِي تَفْرُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَقِيكُمْ بِطَرَفِ تُرْدُونَ إِلَىٰ عِلْوِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (الجمعة: ٨) صدق الله العلي العظيم.

دروس من الثورة الحسينية.

في الثورة الحسينية دروس متعددة من أهمها اليقين العملي بالموت بأن يصبح المرء لا يخشى الموت، بل على استعداد أن يموت في أي لحظة في سبيل مبدئه.

إنّ مواجهة الموت مسألة أساسية يترتب عليها كثير من الآثار، ذلك أنّ الهزائم في التاريخ والمصائب ترتب بعضها نتيجة الخوف من الموت، فخوف الموت والتهديد به سبباً لتراجع بعض الناس عن مبادئهم.

مواقف الناس تجاه الموت.

واجه الحسين عليه السلام الخانعين الذين يرهبون الموت والبواسل الشجعان الذين لديهم استعداد أن يقدموا حياتهم قرابين في سبيل الله تعالى، وواجه المترددين في مواجهة الموت وبعض من لديه استعداد أن يموت إذا كان النصر في المعركة مع الحق، وكان الإمام عليه السلام يقف مع كل أنموذج بنفسه، ليعطي دروساً للتأريخ والإنسانية ولمن يقف معه، ولذا، يمكن أن نقسم الناس في موقفهم تجاه الموت إلى ثلاث طوائف:

الأولى: من لديه الاستعداد للتضحية.

طائفة لا تخشى الموت، بل لديها استعداد أن تضحي بنفسها ومالها في سبيل الله تعالى في كل لحظة غير أنها قد تنتهز الفرص ليكون لموتها أثر، وهناك من لا يفهم مقتضيات الحكمة رغم استعداده للموت، فقد يموت دون أن يكون لموته أثر، أما من يستشرف المستقبل ويقرأ الواقع ويعي الأحداث، فهو بالإضافة إلى استعداده للموت في كل لحظة وأن يتربح الفرص ليري الوقت المناسب، وهذا ما ينطبق على الحسين عليه السلام، الذي كان بإمكانه أن يثار في زمن معاوية إلا أنه يعلم أن آثار الثورة في زمن معاوية لن تكون بالمستوى المطلوب، أما بعده فآثارها سيكون لها المدى الأوسع والأفق الأبعد والتأثير الأكبر، ولذلك أرجأ الإمام عليه السلام ثورته لما بعد موت معاوية، ويعود السبب في ذلك إلى اقتناص الفرصة والتلاؤم الزمني لثورته عليه السلام فيما بعد معاوية، فهي أفضل بكثير من الثورة في حياته.

صُنَاعُ التاريخ.

من يضحى ويقتنص الوقت المناسب يصنع التاريخ، ويُغير المعادلات، والحسين عليه السلام الأنموذج الخالد، فهو مع الشهداء الأفاضل الذين معه ومن سار في ركاب الأنبياء والرسل وكان من أصحاب المبادئ فقد أسهم في تغيير التاريخ، هذه النماذج تقدّم أنفسها في سبيل مبادئها ولا تتردد لحظة واحدة - مع اتصافها بالحكمة - باقتناص الوقت والظرف المناسبين للشهادة، أما من يُقدم نفسه دون فهم لمقتضيات الحكمة فإنّ استشهاده وإن كان مفيداً غير أنه ليس له الأثر المقطعي، بل أثر محدود، ولا بد هنا من الإشارة إلى سمة هي أنّ هذا الصنف يشترى الموت ويدافع بضرّاة في سبيل أن يموت موتاً مُغيّراً، هذا الأنموذج هو الذي يغير الحضارات والتاريخ والمعادلات، والإمام الحسين عليه السلام ومن استشهد معه هم المصداق الأعظم له.

الثانية: من ليس لديه استعداد للتضحية.

عكس الطائفة الأولى من يَنشُدُّ إلى الأرض كما عبر القرآن الكريم: ﴿وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوْنَهُ﴾ (الأعراف: ١٧٦)، فإنّهم يصنعون الهزائم ويُغيرون التاريخ إلى الوراء بمعادلة القهقري، ومن أبرز نماذج ذلك عمر بن سعد، فقد وقف الحسين عليه السلام شخصياً مع هذا الأنموذج وأراد أن يبين للناس كيف أنّ هذا الصنف لا يمكن أن يتغير، قال له الإمام الحسين عليه السلام: يا بن سعد أتقاتلني أما تتقي الله، الذي إليه مُعادك، فأنا ابن من قد علمت، ألا تكون

معني وتدع هؤلاء فإنه أقرب إلى الله تعالى، فأجابه ابن سعد: أخاف أن تهدم داري، فقال الحسين عليه السلام: أنا أبنيتها لك، فقال ابن سعد: أخاف أن تؤخذ ضيعتي، فقال الحسين عليه السلام: أنا أخلف عليك خيراً منها من مالي بالحجاز، فقال ابن سعد: لي بالكوفة عيال وأخاف عليهم من ابن زياد القتل، فالإمام عليه السلام عرض على ابن سعد الكون معه ليربح الدنيا والآخرة غير أنه رفض ذلك وتعلل بأسباب شدته إلى الأرض وأبعدته عن الله تعالى وسلبته إنسانيته.

إن قول الإمام عليه السلام: «أتريد أن تقتلني...»^(١) هو عرض عليه كي يربح الدنيا والآخرة مع أي شخصياً لا أعلم تفسير ربح الدنيا إلا أنني أشير إلى احتمال، لعل الإمام عليه السلام يشير إليه هو أن ربح الدنيا بالذكر الحسن، لأنه لا ربح دنيوي في كربلاء، والربح أخروي كله، غير أن الإمام عليه السلام يعرض معادلة إلهية لأن عمر بن سعد وإن انضم إلى أصحاب الحسين عليه السلام فسيبدل بغيره قائداً للجيش بدلاً عنه، والذكر الحسن الذي أشرنا إليه هو ربح للإنسان، والإمام الحسين عليه السلام عرض ذلك غير أنه وجد أن عمر بن سعد شخصية بعيدة كل البعد عن قيم السماء ومنشدة كل الانشداد إلى الأرض، وقوله (أخاف على داري أن تهدم، وأخاف على أموالي أن تؤخذ، وأخاف على أهلي أن يقتلوا) ذرائع من أجل نيل إمارة الري والإمام عليه السلام أراد أن يسجل درساً عملياً بأن

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ٤٤ ص ٣٨٩: انصرف عنه الحسين عليه السلام، وهو يقول: (مالك ذبحك الله على فراشك عاجلاً ولا غفر لك يوم حشرك، فوالله إني لأرجو أن لا تأكل من بر العراق إلا يسيراً).

هذه الفئة من الناس لا يفيد معها ما يقدم لها من عطاء لأنّ الخوف يملأ كل وجدانها النفساني، فلا بارقة لتتحول هذه النفوس المريضة إلى الخير، غير أنّه ﷺ رسم الملامح العامة والمعالن الكبيرة ليتاح للإنسان فيما بعد أن يقف على ما يريد أن يوضحه الإمام ﷺ للأجيال، ذلك أنّ الإنسان قد يصل إلى هذا المستوى من الانشداد إلى الأرض فيفرط بكل القيم والخيرات فلا يكون لديه استعداد لعمل الخير وقد تركه الإمام ﷺ وقبح عمله بل لعنه ﷺ ودعا عليه، فأصبح مطروداً عن رحمة الله تعالى.

الثالثة: من له استعداد للتضحية مع المصلحة.

هناك من تتوافر فيه بعض سمات الخير ولديه استعداد لنصرة الحق إذا رأى أنّ النصر معه أما إذا رأى أنّ الغلبة للباطل ترك الحق لعدم وجود قيم تدعوه إلى نصرة الحق والوقوف معه، غير أنه لا ينبغي الوقوف على حياد إذا غلب الباطل، بل لابد من نصرة الحق، لأنّ الواقع لا يتغير إلا بالوقوف مع الحق، ولا ينبغي لصاحب المبدأ إلا أن يقف معه، لأنّ غلبة الباطل لا تعني اندثار الحق والغلبة الهادية ليست هي المقياس، والحسين ﷺ وأصحابه قضي عليهم، وقتلوا لأنهم انتصروا لقيم العدل والحق والفضيلة، والمسألة لا ترجع إلى معادلات عالم المادة فحسب، بل إلى مبادئ قيمية غير قابلة إلى الأقول والزوال، لقد وقف الحسين ﷺ مع هذا الأنموذج، وأراد أن يعلم الناس ما ينبغي أن يفعلوه، وهو مع علمه بمصرعه من جده المصطفى ﷺ كما صرح

بذلك بقوله: «وكأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء»^(١)، غير أنه دعا الناس إلى نصرته، وكان ممن دعاه إلى نصرته عبيد الله ابن الحر الجعفي، رجل شجاع، محب لنصرة الحق، بشرط أن تكون الغلبة مع الحق، عندئذ لديه استعداد أن ينصره، أما إذا كان الحق مرجوحاً سيُغلب فليس لديه استعداد لنصرته، بل يريد أن يتعد ليحظى بالسلامة على نفسه، هذه معادلة خاطئة، إذ لا بد أن يقف الإنسان مع الحق مهما كلفته الظروف، لأن المسألة مسألة تأريخ وقيم وموازين غير قابلة للأفول والتغير، دعا الإمام الحسين عليه السلام عبيد الله بن الحر الجعفي وكان قد وقف في مكان وقف فيه الحسين عليه السلام فأرسل إليه الإمام عليه السلام رسولاً، فقال عبيد الله للرسول: ما ورائك؟ فقال: ورائي والله يا بن الحر الخير إن الله تعالى قد أهدى إليك كرامة عظيمة إن قبلتها، فقال عبيد الله: ما ذاك؟ قال الرسول: هذا الحسين بن علي يدعوك إلى نصرته فإن قاتلت بين يديه أُجرت وإن قُتلت استشهدت، فقال عبيد الله: والله ما خرجت من الكوفة إلا مخافة أن يدخلها الحسين وأنا فيها لا أنصره فإنه ليس له شيعة ولا أنصار إلا مالوا إلى الدنيا وزخرفها إلا من عصم الله منهم فارجع إليه وأخبره بذلك، فجاء الرسول إلى الحسين عليه السلام وأخبره، فقام الحسين عليه السلام بنفسه وأجرى معه حواراً، طلب منه نصرته والجهاد في سبيل الله معه، فقال عبيد الله: يا بن رسول الله لو كان في الكوفة لك شيعة وأنصار

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ٤٤ ص ٣٦٧.

يقاتلون معك لكنت أنا من أشدهم على عدوك، لكن يا بن رسول الله رأيت شيعتك في الكوفة قد لزموا منازلهم خوفاً من سيوف بني أمية فأنشدك الله يا بن رسول الله أن تطلب مني غير هذه المنزلة وأنا أواسيك بما أقدر عليه، خذ إليك فرسي هذه فوالله إني ما طلبت عليها شيئاً قط إلا وقد لحقته ولا طلبت قط وأنا عليها فأدركت، وخذ سيفي هذا فوالله ما ضربت به شيئاً إلا أذقته حياض الموت، قال له الحسين عليه السلام: يا بن الحر إننا لم نأتك لفرسك وسيفك إنما أتيناك نسألك النصرة فإن كنت قد بخلت علينا بنفسك فلا حاجة لنا بشيء من مالك، وما كنت متخذ المضلين عضداً، ولكن فر، فلا لنا ولا علينا فإنه من سمع واعيتنا أهل البيت ثم لم يجبنا، كبه الله على وجهه في نار جهنم^(١)، ونلاحظ في الحوار أن معظم أهل الكوفة أصبحت قلوبهم مع الحسين عليه السلام يتمنون نصرته، وسيوفهم بالترغيب والترهيب ضده عليه السلام، ليس لديهم استعداد لنصرته، إلا أنهم مع الناس الذين يعيشون الحسرة والألم فيما بعد عندما يتجلى

(١) بحار الأنوار ج ٤٤ ص ٣١٥: ثم سار الحسين حتى نزل الققطقانة فنظر إلى فسطاط مضروب فقال: لمن هذا الفسطاط؟ فقيل: لعبد الله بن الحر الحنفي فأرسل إليه الحسين عليه السلام فقال: أيها الرجل إنك مذنب خاطئ وإن الله عز وجل آخذك بما أنت صانع إن لم تتب إلى الله تبارك وتعالى في ساعتك هذه فنصرتي، ويكون جدي شفيعك بين يدي الله تبارك وتعالى. فقال: يا ابن رسول الله والله لو نصرتك لكنت أول مقتول بين يديك، ولكن هذا فرسي خذه إليك فوالله ما ركبت قط وأنا أروم شيئاً إلا بلغته، ولا أراذني أحد إلا نجوت عليه، فدونك فخذ! فأعرض عنه الحسين عليه السلام بوجهه ثم قال: لا حاجة لنا فيك ولا في فرسك، وما كنت متخذ المضلين عضداً، ولكن فر، فلا لنا ولا علينا فإنه من سمع واعيتنا أهل البيت ثم لم يجبنا، كبه الله على وجهه في نار جهنم.

لهم الواقع لضميرهم الحي الذي يريد الخير إلا أنه لا يعمل له، وقد ردّ الحسين عليه السلام عليه بحديث عن جده صلى الله عليه وآله قال: «من سمع بواعية أهل بيتي ثم لم ينصرهم على حقهم كبه الله على وجهه في نار جهنم»، وأراد الإمام الحسين عليه السلام أن ينبهه لتقرير مصيره الواضح البين، فهل يريد أموالاً أم سلامة؟ ثم أبان الإمام عليه السلام أنه لا حاجة له بالمال ولا السلاح وحاجته للإنسان الذي يصنع التاريخ ويغير الواقع وعندما أدرك عبيد الله الجعفي فيما بعد أن ثورة الإمام الحسين عليه السلام فريدة من نوعها تغير معادلات التاريخ، ندم على ذلك، ولات حين مندم.

وقفة مع كهول أنصار الطف.

إن أصحاب الخلود الذين غيروا التاريخ وصنعوا الحضارة المعنوية للبشرية، يشتركون الموت بأنفسهم، والموت لا يأتي إليهم وإنما يذهبون إليه وقد كان أصحاب الحسين عليه السلام كما ورد في كلماتهم يفصحون عن هذا المعنى فهذا زهير بن القين مع أنه عثماني الهوى، أي أنه مع الأمويين، إلا أنه عندما رأى الحق غير مسلّكه، وقال زهير بن القين عندما سمع خطبة الإمام الحسين عليه السلام: سمعنا يا بن رسول الله مقاتلك ولو كانت الدنيا لنا باقية وكنا فيها مخلصين لأنثنا النهوض معك على الإقامة فيها، وقال أيضاً: والله وددت أني قتلت ثم نشرت حتى أقتل كذا ألف مرة وأن الله عز وجل يدفع ذلك القتل عن نفسك وعن أنفس هؤلاء الفتية من أهل بيتك.

وهذا حبيب بن مظاهر الأسدي شيخ طاعن في السن، وله عذر إذا أراد أن يعتذر غير أن لديه استعداد أن يقدم نفسه قرباناً في سبيل الله تعالى رغم تقدم عمره، فروحه شابة، وقد كان من قُراء القرآن العلماء ومن العباد النُساك حيث قال في محاورته مع مسلم بن عوسجة: لولا أني أعلم أني في أثرك لاحق بك من ساعتني هذه لأحبيت أن توصيني بكل ما أهمك فلما أوصاه بأن يموت دون الحسين، قال أفعل ورب الكعبة. (١)

وقفة مع شباب أنصار الطف.

الصنف الآخر هم الشباب الذين يعيشون غضاضة الحياة ولم يستمتعوا بكثير من ملذاتها ولهم توفيق للبقاء طويلاً غير أن بعضهم أدرك المعادلة في سني عمره المبكرة، وعرف أن الحياة قيم ومثل ومبادئ توصل إلى الحق وليست مأكلاً ومشرباً وملذات فحسب، لأن المرء مهما تمتع بالحياة فإن مصيره الموت ﴿قُلْ إِنْ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلْقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلِّيِّ الْعَالِيِّ وَالشَّهَادَةِ فَيُنشِئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (الجمعة: ٨)، إن الشاب الذي أدرك معادلة الحياة وفكر في عاقبتها يقرر مصيره بسرعة فهذا عمرو بن جنادة الأنصاري

(١) تاريخ الطبري للطبري ج ٤ ص ٣٣١: ودنا منه حبيب ابن مظاهر فقال عز على مصرعك يا مسلم أبشر بالجنة فقال له مسلم قولا ضعيفا بشرك الله بخير فقال له حبيب لولا أني أعلم أني في أثرك لاحق بك من ساعتني هذه لأحبيت أن توصيني بكل ما أهمك حتى أحفظك في كل ذلك بما أنت أهل له في القرابة والدين قال بل أنا أوصيك بهذا رحمك الله وأهوى بيده إلى الحسين أنتموت دونه قال أفعل ورب الكعبة.

رغم صغر سنه إلا أنه قال مخاطباً للحسين عليه السلام: إنَّ أُمِّي أمرتني بالجهاد دونك، ليبرز للحسين عليه السلام اندكك العاطفة مع الواجب في الذود عن قيم الرسالة.

موقف الإمام الحسين تجاه أصحابه.

وقف الإمام الحسين عليه السلام مع هذه النماذج والأصناف المتعددة كل على حدة وأعطاه وسام شرف مع ألمه البالغ عليهم حتى أنه قال عندما فقد الأكبر: «وعلى الدنيا بعدك العفا»^(١)، وقال عليه السلام في أنصاره: «إني لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي ولا أهل بيت أبر من أهل بيتي»^(٢).

الحسين تجسيد اليقين بالموت

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (الجمعة: ٨). صدق الله العلي العظيم.

نظرة الناس للموت.

استعرضنا نماذج متعددة لملاقاة الموت والانتقال إلى عالم الآخرة، واتضح أنَّ الناس في ملاقاته على ثلاثة أقسام:

الأول: من أخلد إلى الأرض واتبع هواه فيريد أن يهرب منه، وأن يمكث

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ٤٥ ص ٤٤.

(٢) بحار الأنوار للمجلسي ج ٤٤ ص ٣٩٢.

في الحياة طويلاً.

الثاني: عكسه من يشتري الموت ويسعى إليه من أجل مرضاة الله تعالى.

الثالث: المتردد الذي لا يعرف كيف يشخص موقفه.

وبينا أن الذين يغيرون التاريخ ومعادلاته هم أصحاب القسم الثاني

الذين يشترون الموت ويتوقون إليه لمرضاة الله تعالى.

اليقين العملي بالموت.

من أهم ما يتعلق بالموت اليقين العملي به، وقد أعطى الحسين عليه السلام دروساً عظيمة في تبيان اليقين العملي بالموت، الموت بدهي من الناحية النظرية إلا أنه من الناحية العملية من الصعوبة بمكان، والقرآن الكريم والروايات يفصحان عن أن ملاقات الموت أمر حتمي شاء الإنسان أم أبي فلا مفر له منه، وأن الحياة الدنيا وما يجري فيها من امتحان للإنسان بالسراء والضراء والشدة والرخاء من أجل أن يصل إلى ما قدر له، قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلُوكُم بِالْأَشْرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ (الأنبياء: ٣٥)، ومفاد الآية واضح لا يحتاج إلى إيضاح.

الموقف العملي للإنسان من الموت.

إن ما يمر على الإنسان من خير أو سوء لامتحانه، غير أنه يعيش شكاً واقعياً بالموت رغم يقينه به، بل يريد أن يطرده عنه بوهمه رغم علمه بأنه حقيقة لا مفر منها وقد بين ذلك الأئمة من أهل البيت عليهم السلام، قال الإمام الصادق عليه السلام: «لم يخلق الله عز وجل يقيناً لا شك فيه أشبه بشك لا يقين فيه من

الموت»^(١)، أي أن حقيقة الموت مخلوقة وتمثل يقيناً واقعاً للإنسان غير أنه يعيش مع هذا اليقين كالشك عملاً رغم علمه أنه سينتقل من هذه الدار إلى دار أخرى، يحاسب فيها على ما قام به وما قدّم وأخرّ، وقد ورد هذا المعنى الآنف عن علي عليه السلام أيضاً قال: «ما رأيت إيماناً مع يقين أشبه منه بشك على هذا الإنسان إنه كل يوم يُودع إلى القبور ويشيع وإلى غرور الدنيا يرجع وعن الشهوة والذنوب لا يقلع. فلو لم يكن لابن آدم المسكين ذنب يتوكفه ولا حساب يوقف عليه إلا موت يبدد شمله ويفرق جمعه ويؤتم ولده لكان ينبغي له أن يحاذر ما هو فيه بأشدّ النصب والتعب»^(٢)، كل يؤمن بملاقة الموت إلا أنه في شكٍ منه ويتعامل معه بشكّه، إذ الإنسان في كل يوم يودع أناساً إلى القبور ويرى الجنائز التي يُذهب بها إلى المقابر إلا أنه لا يعتبر بذلك، وقول الإمام عليه السلام: «وإلى غرور الدنيا يرجع»، أي أنه رغم مشاركته ومشاهدته ذهاب الناس إلى الموت وانتقالهم من الحياة الدنيا إلا أنه يغتر بها، وبما أُوتي إياه من مال وجاه.

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ٦ ص ١٢٧.

(٢) بحار الأنوار للمجلسي ج ٦ ص ١٣٧: مولانا علي عليه السلام قال: ما رأيت إيماناً مع يقين أشبه منه بشك على هذا الانسان، إنه كل يوم يودع إلى القبور، ويشيع، وإلى غرور الدنيا يرجع، وعن الشهوة والذنوب لا يقلع، فلو لم يكن لابن آدم المسكين ذنب يتوكفه ولا حساب يقف عليه إلا موت يبدد شمله ويفرق جمعه ويؤتم ولده لكان ينبغي له أن يحاذر ما هو فيه بأشدّ النصب والتعب، ولقد غفلنا عن الموت غفلة أقوام غير نازل بهم، وركنا إلى الدنيا وشهواتها ركون أقوام قد أيقنوا بالمقام، وغفلنا عن المعاصي والذنوب غفلة أقوام لا يرجون حساباً ولا يخافون عقاباً.

الحذر من الموت.

يُسيدي الإمام عليه السلام نصيحة، بقوله: «فلو لم يكن لابن آدم المسكين ذنب يتوكفه، ولا حساب يقف عليه إلاّ الموت يبدد شمله»، ويحذر عليه السلام في نصحه من تأثير الذنب وملاقة الحساب على الصغائر والكبائر والعلم بالموت الذي لا مفر منه، وأنه لا يمكن لأحد أن يرجئ الموت المبدد للشمل والمفرق للجمع والمؤتم للولد، ويفصح عليه السلام أنه حتى إذا لم يكن للموت ما تقدم من آثار إلاّ أنه ينبغي الحذر منه والخوف بأشدّ النصب لأنّ الموت يأتي على حين غرة.

علة الحذر من الموت.

ذلك أنّ الموت يهيمن على وجود الإنسان ويلازمه دون افتراق قال عليه السلام: «لأنّ الموت أَلَزَمَ من ظلكم وأملك بكم من أنفسكم»^(١)، الإنسان مالك لنفسه، يتصرف فيها ويسيطر عليها غير أنّ الله تعالى له إحاطة به وهيمنة عليه أعظم من إحاطته بنفسه تكويناً، وولاية الرسول صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام أولى به من نفسه تشريعاً، والموت أملك به من نفسه، ملكية تكوينية، فلا يستطيع دفع الموت إذا جاءه، ولا يتمكن أن يؤخره برهة زمنية ثم علل الإمام عليه السلام ذلك بقوله بأنّ كل معدود منقضي، الأيام معدودة وكل يوم ينتهي تنقضي برهة من عمر الإنسان وكل متوقع آتٍ.

(١) ميزان الحكمة للريشهري ج ٤ ص ٢٩٥٧.

حقيقة الموت.

فسر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام حقيقة الموت عندما سُئل عنه، فقال: «على الخير سقطتم»^(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا يَنْتِظِرُكَ مِثْلُ خَيْرٍ﴾ (فاطر: ١٤)، ثم أبان عليه السلام أن الموت على أحد ثلاثة أمور:

الأول: البشارة بالنعيم.

قال عليه السلام: «هو أحد ثلاثة أمور: إما بشارة بنعيم الأبد»، الموت بشرى لمن ينتقل من الدنيا إلى الآخرة بالخلود في النعيم إلى ما لا نهاية له، ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقْرَبِينَ﴾ (٨٨) ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٍ﴾ (٨٩) ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ (٩٠) ﴿فَسَلَّمَ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ (الواقعة: ٨٨-٩١).

الثاني: البشارة بالعذاب.

قال عليه السلام: «وإما بشارة بعذاب الأبد»، ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ﴾ (٩١) ﴿فَنَزَلَ مِنْ جَمِيمٍ﴾ (٩٢) ﴿وَتَصَلَّىٰهُ جَحِيمٍ﴾ (الواقعة: ٩٢-٩٤).

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ٦ ص ١٥٣: عن أبي جعفر الجواد، عن آبائه عليهم السلام قال: قيل لأمر المؤمنين عليهم السلام: صف لنا الموت، فقال: على الخير سقطتم، هو أحد ثلاثة أمور يرد عليه: إما بشارة بنعيم الأبد، وإما بشارة بعذاب الأبد، وإما تحزين وتهويل وأمره مبهم، لا تدري من أي الفرق هو، فأما ولينا المطيع لامرنا فهو المبشر بنعيم الأبد، وأما عدونا الخالف علينا فهو المبشر بعذاب الأبد، وأما المبهم أمره الذي لا يدري ما حاله فهو المؤمن المسرف على نفسه لا يدري ما يؤول إليه حاله، يأتيه الخبر مبها مخوفا، ثم لن يسويه الله عز وجل بأعدائنا لكن يخرج من النار بشفاعتنا، فاعملوا وأطيعوا ولا تتكلموا ولا تستصغروا عقوبة الله عز وجل فإن من المسرفين من لا تلحقه شفاعتنا إلا بعد عذاب ثلاثمائة ألف سنة.

الثالث: التحزين والتهويل.

«وإما تحزين وتهويل»، يرى الميت أهوالاً ويلاقي ألماً وحزناً ولا يعلم بمصيره وإلى أي قسم يؤول أمره، «وأمرٌ مبهم»^(١)، أي، لا يدري من أي الفرق، وذلك حال المترددين.

كيفية تجسيد اليقين العملي بالموت.

أعطى الحسين عليه السلام وأصحابه أعظم الدروس لمجابهة الموت بيقين عملي بالتأكيد على الصدق في القول والعمل ومتى صدق الإنسان في قوله وفعله، واتصف بالفضائل وتجنب الرذائل، تحقق لديه استعداد و يقين بالموت خصوصاً في حالة الحرب والبلاء، فإنَّ حاله سيختلف عن الآخرين، لعلمه أنه يجتاز مرحلة إلى أخرى، ويلاقي نعيم الأبد في جنات عدن.

أصحاب الحسين يجسدون اليقين بالموت.

كان الحسين عليه السلام وبعض أصحابه كلما اشتد البلاء ازدادت وجوههم إشراقاً واطمأنت نفوسهم سكينه ليقينهم العملي بالموت كما جاء ذلك في بعض الروايات، ونستعرض نموذجين:

الأول: عابس يستقبل الموت بنزع درعه.

عابس ابن شبيب الشاكري شجاع يُهاب منه، ولما برز إلى القتال، هابه الناس وقال أصحاب عمر بن سعد هذا عابس ابن شبيب الشاكري إشارة

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ٦ ص ١٥٤.

لشجاعته وإقدامه فتراجعوا عنه، فرمى درعه، ثم أمر عمر بن سعد أن يُرمى عابس بالحجارة، ولما استشهد ادعى أكثر من واحد أنه قتله، فقال لهم ابن سعد: لم يقتله واحد، بل اشترك الجميع في قتله.

الثاني: الضحك في ضراوة الحرب.

لقد استأنس بعض أصحاب الحسين عليه السلام بالموت وبرز إلى الميدان وهو يضحك، فقيل له إن هذه ليست بساعة ضحك قال: أضحك لأنه ليس بيننا وبين معانقة الحور إلا أن يميل علينا هؤلاء بسيوفهم يشير بذلك إلى نعيم الأبد الذي لا زوال له ولا اضمحلال.

ثمرات اليقين العملي بالموت.

لم يكن هذا اليقين العملي لكل أصحاب الحسين عليه السلام، بل كان لبعضهم، قال الإمام عليه السلام زين العابدين عليه السلام: «وكان الحسين عليه السلام وبعض من معه»^(١)

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ٦ ص ١٥٤: قال علي بن الحسين عليهما السلام: لما اشتد الأمر بالحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام نظر إليه من كان معه فإذا هو بخلافهم لأنهم كلما اشتد الأمر تغيرت ألوانهم وارتعدت فرائصهم ووجلّت قلوبهم، وكان الحسين صلوات الله عليه وبعض من معه من خصائصه تشرق ألوانهم، وتهدي جوارحهم، وتسكن نفوسهم، فقال بعضهم لبعض: انظروا لا يبالي بالموت! فقال لهم الحسين عليه السلام: صبرا بني الكرام! فما الموت إلا قنطرة يعبر بكم عن البؤس والضراء إلى الجنان الواسطة والنعيم الدائمة، فأيكم يكره أن ينتقل من سجن إلى قصر؟ وما هو لأعدائكم إلا كمن ينتقل من قصر إلى سجن وعذاب، إن أبي حدثني عن رسول الله ﷺ أن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر، والموت جسر هؤلاء إلى جناتهم، وجسر هؤلاء إلى جحيمهم، ما كذبت ولا كذبت.

توضح الرواية أنّ من وصل إلى هذه الرتبة هو بعض من معه، واستعرض عليه السلام بعض ثمرات اليقين بالموت، قال عليه السلام: «تزهروا ألوانهم»، أي تُشرق وجوههم استبشاراً بالموت، «وتهدأ جوارحهم»، لا اضطراب لديهم بل هدوء في الجوارح، «وتسكن نفوسهم»، يعيشون الهدوء والسكينة والاطمئنان، وقد تعجب الأعداء من ذلك فقالوا انظروا إلى الحسين لا يبالي بالموت، إنهم يتعجبون لانشدادهم إلى الهادة وخلودهم إلى الأرض.

مآل الصابر بعد الموت.

قال الحسين عليه السلام لأصحابه: «صبراً بني الكرام! فما الموت إلا قنطرة تعبر بكم من البؤس والضراء إلى الجنات الواسعة والنعيم الدائم فأيكم يكره أن ينتقل من سجن إلى قصر»، يبين الإمام عليه السلام حقيقة لمن آمن بالله تعالى واتبع مرضاته بأن الآخرة هي النعيم المقيم غير أنه ينبغي الصبر لنيل ذلك «صبراً بني الكرام»، «فما الموت إلا قنطرة»، إنه جسر يجتاز به المؤمن البؤس والضراء، لأنّ الإنسان في الحياة الدنيا مهما كان عليه حاله حتى إذا كان يرفل في النعيم فإنه سوف يعيش البؤس والضراء، لأنّ الدنيا مُزج نعيمها ببؤسها وضراءها ولا نعيم خالص فيها، فأيكم يكره أن ينتقل من سجن إلى قصر، إنّه من لا يعرف الموت عملياً ولم يسر في الصراط المستقيم فإنّ الموت سوف يوصله إلى عاقبة سيئة.

مكتسبات اليقين العملي بالموت

قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿قُلْ يَتَّيِبُهَا الَّذِينَ هَادُوا وَإِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٧﴾﴾ (الجمعة: ٦-٧). صدق الله العلي العظيم.

دلائل اليقين العملي بالموت.

استعرضنا اليقين العملي بالموت عند الحسين عليه السلام وأصحابه، وذلك لما يترتب عليه من آثار ودلائل، منها:

الأول: تمنى ملاقات الموت.

الموقن بالموت عملياً لديه أمنية بملاقاته، ويتمناه كما يتمنى الحصول على ما يشتهق إليه، إنَّ تمنى الموت علامة من علامات الصادقين المحققين - الصادق الذي يتطابق قوله مع فعله والمحقق من يتطابق فعله مع قوله - أول علامة من علامات الموقنين بالموت الصادقين مع الله تعالى تمنى الموت فلا يكفي اليقين بالموت دون تمنيه والشوق والتوق الكبيرين لملاقاته، وقد وردت نصوص تبين هذا المعنى قال علي عليه السلام: «فوالله لابن أبي طالب أنس بالموت من الطفل إلى محالب أمه»^(١) يشتهق الطفل إلى ارتضاع لبن أمه وكذا حال الصادقين الموقنين بالموت.

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ٢٩ ص ١٤١.

الثاني: الاطمئنان بالموت.

الاطمئنان بالموت حالة مسيطرة على من يتوق ويشتاق إليه، وقد أبان القرآن الكريم حالة الرضا والاطمئنان للصادقين مع الله تعالى، ﴿يَتَأَيَّنُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ (٢٧) ﴿أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مَّرْضِيَةً﴾ (٢٨) ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾ (٢٩) ﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ (الفجر: ٢٧-٣٠)، إذن السكينة والهدوء علامة من علامات المشتاقين إليه.

الثالث: الاستبشار بالموت.

إنَّ الاطمئنان والرضا بالموت ليس حالة وجدانية يعيشها الإنسان مع نفسه بل لها آثار تظهر على محياه، وكما أنَّ لقاء الحبيب بحبيبه فيه استبشار وبهجة كذا حال الصادقين الذين يتوقون إلى الموت، هذه الحالة بادية عليهم وعكسها لغير الصادقين وقد شُرح ذلك بالتفصيل في نصوص روائية تبين لنا حقيقة ملاقات الموت قال الإمام الجواد عليه السلام لما سُئل: «لأنهم جهلوه فكرهوه ولو عرفوه وكانوا من أولياء الله حقاً لأحبوه ولعلموا أن الآخرة خير لهم من الدنيا، ثم قال عليه السلام: «يا أبا عبد الله، ما بال الصبي والمجنون يمتنع من الدواء المنقي لبدنه والنافي للألم عنه؟»^(١) فقال: لجهلهم بنفع الدواء - الذي يجهل شيئاً

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ٦ ص ١٥٦: قيل لمحمد بن علي بن موسى عليه السلام: ما بال هؤلاء المسلمين يكرهون الموت؟ قال: لأنهم جهلوه فكرهوه ولو عرفوه وكانوا من أولياء الله عز وجل لأحبوه ولعلموا أن الآخرة خير لهم من الدنيا. ثم قال عليه السلام: يا أبا عبد الله ما بال الصبي والمجنون يمتنع من الدواء المنقي لبدنه والنافي للألم عنه؟ قال: لجهلهم بنفع الدواء، قال: والذي بعث محمداً بالحق نبياً إن من استعد للموت حق الاستعداد فهو أنفع له من هذا الدواء لهذا المتعالج، أما إنهم

ولا يعلم به يكون في الأعم الأغلب كارهاً لما يجهله - « قال والذي بعث محمداً بالحق نبياً إن من استعد للموت حق الاستعداد فهو أنفع له من هذا الدواء لهذا المتعالج أما انهم ولو عرفوا ما يؤدي إليه الموت من النعيم لاستدعوه وأحبوه»، بيّن الإمام عليه السلام أمرين: المعرفة الحقيقية للموت والولاية لله تعالى، ويترتب عليهما حب الموت، لأنه كالدواء ينفي الألم ويجلب النقاء للبدن كذلك من يستعد للموت يكون الموت أنفع له من الدواء للمريض في شدة مرضه، لعلمه أن الآخرة خير له من الدنيا، ثم قال الإمام عليه السلام: «أما إنهم لو عرفوا ما يؤدي إليه الموت من النعيم لاستدعوه وأحبوه، أشد ما يستدعي العاقل الحازم الدواء لدفع الآفات واجتلاب السلامة»، يريد العاقل أن يعيش صحة في بدنه فيتناول الدواء الناجع لدائه إذا علم بذلك وهو حازم غير متردد، بل يُعمل كل قدراته في الحصول على ذلك الدواء لدفع الآفات واجتلاب السلامة.

اليقين بالموت في النصوص الروائية.

ورد في الروايات عن النبي صلى الله عليه وآله والأئمة من أهل البيت عليهم السلام أن الموت تحفة وهدية للمؤمن جاء عنه عليه السلام: «تحفة المؤمن الموت»^(١) وعن علي عليه السلام «ما أنفع

لو عرفوا ما يؤدي إليه الموت من النعيم لاستدعوه وأحبوه أشد ما يستدعي العاقل الحازم الدواء لدفع الآفات واجتلاب السلامة.

(١) ميزان الحكمة للريشهري ج ٤ ص ٢٩٦١.

الموت لمن أشعر الإيمان والتقوى قلبه»^(١) وقال صلى الله عليه وآله: «الموت غنيمة»^(٢) أي أنه كنز يحصل عليه ذلك الميت، وعبر عنه علي عليه السلام أنه راحة السعداء.

اليقين بالموت عند علي الأكبر.

هذه المعاني نجدها لدى الحسين عليه السلام وأصحابه، فعلي الأكبر عليه السلام، لما سمع أباه يسترجع بعد أن انتبه من غفوة، سأله عليه السلام مما استرجاعك يا أبتاه، قال الإمام عليه السلام: «يا بني اني خفقت خفقة فعن لي فارس على فرس وهو يقول القوم يسرون والمنايا إليهم» يعرف الحسين وابنه صلى الله عليه وآله أن العاقبة هي الجنة، غير أنهما يُفصحان عن معنى كبير للسالكين المحيين وهو أن يكون المرء مع الحق فلا يبالي وقد قال علي الأكبر لأبيه عليه السلام: أو لسنا على الحق؟ قال عليه السلام: «بلى والذي إليه مرجع العباد»، فقال الأكبر عليه السلام: إذن لا نبالي أن نموت محقين^(٣)، إن أصحاب الحسين عليه السلام وأبناء البررة هذا منطقتهم، وهو علامة للمحق الذي لا يبالي بموته، بل يراه سعادة وقد جاء هذا المعنى في كلام الإمام الحسين عليه السلام: «إني لا أرى الموت إلا سعادة»، وفي بعض التعبيرات إلا شهادة، وكلا التعبيرين صحيح، إذ الشهيد يكون حياً مرزوقاً عند ربه وهو الذي يصل إلى أعظم الغايات وذلك معنى الوصول إلى السعادة أما من يعيش الذل والخنوع

(١) ميزان الحكمة للريشهري ج ٤ ص ٢٩٦١.

(٢) ميزان الحكمة للريشهري ج ٤ ص ٢٩٦٢.

(٣) اعيان الشيعة للعالمي ج ١ ص ٥٩٧.

للمهادنة على الحق مع الظالم فيعيش الضجر والسامة والملل قال عليه السلام: «والحياة مع الظالمين إلا برماً»^(١).

اشتياق أصحاب الإمام الحسين للشهادة.

قد يتصور بعض أن هذا المنطق للحسين عليه السلام كإمام معصوم، ولابنه لتربيته في حجر الحسين عليه السلام، وذلك لأن هؤلاء من سلالة الأنبياء والرسل، وقد اجتباهم واصطفاهم الله تعالى، فيختلفون عن بقية الناس غير أن الأمر ليس كذلك وقد مرت علينا الروايات التي أبانت أن من استعد للموت ووصل إلى هذه الرتبة كعباس بن شبيب الشاكري فإنه لما برز إلى ميدان الحرب وهابه الناس نزع درعه وألقى مغفرته من على رأسه، فقال له بعضهم: أجننت يا عباس، قال حب الحسين عليه السلام أجني. وكان بعضهم يضحك عندما نزل إلى المعركة ف قيل له ما هذه بساعة ضحك، فأجاب مستبشراً إن هذه الساعة هي الساعة القريبة للحصول على النعيم الدائم.

حقيقة اليقين العملي بالموت.

هناك فارق كبير بين الظالم الكاذب والصادق المحق، قال تعالى: ﴿كَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ (محمد: ٢٧)، وقد أبان الإمام الصادق عليه السلام ذلك عند مقايسة الصادقين المحققين مع الفجرة

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ٤٤ ص ١٩٢.

المبطلين، فقال عليه السلام: «للمؤمن كأطيب ريح يشمه فينعس لطيبه»^(١) أي لشدة تلك الرائحة المبهجة يصاب بشيء كالغفوة، «فينقطع التعب والألم كله عنه»، وأما الكافر والفاجر، أي غير الملتزم وغير الصادق مع الله تعالى - فإن الموت - «كلسع الأفاعي ولدغ العقارب وأشد»، قيل له يا أبا عبد الله إن قوماً يقولون إنه أشد من نشر بالمناشير، وقرض المقاريض، ورضخ بالحجارة وتدوير قطب الأرحية في الأحداق، فقال الإمام عليه السلام: «كذلك»، أي أن الموت نفس ما قيل، ونفس ما ورد في هذه التعبيرات «على بعض الكافرين والفاجرين».

دروس الشهادة في مدرسة الحسين.

إنَّ الحسين عليه السلام مدرسة تعلم الناس الاستشهاد في سبيل الله تعالى والسير

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ٦ ص ١٧٢: قيل للصادق جعفر بن محمد عليه السلام: صف لنا الموت، قال: للمؤمن كأطيب طيب يشمه فينعس لطيبه وينقطع التعب والألم عنه، والكافر كلسع الأفاعي ولدغ العقارب وأشد قيل: فإن قوماً يقولون: إنه أشد من نشر بالمناشير! وقرض بالمقاريض! ورضخ بالأحجار! وتدوير قطب الأرحية على الأحداق، قال: كذلك هو على بعض الكافرين والفاجرين، ألا ترون منهم من يعاين تلك الشدائد؟ فذلكم الذي هو أشد من هذا لا من عذاب الآخرة فإنه أشد من عذاب الدنيا، قيل: فما بالناس نرى كافراً يسهل عليه النزاع فينطفئ وهو يحدث ويضحك ويتكلم، وفي المؤمنين أيضاً من يكون كذلك، وفي المؤمنين والكافرين من يقاسي عند سكرات الموت هذه الشدائد؟ فقال: ما كان من راحة للمؤمن هناك فهو عاجل ثوابه، وما كان من شديدة فتمحيصه من ذنوبه ليرد الآخرة نقياً، نظيفاً، مستحقاً لثواب الأبد، لا مانع له دونه، وما كان من سهولة هناك على الكافر فليوفي أجر حسناته في الدنيا ليرد الآخرة وليس له إلا ما يوجب عليه العذاب، وما كان من شدة على الكافر هناك فهو ابتداء عذاب الله له بعد نفاذ حسناته ذلكم بأن الله عدل لا يجور.

لتحقيق الكرامة، وإيضاح أن الموت لمن كان صادقاً سعادة وشهادة ولا يبالي أوقع على الموت أم وقع الموت عليه وقد يظن بعض من لم يصل إلى هذه المرتبة أن ذلك جنون كما قيل لعابس غير أنه سعادة وشهادة وحب الله تعالى ولأوليائه.

عاشوراء في خلودها التاريخي

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (الأحزاب: ٣٣) صدق الله العلي العظيم.

نعيش وإياكم أيام الذكرى الأليمة والعظيمة لإمامنا الحسن عليه السلام، والتي يكمن فيها الألم من خلال الانتهاكات لمبادئ العدل والتعدي على الحرمات، وتتجلى عظمتها من خلال المواقف الباسلة التي وقفها إمامنا الحسين عليه السلام مع خلص أصحابه وأهل بيته.

عظمة عاشوراء على مر العصور.

لا تختص عظمة عاشوراء بالبرهة الزمنية التي استشهد فيها الإمام الحسين عليه السلام مع حوارييه وصحبه البررة، بل هي نبراس وضاء لكل الأجيال ومدرسة تُعلم الإنسانية جمعاء أهمية الحفاظ على قيم العدل، ومراعاة القانون والالتزام بالحق. إذ الحسين عليه السلام مدرسة بكل ما تعطيه هذه الكلمة من دلالات ثراء، فهو عليه السلام علم المظلومين طوال التاريخ كيف يستطيعون أن يقفوا أمام

الجبروت والتسلط بالموقف الباسل والشجاع وتقديم المبادئ على المصالح، وهو عليه السلام الامتداد الطبيعي للرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

خصائص تميّز بها الإمام الحسين عليه السلام.

والمتتبع لسيرة الإمام الحسين عليه السلام يجد أنّ الله تعالى قد حباه من الصفات ما يعجز العالم عن التحدث عنها، كالكرم والشجاعة والإقدام والصبر في سبيل الله تعالى بل تجسدت كل الصفات الجميلة في شخصه عليه السلام، ورغم أنّ الخفاء والغموض شاب كثيراً من المعالم أبان عهد معاوية لأنّ أكثر الناس لم يطلعوا على الواقع السياسي والاجتماعي للجور الذي مارسه الأمويون كمناهج عمل في شتى ميادين الحياة. غير أنه وبعد وضوح شيء من ذلك التعدي على معالم الرسالة الإسلامية ما كان من الحسين عليه السلام إلا أن يصبر وينتظر حتى تتضح المعالم ويتجلي الحق وتتعرف الأمة بشتى أطرافها أنّ الحق مع الحسن والحسين عليه السلام وأنّ الخلافة نص من الله تعالى عليهما ولهما، لكنّ واقع تشخيص الناس للصواب والخطأ ومعرفة الحق من الباطل يختلف في كل عصر، نتيجةً للتشويه والإعلام المكثف، قال إمامنا أمير المؤمنين عليه السلام: «ولو أنّ الباطل خلّص» من الحق «لم يخفَ على ذي حجبى، ولو أنّ الحق خلّص» من لبس الباطل لانقطعت عنه ألسنة المعاندين و«لم يكن اختلاف، ولكن يؤخذ من هذا ضغثٌ ومن هذا ضغثٌ، فيجيئان معاً فهنالك استحوذ الشيطان على

أوليائه»^(١)، أي هنالك بيتي الله عباده، ولا يزال الوضع على حاله - وإن اتضح شيءٌ منه مما اختلف فيه نتيجة التقدم في عصرنا الراهن - بيد أن الإمام الحسين عليه السلام مثل الوضوح بكل معانيه من نواحٍ متعددة.

الأولى: مكانة الحسين عليه السلام في النصوص الشرعية.

من أبرز ملامح الوضوح في شخص الحسين عليه السلام أنه مصداق لآية التطهير ويتجلى ذلك في النصوص التي وردت في حقه، فهو المصداق البين، وهو أيضاً من الأبناء الذين تحدث عنهم آية المباهلة - ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتِهَلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ (آل عمران: ٦١) - كما ذكر ذلك المفسرون والمؤرخون، ناهيك عن عشرات، بل مئات من الأحاديث التي وردت عن جده المصطفى صلى الله عليه وآله فيه وفي أخيه الحسن عليه السلام كقوله صلى الله عليه وآله: «الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا»^(٢)، و«حسين مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسيناً»^(٣)، وعشرات الأحاديث

(١) ميزان الحكمة للريشهري ج ٢ ص ٣١٦.

(٢) بحار الأنوار للمجلسي ج ٤٣ ص ٢٩١.

(٣) مسند أحمد لأحمد بن حنبل ج ٤ ص ١٧٢: عن يعلى العامري انه خرج مع رسول الله صلى الله عليه وآله إلى طعام دعوا له قال فاستمثل رسول الله صلى الله عليه وآله قال عفان قال وهيب فاستقبل رسول الله صلى الله عليه وآله أمام القوم وحسين مع غلمان يلعب فأراد رسول الله صلى الله عليه وآله ان يأخذه قال فطفق الصبي ههنا مرة وههنا مرة فجعل رسول الله صلى الله عليه وآله يضاحكه حتى أخذه قال فوضع إحدى يديه تحت قفاه والأخرى تحت ذقنه فوضع فاه على فيه فقبله وقال حسين مني وأنا من حسين أحب الله من أحب حسيناً حسين سبط من الأسباط

التي تُبين عِظَم مكانته عليه السلام، فهل يمكن بعد الآيات والروايات الواضحة في دلالتها وتواترها الشك في حقانية الحسين عليه السلام بخلافة جده المصطفى صلى الله عليه وآله؟! لكن المنابر الإعلامية مارست أبان ذلك التاريخ المظلم الدور القاتم في تشويه الحقيقة حتى وصل الحال أن يقول أحدهم أن الحسين عليه السلام: (قُتل بسيف جده)^(١)، وكأنه عليه السلام لا يعرف الحدود ولا يُدرك ما يريد الله تعالى منه ولا ينقضي تعجبي كيف تصدر هذه الكلمات ممن يدعي العلم والإحاطة والثقافة رغم وضوح آي القرآن الكريم وعشرات بل مئات الأحاديث التي نصت على إمامته عليه السلام.

الثاني: النص على إمامة الحسين عليه السلام في بنود الصلح.

لم تقتصر النصوص الجليلة على إمامة الحسين عليه السلام بالمنهج المتمي لأهل البيت، فقد كان الإمام الحسن عليه السلام يمهد لإمامة الحسين على ضوء نظرية الطرف الآخر المخالف لإمامة أهل البيت عليهم السلام، وهذا بينٌ بجلاء في أحد بنود

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي ج ١ ص ٢٦٥: قال المناوي: قيل لابن الجوزي وهو

على كرسي الوعظ كيف يقال يزيد قتل الحسين وهو بدمشق والحسين بالعراق فقال:

سهم أصاب وراميه بذئ سلم من بالعراق لقد أبعدت مرماكا

وقد غلب على ابن العربي الغضب من أهل البيت حتى قال قتله بسيف جده

وقال ابن خلدون في تاريخه ج ١ ص ٢١٧: وقد غلط القاضي أبو بكر بن العربي الهالكى في

هذا فقال في كتابه الذي سباه بالعواصم والقواصم ما معناه. إن الحسين قتل بشرع جده وهو

غلط حملته عليه الغفلة عن اشتراط الإمام العادل ومن أعدل من الحسين في زمانه في إمامته

وعدالته في قتال أهل الآراء.

الصلح التي أبرمها الحسن عليه السلام مع معاوية، ونصّ فيها على أنّ الخلافة بعد معاوية للحسن عليه السلام، وإنّ حدث به حدث فهي للحسين من بعده، وهذا النص وثيقة قانونية تُبين على أنّ القانون يُساند إمامنا الحسين عليه السلام في إمامته ليس فقط من ناحية النص الذي يؤمن به أتباع أهل البيت عليهم السلام، بل أيضاً من ناحية البيعة والشورى وأخذ رأي أهل الحل والعقد.

موقف الإمام عليه السلام تجاه الأوضاع في عصره.

مكانة إمامنا الحسين عليه السلام كانت من الوضوح بالنحو التام والكامل للجميع، وكانت تجسد الحق، ومع ذلك كان الطرف المقابل له عليه السلام ليس معاوية الذي يُراعي بعض مظاهر الإسلام، بل كان يزيد المتجاهر بالفسق والفجور وشرب الخمر والتعدي على الحرمات، بل وإنكار الإسلام، كما جاء في إنشاده:
 لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل
 كل هذا الواقع المؤلم لم يُسوغ لإمامنا الحسين عليه السلام أن يقف مكتوف اليدين، بل لا بد له - وهو الذائد عن الحرمات والامتداد الطبيعي لجده المصطفى - أن يقف وقفة باسلة، ويضحى بنفسه وأهل بيته قرابين في سبيل الله لإيضاح الحق وإزهاق الباطل، وبالفعل كان عليه السلام يستند إلى شرعية نفسه من ناحية، ويوضح المعالم التي تُعدي عليها من ناحية أخرى، خصوصاً إذا تعرفنا على كثير من الأحاديث الواردة عن جده المصطفى في ذلك، قال صلى الله عليه وآله: «سيد الشهداء حمزة

ورجل قام إلى إمام جائر فأمره أو نهاه فقتله»^(١) أي، أن الإمام الجائر قتل من يأمره بالحق وينهاه عن الباطل، وذلك المقتول بمنزلة حمزة سيد الشهداء، ولا يوجد لدينا مثالٌ بينَ أوضح من الحسين عليه السلام، فهو الذي وقف أمام الجور والتعسف الفاضح من لدن يزيد، وحاول أن يرُد الجماهير إلى فطرتها النقية التي أراد المصطفى صلى الله عليه وآله لها أن تعيش في ظل العدل الوارف وتتفياً بمبادئ الإسلام السمحة دون تعدٍ على حقوق الناس الاقتصادية، ودون انتهاك لقيم العدل، لكنّ الأمويين - كسائر الطغاة عبر التاريخ - شوهوا الحقائق وجعلوا ضباباً على ذلك الوضوح في ثورة الحسين عليه السلام حتى وصل الحال أن قيل: إنّه خارجي، خرج على إمام مفترض الطاعة، وأن يزيد هو الإمام المفترض الطاعة!! رغم أن الخارج على هذا الإمام - بمنطقهم - هو الحسين عليه السلام، إلا أنه عليه السلام أراد أن يُجيب تلك الضمائر الميتة التي تأثرت بالبريق الاقتصادي الهائل للدولة الأموية، وبالتشويه الإعلامي الكبير في خلط الحق بالباطل حتى بات كثير من الناس لا يعرف الحق أهو مع علي أم مع معاوية أو مع علي أو طلحة والزبير؟ وذلك من الأمور التي لم تُعد خافيةً على من يسبر أغوار التاريخ ويتعرف على ذلك الدهاء والخبث الذي مُورس في حق أهل البيت عليهم السلام، لذا لم يجد الحسين عليه السلام لنفسه إلا أن يقف الموقف الباسل ليهز ضمير الأمة، وكما أن جده صلى الله عليه وآله أخرج الناس من الظلمات إلى النور بعد حين فترة من الرسل فهو عليه السلام

(١) التمهيد لابن عبد البر ج ١٣ ص ٥٥.

أحيا الناس بعد أن ماتت الضمائر نتيجة للطغيان الذي مُورس في تشويه الحق.

الحسين عليه السلام في عصرنا الحاضر.

أصبح الحسين عليه السلام في عصرنا الراهن قضية من يريد العدالة والحرية، وقضية لمن يريد التطبيق الحق لمبادئ الشريعة، ويتوق إلى المساواة وتحكيم القانون، ولكون قضيته عليه السلام لا تختص بزمانه، بل تعم جميع الأزمنة والأمكنة، من هنا نجد صدى القول المشهور: (كل يوم عاشوراء، وكل أرض كربلاء)، يوضح قضية الوقوف أمام الزيف ومحاربة الباطل ومساعدة الحق والوقوف إلى جنبه مهما كانت الوسائل في جبروتها وطغيانها، وهو القائل عليه السلام: «إني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برماً»^(١)، فإذا جار جائر وأنكر مبادئ الإسلام، فليس أمام الناس إلا أن يضحوا بأنفسهم في سبيل الله، ويقدموها قرابين اقتداءً بالحسين عليه السلام.

عالمية التأثير الحسيني.

إذن الحسين عليه السلام لا يخص المسلمين فحسب، بل يعم الإنسان بكل اتجاهاته، في إرادته للعدل وتوقه للحرية واستنشاقه المساواة التي أفصح عنها القرآن الكريم وأبانها الرسل والأنبياء والأئمة عليهم السلام في عشرات من كلماتهم، بل مئات، أكدوا فيها على أهمية حرية الإنسان في مواقفه.

(١) بحار الأنوار ج ٤٤ ص ١٩٢.

التطور التاريخي للمآتم الحسينية

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُعْظَمِ شَعْبِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ (الحج: ٣٢).
صدق الله العلي العظيم.

المآتم الحسينية في عصر المعصومين عليهم السلام.

إن إحياء مظلومية الإمام الحسين عليه السلام وإقامة الشعائر الحسينية من شعائر الله تعالى وكيفية التعرف على الشعائر يحسن بنا أن نرى تطبيق النبي صلى الله عليه وآله والأئمة من أهل البيت عليهم السلام لها لتجاوب أثناء حضورنا المآتم الحسينية على وفق ما جاء عن النبي صلى الله عليه وآله والأئمة من أهل البيت عليهم السلام.

إن السيرة التاريخية للمعصومين عليهم السلام جاءت على النحو التالي:

المآتم الحسينية في عصر النبي صلى الله عليه وآله.

إن النبي صلى الله عليه وآله بكى الحسين عليه السلام قبل استشهاده وقد تحدثت بعض الروايات عن بكائه صلى الله عليه وآله على الإمام الحسين عليه السلام، جاء في بعضها عن أم الفضل بنت الحارث أنها دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت: يا رسول الله رأيت الليلة حلماً منكراً قال: وما هو؟ قالت: إنه شديد، قال: وما هو؟ قالت: رأيت كأن قطعة من جسدك قد قطعت ووضعت في حجري فقال رسول الله: خيراً رأيت تلد فاطمة غلاماً فيكون في حجرك. فولدت فاطمة عليها السلام الحسين عليه السلام قالت: وكان في حجري كما قال رسول الله فدخلت به يوماً على النبي فوضعت في حجر رسول الله صلى الله عليه وآله ثم حانت مني التفاتة، فإذا عينا رسول الله تهرقان بالدموع،

فقلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله مالك؟ قال: أتاني جبرئيل فأخبرني أن أمي تقتل ابني هذا وأتاني بتربة حمراء من تربته^(١) وجاء في رواية أخرى عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «كان النبي صلى الله عليه وآله في بيت أم سلمة فقال لها: لا يدخل عليّ أحدٌ فجاء الحسين عليه السلام وهو طفل فما ملكت معه شيئاً حتى دخل على النبي فدخلت أم سلمة على أثره فإذا الحسين على صدره وإذا النبي يبكي وإذا في يده شيء يُقلبه. فقال النبي: يا أم سلمة إنّ هذا جبرئيل يخبرني أن هذا مقتول وهذه التربة التي يقتل عليها فضعيه عندك، فإذا صارت دماً فقد قتل حبيبي، فقالت أم سلمة: يا رسول الله سل الله أن يدفع ذلك عنه؟ قال: قد فعلت فأوحى الله عز وجل إليّ أن له درجة لا ينالها أحدٌ من المخلوقين، وأنّ له شيعة يُشَفِّعون فيشَفِّعون، وأنّ المهدي من ولده فطوبى لمن كان من أولياء الحسين وشيعته هم والله الفائزون يوم القيامة»^(٢) ويظهر من الروايات الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله وبعضها في مصادر الفريقين السنة والشيعَة أنّ النبي عندما ذكر مصاب الإمام الحسين عليه السلام بكى، وكذلك عندما ذُكر له مصاب الإمام الحسين عليه السلام من جبريل عليه السلام بكى.

المآتم الحسيني في عصر الإمام علي عليه السلام.

وكذا الحال مع الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ففي أسد الغابة عن غرفة الأزدي:

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ٤٤ ص ٢٣٩.

(٢) بحار الأنوار للمجلسي ج ٤٤ ص ٢٢٥.

دخلني شك من شأن علي، فخرجت معه على شاطئ الفرات، فعدل عن الطريق ووقف ووقفنا حوله، فقال بيده: هذا موضع رواحلهم ومناخ ركا بهم ومهراق دمائهم، بأبي من لا ناصر له في الأرض ولا في السماء إلا الله. فلما قتل الحسين خرجت حتى أتيت المكان الذي قتلوه فيه، فإذا هو كما قال، ما أخطأ شيئاً. قال: فاستغفرت الله مما كان مني من الشك، وعلمت أن علياً رضي الله عنه لم يقدم إلا بما عهد إليه فيه. وقد تأوه الإمام علي عليه السلام حزناً كما جاء في رواية أخرى، ومن هذه الروايات نستفيد مشروعية البكاء على الإمام الحسين عليه السلام، فواقعة الطف كانت من الأمور التي أراد النبي صلى الله عليه وآله والإمام أمير المؤمنين عليه السلام أن تأخذ بعداً مأسوياً عاطفياً في الأمة تستثير العاطفة من ناحية وتذكر بالمأساة من ناحية أخرى.

المآتم الحسيني في عصر الإمام الحسن عليه السلام.

وإذا استعرضنا ما فعله الأئمة من أهل البيت عليهم السلام واحداً تلو الآخر نجد أنّ واقعة الطف أبكتهم جميعاً عندما تحدثوا عنها. فقد تأثر الإمام الحسين عليه السلام لما جرى على الإمام الحسن عليه السلام والإمام الحسن عليه السلام تأثر أيضاً وعدد ما يجري على الحسين عليه السلام من مصائب، روى الشيخ الصدوق عن الفضل بن عمر، عن الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جدّه عليه السلام: «أنّ الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام دخل يوماً إلى الحسن عليه السلام، فلما نظر إليه بكى، فقال له: ما يبكيك يا أبا عبد الله؟ قال: أبكي لما يصنع بك، فقال له الحسن عليه السلام: إنّ الذي يُؤتى إليّ

سَمُّ يُدَسُّ إِلَيَّ فَأُقْتَلُ بِهِ، وَلَكِنْ لَا يَوْمَ كَيَوْمِكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، يَزْدَلِفُ إِلَيْكَ ثَلَاثُونَ أَلْفَ رَجُلٍ، يَدْعُونَ أَنَّهُمْ مِنْ أُمَّةٍ جَدُّنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَتَحَلَّوْنَ دِينَ الْإِسْلَامِ، فَيَجْتَمِعُونَ عَلَى قَتْلِكَ، وَسَفْكَ دَمِكَ، وَانْتِهَاكَ حَرَمَتِكَ، وَسَبِي ذُرَارِيكَ وَنِسَائِكَ، وَانْتِهَابِ ثَقْلِكَ، فَعِنْدَهَا تَحَلُّ بِنَبِيِّ أُمِّيَةِ اللَّعْنَةِ، وَتَمَطَّرُ السَّمَاءُ رَمَادًا وَدَمًا، وَيَبْكِي عَلَيْكَ كُلُّ شَيْءٍ حَتَّى الْوَحُوشُ فِي الْفُلُوتِ، وَالْحَيْتَانِ فِي الْبَحَارِ»^(١).

المأتم الحسيني في عصر الإمام السجاد عليه السلام.

أما الإمام زين العابدين عليه السلام فقد كان يبكي الحسين عليه السلام دائماً وبقي فترة طويلة لا يرى إلا باكياً، روي عن الصادق عليه السلام أنه قال: «إِنَّ زَيْنَ الْعَابِدِينَ عليه السلام بَكَى عَلَى أَبِيهِ أَرْبَعِينَ سَنَةً صَائِماً نَهَارَهُ قَائِماً لَيْلَهُ، فَإِذَا حَضَرَ الْإِفْطَارَ جَاءَهُ غَلَامُهُ بِطَعَامِهِ وَشَرَابِهِ، فَيَضَعُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَيَقُولُ: كُلْ يَا مَوْلَايَ فَيَقُولُ: قُتِلَ ابْنُ رَسُولِ اللَّهِ جَائِعاً؛ قُتِلَ ابْنُ رَسُولِ اللَّهِ عَطْشَاناً فَلَا يَزَالُ يَكْرُرُ ذَلِكَ وَيَبْكِي حَتَّى يَبِيلَ طَعَامَهُ مِنْ دَمُوعِهِ ثُمَّ يَمِزُجُ شَرَابَهُ بِدَمُوعِهِ، فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى لَحِقَ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَحَدَّثَ مَوْلَى لَهُ عليه السلام أَنَّهُ بَرَزَ يَوْمًا إِلَى الصَّحْرَاءِ قَالَ: فَتَبِعْتَهُ فَوَجَدْتَهُ قَدْ سَجَدَ عَلَى حِجَارَةٍ خَشَنَةً فَوَقَفْتُ وَأَنَا أَسْمَعُ شَهيقَهُ وَبَكَاءَهُ وَأَحْصَيْتُ عَلَيْهِ أَلْفَ مَرَّةٍ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ حَقًّا حَقًّا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَعْبُدًا وَرَقًّا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِيْمَانًا وَصِدْقًا، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ السُّجُودِ وَإِنْ لَحِيْتَهُ وَوَجْهَهُ قَدْ غَمَرَ بِالْمَاءِ مِنْ دَمُوعِ

(١) الأملالي للصدوق ج ٣ ص ١٧٣.

عينيه فقلت: يا سيدي أما آن لحزنك أن ينقضي، ولبكائك أن يقل؟ فقال لي: ويحك إن يعقوب بن إسحاق ابن إبراهيم عليه السلام كان نبياً ابن نبي كان له اثنا عشر ابناً فغيب الله سبحانه واحداً منهم فشاب رأسه من الحزن، واحدودب ظهره من الغم، وذهب بصره من البكاء وابنه حي في دار الدنيا، وأنا فقدت أبي وأخي وسبعة عشر من أهل بيتي صرعى مقتولين، فكيف ينقضي حزني ويقل بكائي؟»^(١) إن الإمام زين العابدين عليه السلام يعطي مأساة الإمام الحسين عليه السلام بعداً آخر وكان يغتنم كل مناسبة ويبكيه بنحو دائم.

المأتم الحسيني في عصر الصادقين عليهم السلام.

أما في عهدي الباقرين الصادقين عليهم السلام فقد استمر الحال على ما كان عليه عند زين العابدين عليه السلام.

الإمام الصادق عليه السلام وتطوير المأتم الحسيني.

بالإضافة إلى ما تقدم فإن الإمام الصادق عليه السلام اتخذ طابعاً آخر في اتجاهين: الأول: استدعاء بعض الأدباء والشعراء ليرثوا الحسين عليه السلام، المراثي في الشعر العربي -تعداد المآسي التي جرت على المرثي -.

الثاني: توسيع دائرة المأتم الحسيني لتشمل النساء، وذلك من خلال وضع خدر أو ستار يفصل بينهن وبين الرجال لتحضر النساء من أهل بيته المأتم

(١) جامع أحاديث الشيعة للبروجردي ج ٣ ص ٤٧٨.

الحسيني ويحب بعض الناس من أصحابه للاستماع إلى مراثي الحسين عليه السلام فعن علي بن إسماعيل التميمي عن أبيه قال: كنت عند أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام فاستأذن آذنه للسيد الحميري فأمر بإيصاله وأقعد حرمه خلف ستر ودخل فسلم وجلس فاستنشده فأنشد قوله:

أمرر على جدث الحسين	فقل لأعظمه الزكية
يا أعظماً لا زلت من	وظفء ساكبة رويه
وإذا مررت بقبره	فأطل به وقف المطية
وابك المطهر للمطهر	والمطهرة النقية
كبكاء معولة أتت	يوماً لواحداه المنية

قال: فرأيت دموع جعفر بن محمد تتحدر على خديه وارتفع الصراخ من داره حتى أمره بالإمسك فامسك. (١)

وإذا أردنا التعرف على ما هو موجود لدى أتباع أهل البيت عليهم السلام في يومنا هذا من وجود مكان كبير يعبر عنه بالحسينية فإن ذلك يرجع إلى الإمام الصادق عليه السلام، فهو عليه السلام الذي جلب بعض الشعراء وأمرهم برثاء الحسين عليه السلام وبكى عندما استمع الشاعر يرثي الإمام الحسين عليه السلام بكاءً مريراً حتى كانت دموعه تتحدر على خديه من شدة بكائه، وقد اتخذ عليه السلام طابعاً آخرًا بجلب الناس لاستماع المراثي فأسس مآتماً وأمر عليه السلام النساء بحضوره بالإضافة إلى

(١) أعيان الشيعة للأمين ج ١ ص ٥٨٦.

أمره أتباع أهل البيت عليهم السلام أن يذكروا مصاب الحسين ويرثونه عليه السلام في بيوتهم - أي يجلبون شاعراً ليرثي الإمام عليه السلام ويذكروهم بمأساته عليه السلام - إنَّ تطوير الشعائر الحسينية وإظهار مظلومية الإمام الحسين عليه السلام حدث على يدي الإمامين زين العابدين والصادق عليهما السلام، فالإمام زين العابدين عليه السلام اتخذ طابع الديمومة في البكاء، أما الإمام الصادق عليه السلام فقد جلب الشعراء وأقام المآتم بشكل رسمي وحث الناس على حضوره، إذن المآتم الحسيني بالشاكلة التي هو عليها في يومنا من وجود خطيب ومكان مخصص للنساء وآخر للرجال والبكاء على الإمام عليه السلام بهذا النحو أسسه الإمام الصادق عليه السلام.

المآتم الحسيني في عصر الإمام الكاظم عليه السلام.

أما في عهد الإمام الكاظم عليه السلام فإنَّ المآتم الحسيني ليس له ظهور، ولعل ذلك يرجع إلى أنَّ الإمام عليه السلام عاش فترة مملوءة بالكبت والتضييق فلم تسمح الظروف أن يواصل ما فعله أبوه عليه السلام وما كان متاح للإمام عليه السلام ذلك لأنَّ ظرفه السياسي مملوء بالكبت والتضييق، وقد نُقل من سجن إلى سجن.

المآتم الحسيني في عصر الإمام الرضا عليه السلام.

غير أنَّ الحال تبدلت في عهد الإمام الرضا عليه السلام، فبدأت إشراقة للمآتم الحسيني وتطور أكثر مما كان عليه في عهد الإمام الصادق عليه السلام، إذ ربط الإمام الرضا عليه السلام الأحداث والوقائع اليومية للمآسي التي تجري في العالم الإسلامي بمظلومية أهل البيت عليهم السلام وما جرى عليهم من تعدٍ، فإذا حدثت مشكلة اقتصادية في المجتمع

فأساسها يرتبط بما جرى على الإمام الحسين عليه السلام، وقد علق الرضا عليه السلام على قصيدة دعبل بن علي الخزاعي -التائية المشهورة- (لما وصل إلى قوله):

أرى فيئهم في غيرهم متقسماً وأيديهم من فيئهم صفرات

فعندما بلغ إلى قوله هذا بكى أبو الحسن الرضا عليه السلام وقال له: صدقت يا خزاعي^(١) أي أن السبب في مظلومية أهل البيت عليهم السلام الاقتصادية هو ما جرى من ظلم وانتهاك حرمة الإمام الحسين عليه السلام، وهذا ربط للوقائع والأحداث بالحسين عليه السلام، أسسه الإمام الرضا عليه السلام وربط به الأحداث بالمآتم الحسيني وأعطاه طابعاً حركياً يتفاعل معه.

المآتم في عصر الجواد والعسكريين عليهم السلام.

أما أدوار الأئمة الذين جاءوا بعد الإمام الرضا عليه السلام - الهادي والجواد والعسكري عليهم السلام - ففترتهم تشبه فترة الإمام الكاظم عليه السلام أي أن البرهة الزمنية التي عاشها هؤلاء الأئمة مليئة بالإرهاب والكبت والتضييق فلم تكن الظروف تسمح لهم بإقامة الشعائر الحسينية فضلاً عن تطويرها، نعم؛ يمكن أن نجد بعض اللفتات في حياة الإمام العسكري عليه السلام مع نوابه في إقامة المآتم بنحو مخفي، فكان يقام مآتم الحسين عليه السلام على النسق الذي بدأه الإمام الصادق عليه السلام بنحو سري لا يطلع عليه إلا قلة من الناس للتضييق والشدة التي بلغت أوجها في عصر المتوكل.

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ٤٩ ص ٢٣٩.

المآتم الحسيني في عصر الإمام المهدي عليه السلام.

أما الإمام المهدي عليه السلام فأراد إفهام الناس بأهمية ثورة الإمام الحسين عليه السلام وإيقاظ الضمير الإنساني لرفض الظلم والوقوف مع العدل، وقد اتخذ الإمام عليه السلام أسلوب جده زين العابدين عليه السلام فأكثر من البكاء، نقرأ في إحدى زياراته «فلأندبنك صباحاً ومساءً»^(١).

كما أنه عليه السلام أراد لقضية الحسين عليه السلام أن تكون دائمة مستمرة حتى وإن استلزم ذلك التضحية بالنفس والنفيس، ففي الزيارة «ولأبكين عليك بدل الدموع دماً»^(٢) وهو تعبير كنائي عن أن قضية الحسين عليه السلام ترتبط بالإنسانية والقيم والمبادئ وتستوجب من الأحرار وأصحاب الضمائر اليقظة والحية أن يدافعوا عنها وأن يستشهدوا في سبيل الله تعالى من أجلها.

فوائد استعراض إحياء المآتم الحسيني.

هذه الممارسات والتجسيديات هي دروس جاءت في روايات وأحاديث متعددة، ونستفيد منها ما يلي:

أولاً: مشروعية البكاء على الإمام الحسين عليه السلام.

ثانياً: إحياء المراسم كما فعل النبي صلى الله عليه وآله والإمام أمير المؤمنين عليه السلام والأئمة من أهل البيت عليهم السلام.

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ٩٨ ص ٢٣٨.

(٢) نفس المصدر السابق.

ثالثاً: إظهار الحزن والأسى على الإمام عليه السلام.

آلية تطوير الشعائر الحسينية.

هناك مجالات متعددة يمكن من خلالها تطوير الشعائر الحسينية وذلك بالوسائل التالية:

أولاً: التطوير من خلال التأليف والكتابة.

لقد تطور المنبر الحسيني بشكل كبير غير أن المجال لا يزال مفتوحاً لتطويره، فما فعله الإمام الصادق عليه السلام بجلب الشعراء يمثل استثمار الإعلام في عصره، وللإعلام حيثيات متعددة، ففي عصرنا الراهن له وسائل وآليات منها الكتاب المقروء، والمقالة، وكتابة القصة القصيرة والطويلة بأنحاء مختلفة تتناسب مع عالم الطفل أو مع أصحاب الفكر الراقى أو مع عامة الناس.

ثانياً: العرض السينمائي لواقعة الطف.

للمنبر الحسيني مفهوم يشمل مصاديق متعددة ولا ينحصر في الأعواد التي يرتقيها الخطيب، فالإعلام في قضية الحسين عليه السلام يحتاج أن يأخذ الزخم الإعلامي الموجود في عصرنا الحاضر فيكون بالفلم السينمائي الذي يتحدث عن الثورة الحسينية، وبالقصة بأساليبها المختلفة وبالمسرح في إظهار مظلومية الإمام الحسين عليه السلام فلذلك أهميته الفائقة.

ثالثاً: إبراز القضية الحسينية عبر الفن.

يؤثر الإسهام بالفن تأثيراً كبيراً خصوصاً الجانب الإبداعي من الفن، فإذا تخصص رسام في رسوم الكاركتور ورسوم ما يدل على مظلومية الإمام عليه السلام فإن تأثيره أكثر من المقالة بل أكثر من كتاب يكتبه عالم، لتأثير الصورة الراقي. إننا نحتاج إبراز الجانب المأسوي لثورة الإمام الحسين عليه السلام من خلال الصورة، كما نحتاج إلى الخطيب والشاعر والمؤلف وكذلك إلى الرسام المبدع لإظهار مظلومية الحسين عليه السلام وتبيان الجانب الإنساني في ثورته وبيان أنها الحافظة لروح الشرائع السماوية، وبها يدافع عن إنسانية الإنسان.

البعد التاريخي في الملحمة الحسينية

قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَزِّقُونَ﴾ (آل عمران: ١٦٩) صدق الله العلي العظيم.

ملحمة الإمام الحسين عليه السلام فريدة من نوعها، بل لا نظير لها في مناح متعددة في التأريخ البشري كله من حيث المجموع لا من حيث المفردات، فالتأريخ البشري حفل بمأس من القتل والظلم والتعدي على الآخرين، وانتهاك الحرمات، غير أن مأساة الحسين عليه السلام اقتربت فيها كل المآسي، وتوافرت فيها كل القيم والمبادئ، مما جعلها تجسد درساً لا يتكرر في تأريخ الإنسانية جمعاء.

الانتهاكات في مأساة الحسين عليه السلام.

عندما ننظر إلى القتل نجد أن كثيراً من الأنبياء والرسل قتلوا وتعدي

عليهم، غير أنّ القتل كان لشخص ذلك النبي، والتعدي كان من ناحية واحدة، أما في مأساة الإمام الحسين عليه السلام وملحمته فالتعدي وانتهاك الحقوق والمقدسات لم يقتصر على مفردة من المفردات، بل شمل مفردات متعددة وانتهاكات كثيرة:

الأول: التعدي على شخصية الإمام عليه السلام.

التعدي على شخصية الإمام الحسين عليه السلام بالقتل بعد توافر القداسة الشرعية لشخصيته عليه السلام، لما ورد فيه من آيات وروايات عن جده المصطفى صلى الله عليه وآله كقوله: «حسين مني وأنا من حسين، أحبّ الله من أحبّ حسيناً، حسين سبط من الأسباط»^(١).

الثاني: التعدي على الإمام الواجب طاعته.

الخروج عن بيعته وطاعته باعتباره عليه السلام الخليفة المفترض الطاعة للمسلمين أجمعين، فهو عليه السلام خليفة للصلح الذي أجري بين معاوية وبين الإمام الحسن عليه السلام، وكان أحد بنود الصلح أنّ الخليفة من بعد معاوية الحسن عليه السلام، فإن حدث به حدث فالحسين عليه السلام، فهو الخليفة الشرعي بالبيعة لمن يعتقد ببيعة أصحاب الحل والعقد أو بالشورى وذلك أنّ الإمام الحسين عليه السلام توافرت له البيعة والشورى قبل خلافة يزيد، وقد ذكر ذلك في بنود الصلح، إذن مدرسة

(١) مسند أحمد لأحمد بن حنبل ج ٤ ص ١٧٢.

الخلافة تؤمن إما بالبيعة أو بالشورى، فمن الناحية القانونية فإنّ الحسين عليه السلام هو الخليفة الشرعي وفق المبادئ القانونية، أما على مدرسة أهل البيت عليهم السلام فالأمر أوضح باعتبار النص الوارد في حقه عليه السلام من جده المصطفى ص، ومن أبيه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ومن أخيه الحسن عليه السلام، فالتعدي على الخليفة المفترض الطاعة خروج على الإمام الشرعي.

الثالث: مواجهة الحركة السلمية بالقمع.

الإمام عليه السلام رجل سلام لم يأت للحرب، وحرسته حركة سلمية دلت عليه السلام على ذلك بتعبيرات عدة:

الأول: إنه لم يبدأ القوم بقتال.

الثاني: قال عليه السلام: «إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي صلى الله عليه وآله»^(١) أي أنّ خروجه عليه السلام لم يكن ظلاماً أو تعدياً وإنما لحركة سلمية إصلاحية، لم يتعد الإمام الحسين عليه السلام على أحد، فيكون التعدي عليه يمثل منتهى الحقارة والدونية والخروج عن قيم الإنسانية إذ أنّ من يخرج لطلب الإصلاح بنحو سلمي لا يرفع سيفاً بل يريد إصلاح الأمة وعندئذ فإنّ استئصال الحركة السلمية بالقمع والتعدي والظلم هو انتهاك لمبادئ الشرائع الساوية والإنسانية.

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ٤٤ ص ٣٢٩.

الرابع: إنكار حقانية الإمام الحسين عليه السلام.

لقد أنكر القوم حقانية الإمام الحسين عليه السلام وجابهوا ما أفاده عليه السلام من وجود أحاديث واردة عن جده المصطفى صلى الله عليه وآله في حقه عليه السلام، بإعلام مصاد للإمام عليه السلام ونكران استناد الإمام الحسين عليه السلام للنصوص الشرعية، والإمام عليه السلام قال للقوم الذين جاءوا لقتله -وقد أعمل لهم غسل أدمغة- «أولم يبلغكم ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله لي ولأخي: هذان سيدا شباب أهل الجنة؟ فان صدقتموني بما أقول وهو الحق، والله ما تعمدت كذباً مذ علمت أن الله يمقت عليه أهله، وإن كذبتموني فإن فيكم من إن سألتموه عن ذلك أخبركم، أسألوا جابر ابن عبد الله الأنصاري وأبا سعيد الخدري وسهل بن سعد الساعدي وزيد بن أرقم وأنس بن مالك يخبروكم أنهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله صلى الله عليه وآله لي ولأخي»^(١) أي أن المشروعية لشخصيتي لا تتوافر لغيري، ونكران هذا الواقع الذي أُصل من القرآن الكريم والنبى صلى الله عليه وآله انتهاك لحرمة الكتاب والسنة.

الخامس: انتهاك القيم الإنسانية.

لقد انتهكت قيم ومبادئ إنسانية متعددة، فهناك قيم سائدة في الفكر البشري لدى العرب وغيرهم، من جملتها حرمة التعدي والسلب للأطفال والنساء، وهذه مبادئ تلتزم بها المجتمعات البشرية من ناحية عامة، خصوصاً في عصرنا لتحضر الإنسان بنحو أكبر، وقد أصبحت هذه المبادئ بنوداً معترف بها لدى

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ٤٥ ص ٦

الهيئات الدولية، أما في السابق فكانت مجرد كلمات تقال ويلتزم بها حين يغلب طرفٌ طرفاً آخر، ويعد التعدي بسلبه ونهبه أو التعدي على أطفاله ونسائه أو سبي نسائه خروجاً صارخاً عن تلك المبادئ والقيم، والإمام الحسين عليه السلام تُعدي على نسائه وأطفاله وسلب ونهب رحله، والأفدح من ذلك حرق المخيمات مع وجود نساء وأطفال فيها، وكل ذلك تجرد عن القيم والمعايير.

استثنائية مصيبة الإمام عليه السلام.

ونلفت الانتباه هنا إلى أن ما حدث من مأس في التاريخ، خصوصاً في تأريخنا الحديث كالقنابل النووية التي أُلقيت على هيروشيما ونيجازاكي وأحرقت الأخضر واليابس مأساة، رغم فداحتها غير أنها كانت لوجود حرب مستعرة بين دولتين كل منهما تريد أن تقضي على مكان القوة للدولة الأخرى، وليست حركة سلمية كحركة الإمام الحسين عليه السلام، ففي الحرب العالمية الثانية لم تكن الحركة سلمية، بل حرب يريد كل طرف أن ينتصر على الطرف الآخر، ويحاول أن يفعل ما باستطاعته مما يعبر عنه بأن كل شيء مباح في الحرب، بخلاف حركة الإمام الحسين عليه السلام فلا حرب فيها، ولم يأت عليه السلام للحرب، وكل ما يقال بأن المآسي التي حدثت في اليابان هي أعظم ليست بأعظم لأنها وقعت في حال حرب من طرفٍ على طرفٍ آخر، والإمام عليه السلام لم يأت ليحارب.

ولابد من النظر إلى فداحة ما حدث على الإمام عليه السلام من كل الحشيات ومن

جميع الزوايا، ولا ينظر من زاوية واحدة، فقد نجد زاوية محددة قُتل فيها نبي كيحیی بن زكرياء عليه السلام أو تعدي فيها على إبراهيم عليه السلام، فهناك شخصيات تعدي عليها غير أن المسألة مختلفة في ملحمة الإمام الحسين عليه السلام من ناحيتين:

الأولى: أن القتل كان بأبشع الصور، ومن ثم سلب بعد قتله، وقطعت بعض أطرافه.

الثانية: النظر إلى الملحمة من كل الحثيات من البدء حتى الانتهاء، فالمآسي التي حدثت كمنع الماء عن الحسين عليه السلام وأصحابه عليهم السلام وعن النساء والأطفال، والماء متاح للجميع، ولا نجد في الحروب الآن منع الماء عن الطرف الآخر حتى إذا كان ألد الأعداء، لذا نقول إن ما حدث على الحسين عليه السلام لم يحدث على غيره من حيث المجموع، والحثيات التي توافرت في ملحمة عليه السلام لن تتوافر في غيرها، وهي فريدة من نوعها من حيث المجموع لا من حيث مفردة خاصة، إذ أن بعض المفردات نجد لها مثيلاً كمنع الماء عن قوم، غير أنه لا تشريد لهم ولا حرق لمخيماتهم، وقد نجد قتلاً دون سلب، وقد يكون القتل والسلب دون قطع لبعض الأطراف وإيطاء الخيل لصدر المقتول.

كشف قتلة الإمام الحسين عليه السلام.

ورد في النصوص أن الإمام الحسين عليه السلام أراد أن يعذر في النصيحة ويرفع اللبس من الناحية القانونية والشرعية لوقوفه ضد الطغاة والظالمين، وضد الفكر المنسلخ عن القيم والمعايير، وعبر عن ذلك بتعبيرات:

أولاً: إقامة الحجّة.

قال الإمام عليه السلام: «يا شيبث بن ربعي، يا حجار بن أبجر، يا قيس بن الأشعث، يا يزيد بن الحارث، ألم تكتبوا إلي أن قد أينعت الشمار وأخضر الجناب، وإنما تقدم على جندك مجند؟! فقال له قيس بن الأشعث: ما ندري ما تقول، ولكن انزل على حكم بني عمك، فإنهم لن يروك إلا ما تحب، فقال له الحسين: لا والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا أفر فرار العبيد»^(١) أقام الإمام عليه السلام الحجّة عليهم وأبان عزته وكرامته وعدم قبوله للذل والمهانة في الخضوع لحكومة يزيد اللاشرعية.

ثانياً: أولوية المصالح الشخصية.

وقد أشار الإمام عليه السلام إلى أن بعض من يحاربه كان قد كتب إليه ودعاه إلى الوقوف ضد الأمويين، وبنبغي أن ننبه هاهنا بأن الكوفة فيها مجاميع مختلفة الأهواء والتوجهات، بعضهم يصدق عليه التعبير الحديث - برجاتي - أي لهم مصالح، ولا يهمهم من يحكم بقدر ما يهمهم تحقيق مآربهم ومصالحهم، ومن هؤلاء (شيبث بن ربعي، وحجار بن أبجر، وقيس بن الأشعث، ويزيد بن الحارث) فدعوتهم للإمام الحسين عليه السلام وإرسال أكثر من اثني عشر ألف كتاب إليه عليه السلام، جعل البيعة في أعناقهم لازمة للإمام الحسين عليه السلام ومع ذلك انسلخوا عنه، ولم يهتموا بالدين بقدر اهتمامهم بمصالحهم.

(١) الإرشاد للشيخ المفيد ج ٢ ص ٩٨.

ثالثاً: نقض العهود ومقارفة الحرام.

وقد عبّر الإمام عليه السلام عنهم بأنّ بطونهم ملئت من الحرام، وهم ليسوا بشيعة للإمام عليه السلام كما أنهم ليسوا بشيعة للأمويين أيضاً، فهم لا يؤمنون بمبادئ بقدر ما تهمهم مصالحهم، فإذا أعطوا ولو بالوعود انسلخوا عن أي قيدٍ، ولعل دعوتهم للإمام الحسين عليه السلام لذلك، لأنهم يريدون أن يساوموا على الإمام الحسين عليه السلام مع الأمويين، ويحصلون على بعض المكاسب، وهذا هو السبب لإعطاء عمر بن سعد إمارة الري وجرجان، وقد حدثت وعود بإعطاء امتيازات لمن يقف ضد الإمام الحسين عليه السلام، ولذلك تحدث عمر بن سعد عن هذا المعنى بقوله:

يقولون إنّ الله خالق جنّة ونار وتعذيب وغل يدين
فإن صدقوا فيما يقولون إنني أتوب الى الرحمن من سنتين^١

هذا مبدأ برجماتي وعمر بن سعد لا يشايح الحسين عليه السلام، ولا يشايح الأمويين، لكنه يقترف أعظم الجرائم من أجل تحقيق مصالحه.

شبهة قتل الشيعة للإمام عليه السلام.

هذه المسألة غاية في الأهمية، لأنّ بعض المهرجين قال: إنّ الحسين قتله الشيعة عندما دعوه، مع أنّ بعض من دعاه ليسوا بشيعة لا للأمويين ولا للحسين عليه السلام، وهمهم تحقيق مصالحهم كما تقدم، نعم؛ الكوفة فيها شيعة

(١) اللهوف في قتلى الطفوف لابن طاووس ص ١٩٣.

للأمويين، وشيعة لعلي عليه السلام وأهل البيت، وفيها أحزاب أخرى، والمجتمع الكوفي مجموعة من الأحزاب والتوجهات والانتماءات المختلفة آنذاك، وقد دعا الإمام الحسين عليه السلام قوم ليسوا بشيعة له عليه السلام كما أن بعض الشيعة دعوه أيضاً غير أن أكثرهم قد أودع السجن، والحق أن مجموعة من أصحاب المصالح أرادوا أن يحققوا مآربهم بدعوتهم للحسين عليه السلام فلما أعطوا الامتيازات بالوعد، وصدرت لبعضهم وثائق بالحصول على ما يريد أظهر أن ذلك همهم، غير أن بعضهم بل أكثرهم لم تتح الظروف أن يحصل على ما وُعد به كعمر بن سعد باعتبار أن القتل كان مصيرهم بعد مجيء المختار الثقفي الذي استأصل شأفتهم وأنهى أكثرهم بحركته.

القيم في الملحمة الحسينية.

جسد الإمام الحسين عليه السلام قيم الإنسانية في شخصيته من خلال مبادئ

طبقها:

الأول: بيان أحقيته الشرعية.

لقد أنذر الإمام عليه السلام أكثر من مرة، منها: أنه قام عليه السلام خطيباً وأكد على شرعيته وبين أنه لا يوجد ابن بنت نبي في العالم غيره.

الثاني: فضح الأمويين.

وأبان عليه السلام أكثر من مرة أيضاً أن الأمويين ليسوا أصحاب عدل ولا يهمهم

إلا تحقيق مصالحهم، وأوضح عليه السلام المسألة بإيضاح غاية في الأهمية حتى لا يقول الناس بعد حين أنهم خدعوا، ولم تكن المسألة واضحة، قال عليه السلام: «بغير عدلٍ أفشوه فيكم، ولا أملٍ أصبح لكم فيهم، إلا الحرام من الدنيا أنالوكم، وخسيس عيشٍ طمعتم فيه»^(١) أي أن وقوف القوم مع الأمويين لمجرد أمانى خادعة ووعود كاذبة، وليس لعدل وعدالة، إذ الأمويون همهم مصالحهم وليس الصالح العام، وقد عبّر بعض الأمويين بتعبيرات كثيرة عن هذا المعنى قال سعيد بن العاص: «إنما هذا السواد بستان قريش»^(٢) أي أن العراق وما يجبي منه بمثابة مزرعة صغيرة يتصرف بها الأمويون.

الثالث: كشف الزيف الأموي.

أوضح الإمام الحسين عليه السلام لمقاتليه أن الأمويين الذين يدافعون عنهم لا يمثلون عدلاً ولا قياً ولا انتهاً لأي مبدأ من المبادئ الإنسانية والإسلامية.

الرابع: الأمويون يحاربون قيم الإمام عليه السلام.

لعل أبلغ ما قاله الإمام الحسين عليه السلام لأصحابه وأهل بيته أن الأمويين يطلبونه لشخصيته الفذة والفريدة، فإذا ظفروا به وقتلوه لا يهمهم غيره من المعارضين، قال عليه السلام: «إني قد أذنت لكم فانطلقوا جميعاً في حل ليس عليكم مني ذمام وهذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً وليأخذ كل رجل منكم بيد

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ٤٥ ص ٨.

(٢) تاريخ ابن خلدون ج ٢ ق ٢ ص ١٠.

رجل من أهل بيتي وتفرقوا في سوادكم ومدائنكم فان القوم انما يطلبونني ولو
 قد أصابوني لهوا عن طلب غيري»^(١) أوضح الإمام الحسين عليه السلام ذلك أكثر من
 مرة، وأراد عليه السلام للمسألة أن تصل إلى درجة عالية في فهم المبدأ والذود عنه
 اختياراً، ولا تتعلق بعدم الخديعة والضرر فحسب، بل يريد لمن يقف معه أن
 يذود عن القيم ويدافع عن المقدسات باختياره انطلاقاً من ضميره، فلما علم
 أنّ أهل بيته وأصحابه يقفون معه للحق فحسب قال فيهم عليهم السلام: «اللهم إني لا
 أعرف أهل بيت أبر ولا أزكى ولا أطهر من أهل بيتي ولا أصحابا هم خير
 من أصحابي»^(٢) إنّ هذا من أعظم المبادئ التي شكلت فارقاً كبيراً في
 ثورته عليه السلام وملحمته دون أن تتوافر في أي ملحمة أو ثورة أخرى، فكون
 الإنسان يذود عن المقدسات ويدافع عن قيم ومبادئ الإسلام بملاء إرادته
 دون أي إكراه يجسد منتهى التفاعل الإيماني، ولكل ما تقدم كانت الملحمة
 فريدة من نوعها لا يشاركها غيرها إذا نُظر إلى جميع حيثياتها.

السُنن التاريخية بين الأنبياء والإمام الحسين عليه السلام

قال الله تعالى: ﴿وَبَلَّوْكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ (الأنبياء: ٣٥).

وقال الإمام الحسين عليه السلام: «إن الناس عبيد الدنيا، والدين لعق على
 ألسنتهم، يحوطونه ما درت معاشهم، فإذا مُحِّصوا بالبلاء قل الديّانون»^(٣).

(١) أعيان الشيعة للأمين ج ٧ ص ٢٤١.

(٢) بحار الأنوار للمجلسي ج ٤٤ ص ٣١٦.

(٣) بحار الأنوار للمجلسي ج ٤٤ ص ٣٨٣.

تحمل ذكرى أربعين الإمام الحسين عليه السلام عبق الشهادة والتذكير بسنة الابتلاء، التي من خلالها يتعلم المرء والأمة كيف يمكن اجتياز المراحل الصعبة والعقبات الكأداء وتحقيق النجاح الباهر في الابتلاء؟!!

عموميّة الابتلاء في الدنيا:

تحدث القرآن الكريم عن أنّ البلاء ليس حالة طارئة في حياة الأمم، بل هو سنة تاريخية يتم بها التكامل الاجتماعي والفردى، لذا كان الابتلاء يشمل كل حالة من أحوال الإنسان في الصحة والسقم والفقر والغنى. يُبتلى كفرد، ويبتلى أيضاً في دائرة المجموع الكلي للأمة، ويمكنه أن ينجح كفرد في اجتياز الابتلاء أو يفشل، والأمر كذلك في المجتمع يمكنه أن يفشل أو يحرز النجاح إذا كان لديه إيمان قوي بالله تعالى يستطيع من خلاله تجاوز العقبات التي تعوق حركته التكاملية وتوصله إلى أرقى المستويات التي يطمح إليها، إنّ الانشداد إلى عالم الآخرة، والنظر للعالم بنظرة ثابتة يعرف بها أنها خلقت للابتلاء، وأنّ الابتلاء يشمل جميع علاقات الإنسان بالله وبأخيه الإنسان والطبيعة، وأنه بذلك يصل إلى الله، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ (الإنشقاق: ٦) وكما أنّ الإرادة والعمل الجاد بعد الفشل يؤديان إلى تجديد الطاقات فإنّ الاستعداد للتعرض لابتلاء جديد من نوع آخر يمكن به إحراز النجاح مرة أخرى.

سُنَّةُ الْإِبْتِلَاءِ فِي حَيَاةِ الْأَنْبِيَاءِ.

سُنَّةُ الْإِبْتِلَاءِ سِمَةٌ بَارِزَةٌ فِي حَيَاةِ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، لَمْ نَجِدْ نَبِيًّا أَوْ رَسُولًا لَمْ يَتَعَرَّضْ لِلْبَلَاءِ بِأَيِّ صُورَةٍ مِنْ صُورِهِ الْمُتَعَدِّدَةِ، وَقَدْ طَرَحَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ نَمَاذِجَ مِنَ الْإِبْتِلَاءِ الَّذِي وَاجَهَهُ الْأَنْبِيَاءُ عَلَى الصَّعِيدِ الْاجْتِمَاعِيِّ فِي إِطَارِ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى كَمَا حَدَّثَ لِلنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَالْأَنْبِيَاءِ جَمِيعًا عَلَيْهِ السَّلَامُ أَوْ عَلَى الصَّعِيدِ الْفَرْدِيِّ كَمَا كَانَ ذَلِكَ لِنَبِيِّ اللَّهِ يَعْقُوبَ وَيُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَحَيَاةُ الْأُئِمَّةِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ تَكُنْ اسْتِثْنَاءً مِنْ هَذِهِ السُّنَّةِ الَّتِي رَافَقَتْ أَدْوَارَ حَيَاتِهِمُ الْمُخْتَلِفَةَ. وَسَوْفَ نَسْتَعْرِضُ نَمَاذِجَ ثَلَاثَةَ مِنْ حَيَاةِ هَؤُلَاءِ الْعِظَمَاءِ الَّذِينَ تَعَرَّضُوا لِلْإِبْتِلَاءِ:

الأول: السُّنَنُ التَّارِيخِيَّةُ فِي عَصْرِ النَّبِيِّ ﷺ.

تَعَرَّضَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَنْوَاعٍ مُتَعَدِّدَةٍ مِنَ الْإِبْتِلَاءِ، وَقَدْ تَجَسَّدَ ذَلِكَ فِي بَعْضِ الْمَوَاقِفِ الَّتِي صَدَرَتْ مِنْ أَصْحَابِهِ إِلَّا أَنَّ ذَلِكَ لَمْ يُؤَدِّ إِلَى تَقَهُّقْرِ الْأُمَّةِ وَتَرَاجُعِ حَرَكَتِهَا الصَّاعِدَةِ، وَتَجَلَّى ذَلِكَ فِيمَا حَدَّثَ مَعَهُ ﷺ عِنْدَمَا أَرَادَ أَنْ يُجَارِبَ الْمُشْرِكِينَ فِي مَعْرَكَةِ بَدْرٍ، حَيْثُ خَذَلَ بَعْضَ الصَّحَابَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَقَالَ: «إِنَّمَا قَرِيشٌ وَعِزْهَا، وَاللَّهُ مَا ذَلَّتْ مِنْذُ عِزَّتِ وَلَا آمَنْتْ مِنْذُ كَفَرَتْ»، غَيْرَ أَنَّ بَعْضَهُمُ الْآخِرُ كَانَ أَكْثَرَ إِيمَانًا وَوَعِيًّا وَتَحَمُّلاً لِلْمَسْئُولِيَّةِ، فَخَاطَبَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِطَرِيقَةٍ أُخْرَى، قَالَ الْمَقْدَادُ وَالْأَنْصَارُ: (فَاطِعْنَ حَيْثُ شِئْتَ، وَصَلْ حَبْلَ مِنْ شِئْتَ، وَخُذْ مِنْ أَمْوَالِنَا مَا شِئْتَ، وَأَعْطِنَا مَا شِئْتَ، وَمَا أَخَذْتَهُ مِنَّا

أحب إلينا مما تركته علينا. فوالله لو سرت حتى تبلغ البرك من غمد ذي يمن لسرنا معك^(١)، إنهم آمنوا بسمو الأهداف التي يطمحون إليها، وأن الدنيا عالم ابتلاء، لا يمكنهم الإنشداد إليها وترك الأهداف الرائدة التي تعود عليهم بالخير في الدنيا قبل الآخرة. وقد نجحت تلك الفئة التي صمدت، وانصاعت الفئة المخذلة، وتم النصر في معركة بدر التي أوجدت حركة تصاعدية للواقع الاجتماعي للأمة. أما التفهقر والتفكك الذي حدث في زمن أمير المؤمنين وابنه الإمام الحسين عليهما السلام فقد أوجب تحلُّفاً للأمة الإسلامية، وأدَّى إلى غلبة القوى الغاشمة وصار ما يربط الناس ويشدهم هو اللذة والمنفعة المؤقتة.

الثاني: السنن التاريخية في عصر النبي موسى عليه السلام.

النتيجة السلبية التي يُفرزها التفهقر ليست خاصة بأمتنا، بل هي سنة تاريخية مرّت على الأمم السالفة وعایشها الأنبياء السابقون، وما حدث في زمن نبي الله موسى عليه السلام مع بني إسرائيل رَسَمَهُ القرآن الكريم بإيضاح، ويبيّن كيف يتأتى لأمة أن تتقدّم تارة وأن تتقهقر أخرى، فعندما انصاعت أمة موسى عليه السلام لأوامر نبيها وتمسكت بقيادتها وصبرت وآثرت الله والدار الآخرة تقدمت للأمام وأحرزت نصراً على المجتمع القبطي، وعندما تحلّفت عن أوامر قائدها ونظرت إلى نفسها، متناسيةً قدرة الله تعالى، ورَجَّحت الموازين المؤقتة على الموازين الدائمة والخالدة لله تعالى تقهقرت إلى الوراء، مما أدّى إلى

(١) تاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ١٠٧.

موت موسى عليه السلام في التيه، بالإضافة إلى أن الأمة لم تستطع أن تخرز نصراً وتقدماً. وقد حكى القرآن الكريم هذا المشهد بشكل واضح قال تعالى:

﴿يَقَوْمِ أَدْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتُدُّوا عَلَىٰ آدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ (البقرة: ٢١)، أي بين لهم عليه السلام أن الله كتب لهم فتح فلسطين التي يتواجد فيها أناس يمتلكون القوة والعدة والعدد، وذلك يتطلب منهم الجراءة والإقدام، لكن مجتمع بني إسرائيل لم ينصع لأمر قائده الإلهي، وخاطب موسى عليه السلام بقوله: ﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلُهَا حَتَّىٰ يُخْرِجُوا مِنهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ قَالَ رَجَلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُم غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ * قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ (البقرة: ٢٢-٢٤)، ذلك تخلف واضح عما يريده الله تعالى أدى إلى تراجع المجتمع بأكمله. والسبب في ذلك عدم خضوعه لقيادته الراشدة التي تجسد الوعي والفهم العميق للحركة الاجتماعية، وبالتالي استحق العقاب لأنه سُنَّه تكوينية تترتب على تخلف وتراجع المجتمع إلى الوراء، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ * قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ (البقرة: ٢٥-٢٦)، عاقبهم الله تعالى بالبقاء في صحراء سيناء أربعين سنة لا يستطيعون دخول فلسطين،

وقد شمل البلاء موسى عليه السلام رغم أنه من أولي العزم من الأنبياء، ومن أقرب الخلق إلى الله تعالى وأطوعهم لأمره لكنه توفى في التَّيَّة.

الثالث: السُّنن التاريخية في عصر الإمام الحسين عليه السلام.

ما حدث مع موسى عليه السلام هو نفسه ما حدث مع الإمام الحسين عليه السلام، فموسى عليه السلام أدَّى دوره وابتلي ومات في التَّيَّة، والإمام الحسين عليه السلام أدَّى دوره فُقُتِل واستُشْهِد. ومع أنَّ الإمام عليه السلام توافرت كل مقومات النجاح لحركته ونهضته المباركة التي من أهمها:

الأول: الإيمان بالله والسير على طريقه مع اليقين بالآخرة، والنظر للعالمية بأنها دار ابتلاء.

الثاني: الصمود على المبدأ، والتحدي لمواجهة العقبات المتعددة بصبرٍ وأناة.

الأمّة تخذل الإمام الحسين عليه السلام.

غير أنَّ الأمّة في زمن الإمام عليه السلام لم تتفاعل معه بنحو إيجابي، وتناست الروايات الواردة عن الرسول صلى الله عليه وآله في التوكيد على إمامته، بل تفاعل بعض الأمّة تفاعلاً سلبياً معه عليه السلام، وسكت بعضها الآخر فأدى ذلك إلى تلك النتيجة غير المحمودة للواقع الاجتماعي، فالمجتمع لم يتفهقر فحسب؛ وإنما عاد إلى ممارسة الظلم والرييلة، وذلك هو الواقع نفسه الذي واجهه الإمام الحسن عليه السلام، وواجهه كذلك أمير المؤمنين عليه السلام من قبله.

سُنَّة الابتلاء في كربلاء:

أوضح الإمام الحسين عليه السلام بكلماته النورانية التي افتتحنا بها الحديث الأسباب التي جعلت الأمة تتقهقر ولم تنصع لقيادتها الراشدة بأمر ثلاثة:

الأول: الأطماع الدنيوية واللهث خلفها إلى درجة وصلت إلى عبادتها واتخاذها آلهة، فقد شدّت القوم الأرض وغرّتهم الأهواء، قال الإمام الحسين عليه السلام: «إن الناس عبيد الدنيا»^(١)، يشير عليه السلام إلى مبدأ من مبادئ التقهقر وهو الانشداد الوثيق للدنيا والارتباط بها، عندئذ لا يمكن أن يتحقّق تقدّم المجتمع.

الثاني: مثل الدين لهؤلاء القالب الشكلي الذي يتمسكون به بمقدار ما يُحقّق لهم مكاسب مادية فقط، وعلى هذا الأساس ليس لديهم الاستعداد للتضحية بأنفسهم والجهاد من أجل مبادئه الحقّة، قال عليه السلام: «والدّين لعقّ على ألسنتهم يُحيطونه ما درّت معاشهم»^(٢).

الثالث: الابتلاء وهو الذي كشف حقيقتهم وبيّن واقعهم الذي يسترونه بالأقنعة المزيفة والبراقة، قال الإمام عليه السلام: «فإذا مُحّصوا بالبلاء قلّ الدّيّانون»^(٣).

لم يتحدث عليه السلام عن واقع الذين طلبوا منه أن ينهض، لكنهم عندما حانت

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ٤٤ ص ٣٨٣.

(٢) بحار الأنوار للمجلسي ج ٤٤ ص ٣٨٣.

(٣) نفس المصدر السابق.

ساعة الصفر تراجعوا وخذلوا الإمام عليه السلام، ولم يكتفوا بذلك، بل قتلوه شر قتلة
وسبوا أهل بيته ونهبوا أموالهم، وقاموا بفضائع وجرائم لا تصدر من إنسان
فضلاً عن مسلم.

الفصل الخامس

الثمرات المترتبة لزيارة الإمام الحسين عليه السلام

زيارة الإمام الحسين عليه السلام منارة فكر وأصالة ثقافية

ورد في زيارة الإمام الحسين عليه السلام: «أشهد أنك قد أقمّت الصلاة وآتيت الزكاة وأمّرت بالمعروف ونهيت عن المنكر»^(١) وورد أيضاً «أشهد أنك قد أمّرت بالقسط والعدل ودعوت إليهما»^(٢).

الجزاء الإلهي لزيارة الإمام الحسين عليه السلام.

بقراءة في المجاميع الحديثية التي تضم بين دفتيها الروايات الكثيرة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام نجد كمّاً هائلاً من الروايات التي وردت في فضل وأهمية زيارة الأمام الحسين عليه السلام نذكر روايتين:

الأولى: عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «من لم يأت قبر الحسين عليه السلام حتى

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ٩٧ ص ٢٩٣.

(٢) بحار الأنوار للمجلسي ج ٩٨ ص ٣٣٧.

يموت كان مُنتَقِصَ الدين، مُنتَقِصَ الإِيان، وإن دخل الجنة كان دون المؤمنين في الجنة»^(١).

الثانية: عنه عليه السلام أيضا قال: «وَكَلَّ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِقَبْرِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام سَبْعِينَ أَلْفَ مَلَكٍ يَعْبُدُونَ اللَّهَ عِنْدَهُ، الصَّلَاةُ الْوَاحِدَةُ مَن صَلَاةٍ أَحَدِهِمْ تَعْدُلُ أَلْفَ صَلَاةٍ مِنَ الصَّلَاةِ الْآدَمِيِّينَ، يَكُونُ ثَوَابُ صَلَاتِهِمْ لَزُورِ قَبْرِ الْحُسَيْنِ عليه السلام...»^(٢).

تؤكد هاتان الروايتان وغيرهما على أن زيارة الإمام الحسين عليه السلام تعكس البُعدَ الديني والإيماني في شخصية الإنسان المؤمن ومع أن زيارته عليه السلام منذ استشهاده إلى يومنا هذا محفوفة بالمخاطر الكثيرة، إلا أن الزوّار يتحملون هذه الأعباء الجسيمة للوصول إلى قبره عليه السلام حتى بلغ الأمر في بعض الأزمنة أنه إذا ذهب عشرة لزيارة الإمام عليه السلام قتل الطغاة واحداً منهم، إلا أن ذلك لم يمنع الزوّار من الاستمرار في الزيارة، بل أن الأئمة عليهم السلام - في ذلك الوقت الحرج - ازداد تأكيدهم وحثهم على زيارته عليه السلام بالرغم من التضحيات الكبيرة والأعباء الثقيلة التي يتكبدها الزوّار.

أهداف الثورة الحسينية في زيارة الإمام الحسين عليه السلام

من الواضح أن هذه الروايات تُريد ربط المجتمع الإسلامي بالإمام

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ٩٨ ص ٤.

(٢) بحار الأنوار للمجلسي ج ٩٨ ص ٥٥.

الحسين عليه السلام وربطه بالقيم والأهداف التي ثار من أجلها عليه السلام، وحددها في مقولته الشهيرة: «إِنَّمَا خَرَجْتُ لِطَلْبِ الإِصْلَاحِ فِي أُمَّةٍ جَدِيدِي، أُرِيدُ أَنْ أَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ»^(١). لذا نجد أن الثورة الحسينية انطلقت في مسيرتها النهضوية والإصلاحية على أساس قيم إنسانية رفيعة نابعة من المبادئ الإسلامية العظيمة، وهذه الأهداف نجدها بجلاء ووضوح في نصوص زيارة الإمام الحسين عليه السلام خصوصاً النص الذي افتتحنا به حديثنا، ويمكن أن نُلخص هذه الأهداف والمبادئ في النقاط الآتية:

الأولى: إحياء الدين وتشريعاته التي كادت أن تدرس بسبب الانحراف الأموي.

الثانية: تقديس العدالة ومناهضة الظلم بشتى صورته.

الثالثة: التأكيد على مبادئ الحرية على ضوء الفكر الإسلامي.

الرابعة: السير على نهج الأنبياء والرسل السابقين.

وهذه النقطة الأخيرة نستفيدها أيضاً من نصوص زيارة الإمام الحسين عليه السلام التي تقول: «السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَارثَ آدَمَ صَفْوَةَ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَارثَ نُوحِ نَبِيِّ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَارثَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ اللَّهِ... السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَارثَ مُحَمَّدٍ حَبِيبِ اللَّهِ...»^(٢) أي أنه عليه السلام يجسّد في ثورته واستشهاده جميع أهداف الأنبياء والرسل السابقين.

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ٤٤ ص ٣٢٩.

(٢) بحار الأنوار للمجلسي ج ٩٨ ص ١٦٣.

ويُوصلنا ذلك إلى السّر في تلك الروايات الكثيرة التي تربط الناس بزيارة الإمام الحسين عليه السلام، وأن ذلك من أجل استمرار وديمومة الأهداف التي من أجلها ثار عليه السلام، إذ من الواضح أنّ الأئمة عليهم السلام كانوا لا يريدون لتلك الجذوة التي أشعلها الإمام الحسين عليه السلام أن تنطفئ بل يريدون لها أن تشتعل وتستمر كي تُضيء للسائرين في طريقه عليه السلام.

الإمام المهدي عليه السلام والثورة الحسينية.

وإذا كان حديثنا حول استضاءة السائرين بالفكر الحسيني وأخذه نهجاً وطريقاً في الإصلاح السياسي والاجتماعي، فلن يُوجد أفضل من الإمام المهدي عليه السلام وهو يحمل هذه الجذوة الحسينية منادياً بشعاره المميز «يا لثارات الحسين»^(١)، ومعنى ذلك أنّ كل من حارب الإمام الحسين عليه السلام لطمس الفكر الحسيني الأصيل في كل زمان ومكان يقفُ معارضاً لأهداف وقيم النهضة المهديّة إذ المهدي عليه السلام يُبند كل طاقاته وقدراته لمحاربتها فكرياً وإعلامياً وعسكرياً. وإذا كانت ثورة الإمام الحسين عليه السلام بهذه المثابة نعرّفُ سرّاً آخر من أسرار الروايات التي تُؤكدُ على أهمية زيارته عليه السلام كي تربط الناس بالثورة المهديّة، ويتضح هذا المعنى بجلاء في زيارته عليه السلام التي تقول: «فأسأل الله الذي أكرم مقامك وأكرمني بك أن يرزقني طلبك ثارك مع إمام منصور من أهل بيت محمد صلّى الله عليه وآله»^(٢).

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ٤٤ ص ٢٨٦.

(٢) بحار الأنوار للمجلسي ج ٩٨ ص ٢٩٤.

وظيفتنا تجاه الثورة الحسينية.

نُردد كثيراً هذه العبارات في زيارتنا للإمام الحسين عليه السلام: «لَبَّيْكَ دَاعِيَ اللَّهِ، إِنْ كَانَ لَمْ يُجِبْكَ بَدَنِي عِنْدَ اسْتِعَاثَتِكَ وَلِسَانِي عِنْدَ اسْتِنصَارِكَ فَقَدْ أَجَابَكَ قَلْبِي وَسَمْعِي وَبَصْرِي»^(١)، هذه الكلمات ليست لقلقة لسانٍ تُقالُ جُزأفأً، بل معاهدة مع الإمام الحسين عليه السلام على نُصرة مبادئه وأهدافه والدفاع عنها بالقلب والسمع والبصر، لذا تقع على عاتقنا مسؤولية جسيمة في نشر مبادئ وأفكار الإمام الحسين عليه السلام وإيضاح الصورة الحقيقية لأهدافه التي ضحى من أجلها، وهي مسؤولية يتحملها المجتمع بكامله من عالم دينٍ وخطيب منبرٍ إلى المثقفين والشباب والشابات وكبار السن حتى براعمنا الفتية، وذلك من خلال التأليف أو الجلسات والمحاورات أو من خلال المشاركة في الإعلام المقروء والمسموع بقدر الإمكان. إنَّ نشر الثقافة الحسينية على أساس الفكر والوعي - الذي تتضمنه الثورة - تجعل أبناء المجتمع أكثر ارتباطاً وأعمق تأثراً بالثورة الحسينية، و سينعكس ذلك على دورهم الإعلامي في إيصال هذه الثقافة إلى الآخرين الذين لا يعرفون الثقافة الحسينية أو يُشككون في تعاطينا معها بسبب الإعلام المُضلل الذي شوه صورة الحقيقة في علاقتنا بالإمام الحسين عليه السلام فكراً ومبدأً وسلوكاً.

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ٩٨ ص ٣٣٧.

تطور الخطاب الإعلامي.

في هذا السياق نُبدي اعتزازاً وافتخاراً وغبطةً وسروراً بالتحرك الإعلامي الذي تسير فيه بعض القنوات الفضائية وشبكات النت التي تقوم بدور رائع في طرح الثقافة الحسينية على المستوى العالمي وتسعى لمعالجة الإشكاليات ورد الشبهات العالقة في فكر البعض حول هذه الثورة المباركة. إننا نطمح و نتطلع إلى المزيد من التطور على مستوى المادة العلمية وأساليب الطرح التي تتناسب مع الثورة الإعلامية والثقافية التي يشهدها العالم بأسره، بالإضافة إلى أننا نحتاج إعلاماً دولياً ضخماً يتناسب مع حجم الإعلام المضاد ونتمنى أن يتحقق ذلك في المستقبل القريب بفضل جهود الشباب الواعي والمثقف.

زيارة الإمام الحسين عليه السلام في مضامينها الإصلاحية

روي أنّ النبي صلى الله عليه وآله خاطب علياً عليه السلام، قائلاً له: «يا علي من زارني في حياتي أو بعد موتي أو زارك في حياتك أو بعد موتك أو زار ابنك في حياتها أو بعد موتها ضمنت له يوم القيامة أن أخلصه من أهوالها وشدائدها حتى أصيره في درجتي»^(١). صدق الرسول الكريم صلى الله عليه وآله.

أهداف تشريع الزيارة.

زيارة النبي صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام معلم من معالم الدين، وقد أولت

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ٩٧ ص ١٢٣.

مدرسة أهل البيت عناية كبيرة بها، لتركز بها مبادئ الخير وأسس الفضيلة لشخصية النبي ﷺ والأئمة من أهل البيت ﷺ في نفوس الزائرين، ويمكن أن نلخص جملة من الأهداف التي على إثرها تمت العناية بالزيارة لما تحويه من تلك المعاني الرفيعة:

الأول: الربط العقلي والعاطفي بالإمام.

إذا نظرنا إلى مبدأ الزيارة نجد أنّ النبي ﷺ والأئمة من أهل البيت ﷺ يريدون أن يحققوا بها ربطاً عقلياً وعاطفياً بين الزائر والمزور ليتحقق مبدأ القدوة الحسنة من خلال تكرار الألفاظ الدالة على المعاني الكبيرة في شخصية المزور، فهي مدرسة يتعلم فيها الزائر تلك الدروس التي تجسدت في شخصية من يزوره.

الثاني: التجسيد لقيم الدين.

نقرأ في زيارات المعصومين ﷺ أنّهم جسدوا قيم الدين وأظهروا معالم الشريعة، فهم الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.

الثالث: غرس المفاهيم العقديّة.

من المعاني العظيمة التي نجدتها في زيارة الأئمة ﷺ أنّهم الاستمرار والديمومة لحركة أنبياء الله ورسله عقدياً، وهم الورثة على نحو الحقيقة لجميع الأنبياء والرسل منذ آدم إلى محمد ﷺ، وحركة المعصوم تجسد الخير العام

للأمة. وأنّ من يريد التقرب إلى الله تعالى لا بد أن يرى الإمام عليه السلام همزة الوصل بينه وبين الحق تعالى.

الرابع: ترتب الخير الوفير على الزيارة.

وإذا كانت المعاني الآنفة مأخوذة بعين الاعتبار فلا غرو أن نجد ذلك الثواب العظيم والأجر الجزيل في زيارتهم عليهم السلام، بالخصوص في زيارة الإمام الحسين عليه السلام، سئل الإمام الصادق عليه السلام عن زيارة جده الحسين عليه السلام، هل في وقت أفضل من وقت؟ فقال عليه السلام: «زوروه صلى الله عليه في كل وقت وفي كل حين، فإن زيارته عليه السلام خير موضوع، فمن أكثر منها فقد استكثر من الخير، ومن قلل قلل له»^(١)، يأمر الإمام عليه السلام الناس بزيارة الحسين عليه السلام في كل زمان، في الليل والنهار، في أيام الفضيلة وفي سائر الأيام، أي في كل يوم من أيام السنة يستحب زيارة الحسين عليه السلام، وذلك لما شرحناه من أن الزيارة تعمق معاني الكمال والربط بقيم الأنبياء والرسل وبالحق تعالى، ويبين الإمام الصادق عليه السلام بقوله: «فإنّ زيارته خير موضوع» ذلك الأمر ويقرره، «فمن أكثر منها ستكثر من الخير، ومن قلل قلل له».

الخامس: التركيز على المفاهيم التشريعية.

هناك معانٍ رائعة للزيارة منها ما جاء في زيارة وارث، وهي من الزيارات المشهورة للإمام عليه السلام وتعرفنا على الخير الذي ناله من زيارته عليه السلام، «أشهد أنك قد

(١) وسائل الشيعة للحر العاملي ج ١٤ ص ٤٧٣.

أَقَمَتِ الصَّلَاةَ وَأَتَيْتِ الزَّكَاةَ»^(١)، هذا معنى عميق أكد عليه القرآن الكريم، ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ (النمل: ٣)، والإمام عليه السلام لا يقيم الطقوس العبادية البحتة دون أن تقترن بجانب عملية تُؤثر على حركة المجتمع، هي مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، «وأمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر وأطعت الله ورسوله حتى أتاك اليقين»، أي أنه عليه السلام على يقين فيما يقوم به ويدعو الناس إليه.

السادس: إبراز البُعد المعنوي في شخصية الإمام.

وفي زيارة وارث، «أشهد أنك الإمام البر التقي»، الإمام عليه السلام برُّ تقيٍّ، ليس كبعض من يقوم بثورة، ولا يلتفت إلى المعاني القيمة، بل همه تحقيق المصالح لنفسه أو لفئته. لأنه عليه السلام يمثل الربط الوثيق بين الحق تعالى والخلق، وهو الهادي إلى الخير والسداد، والمهدي من الله تعالى.

السابع: الاستعداد لتلقي مبادئ الحسين عليه السلام.

وفي زيارة الإمام الحسين عليه السلام في رجب وشعبان، نفهم الربط الوثيق بين

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ٩٨ ص ٢٠٠، (أشهد أنك قد أقمت الصلاة، وآتيت الزكاة، وأمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر، وأطعت الله ورسوله، حتى أتاك اليقين، فلعن الله أمة قتلتك ولعن الله أمة ظلمتك، ولعن الله أمة سمعت بذلك فرضيت به. يا مولاي يا أبا عبد الله! أشهد أنك كنت نورا" في الأصلاب الشاخمة، والأرحام المطهرة، لم تنجسك الجاهلية بأنجاسها ولم تلبسك مدلهيات ثيابها، وأشهد أنك من دعائم الدين، وأركان المؤمنين، وأشهد أنك الامام البر التقي الرضي الزكي الهادي المهدي، وأشهد أن الأئمة من ولدك كلمة التقوى وأعلام الهدى والعروة الوثقى).

الزائر وبين المبادئ التي قام بها الإمام عليه السلام من خلال التأكيد على أهمية الاستعداد من الناحية الفكرية والعاطفية، «ليتك داعي الله، إن كان لم يجبك بدني عند استغاثتك ولساني عند استنصارك فقد أجابك قلبي وسمعي وبصري، أشهد أنك قد أمرت بالقسط»^(١)، وعندما نتساءل لماذا يجب الإمام عليه السلام قلب المؤمن وسمعه وبصره وجميع جوارحه، وجوانحه؟ السبب هو أن الإمام عليه السلام أمر بالقسط والعدل ودعا إليهما، «أشهد أنك قد أمرت بالقسط والعدل ودعوت إليهما».

الثامن: الإمام صادق نظرياً وعملياً.

هناك فارق بين دعوة الإمام إلى القسط والعدل وسائر الدعوات تفصح عنه الزيارة، «وأنت صادق صديق صدقت فيما دعوت إليه»، إذ يرفع بعض الثوار شعارات جوفاء، وإذا وصلوا إلى مآربهم تخلوا عما رفعوه، أما الإمام المعصوم عليه السلام فإن فعله يطابق قوله، وقوله يطابق فعله، لأنه صادق صديق فيما دعا إليه من القسط والعدل.

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ٩٨ ص ٣٣٨، (ليتك داعي الله، إن كان لم يجبك بدني عند استغاثتك ولساني عند استنصارك، فقد أجابك قلبي وسمعي وبصري، سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولاً. أشهد أنك طهر طاهر مطهر، من طهر طاهر مطهر، طهرت وطهرت بك البلاد، و طهرت أرض أنت بها وطهر حرمك، أشهد أنك قد أمرت بالقسط والعدل ودعوت إليهما وأنت صادق صديق فيما دعوت إليه، وأنت ثار الله في الأرض).

التاسع: تأكيد عبودية الإمام لله تعالى.

تجسد شخصية هؤلاء العظماء أقصى مراتب العبودية والطاعة للحق تعالى، وقد جاء في إحدى زيارات الإمام عليه السلام التأكيد على ذلك، لمن يريد أن يتشرب معنى الثورة الحسينية ويرتبط بها عاطفياً وفكرياً، «السلام عليك أيها العبد الصالح الزكي»، نشهد له بالعبودية مع أن جميع الخلق هم عباد لله تعالى، إلا أن العبودية هنا تمثل صلاحاً، والإمام عبد صالح أصلحه الله تعالى، وزكاه، فجعله طاهراً من الرجس في الفكر والعلم والعمل.

العاشر: الارتباط بالإمام في الدنيا والآخرة.

ويستمر الزائر قائلاً: «السلام عليك أيها العبد الصالح الزكي، أودعك شهادةً مني إليك تقربني إليك يوم شفاعتك»، يريد من يزور الحسين عليه السلام أن يرتبط به في حياته الدنيا والآخرة، أما في عالم الدنيا فيريد أن يسير على منهاجه، وأن تكون الزيارة ذخيرة له عند الله وعند الإمام عليه السلام، وأما في الآخرة فإن المعصوم يشهد، ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْئِهِمْ﴾ (الإسراء: ٧١)، أي، أن كل شخص مع من يرتبط معه في الفكر والأخلاق والقيم والمعتقد.

الحادي عشر: الاعتقاد باستشهاد الإمام.

وردت في الإمام الحسين عليه السلام روايات متعددة لأهمية ارتباط المؤمن في حياته بزيارته وذلك من أجل التأكيد على مبدأ الاستشهاد في سبيل الله، لأن من يمضي شهيداً في سبيل الله لم يمت، بل، هو حي يرزق عند الله تعالى،

والتكرار المتواصل لزيارته عليه السلام يغرس مفهوم الشهادة في أذهان من يرتبط به، مما يهيؤه نفسياً وعاطفياً وفكرياً لتقديم نفسه قرباناً في سبيل تلكم المبادئ التي جسدها الإمام المعصوم، ويريد الزائر للإمام الحسين عليه السلام أن يكون معه في عالم المعاد على أساس اعتقاده بأنه مات شهيداً، «أشهد أنك قتلت ولم تمت»، قُتل الإمام عليه السلام ولم يمِ، وذلك إقرار من الزائر في حق المزور، «شهادة مني إليك تقربني إليك يوم شفاعتك»، ويترقى الزائر ليؤكد على معنى أعمق، «بل، برجاء حياتك حَيَّتْ قلوب شيعتك»^(١)، من كان يرجو الله تعالى واليوم الآخر سيصل إلى الحياة السليمة التي بينها الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (آل عمران: ١٦٩)، هذه بعض معاني الزيارة التي أكد عليها النبي صلى الله عليه وآله والأئمة من أهل البيت عليهم السلام.

ديمومة الفكر الحسيني في الأربعين

قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمَ شَعِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ (الحج: ٣٢). صدق الله العلي العظيم.

ربط الإيمان بشعائر الدين.

أوليت ذكرى الأربعين لإمامنا الحسين عليه السلام بعناية في ثقافة وفكر أهل

(١) بحار الانوار ج ٩٨ ص ٣٤٢ (السلام عليك أيها العبد الصالح الزكي، أودعك شهادة مني لك تقربني إليك في يوم شفاعتك، أشهد أنك قتلت ولم تمت، بل برجاء حياتك حَيَّتْ قلوب شيعتك)

البيت عليه السلام، فجعلت من علامات المؤمن، روي عن الإمام العسكري عليه السلام، «علامات المؤمن خمس: صلاة الإحدى وخمسين وزيارة الأربعين والتختم باليمين، وتعفير الجبين والجهر بيسم الله الرحمن الرحيم»^(١).

توكيد بربط الإيمان الوثيق بشعائر الدين ومنها زيارة الإمام الحسين عليه السلام، ولم ترتب هذه الآثار إلا لأن زيارة الإمام عليه السلام تُذكر المؤمن بالأهداف والمبادئ والقيم التي ثار الحسين عليه السلام من أجلها، وأن على من يقف على قبره زائراً أن يتذكر أهداف الثورة الحسينية والارتباط الوثيق بين الإمام عليه السلام وبين الحق تعالى، وبين الإمام عليه السلام وقيم الرسالة، وبين الإمام عليه السلام ومبادئ القرآن الكريم.

قيم رفيعة في زيارة الأربعين.

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في زيارة الأربعين الأولى للحسين عليه السلام قوله: «أشهد أنه وليك وابن وليك، وصفيك وابن صفيك الفائز بكرامتك، أكرمته بالشهادة وحبوته بالسعادة»، إلى أن يقول عليه السلام: «وأعطيته مواريث الأنبياء وجعلته حجة على خلقك من الأوصياء فأعذر في الدعاء ومنح النصح وبذل مهجتك فيك ليستنقذ عبادك من الجهالة وحيرة الضلالة»^(٢).

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ٨٢ ص ٧٥.

(٢) بحار الأنوار للمجلسي ج ٩٨ ص ٣٣١، (اللهم إني أشهد أنه وليك وابن وليك، وصفيك وابن صفيك، الفائز بكرامتك، أكرمته بالشهادة، وحبوته بالسعادة، واجتبيته بطيب الولادة، وجعلته سيدي " من السادة، وقائدا " من القادة، وذائدا " من الذادة. وأعطيته مواريث الأنبياء، وجعلته حجة على خلقك من الأوصياء، فأعذر في الدعاء، ومنح النصح وبذل مهجته فيك، ليستنقذ عبادك من الجهالة، وحيرة الضلالة).

مضامين رفيعة تشرح المبادئ والأهداف التي قام من أجلها الإمام عليه السلام وهي:

الأول: الإمامة تمثل ولاية الله.

يمثل الإمام عليه السلام ولاية الله تعالى لأنه الامتداد للولاية الإلهية المجسدة في أبيه أمير المؤمنين عليه السلام وهو أيضاً المصطفى والمصطفى من الله والفائز بالكرامة الإلهية لتضحياته الجسام في سبيل الحق.

الثاني: الإمام وارث الأنبياء.

تبين الزيارة أن الله تعالى منح الإمام عليه السلام موارث الأنبياء وجعله حجة على الخلق.

الثالث: الإمام هادي الأمة.

مارس الإمام عليه السلام دوراً هاماً في تقديم النصح إلى حد بذل نفسه قرباناً في سبيل الله لاستنقاذ العباد من الجهل والتهيه وحيرة الضلال.

الرابع: الإمام الحسين حافظ خط الأنبياء.

وفي مضامين أخرى من زيارة الأربعين التي زاره بها الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه توكيد على أنه عليه السلام وارث لأنبياء الله ورسله عليهم السلام والحافظ للخط الرسالي لهم عليهم السلام.

الخامس: إحياء مبادئ الدين.

وقد بين جابر في زيارته بأن الإمام عليه السلام قام بثورته لإحياء مبادئ الدين

وإذكاء روح الشريعة المقدسة في نفوس المسلمين، فقال رضي الله عنه: «أشهد أنك قد أقيمت الصلاة، وآتيت الزكاة، وأمرت بالمعروف، ونهيت عن المنكر»^(١)، إنها قيمُ الرسالة وسبل الحق التي تهدي المؤمنين إلى شاطئ الأمان وتوصلهم مرتبة الاطمئنان في الإذعان للحق والسير على مبادئه، ويشير جابر في هذا المقطع إلى المسؤولية الدينية الملقاة على عاتق المؤمن تجاه الأمة.

الثورة الحسينية في نظر علماء الأمة.

كل مسلم مسؤول أمام الله عن عزّ وكرامة أمته، ومطالب بالمشاركة في رفعتها وعلو شأنها قال المصطفى ﷺ: «ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»^(٢)، وقد فهم كثير من علماء الأمة الذين فقهوا مبادئ الدين ووصلوا إلى المغزى السليم من ثورته ﷺ، حتى من لم يؤمن بمدرسة أهل البيت ﷺ وأشرك في الحجية الصحابة والتابعين مع أهل البيت ﷺ، لكنهم فقهوا مبادئ الثورة الحسينية، وسنتعرض بعض آراء هؤلاء:

الأول: قال الإمام محمد عبده: (إذا وُجد في الدنيا حكومة عادلة تقيم الشرع وحكومة جائرة تعطله وجب على كل مسلم نصر الأولى وخذلان الثانية)^(٣).

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ٩٨ ص ٣٣٠.

(٢) ميزان الحكمة للريشهري ج ٢ ص ١٢١٢.

(٣) حياة الإمام الحسين ﷺ للقرشي ج ٢ ص ٢٧١.

الثاني: وقال الكاتب محمد عبد الباقي سرور: (لو بايع الحسين عليه السلام يزيد الفاسق المستهتر الذي أباح الخمر والزنا وحطّ بكرامة الخلافة إلى مجالسة الغانيات وعقد حلقات الشراب في مجلس الحكم والذي ألبس الكلاب والقروود خلاخل الذهب ومئات الألوف من المسلمين صرعى الجوع والحرمان، لو بايع الإمام الحسين عليه السلام يزيداً أن يكون خليفة لرسول الله صلى الله عليه وآله على هذا الوضع لكانت فتياً من الحسين عليه السلام بإباحة هذه المنكرات للمسلمين، وكان سكوته عليه السلام رضياً، والرضا من ارتكاب المنكرات ولو بالسكوت إثم وجريمة في حكم الشريعة)^(١).

الثالث: قال الأديب الكبير العلائي رحمته الله: (وهناك واجب على الخليفة إذا تجاوزه وجب على الأمة إسقاطه ووجب على الناس الثورة عليه)^(٢) ما هو هذا الواجب؟ هو المبالغة باحترام القانون الذي يخضع له الناس عامة وإلاّ فأبي تظاهر بخلاف القانون يكون تلاعباً وعبثاً ومن ثمّ وجب على رجل القانون -هرم الدولة - أن يكون أكثر تظاهراً باحترام القانون، فهو يمثل الضمانة والصيانة للقانون، أما إذا كان مستهتراً بمبادئ القانون الإسلامي كما كان يزيد فليس هناك متسع للإمام الحسين عليه السلام إلاّ أن يثار من أجل إرجاع الناس إلى مبادئ الرشد وقيم الحق، ومسار الفضيلة، لذا قال هذا الأديب

(١) حياة الإمام الحسين عليه السلام للقرشي ج ٢ ص ٢٧٢.

(٢) حياة الإمام الحسين عليه السلام للقرشي ج ٢ ص ٢٧٤.

الكبير: (ومن ثمَّ وجب على رجل القانون أن يكون أكثر تظاهراً باحترام القانون من أي شخص آخر، وأكبر مسؤولية من هذه الناحية، فإذا فسَّقَ الملك - هرم السلطة كيزيد - ثم جاهر بفسقه، وتحدى الله ورسوله والمؤمنين لم يكن الخضوع له إلاَّ خضوعاً للفسق، وخضوعاً للفحشاء والمنكر)، ويُردف قائلاً: (ولم يكن الاطمئنان إليه إلاَّ اطمئناناً للتلاعب والمعالجة الفاسقة)^(١).

إذن هكذا قال هؤلاء العلماء رغم أنهم ليسوا من المنتمين إلى مدرسة أهل البيت عليهم السلام لكنهم يفقهون الحق ويدركون الواقع ويعرفون قيم الرسالة والأهداف الكبيرة التي نأر من أجلها الحسين عليه السلام لتحكيم مبادئ العدالة والاستئان بسنة المصطفى صلى الله عليه وآله.

خطر الطغاة على الدين.

الاطمئنان إلى الجبابرة والطغاة الذين يستهزئون بمبادئ الشريعة وقيم الدين الحنيف من التلاعب باسم الدين، ولا بد للمعصوم عليه السلام أن يُقاوم هؤلاء وكذلك يجب على أفراد الأمة إلاَّ أنه من المعصوم أولى، لأنه حافظ للشرع وقيم على مبادئه، قال الإمام الحسين عليه السلام: «ويزيد رجل فاسق شارب الخمر وقاتل النفس المحرمة، معلى بالفسق ومثلي لا يبايع مثله»^(٢)، يشرح عليه السلام بعض أهداف ثورته التي منها أن هرم السلطة كان يحارب قيم الدين، ولا يألوا

(١) حياة الإمام الحسين عليه السلام للقرشي ج ٢ ص ٢٧٤.

(٢) بحار الأنوار للمجلسي ج ٤٤ ص ٣٢٥.

جهداً في إسقاط مبادئ الحق وليس هناك متسع، يمكن أن يلجأ إليه المسلم في مقاومة الباطل ولا ذريعة يمكن أن يركن إليها، فكان لا بد من الجهاد والمقاومة كما فعل الحسين عليه السلام.

الإمام الحسين في نظر غير المسلمين.

علمَ الحسين عليه السلام الناس هذه القيم وشرع لهم هذه المبادئ، وليس ذلك ما فقهه المسلمون من أتباع أهل البيت عليهم السلام وأتباع المذاهب الأخرى فحسب، بل فُقه من أصحاب الديانات الأخرى، كتب المفكر المسيحي انطوان بارا كتاباً سماه (الحسين في الفكر المسيحي) وفيه عبارات تبجل الإمام عليه السلام وتشرح روعة المبادئ التي ثار عليه السلام من أجل إزالة الريب عنها والركام الذي حاول الأمويون جاهدين أن يجعلوه عليها، ولم يكن هذا الموقف من الإمام الحسين عليه السلام مقتصرًا على أصحاب الأديان الساوية كالمسيحيين واليهود، بل وقف الذين لا يدينون بدين مبجلين للإمام عليه السلام في ثورته، يطرونه عليه السلام في تقديمه التضحيات الجسام، قال غاندي محرر الهند: (تعلمت من الحسين كيف أكون مظلوماً فانتصر)^(١).

لأن الإمام عليه السلام جابه ذلك الجبروت ووقف أمام الطغيان ليعلن للبشرية جمعاء أن الحق أحق أن يتبع وأنه لا سبيل للأحرار عندما يستشري الظلم، والفساد في هرم السلطة إلاّ المقارعة وتقديم النفوس قرابين في سبيل الله

(١) الأخلاق الحسينية للبياتي ص ٣٢٦.

تعالى، والرواية التي ذكرناها عن إمامنا العسكري عليه السلام بأن من علامات المؤمن زيارة الأربعين جاءت لتبين أنّ مصيبة الحسين وذكر اللوعة والانتهاك لمبادئ الحق وقيم الرسالة وإسقاط القوانين لا يرتبط ذلك بأيام الواقعة فقط بل يستمر إلى نهاية الدهر وذكرى الأربعين معلم من معالم الاستمرار والديمومة لفكر الإمام عليه السلام وتضحياته الكبيرة.

المصادر

المصدر	المؤلف	الطبعة	المطبعة	الناشر
القرآن الكريم	---	--	--	--
وسائل الشيعة	الحر العاملي	الثانية	مؤسسة آل البيت <small>عليه السلام</small> لإحياء التراث	مؤسسة آل البيت <small>عليه السلام</small> لإحياء التراث
عوالي اللئالي	ابن أبي جمهور الأحسائي	الأولى	سيد الشهداء - قم	
مستدرك الوسائل	الميرزا النوري	الأولى	مؤسسة آل البيت <small>عليه السلام</small> لإحياء التراث	مؤسسة آل البيت <small>عليه السلام</small> لإحياء التراث
ينابيع المودة لذوي القربى	القندوزي	الأولى	دار الأسوة	دار الأسوة
جامع أحاديث	السيد البروجردي		المطبعة العلمية - قم	

				الشيعة	
مؤسسة الوفاء - بيروت - لبنان		الثانية	العلامة المجلسي	بحار الأنوار	
			الحاكم النيسابوري	المستدرک	
دار الحديث	دار الحديث	الأولى	الريشهري	میزان الحكمة	
دار الثقافة	دار الثقافة	الأولى	الشيخ الطوسي	أمالي الطوسي	
مؤسسة الإمام المهدي	نمونه - قم	الأولى	الإمام زين العابدين	الصحيفة السجادية	
دار المعروف	الآثار - قم	الأولى	لجنة الحديث في معهد باقر العلوم	موسوعة كلمات الإمام الحسن	
	مؤسسة الأعلمي	١٤٠٤	الشيخ الصدوق	عيون أخبار الرضا	
دار الكتب الإسلامية - طهران	حيدري	الخامسة	الشيخ الكليني	الكافي	

دار الذخائر - قم - إيران	النهضة - قم	الأولى	خطب الإمام علي <small>عليه السلام</small>	نهج البلاغة	
دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الخلبي وشركاه		الأولى	ابن أبي الحديد	شرح نهج البلاغة	
دار الحديث للطباعة والنشر	دار الحديث	الأولى	محمد الريشهري	موسوعة العقائد الإسلامية	
دار النعمان للطباعة والنشر	مطبعة النعمان - النجف الأشرف		محمد مهدي الزراقي	جامع السعادات	
مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة		الأولى	الشيخ الصدوق	أمالي الصدوق	
دار الحديث	دار الحديث	الأولى	محمد الريشهري	الصلاة في الكتاب والسنة	

دار التعارف للمطبوعات - بيروت - لبنان			السيد محسن الأمين	أعيان الشيعة	
منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة			الشيخ الصدوق	الخصال	
دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان		الثانية	الشيخ المفيد	الإرشاد	
دار الأضواء - بيروت - لبنان		الأولى	الشيخ الأزري	الأرزية	
دار المعرفة للطباعة والنشر			السرخسي	المبسوط	

والتوزيع - بيروت - لبنان					
دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان		الأولى	ابن كثير	البداية والنهاية	
			الحاج حسين الشاكري	العقيلة والفواطم	
مطبعة الحيدرية - النجف الأشرف			ابن شهر آشوب	مناقب آل أبي طالب <small>عليه السلام</small>	
مركز الغدير للدراستات الإسلامية	باقري	الثانية		روائع من نهج البلاغة	
دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت -			ابن عساكر	تاريخ مدينة دمشق	

لبنان					
مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة			الشيخ علي السنمازي الشاهرودي	مستدرك سفينة النجاة	
دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع			البخاري	صحيح البخاري	
مجمع إحياء الثقافة الإسلامية - قم المقدسة	النهضة	الأولى	محمد بن سليمان الكوفي	مناقب الإمام أمير المؤمنين <small>عليه السلام</small>	
منشورات المكتبة الحيدرية ومطبتها - النجف الأشرف		الخامسة	الشيخ محمد مهدي الحائري	شجرة طوبى	
مؤسسة	نشاط -	الأولى	السيد ابن	الملاحم	

صاحب الأمر عجل الله فرجه	اصفهان		طاووس	والفتن	
مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع - قم	مؤسسة إسماعيليان	الرابعة	الشيخ الحويزي	تفسير نور الثقلين	
دار المعلم للطباعة		الأولى	السيد مصطفى الموسوي	الروائع المختارة من خطب الإمام الحسن <small>عليه السلام</small>	
مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة		الثانية	ابن شعبة الحراني	تحف العقول	
		الثانية	السيد شرف الدين	المراجعات	
منشورات			السيد	شرح إحقاق	

مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي - قم - ايران			المرعشي	الحق	
مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان		التاسعة	الذهبي	سير أعلام النبلاء	
مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة		الخامسة	النجاشي	رجال النجاشي	
مكتب الإعلام الإسلامي - قم	مكتب الإعلام الإسلامي - قم	الأولى	الشيخ علي الكوراني العاملي	عصر الظهور	
مؤسسة المعارف الإسلامية -	بهمن	الأولى	السيد هاشم البحراني	مدينة المعاجز	

قم - إيران					
دار النعمان للطباعة والنشر - النجف الأشرف			الشيخ الطبرسي	الاحتجاج	
أنوار الهدى	مهر	الأولى	جعفر البياتي	الأخلاق الحسينية	
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - لبنان			الطبري	تاريخ الطبري	
دار المعرفة دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت - لبنان	دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت - لبنان	الثانية	ابن حجر	فتح الباري	
المكتبة المرتضوية لإحياء آثار	المطبعة الحيدرية - طهران		الشيخ الطوسي	المبسوط	

الجعفرية					
مؤسسة آل البيت <small>عليهم السلام</small> لإحياء التراث - قم	مهر - قم	الأولى	العلامة الحلي	تذكرة الفقهاء (ط.ج)	
دار المؤرخ العربي - بيروت لبنان		الثانية	الشيخ محمد جواد البلاغي	التوحيد والتثليث	
الغدير للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت لبنان		الأولى	أحمد حسين يعقوب	كربلاء، الثورة والمأساة	
دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت لبنان		الثانية	الشيخ المفيد	الأمالي	

مؤسسة نشر مؤسسة نشر الفقاهة	مؤسسة النشر الإسلامي	الأولى	جعفر بن محمد بن قولويه	كامل الزيارات	
دار الحديث للطباعة والنشر	دار الحديث	الثانية	محمد الريشهري	موسوعة الإمام علي بن أبي طالب <small>عليه السلام</small> في الكتاب والسنة والتاريخ	
دار الكتب العلمية - بيروت		الأولى	المناعي	فيض القدير شرح الجامع الصغير	
وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية	المغرب - وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية		ابن عبد البر	التمهيد	
			السيد ابن طاووس	اللهوف في قتلى الطفوف	
مؤسسة			ابن خلدون	تاريخ ابن خلدون	

الأعلمي للمطبوعات - بيروت - لبنان					
لبنان/ بيروت - دار الكتاب العربي	الأولى	الذهبي	تاريخ الإسلام		
مطبعة الآداب - النجف الأشرف	الأولى	الشيخ باقر شريف القرشي	حياة الإمام الحسين <small>عليه السلام</small>		

المحتويات

المقدمة ٧

القسم الأول

سيرة أهل البيت عليهم السلام

الفصل الأول: النبي محمد صلى الله عليه وآله ١٣

الأسوة بالنبي تحقق هدف وجود الإنسان ١٣

أهمية مبدأ الأسوة ١٣

شمولية مبدأ الأسوة ١٤

أثر مبدأ الأسوة في تقدم الإنسان ١٤

الأسوة في القرآن الكريم ١٤

الأولى: توثيق العلاقة مع الله تعالى ١٥

علاقة النبي صلى الله عليه وآله بالله تعالى ١٥

التأسي بالنبي صلى الله عليه وآله في علاقته بالله ١٦

- ١٦..... الثانية: تبوء مكانة مرموقة في عالم الآخرة.
- ١٧..... الوصول إلى مقعد الصدق.
- ١٧..... ميزة الارتباط بالله وتبوء المكانة في الآخرة.
- ١٧..... الأولى: الوصول إلى السعادة الحقيقية.
- ١٨..... الثانية: تحقيق الكمال باكتساب الفضائل.
- ١٨..... كيفية الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وآله.
- ١٩..... المنهج العملي للمصطفى صلى الله عليه وآله.
- ١٩..... المنهاج العملي الذي قام به النبي صلى الله عليه وآله.
- ١٩..... الأول: إيضاح منهج الدعوة.
- ١٩..... الثاني: إيجاد التهيؤ والاستعداد.
- ٢٠..... الثالث: خلق القابليات.
- ٢٠..... دوره صلى الله عليه وآله في إيصال الإنسان إلى الدرجة العالية.
- ٢١..... مفهوم التزكية.
- ٢١..... أهمية التزكية.
- ٢٢..... صعوبة الوصول إلى درجة الإنسانية من غير تزكية.
- ٢٣..... دور التزكية في تكوين الجانب الإنساني.
- ٢٤..... التعرف على المنهاج العملي لشخصية النبي صلى الله عليه وآله.
- ٢٥..... الاستقامة العقدية والسلوكية في دعوة النبي صلى الله عليه وآله.

- أهداف دعوة النبي ﷺ ٢٥
- المحور الأول: تكوين الأسس العقيدية الصحيحة ٢٥
- صبر النبي ﷺ في الدعوة إلى الله ٢٧
- مجازاة النبي ﷺ بالأحسن ٢٧
- دعوة النبي ﷺ تستقطب الناس ٢٨
- المحور الثاني: الاستقامة السلوكية تجاه الآخرين ٢٩
- الارتباط بين أصحاب الديانات ٢٩
- حقيقة الاختلاف بين الأديان ٣٠
- الانسجام بين الأديان مع الاختلاف ٣٠
- مواقف إنسانية للرسول الأعظم ﷺ ٣١
- النبي ﷺ رحمة العالمين ٣١
- تعامله ﷺ مع الآخر ٣١
- مواقف من إحسانه ﷺ ٣٢
- معاملته ﷺ مع المسيء إليه ٣٣
- تعامله ﷺ مع من أراد قتله ٣٤
- مواقفه ﷺ مع خصومه ٣٦
- الأولى: يوم الرحمة ٣٧
- الثانية: العفو عن المجتمع المكّي ٣٧

- ٣٩..... سيرته عليه السلام في التواضع.
- ٤٥..... الفصل الثاني: دلالات سيرة أهل البيت عليهم السلام.
- ٤٥..... أهل البيت عليهم السلام تجسيد قيم الدين.
- ٤٥..... الأول: القرآن تبيان للكليات.
- ٤٦..... الثاني: فهم القرآن عند أهل البيت عليهم السلام.
- ٤٦..... خصائص أهل البيت عليهم السلام في آية الإكمال.
- ٤٧..... الأولى: مرجعية فهم القرآن عندهم عليهم السلام.
- ٤٧..... الثانية: أهل البيت تجسيد لمعاني القرآن.
- ٤٨..... تطبيق العدل في حياة الأمة.
- ٤٨..... سبب عدم تطبيق العدل.
- ٤٩..... مفهوم العدل في القرآن.
- ٤٩..... العدل مفهوم شمولي التطبيق.
- ٤٩..... العدل في حياة أهل البيت.
- ٥٠..... الإمام علي عليه السلام الأنموذج الأتم للعدالة.
- ٥٠..... الأول: الالتزام بالقانون الإلهي.
- ٥١..... الثاني: العدل في الحرب.
- ٥١..... الثالث: العدالة مع الخارجين عن النظام.
- ٥٢..... الفوضى العالمية في عدم تطبيق العدالة.

- ٥٢..... الإمام علي عليه السلام على ضفاف الغدير.
- ٥٣..... دلالات ذكرى الأئمة عليهم السلام.
- ٥٣..... الأولى: الاقتداء والإتباع.
- ٥٤..... الثانية: خضوع القلب.
- ٥٤..... الثالثة: التعرف على الشخصيات العظيمة.
- ٥٥..... الرابعة: فهم حياة الأئمة في مناسباتهم.
- ٥٦..... الخامسة: التضحية اللاحدودة.
- ٥٦..... السادسة: الصمود رغم المؤثرات.
- ٥٧..... إظهار مظلومية الإمام الحسين عليه السلام.
- ٥٧..... أدعية الإمام السجاد عليه السلام.
- ٥٨..... شكر النعمة.
- ٥٨..... استحالة إدراك الذات.
- ٥٨..... مكارم الأخلاق.
- ٥٩..... اللجوء إلى الله تعالى.
- ٦٠..... أدعية الإمام السجاد عليه السلام والقرآن.
- ٦٠..... إبراز المنجزات في المناسبات الدينية.
- ٦١..... أهمية الاحتفال بذكرى العظماء.
- ٦٣..... الفصل الثالث: الإمام علي عليه السلام.

- ٦٣..... علي عليه السلام رجل الحضارة وإنسان التاريخ
- ٦٣..... احترام المبادئ وتطبيقها في حياة علي عليه السلام.
- ٦٤..... مواقف لعلي عليه السلام جسدت حقوق الإنسان:
- ٦٥..... الأول: علي عليه السلام مع أعدائه:
- ٦٦..... الثاني: علي عليه السلام مع المخالفين في المنهج:
- ٦٧..... الثالث: علي عليه السلام في التطبيق العملي:
- ٦٨..... الإمام علي عليه السلام تجسيد عدالة السماء
- ٦٩..... الغدير مظهر العدالة.....
- ٦٩..... سيرته عليه السلام تحقيق العدالة
- ٧٠..... عدله عليه السلام وواقع البشرية
- ٧١..... المائز بين منهجه عليه السلام ومنهج غيره.....
- ٧٢..... منهجه عليه السلام في محاربة الفقر.....
- ٧٣..... قانون العدالة يمنح الحريات.....
- ٧٤..... مبدأ المساءلة والشفافية.....
- ٧٤..... الحكمة العملية في فكر الإمام علي عليه السلام
- ٧٤..... الإمام علي عليه السلام مدرسة المعارف.....
- ٧٥..... الحكمة العملية عنده عليه السلام.....
- ٧٥..... الرشد في التعامل مع الدنيا

- ٧٥..... أصناف الناس في الدنيا
- ٧٦..... خصائص الراشد
- ٧٧..... أسس ومبادئ الرشد
- ٧٧..... الأول: الموعظة
- ٧٧..... الثاني: الزهد
- ٧٧..... الثالث: اليقين
- ٧٨..... طرق تحصيل اليقين
- ٧٨..... تثبيت اليقين في النفس
- ٧٩..... الإمام علي عليه السلام حكيم البشرية
- ٧٩..... الإمام علي عليه السلام تجسيد الكمال الإنساني
- ٧٩..... الإمام علي عليه السلام قدوة البشرية
- ٨٠..... الإمام علي عليه السلام في القرآن
- ٨١..... علاقة الإمام علي عليه السلام بالصلاة
- ٨٢..... ارتباط الإمام علي عليه السلام بالله
- ٨٢..... السخاء عند الإمام علي عليه السلام
- ٨٣..... الاجتهاد الإلهي للمخلصين
- ٨٤..... تطبيق القانون عند الإمام علي عليه السلام
- ٨٤..... الإمام علي عليه السلام والعدل

- ٨٥..... الغدير تجسيد لمنهج الإمام علي عليه السلام.
- ٨٥..... شخصية الإمام علي عليه السلام.
- ٨٦..... العدل الإلهي والرقعي الإنساني في آية الولاية.
- ٨٦..... دعائم الولاية.
- ٨٧..... الأولى: إقام الصلاة.
- ٨٧..... معاني إقامة الصلاة.
- ٨٧..... الأول: الاتصال الوثيق بالله تعالى.
- ٨٧..... الإمام علي عليه السلام والصلة بالله تعالى.
- ٨٨..... دلائل الوصول إلى القرب الإلهي.
- ٨٩..... الإمام علي والعدالة.
- ٩٠..... الثانية: إيتاء الزكاة.
- ٩٠..... أثر الاقتصاد في حياة الإنسان.
- ٩١..... المشاكل الاقتصادية والإنسانية.
- ٩٢..... الإسلام ومنطق الهيمنة.
- ٩٢..... أهداف عطاء الإمام عليه السلام.
- ٩٢..... أنموذج عدالة الإمام.
- ٩٣..... الإمام والتجرد عن الذات.
- ٩٤..... خلاصة محاور الآية.

- ٩٥..... سيادة القانون في حياة الإمام علي عليه السلام
- ٩٥..... تطبيق القانون في حياة الإمام.
- ٩٦..... العدالة في تطبيق القانون.
- ٩٦..... الإمام عليه السلام مع ولاته في تطبيق العدالة.
- ٩٧..... شواهد من عدالة الإمام علي.
- ٩٧..... الأول: مع قبيلتي باهلة و غُنية.
- ٩٧..... الثاني: الإمام مع قاده.
- ٩٩..... الثالث: الإمام مع مبغضيه.
- ١٠٠..... الرابع: الإمام عليه السلام مع من أساء إليه.
- ١٠٠..... الخامس: الإمام عليه السلام مع اليهودي.
- ١٠٢..... السادس: الإمام عليه السلام مع زوج ابنته.
- ١٠٢..... السابع: الإمام عليه السلام في حوارٍ.
- ١٠٤..... الغدير في مبناه ومعناه.
- ١٠٥..... التمهيد للإمامة:
- ١٠٥..... النبي صلى الله عليه وآله يوضح شخصية الإمام عليه السلام
- ١٠٦..... الإسلام يتقوم بدعامتين.
- ١٠٦..... علي عليه السلام ميزان معرفة الحق.
- ١٠٦..... بركات الإمام عليه السلام

- ١٠٨..... اغتنام النبي صلى الله عليه وآله المناسبات لإثبات حقانيته صلى الله عليه وآله
- ١٠٨..... قصة الطائر المشوي
- ١٠٩..... قصة النبي صلى الله عليه وآله مع الإمام عليه السلام في خيبر
- ١٠٩..... إفصاح النبي صلى الله عليه وآله عن علمه صلى الله عليه وآله
- ١١٢..... دلائل الغدير:
- ١١٢..... الأولى: هجير الغدير.
- ١١٢..... الثانية: انتظار آلاف الحجيج لحدث عظيم.
- ١١٢..... الثالثة: دلالات الخطاب.
- ١١٣..... الرابعة: رفع يد الإمام علي عليه السلام.
- ١١٤..... الخامسة: مبايعة القيادات البارزة.
- ١١٤..... لماذا كل هذه الدلالات؟
- ١١٥..... حكمة النبي صلى الله عليه وآله من حكمة الله تعالى
- ١١٥..... ولاية الإمام علي عليه السلام لا يمكن إنكارها
- ١١٦..... عظمة يوم الغدير
- ١١٧..... الفصل الرابع: السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام
- ١١٧..... مكانة السيدة الزهراء عليها السلام
- ١١٧..... الزهراء في القرآن والسنة:
- ١١٨..... تألق الزهراء في حديث النبي صلى الله عليه وآله:

- ١٢٠..... الفرق بين المحبة والمودة:
- ١٢١..... كيف نستفيد من الذكريات الإسلامية؟
- ١٢٢..... هل نحن شيعة؟
- ١٢٣..... الخصائص المعنوية للصديقة الزهراء عليها السلام.
- ١٢٣..... الأولى: فاطمة سيدة نساء العالمين.
- ١٢٤..... الثانية: فاطمة أول من يلتقيه ويودعه النبي صلى الله عليه وآله.
- ١٢٤..... الثالثة: فاطمة من أهل البيت في آية التطهير.
- ١٢٦..... الرابعة: فاطمة تشارك في الحوار العقدي.
- ١٢٩..... ماذا نعني بأهل البيت عليهم السلام؟
- ١٣٠..... مقامات أهل البيت عليهم السلام في النصوص الدينية.
- ١٣١..... لماذا تعامل النبي صلى الله عليه وآله مع الزهراء بهذا التعامل؟
- ١٣١..... السيدة الزهراء عليها السلام نبع النبوة وفيض الإمامة.
- ١٣١..... أهمية الجانب العقدي.
- ١٣٢..... مكانة الزهراء في الأحاديث.
- ١٣٣..... تأملات في الحديث القدسي.
- ١٣٤..... المعرفة طريق الوصول للكمال.
- ١٣٤..... الوصول إلى الكمال بالنبي صلى الله عليه وآله.
- ١٣٤..... حفظ رسالة الأنبياء بالأوصياء.

- ١٣٥..... الواسطة بين الإمامة بالنبوة.
- ١٣٦..... الارتباط بالزهران عليهم السلام نجاة.
- ١٣٦..... فاطمة بهجة قلب النبي.
- ١٣٧..... أهل البيت طريق الوصول إلى الحق.
- ١٣٧..... الزهران عليهم السلام منبع الخير المعنوي.
- ١٣٧..... الكوثر في الآية.
- ١٣٨..... الزهران عليهم السلام مصداق الخير الكثير.
- ١٣٨..... الأول: البعد العقدي في شخص الزهران عليهم السلام.
- ١٣٩..... الثاني: البعد المعنوي في شخصية الزهران عليهم السلام.
- ١٣٩..... الجانب العبادي في حياة الزهران عليهم السلام.
- ١٤٠..... الجانب التربوي في حياة الزهران عليهم السلام.
- ١٤١..... الصبر في مواقف الزهران عليهم السلام.
- ١٤٢..... شمولية الخير الكثير في الزهران عليهم السلام.
- ١٤٣..... الزهران عليهم السلام ضمان التطبيق وحصانة من التحريف.
- ١٤٣..... مكانة الزهران عليهم السلام في الإسلام.
- ١٤٤..... أنواع التحريف.
- ١٤٤..... أخطر أنواع التحريف.
- ١٤٥..... تحريف الحقائق الشرعية.

- ١٤٦..... دور النبي في مواجهة التحريف.
- ١٤٧..... الجانب المعنوي للسيدة الزهراء.
- ١٤٧..... أهل البيت وتطبيق للإسلام.
- ١٤٩..... حصانة المؤمن في الآخرة.
- ١٤٩..... منهج وسبيل أهل البيت.
- ١٥٠..... الثبات على منهج أهل البيت.
- ١٥٠..... رضا الله لرضا فاطمة.
- ١٥١..... توريث النبي لأهل البيت.
- ١٥١..... رضا الزهراء آية السير على الصراط المستقيم.
- ١٥٢..... علامة رضا الله تعالى.
- ١٥٢..... الوصول إلى الأهداف.
- ١٥٣..... الغاية من الخلق.
- ١٥٣..... الدعاء طريق موصل للحق.
- ١٥٤..... طاعة الله تعالى في طاعة الرسول ﷺ.
- ١٥٤..... رضا الله تعالى في رضا الزهراء ﷺ.
- ١٥٤..... غضب الله تعالى في غضب الزهراء ﷺ.
- ١٥٥..... الوصول لرضا الزهراء ﷺ.
- ١٥٥..... ارتباط أهل البيت ﷺ بالنبي ﷺ.

- ١٥٦..... خصال الإمام علي عليه السلام والإمامة.
- ١٥٧..... أسباب التفرق عن الإمام علي عليه السلام.
- ١٥٨..... نتائج رضا الزهراء عليها السلام.
- ١٥٩..... الفصل الخامس: الإمام الحسن عليه السلام.
- ١٥٩..... الدور الريادي للإمام الحسن عليه السلام في المجتمع الإسلامي.
- ١٦٠..... أهمية القيادة في المجتمع:
- ١٦٠..... أهمية القيادة:
- ١٦١..... الأول: التصفية الجسدية والإيذاء الجسدي.
- ١٦٢..... الثاني: تفريغ القائد من تأثيره المعنوي.
- ١٦٢..... التأثير على قيادة الإمام من الناحية العقديّة:
- ١٦٣..... التأثير على قيادة الإمام عليه السلام في الناحيتين السياسية والاجتماعية:
- ١٦٥..... ماذا نستفيد مما طرحناه؟
- ١٦٥..... إضاءة من فكر الإمام الحسن عليه السلام.
- ١٦٦..... الأولى: طهر نفسك كي تؤثر فيك العبادة.
- ١٦٦..... الثانية: قدّم الأهم على غيره.
- ١٦٧..... الثالثة: أحصل على اليقين كي تسلم.
- ١٦٨..... الأول: الرقي المعرفي للإنسان.
- ١٦٨..... الثاني: العبادة.

- الرابعة: تذكر الآخرة. ١٦٨
- الخامسة: الإخلاص في النصيحة. ١٦٩
- السادسة: لا تترفع على نصائح الآخرين. ١٦٩
- السابعة: تعلّم ولا تتكاسل. ١٧٠
- الثامنة: أنجز العمل في وقته ولا تطلب تأخيره. ١٧١
- التاسعة: لا تُسوف العمل إذا كان وقته لم يحن. ١٧١
- مظاهر كرم الإمام الحسن بين السلوك والأهداف الاجتماعية. ١٧١
- أنماط كرم الإمام الحسن عليه السلام. ١٧٢
- الأول: التواضع والعاطفة الممتزجة بالسخاء. ١٧٣
- الثاني: الجزاء المضاعف. ١٧٣
- الثالث: العطاء والإيثار فوق ما يتصوره الإنسان. ١٧٤
- لماذا هذا العطاء اللامحدود من قبل الإمام عليه السلام؟ ١٧٥
- الرابع: المبادرة في العطاء من دون سؤال. ١٧٦
- كيف نجسد كرم الإمام الحسن عليه السلام؟ ١٧٧
- بناء المجتمع الإنساني في فكر الإمام الحسن عليه السلام. ١٧٨
- أسس التقدم الحضاري للأمم. ١٧٨
- بناء شخصية الإنسان. ١٧٩
- الأول: أهمية الاستهداء بآراء الآخرين. ١٧٩

- ١٨٠..... الثاني: إسداء الشكر للآخرين.
- ١٨١..... الثالث: الصبر على النوازل.
- ١٨١..... آثار المواظبة على الحضور إلى المساجد.
- ١٨٢..... الأولى: العلم بالعقائد.
- ١٨٢..... الثانية: الأخ الصادق.
- ١٨٢..... الثالثة: العلم المفيد.
- ١٨٢..... الرابعة: نزول الرحمة.
- ١٨٢..... الخامسة: الهداية إلى طريق الاستقامة.
- ١٨٣..... السادسة: اجتناب المعاصي.
- ١٨٣..... الطريق الصحيح للإفادة من الآخرين.
- ١٨٤..... حقيقة القلب السليم.
- ١٨٥..... المنهج الثقافي والحركة الرسالية للإمام الحسن عليه السلام.
- ١٨٥..... الدور الإصلاحي للأنبياء والرسل.
- ١٨٥..... الأمة في عصر الإمام الحسن عليه السلام.
- ١٨٦..... الدور الإصلاحي للإمام الحسن في الأمة.
- ١٨٧..... الأول: الارتباط بالله.
- ١٨٨..... الثاني: التركيز على أهمية الفكر.
- ١٨٨..... أهمية العقل في حياة الإنسان.

١٨٩.....	البرنامج العملي لطلائع الأمة.
١٩٠.....	فاعلية العمل أساس النجاح.
١٩٠.....	الأول: التوازن الحركي مع الإمكانية المتاحة.
١٩٠.....	الثاني: الكتمان والحفاظ على خطة العمل.
١٩٠.....	الثقافة الرسالية لرفع مستوى الطلائع.
١٩١.....	الأول: ارتباط الأدب بالعقل.
١٩١.....	ثانياً: الانصياع للقيادة.
١٩١.....	ثالثاً: المرونة مع المجتمع.
١٩١.....	رابعاً: وضع الأمور في مواضعها.
١٩٢.....	آثار عدم الوعي بالمسؤولية في المجتمع.
١٩٣.....	الفصل السادس: الإمام السجاد <small>عليه السلام</small> .
١٩٣.....	دروس من حياتي الإمامين الحسين والسجاد <small>عليهما السلام</small> .
١٩٣.....	الأول: سمات الإنسان العاقل.
١٩٤.....	الأولى: القبول عند الله.
١٩٥.....	الثانية: ترك الجدال.
١٩٥.....	الثالثة: الانتقاد لحديثه.
١٩٦.....	الثاني: كيفية أداء الحقوق.
١٩٦.....	حق الله تبارك وتعالى:

- ١٩٧..... استيفاء النفس والجوارح في طاعة الله:
- ١٩٩..... العباس عليه السلام مثال الأخلاق الفاضلة.
- ٢٠٠..... المبادئ والقيم عند الإمام السجاد عليه السلام.
- ٢٠٠..... الفرق بين السياسي وصاحب المبادئ:
- ٢٠١..... صمود الأئمة في تحقيق المبادئ المساوية:
- ٢٠٢..... الأول: الحفاظ على قيم الإسلام ومبادئ الإنسانية العامة.
- ٢٠٣..... الثاني: الحفاظ على الأمانة.
- ٢٠٤..... الثالث: الارتباط بالله تبارك وتعالى.
- ٢٠٥..... التمسك بالمبادئ هو الذي حفظ الدين.
- ٢٠٦..... الإمام السجاد عليه السلام أصالة ونهضة واعية.
- ٢٠٦..... الأجواء التي عاشها الإمام زين العابدين.
- ٢٠٧..... المحاور التي اعتمدها الإمام في حركته الواعية.
- ٢٠٧..... الأول: المحور التثقيفي للأمة.
- ٢٠٩..... الثاني: استغلال المحور الإعلامي.
- ٢١٠..... الثالث: تفعيل المحور التعليمي.
- ٢١٢..... حقوق الإنسان في رسالة الحقوق.
- ٢١٦..... الإصلاح الاجتماعي عند الإمام السجاد عليه السلام.
- ٢١٧..... المجتمع في عصر الإمام السجاد عليه السلام.

- ٢١٧.....المخطط الأموي في تمزيق المجتمع.
- ٢١٨.....الأول: التصنيف الطبقي للمجتمع.
- ٢١٨.....الثاني: الولاء للسلطة الحاكمة.
- ٢١٨.....انتشار الطبقة في الوسط العلمي.
- ٢١٩.....مواجهة الإمام السجاد عليه السلام للطبقة.
- ٢١٩.....الأول: الإكثار من عتق الموالي.
- ٢٢٠.....الثاني: رفع المستوى الاجتماعي للإمام.
- ٢٢١.....الثالث: التواضع للموالي.
- ٢٢١.....الرابع: التواصل مع الموالي.
- ٢٢٢.....محاربة التمايز الاجتماعي.
- ٢٢٣.....إفشال السياسة الأموية.
- ٢٢٥.....الفصل السابع: الإمام الصادق عليه السلام.
- ٢٢٥.....الحركة العلمية للإمام الصادق عليه السلام في الأمة الإسلامية.
- ٢٢٥.....إطلالة على عصر الإمام الصادق عليه السلام.
- ٢٢٦.....بروز شخصية الإمام عليه السلام في الساحة الإسلامية.
- ٢٢٧.....خصائص جامعة الإمام الصادق عليه السلام.
- ٢٢٧.....الأولى: تدريس العلوم والمعارف الإسلامية.
- ٢٢٧.....الثانية: فتح التخصصات العلمية المختلفة.

- الثالثة: استقطاب الشخصيات العلمية للمذاهب الأخرى. ٢٢٨.....
- الرابعة: الانفتاح الفكري على التيارات المنحرفة. ٢٢٩.....
- قوة الإمام عليه السلام في مواجهة الصعاب. ٢٣٠.....
- الإمام الصادق عليه السلام أصالة فكر ووعي أمة. ٢٣١.....
- مواقف الإمام ضد السلطة. ٢٣١.....
- أحداث مقتل زيد بن علي. ٢٣٢.....
- الدعم الاقتصادي لعوائل الشهداء. ٢٣٢.....
- التأييد الكامل للثورة ضد الظالم. ٢٣٢.....
- منهج الإمام في الاستنهاض. ٢٣٢.....
- الأول: دعم الثوار. ٢٣٢.....
- الثاني: التأصيل العلمي للأمة. ٢٣٣.....
- أولاً: متابعة نشوء الأفكار الوافدة. ٢٣٣.....
- ثانياً: الطرح العلمي الشمولي. ٢٣٤.....
- تربية الإمام عليه السلام للعلماء. ٢٣٥.....
- تأسيس القواعد والأصول. ٢٣٦.....
- الثالث: الإيمان بقيادة أهل البيت. ٢٣٧.....
- الأول: التضحية في سبيل القيادة. ٢٣٧.....
- الثاني: إيمان الأكثرية بالقيادة الراشدة. ٢٣٧.....

- ٢٣٨..... منهجية الإمام في استنهاض الأمة.
- ٢٣٨..... الأول: حوار الآخر طريق الإقناع.
- ٢٣٨..... الثاني: تعزيز مفهوم الأصلحية.
- ٢٣٩..... الوعي السياسي للإمام.
- ٢٣٩..... حقيقة الانتماء العملي.
- ٢٤١..... جامعة الإمام الصادق عليه السلام أصالة علمية وتربية أخلاقية.
- ٢٤١..... تنوع التخصصات في الجامعة الصادقية.
- ٢٤١..... تعدد التخصص والميول العلمي.
- ٢٤٢..... التنوع المذهبي في جامعة الإمام.
- ٢٤٣..... غرس الجانب الأخلاقي.
- ٢٤٣..... الركائز الأخلاقية في جامعة الإمام عليه السلام.
- ٢٤٣..... الأول: الميزان الحقيقي للمروءة.
- ٢٤٤..... الثاني: لا إساءة للملول.
- ٢٤٤..... الثالث: لا راحة للحسود.
- ٢٤٥..... الرابع: لا سؤدد لسيء الخلق.
- ٢٤٥..... الرابع: الثقة بالله علامة الإيمان.
- ٢٤٥..... الخامس: الرضا بما قسم الله.
- ٢٤٦..... السادس: الإحسان للجار.

- ٢٤٦..... السابع: خطر مصاحبة الفاجر.
- ٢٤٦..... الثامن: مشاوره من يخشى الله.
- ٢٤٧..... التاسع: الذل في معصية الله.
- ٢٤٨..... الإمام الصادق عليه السلام والانجاز العلمي.
- ٢٤٨..... الإمام الصادق عليه السلام والتخصص العلمي.
- ٢٤٩..... الأمور الهامة:
- ٢٤٩..... الأول: التخصص العلمي.
- ٢٥١..... الثانية: التشجيع على التأليف.
- ٢٥٢..... الثالثة: التنوع الفكري.
- ٢٥٣..... الانفتاح على المدارس المختلفة.
- ٢٥٤..... أول من أسس التخصصات العلمية.
- ٢٥٥..... الاهتمام بالجانب الأخلاقي.
- ٢٥٥..... مبدأ العفو.
- ٢٥٦..... الحكمة في معالجة الأمور.
- ٢٥٧..... الوسطية مبدأ الإمام الصادق عليه السلام.
- ٢٥٩..... الفصل الثامن: الإمام الحسن العسكري عليه السلام.
- ٢٥٩..... إنجازات الإمام العسكري عليه السلام تتحدى ضغوط السلطة.
- ٢٥٩..... أسباب التضييق على الإمام عليه السلام.

- الأول: المكانة السامية للإمام عليه السلام..... ٢٦٠
- الثاني: خطر المهدي الموعود..... ٢٦٠
- دور الإمام عليه السلام في المجتمع..... ٢٦١
- الدور السياسي للإمام..... ٢٦١
- موقف المخلصين من تحرك الإمام السياسي..... ٢٦١
- أسلوب التضييق على الإمام عليه السلام وأصحابه..... ٢٦٢
- الدور التربوي للإمام عليه السلام..... ٢٦٢
- الأول: الوعي وأخذ الحيطة..... ٢٦٣
- الثاني: احتواء الشبهات وتفنيدها..... ٢٦٣
- الدور الأخلاقي للإمام عليه السلام..... ٢٦٥
- الفصل التاسع: الإمام المهدي عليه السلام**..... ٢٦٧
- المهدي عليه السلام والتقدم العلمي ورفاه الاقتصاد..... ٢٦٧
- الحكومة العالمية الواحدة..... ٢٦٧
- سيادة المصالح الذاتية..... ٢٦٧
- أولاً: التجرد من القيم والأخلاق..... ٢٦٨
- ثانياً: غلبة المصالح الذاتية على العدالة..... ٢٦٩
- مبدأ الغاية تبرر الوسيلة..... ٢٦٩
- انسجام العدل الإلهي مع الفطرة..... ٢٧٠

- ٢٧١..... العلم والمعرفة:
- ٢٧١..... مصدر المعارف الإنسانية:
- ٢٧٣..... العلم والتكنولوجيا في زمن المهدي عليه السلام:
- ٢٧٣..... أولاً: التقدم العلمي الهائل.....
- ٢٧٣..... ثانياً: أعظم الإنجازات البشرية في عالم المواصلات.....
- ٢٧٤..... بين سليمان والمهدي عليه السلام:
- ٢٧٤..... بين ذي القرنين والمهدي عليه السلام:
- ٢٧٥..... خضوع العالم الجغرافي للإمام المهدي عليه السلام:
- ٢٧٥..... ثالثاً: التقدم في عالم الاتصالات.....
- ٢٧٦..... رابعاً: الاتصالات بالكواكب الأخرى.....
- ٢٧٦..... خامساً: مصدر الطاقة في زمن المهدي عليه السلام:
- ٢٧٧..... الرفاه الاقتصادي في زمن الإمام عليه السلام:
- ٢٧٨..... أولاً: القضاء على الفقر والحرمان.....
- ٢٧٨..... ثانياً: العطاء من غير حساب.....
- ٢٧٨..... ثالثاً: الاستفادة من الثروات بيسر وسهولة.....
- ٢٧٩..... التقدم في عالم الطب:
- ٢٧٩..... التقدم في الجانب الأمني:
- ٢٨٠..... تركيبة دولة الإمام المهدي عليه السلام:

٢٨١	العدل والأمن في دولة الإمام المهدي <small>عليه السلام</small>
٢٨١	التمييز وأثره في المسيرة البشرية
٢٨١	أولاً: التمييز العرقي
٢٨٢	ثانياً: الطائفية
٢٨٢	ثالثاً: الأقلية والأكثرية
٢٨٢	دولة الإمام المهدي <small>عليه السلام</small> نموذج نبذ التمييز
٢٨٣	أولاً: المساواة في المواطنة
٢٨٣	ثانياً: رد المظالم
٢٨٤	خصائص للإمام <small>عليه السلام</small>
٢٨٥	الأولى: الجود بالمال
٢٨٥	الثانية: محاسبة رجالات السلطة
٢٨٧	الثالثة: ارتياح الناس منه <small>عليه السلام</small>
٢٨٧	الرابعة: لا يهرق الدم
٢٨٨	الجانب الأمني في دولة الإمام المهدي <small>عليه السلام</small>
٢٨٨	الأموات يتمنون الرجوع في دولته
٢٨٩	الأمن الشامل

القسم الثاني

الثورة الحسينية

- ٢٩٣..... الفصل الأول: أسباب ثورة الإمام الحسين عليه السلام
- ٢٩٣..... تجديد الخطاب الحسيني في ذكرى عاشوراء
- ٢٩٣..... الإمام الحسين المصلح الاجتماعي والسياسي
- ٢٩٥..... الأول: التركيز على أهداف الثورة الحسينية
- ٢٩٦..... الثاني: التركيز على الجانب العاطفي من الثورة
- ٢٩٦..... الثالث: طرح البحوث والمحاضرات المفيدة
- ٢٩٧..... الرابع: التنظيم ومراعاة المسائل الأمنية
- ٢٩٨..... مسارات في فكر النهضة الحسينية
- ٢٩٨..... اليقظة في ضمير الأمة
- ٢٩٩..... المسار الأول: تأصيل ثقافة الشهادة
- ٢٩٩..... ثمن الشهادة
- ٢٩٩..... صفة الموت والحياة
- ٣٠٠..... صدى خطاب الإمام عليه السلام
- ٣٠٠..... المسار الثاني: التحرك نحو الشهادة
- ٣٠١..... المسار الثالث: التركيز على عزة وكرامة الأمة
- ٣٠١..... شرط العزة والكرامة
- ٣٠٢..... المسار الرابع: المشيئة الإلهية تحكم الأشياء
- ٣٠٣..... دور الإنسان الرسالي

- ٣٠٤..... العزة والكرامة في النهج الحسيني
- ٣٠٤..... أهمية العزة والكرامة في الشرائع السماوية.
- ٣٠٤..... أهمية العزة والكرامة في روايات أهل البيت عليهم السلام.
- ٣٠٥..... الأول: ما يؤكد على أنّ الدين والخلق توأم العزة.
- ٣٠٥..... الثاني: ما يؤكد أنّ العزة سلم للمراتب العالية.
- ٣٠٦..... الثالث: ما يربط بين الذل وضعف الجانب الروحي.
- ٣٠٧..... العزة والكرامة في نهج الإمام الحسين عليه السلام.
- ٣٠٧..... نموذج تاريخي للسقوط في مهاوي الذلة.
- ٣٠٨..... الإمام الحسين يعطي أروع الدروس في العزة.
- ٣٠٩..... الثورة الحسينية التطبيق الكامل للإسلام.
- ٣٠٩..... تنوع النصوص في فضائل أهل البيت عليهم السلام.
- ٣١٠..... الحسين استمرار بقاء الإسلام.
- ٣١٠..... مسؤولية الإمام الحسين تجاه الأمة.
- ٣١١..... موقف الإمام الحسين عليه السلام من السلطة.
- ٣١٢..... الإمام الحسين عليه السلام يواجه شرعنة الظلم.
- ٣١٢..... الإعلام الحر في عصر الإمام الحسين عليه السلام.
- ٣١٣..... موقف المؤمن تجاه الحدث المعاش.
- ٣١٣..... الإمام الحسين عليه السلام يدفع الأمة نحو المسؤولية.

- المسؤولية عند أصحاب الحسين عليه السلام ٣١٥
- الحسين عليه السلام تجسيد الأخلاق الإسلامية ٣١٥
- الحسين عليه السلام يتصدى لمسؤوليته تجاه الأمة ٣١٦
- الثورة الحسينية تطبيق الشريعة الإسلامية ٣١٧
- الحسين عليه السلام وتجسيد منهاج الاسلام ٣١٨
- مفردات الارتباط الحسيني بالنبي ٣١٨
- الأولى: العدل ٣١٨
- اقتران المنهج الإسلامي بالتجسيد ٣١٩
- الشخصية المجسدة للمنهج الإسلامي ٣٢٠
- الاحتفال بالحسين والقيم الإنسانية ٣٢١
- الثانية: القانون ٣٢٢
- الثالثة: الحرية ٣٢٢
- الرابعة: احترام الإنسان ٣٢٣
- الحسين والمفاهيم الحقّة ٣٢٤
- الثورة الحسينية همزة حياة ٣٢٥
- الموقف الشرعي من الحاكم الظالم ٣٢٥
- الدفاع عن المقدسات الإسلامية ٣٢٧
- التطبيق العملي لهتك المقدسات ٣٢٧

- ٣٢٨..... موقف الإمام عليه السلام من حكومة يزيد.
- ٣٢٩..... الحياة في النهضة الحسينية.
- ٣٢٩..... المفهوم الخاطئ للحياة.
- ٣٣٠..... التقية مع السلطان الجائر.
- ٣٣١..... المسؤولية الشرعية والتقية.
- ٣٣٢..... السعادة بين الموت والحياة.
- ٣٣٢..... الموقف السلبي تجاه النهضة الحسينية.
- ٣٣٣..... كيف نحبي عاشوراء.
- ٣٣٣..... دور أئمة أهل البيت عليهم السلام في إحياء عاشوراء.
- ٣٣٤..... أهداف إحياء الشعائر الحسينية.
- ٣٣٤..... الأول: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- ٣٣٥..... الثاني: عدم الانصياع للظالم.
- ٣٣٦..... الخطباء والإعلام الحسيني.
- ٣٣٦..... المنبر الحسيني أمانة.
- ٣٣٧..... المستوى العلمي للخطيب.
- ٣٣٧..... توافق المنبر مع مدرسة أهل البيت عليهم السلام.
- ٣٣٨..... طرح ما يوافق الدليل.
- ٣٣٩..... مبادئ الحسين عليه السلام مبادئ الأنبياء.

- ٣٤٠..... قضية الحسين عليه السلام رجوع إلى الفطرة.....
- ٣٤١..... أهمية الحضور في المآتم الحسينية
- ٣٤٢..... خاتمة:
- ٣٤٣..... الفصل الثاني: أهداف ثورة الإمام الحسين عليه السلام.....
- ٣٤٣..... الاستقامة مبدأ الثورة الحسينية
- ٣٤٣..... أهمية الاستقامة:
- ٣٤٤..... مواضع الاستقامة في حياة الإنسان.....
- ٣٤٥..... الاستقامة في حياة الناجحين:
- ٣٤٦..... المبدأ في ثورة الإمام الحسين عليه السلام.....
- ٣٤٧..... أهداف المبدأ الحسيني في الاستقامة.....
- ٣٤٧..... الإمام الحسين عليه السلام يختبر أصحابه.....
- ٣٤٨..... الإمام عليه السلام يأذن لأنصاره بتركه.....
- ٣٤٩..... جواب أنصار الإمام الحسين عليه السلام.....
- ٣٥١..... ثمرة الاستقامة.....
- ٣٥٢..... ثورة الإمام الحسين عليه السلام في أهدافها الإنسانية.....
- ٣٥٢..... موقف الأمويين من الإسلام.....
- ٣٥٢..... كشف الإمام عليه السلام لأهداف الأمويين.....
- ٣٥٣..... أهداف نهضة الإمام الحسين عليه السلام.....

- الأول: إبقاء مبادئ الشريعة. ٣٥٣.....
- الثاني: الإصلاح. ٣٥٤.....
- الثالث: الأمن والاطمئنان. ٣٥٥.....
- الرابعة: الحرية الدينية. ٣٥٥.....
- دعوة الإمام عليه السلام لنصرة الحق. ٣٥٦.....
- السياسة الأموية في الجانب الاقتصادي. ٣٥٧.....
- الحسين عليه السلام عبرة وعبرة ٣٥٨.....
- سر خلود القضية الحسينية ٣٥٨.....
- الأول: الاستناد إلى العقل. ٣٥٨.....
- الثاني: العاطفة. ٣٥٩.....
- ارتباط الجانب العقلي بالجانب العاطفي ٣٥٩.....
- التأثير الحركي للعاطفة ٣٦٠.....
- التنوع في الجانب العاطفي ٣٦١.....
- إنسانية القضية الحسينية ٣٦١.....
- مدى التأثير بالقضية الحسينية ٣٦٢.....
- الجانب العاطفي في الروايات ٣٦٣.....
- البكاء والتباكي ٣٦٣.....
- أسرار البكاء على الإمام الحسين عليه السلام ٣٦٣.....

- ٣٦٤..... ثواب البكاء على الإمام الحسين عليه السلام
- ٣٦٦..... الأئمة عليهم السلام يجسدون العاطفة الحسينية
- ٣٦٧..... الإمام الحسين عليه السلام شهيد المبادئ والقيم
- ٣٦٩..... أصحاب الحسين عليه السلام والموت للحياة
- ٣٦٩..... أقسام الموت:
- ٣٦٩..... الأول: الموت الطبيعي
- ٣٦٩..... الثاني: غير طبيعي
- ٣٧٠..... موت الرفعة
- ٣٧٠..... خصائص موت العلو
- ٣٧٠..... الموت للحياة
- ٣٧١..... كيف يكون الموت للحياة
- ٣٧٢..... إدراك فناء الدنيا
- ٣٧٢..... يعلمون بمناياهم
- ٣٧٣..... لا يكتثرون بالموت
- ٣٧٣..... متى يكون الموت عزة وكرامة
- ٣٧٤..... سر تلذذ أنصار الحسين عليه السلام بالموت
- ٣٧٤..... تميز أصحاب الحسين عليه السلام
- ٣٧٥..... استشهاد أصحاب الحسين عليه السلام للقيم الإلهية

- ٣٧٦..... كيف نستلهم الخلود من قضية كربلاء
- ٣٧٩..... الفصل الثالث: المنهج الحسيني في الثورة
- ٣٧٩..... الإمام الحسين عليه السلام ثورة إصلاح وتغيير مسار
- ٣٧٩..... الإمام الحسين المبلغ الرسالي
- ٣٨٠..... زعماء المنهج الأموي
- ٣٨٠..... الأولى: لأبي سفيان
- ٣٨٠..... الثانية: معاوية بن أبي سفيان
- ٣٨١..... الثالثة: يزيد بن معاوية
- ٣٨١..... المنهج الأموي والقضاء على الإسلام
- ٣٨٢..... البعد الديني للمنهج الحسيني
- ٣٨٢..... النتائج الوخيمة لخلافة يزيد
- ٣٨٣..... آثار الثورة الحسينية
- ٣٨٣..... الأولى: إيقاظ الأمة
- ٣٨٣..... الثانية: تغيير الخطة الأموية
- ٣٨٣..... الإمام الحسين يستشرف المستقبل
- ٣٨٤..... إفشال المخطط الأموي
- ٣٨٥..... الإمام الحسين يواجه الطغيان الأموي
- ٣٨٥..... الأمويون وانتهاك القانون

- ٣٨٦..... بقاء الدين بالحسين عليه السلام.
- ٣٨٦..... الإمام الحسين عليه السلام يشجب ممارسات الأمويين.
- ٣٨٦..... الالتزام بالعهد بين الإمام الحسين عليه السلام ومعاوية.
- ٣٨٧..... حرمة القانون في نهج الإمام الحسين.
- ٣٨٨..... الانتهاكات القانونية للمنهج الأموي.
- ٣٨٨..... الأول: قتل حجر بن عدي ونقض العهد.
- ٣٨٩..... الثاني: قتل عمرو بن الحمق الخزاعي.
- ٣٩٠..... سر خلود الثورة الحسينية.
- ٣٩٠..... المنهج الأموي في مواجهة الإسلام و الأمة.
- ٣٩١..... الانتهاكات القانونية للمنهج الأموي.
- ٣٩١..... أولاً: خرق الأحكام الشرعية.
- ٣٩٣..... حقيقة نسب زياد.
- ٣٩٣..... ثانياً: ترك سنة النبي صلى الله عليه وآله.
- ٣٩٤..... ثالثاً: قتل الموالين للإمام علي عليه السلام.
- ٣٩٥..... رابعاً: نقض المواثيق.
- ٣٩٦..... نتيجة انتهاكات معاوية.
- ٣٩٦..... خامساً: تهجير من يتولى الإمام علي.
- ٣٩٧..... النظريات الإسلامية في الحكم.

- ٣٩٧..... معاوية يخالف الأمة في الاستخلاف.
- ٣٩٧..... أسباب عدم صلاحية يزيد للخلافة.
- ٣٩٨..... السلوك العملي ليزيد.
- ٣٩٨..... عواقب استخلاف يزيد.
- ٣٩٨..... الأول: خسران الدين.
- ٣٩٩..... الثاني: غش الناس.
- ٣٩٩..... الثالث: خيانة الأمانة.
- ٣٩٩..... الرابع: استشارة السفهاء.
- ٣٩٩..... الخامس: إخافة الناس.
- ٤٠٠..... نتائج الثورة الحسينية.
- ٤٠١..... الفصل الرابع: أثر الثورة الحسينية في حركة التاريخ
- ٤٠١..... رجال الثورة الحسينية وصنع التاريخ
- ٤٠١..... دروس من الثورة الحسينية.
- ٤٠٢..... مواقف الناس تجاه الموت.
- ٤٠٢..... الأولى: من لديه الاستعداد للتضحية.
- ٤٠٣..... صنّاع التاريخ.
- ٤٠٣..... الثانية: من ليس لديه استعداد للتضحية.
- ٤٠٥..... الثالثة: من له استعداد للتضحية مع المصلحة.

- ٤٠٨..... وقفة مع كهول أنصار الطف.
- ٤٠٩..... وقفة مع شباب أنصار الطف.
- ٤١٠..... موقف الإمام الحسين تجاه أصحابه.
- ٤١٠..... الحسين تجسيد اليقين بالموت.
- ٤١٠..... نظرة الناس للموت.
- ٤١١..... اليقين العملي بالموت.
- ٤١١..... الموقف العملي للإنسان من الموت.
- ٤١٣..... الحذر من الموت.
- ٤١٣..... علة الحذر من الموت.
- ٤١٤..... حقيقة الموت.
- ٤١٤..... الأول: البشارة بالنعيم.
- ٤١٤..... الثاني: البشارة بالعذاب.
- ٤١٥..... الثالث: التحزين والتهويل.
- ٤١٥..... كيفية تجسيد اليقين العملي بالموت.
- ٤١٥..... أصحاب الحسين يجسدون اليقين بالموت.
- ٤١٥..... الأول: عباس يستقبل الموت بنزع درعه.
- ٤١٦..... الثاني: الضحك في ضراوة الحرب.
- ٤١٦..... ثمرات اليقين العملي بالموت.

- ٤١٧..... مآل الصابر بعد الموت.
- ٤١٨..... مكتسبات اليقين العملي بالموت
- ٤١٨..... دلائل اليقين العملي بالموت.
- ٤١٨..... الأول: تمني ملاقة الموت.
- ٤١٩..... الثاني: الاطمئنان بالموت.
- ٤١٩..... الثالث: الاستبشار بالموت.
- ٤٢٠..... اليقين بالموت في النصوص الروائية.
- ٤٢١..... اليقين بالموت عند علي الأكبر.
- ٤٢٢..... اشتياق أصحاب الإمام الحسين للشهادة.
- ٤٢٢..... حقيقة اليقين العملي بالموت.
- ٤٢٣..... دروس الشهادة في مدرسة الحسين.
- ٤٢٤..... عاشوراء في خلودها التاريخي.
- ٤٢٤..... عظمة عاشوراء على مر العصور.
- ٤٢٥..... خصائص تميّز بها الإمام الحسين عليه السلام.
- ٤٢٦..... الأولى: مكانة الحسين عليه السلام في النصوص الشرعية.
- ٤٢٧..... الثاني: النص على إمامة الحسين عليه السلام في بنود الصلح.
- ٤٢٨..... موقف الإمام عليه السلام تجاه الأوضاع في عصره.
- ٤٣٠..... الحسين عليه السلام في عصرنا الحاضر.

- ٤٣٠..... عالمية التأثير الحسيني.
- ٤٣١..... التطور التاريخي للمآتم الحسينية.
- ٤٣١..... المآتم الحسينية في عصر المعصومين عليهم السلام.
- ٤٣١..... المآتم الحسينية في عصر النبي صلى الله عليه وآله.
- ٤٣٢..... المآتم الحسينية في عصر الإمام علي عليه السلام.
- ٤٣٣..... المآتم الحسينية في عصر الإمام الحسن عليه السلام.
- ٤٣٤..... المآتم الحسينية في عصر الإمام السجاد عليه السلام.
- ٤٣٥..... المآتم الحسينية في عصر الصادقين عليهم السلام.
- ٤٣٥..... الإمام الصادق عليه السلام وتطوير المآتم الحسينية.
- ٤٣٧..... المآتم الحسينية في عصر الإمام الكاظم عليه السلام.
- ٤٣٧..... المآتم الحسينية في عصر الإمام الرضا عليه السلام.
- ٤٣٨..... المآتم في عصر الجواد والعسكريين عليهم السلام.
- ٤٣٩..... المآتم الحسينية في عصر الإمام المهدي عليه السلام.
- ٤٣٩..... فوائد استعراض إحياء المآتم الحسينية.
- ٤٤٠..... آلية تطوير الشعائر الحسينية.
- ٤٤٠..... أولاً: التطوير من خلال التأليف والكتابة.
- ٤٤٠..... ثانياً: العرض السينمائي لواقعة الطف.
- ٤٤١..... ثالثاً: إبراز القضية الحسينية عبر الفن.

- ٤٤١..... البعد التاريخي في الملحمة الحسينية
- ٤٤١..... الانتهاكات في مأساة الحسين عليه السلام
- ٤٤٢..... الأول: التعدي على شخصية الإمام عليه السلام
- ٤٤٢..... الثاني: التعدي على الإمام الواجب طاعته
- ٤٤٣..... الثالث: مواجهة الحركة السلمية بالقمع
- ٤٤٤..... الرابع: إنكار حقانية الإمام الحسين عليه السلام
- ٤٤٤..... الخامس: انتهاك القيم الإنسانية
- ٤٤٥..... استثنائية مصيبة الإمام عليه السلام
- ٤٤٦..... كشف قتلة الإمام الحسين عليه السلام
- ٤٤٧..... أولاً: إقامة الحجّة
- ٤٤٧..... ثانياً: أولوية المصالح الشخصية
- ٤٤٨..... ثالثاً: نقض العهود ومقارفة الحرام
- ٤٤٨..... شبهة قتل الشيعة للإمام عليه السلام
- ٤٤٩..... القيم في الملحمة الحسينية
- ٤٤٩..... الأول: بيان أحقيته الشرعية
- ٤٤٩..... الثاني: فضح الأمويين
- ٤٥٠..... الثالث: كشف الزيف الأموي
- ٤٥٠..... الرابع: الأمويون يجارون قيم الإمام عليه السلام

- ٤٥١..... السُنن التاريخية بين الأنبياء والإمام الحسين عليه السلام
- ٤٥٢..... عموميّة الابتلاء في الدنيا:
- ٤٥٣..... سُنّة الابتلاء في حياة الأنبياء.
- ٤٥٣..... الأول: السُنن التاريخية في عصر النبي صلى الله عليه وآله
- ٤٥٤..... الثاني: السُنن التاريخية في عصر النبي موسى عليه السلام.
- ٤٥٦..... الثالث: السُنن التاريخية في عصر الإمام الحسين عليه السلام.
- ٤٥٦..... الأمة تخذل الإمام الحسين عليه السلام.
- ٤٥٧..... سُنّة الابتلاء في كربلاء:
- ٤٥٩..... الفصل الخامس: الثمرات المترتبة لزيارة الإمام الحسين عليه السلام.
- ٤٥٩..... زيارة الإمام الحسين عليه السلام منارة فكر وأصالة ثقافة.
- ٤٥٩..... الجزء الإلهي لزيارة الإمام الحسين عليه السلام.
- ٤٦٠..... أهداف الثورة الحسينية في زيارة الإمام الحسين عليه السلام.
- ٤٦٢..... الإمام المهدي عليه السلام والثورة الحسينية.
- ٤٦٣..... وظيفتنا تجاه الثورة الحسينية.
- ٤٦٤..... تطور الخطاب الإعلامي.
- ٤٦٤..... زيارة الإمام الحسين عليه السلام في مضامينها الإصلاحية.
- ٤٦٤..... أهداف تشريع الزيارة.
- ٤٦٥..... الأول: الربط العقلي والعاطفي بالإمام.

- ٤٦٥..... الثاني: التجسيد لقيم الدين.
- ٤٦٥..... الثالث: غرس المفاهيم العقديّة.
- ٤٦٦..... الرابع: ترتب الخير الوفير على الزيارة.
- ٤٦٦..... الخامس: التركيز على المفاهيم التشريعية.
- ٤٦٧..... السادس: إبراز البعد المعنوي في شخصية الإمام.
- ٤٦٧..... السابع: الاستعداد لتلقي مبادئ الحسين عليه السلام.
- ٤٦٨..... الثامن: الإمام صادق نظرياً وعملياً.
- ٤٦٩..... التاسع: تأكيد عبودية الإمام لله تعالى.
- ٤٦٩..... العاشر: الارتباط بالإمام في الدنيا والآخرة.
- ٤٦٩..... الحادي عشر: الاعتقاد باستشهاد الإمام.
- ٤٧٠..... ديمومة الفكر الحسيني في الأربعين.
- ٤٧٠..... ربط الإيمان بشعائر الدين.
- ٤٧١..... قيم رفيعة في زيارة الأربعين.
- ٤٧٢..... الأول: الإمامة تمثل ولاية الله.
- ٤٧٢..... الثاني: الإمام وارث الأنبياء.
- ٤٧٢..... الثالث: الإمام هادي الأمة.
- ٤٧٢..... الرابع: الإمام الحسين حافظ خط الأنبياء.
- ٤٧٢..... الخامس: إحياء مبادئ الدين.

- ٤٧٣..... الثورة الحسينية في نظر علماء الأمة.
- ٤٧٥..... خطر الطغاة على الدين.
- ٤٧٦..... الإمام الحسين في نظر غير المسلمين.
- ٤٧٩..... المصادر
- ٤٩١..... المحتويات